

T199A

ابراهيم حياق العائبي

الكاتب والشاعر

اعداد

ندي ابرو رسلان

رسالة مقدمة الى دائرة اللغة العربية في الجامعة الاميركية فسي

بيروت، لنيل شهادة الماجستير • بيروت، لبنان، ايار ١٩٨٢ •

ابو اسحاق العاربي

ابورسلان

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

Abu Ishak al-Sabi' as a Writer and a Poet

ابو اسحاق الصابي - الكاتب والشاعر

By

~~Miss Nada Abu-Rislan~~
(Name of student)

Approved:

Prof. Sami Makarem

Sami M. Makarem
Advisor

Prof. Nadeem Naimy

N. Naimy
Member of Committee

Prof. Ramzi Baalbaki

R. Baalbaki
Member of Committee

Member of Committee

Member of Committee

Date of Thesis Presentation: May, 1987

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Release Form

I, Nada Abu-Rislan.....

_____ authorize the American University
of Beirut to supply copies of my
thesis to libraries or individuals
upon request.

_____ do not authorize the American
University of Beirut to supply
copies of my thesis to libraries
or individuals upon request.

Signature: Nada Abu Rislan

Date: 10/6/1987

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي ، احد اكبر كتاب الدواوين في القرن الرابع الهجري ، صابئي النحلة ، حراني الاصل ، تولى ديوان الرسائل للخليفة المطيع لله العباسي وللملك معز الدولة البويهبي وتقلده تقليدا سلطانيا ، عرف بالشدد في احكام دينه ، وبالوقت نفسه كان حافظا للقرآن متبحرا في العلوم الاسلامية ، بالاضافة الى سواها من علوم عصره ، كالعلمة وعلم النجوم . كانت علاقته جيدة مع معاصريه من المسلمين وخاصة مع جماعة من كبرائهم ، لكن منصبه الرفيع وعلمه الغزير وسلوكه الحسن لم تحل دون تعرضه للنكبات والمحن التي عانى منها الكثير فكثر آلامه وشكواه . اما ادب الصابي فهو الادب المبني على الثقافة الغزيرة المتنوعة ، الاسلامية منها خاصة ، وذلك في الجانب الرسمي من هذا الادب او الرسائل الديوانية ، وكان المعبر عن مآساة وآلامه في الجانب الخاص منه او الرسائل الشخصية وبعض شعره .

لم تتناول ابا اسحاق الصابي اية دراسة مستقلة ، مع انه يستحق ان يفرد بدراسة وافية كونه يمثل نموذجا عاليا للكتابة الانشائية في القرن الرابع الهجري ، كما تتمثل في حياته مأساة الكاتب في هذا القرن ، لذلك رأيت ان اجعل " ابا اسحاق الصابي الكاتب والشاعر " موضوعا لاطروحتي للماجستير . وقد عمدت اولا الى التعريف بالصائبة في مقدمة لهذا البحث لانها الدين الذي ينتمي اليه ابو اسحاق ويؤ من بمبادئه ، وكان لهذا اثره في سلوكه واخلاقه كما في اتجاهاته العلمية وفي مركزه في الدولة ، وعلاقته مع الآخرين وفي نتاجه الادبي ايضا ، ثم لأن الدين الصابئي غير معروف للناس قديما وحديثا وهذا ما يتضح من اضطراب المصادر القديمة في التعريف به ، فجماعة الصائبة

كانت من رعايا الدولة الاسلامية ، تبوأ الكثير من افرادها المراكز العالية في الدولة ، والصايبى
احدهم ، مع انهم لا ينتمون الى دين كتابي . هذه الامور مجتمعة دفعتني الى محاولة التعريف
بعده امور حول الصابئة : عقائدهم ، ومجيبهم الى بغداد ، واتصالهم بالدولة ، والموقف الشرعي منهم
وغير ذلك .

بعد هذه المقدمة يتناول الفصل الاول عرض حياة الصايبى وآثاره بدءاً بالتعريف بأصله
ومولده ، ثم يرافق تطور حياته منذ الحداثة وبداية اتجاهاته العلمية ، ثم صعود نجمه وذلك
باتصاله بالمهلبى وحظوته لديه ، ثم توالي النكبات بعد وفاة المهلبى التي اتبعت بحزنه لوفاة
ابنه ثم مرضه وعجزه الى حين وفاته سنة ٣٨٤ هـ . خلال هذه الحياة المديدة المتقلبة تعرف الصايبى
الى شخصيات عصره المعروفة وربطته بها علاقات مختلفة منها ما هو واضح صريح ومنها ما هو مبهم
مثير للاستغراب والتساؤل وقد عرضت لعلاقاته باثنين من هذه الشخصيات هما الشريف الرضى والصاحب
ابن عباد ، استخلصت بعدها اهم ملامح شخصية الصايبى واهم آرائه ، ثم انتهيت الفصل الاول بالتعريف
بمؤلفاته .

اما الفصل الثاني وعنوانه الصايبى الكاتب فهو مقصور على دراسة ادب الصايبى النثرى
التمثل في ناحيتين : رسائله بشكل اساسي ثم كتاب التاجي . اما رسائل الصايبى فقد عرضت لانواعها
ويمكن قسمتها الى رسائل ديوانية واخرى شخصية وتتفرع من هذين القسمين تفرعات عدة . ثم عرضت لاهم
الرسائل التي تميز الرسالة لدى الصايبى ، عمدت بعدها الى تحليل اثنتين منها : الاولى ديوانية
وهي رسالة فتح بغداد والثانية هزلية وهي عهد التطفيل . اما كتاب التاجي فهو كتاب في التاريخ
حاولت ابراز الوجه الادبي له لان الصايبى كتب التاريخ بديباجة ادبية . وقد ارتأيت نظرا لتعدد

الشواهد ولطول الرسائل التي اعتمدها في ابراز السمات العامة للرسالة " الصابية "
ان اجعل هذه الرسائل وبعض الشواهد الاضافية في ملحق خاص في نهاية الاطروحة
وذلك تخفيفا على القارىء .

اما الفصل الثالث وعنوانه الصابي الشاعر فقد تناول اولاً الشعر عند الصابي
في بابين : موقف الصابي من الشعر اعتمادا على رسالة له في تفضيل الشعر على النظم ،
ثم التعريف بموضوعات شعره يذكر فيه كل نوع شعري كتب فيه مع اعطاء نماذج على هذا
النوع مرفقة بالتحليل والتعليق في احيان كثيرة ، ثانياً قيمة شعره وذلك من نواح عدة : فنية
وشخصية وادبية واجتماعية . اخيراً ينتهي هذا البحث بخاتمة تعد خلاصة
موجزة لاهم ما ابرزته هذه الدراسة .

فهرس المحتويات

الصفحة

	توطئة	
	مقدمة	: المابئة
١	الفصل الاول	: حياة العابي وآثاره
٢		اصل له مولده وحدائمه
١١		صعود نجمه
٤٣		محتته ونهاية امره
		علاقاته بشخصيات العصر:
٩٩		الشريف الرضي والماحب بن عباد
١٤٥		شخصيته وآراؤه
١٦٧		مؤلفاته
١٧٢	الفصل الثاني	: المابي الكاتب
١٧٤		رسائل المابي
١٧٤		انواعها
١٧٨		السمات العامة للرسالة لدى المابي
٢٢٥		نماذج من ثرابي اسحاق المابي
٢٢٥		كتاب التاجي

الصفحة

٢٨٨	الفصل الثالث : الصابي الشاعر
٢٨٩	الشعر عند الصابي
٢٨٩	موقف الصابي من الشعر
٢٩٧	موضوعات شعره
٣٢٨	قيمة شعر الصابي
٣٤٢	خاتمة
٣٤٤	ثبت بأسماء المصادر والمراجع التي ترجمت للصابي او ذكرت اخباره
٣٤٨	لائحة بأسماء المصادر والمراجع المعتمدة في البحث
٣٦١	ملحق الشواهد النثرية

المقدمة

=====

الصابئة

الصابئة اسم (١) لديانة قديمة ورد ذكرها في القرآن الكريم ، كما تحدثت فيها المصادر العربية القديمة ، وكتبت حولها دراسات حديثة متعددة ، ولا يزال عدد كبير من اتباع هذه الديانة يعيشون في العراق وجنوب ايران حتى اليوم (٢) ، يمارسون طقوسهم وشعائرهم الدينية ، محافظين على لغتهم الخاصة وكتبهم المقدسة (٣) .
ورد ذكر الصابئة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع (٤) . وقد اختلف المفسرون

- (١) انظر التفسير اللغوي القديم لهذا الاسم في المصادر التالية : محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٢٨١ هـ) ، ج ١ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل (تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت ، تصوير دار المعرفة ، ١٤٠٢ / ١٩٨٢) ، ج ٢ ، ص ٥٥ .
وشمس الدين ابن خلكان ، وفيات الاعيان (تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٨ / ١٣٨٨) ، ج ١ ، ص ٥٤ .
وابا الفضل جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب (بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ) ، مادة : صبا ، وابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب (مصر ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٠ هـ) ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .
وابا الفيض محمد بن عبد الرزاق الزبيدي ، تاج المعروس (مصر ، المطبعة الخيرية ، الطبعة الاولى ، ١٣٠٦ هـ) ، مادة : صبا ، وانظر في التفسيرات الحديثة : الليدي ديلور ، الصابئة المندائيون (تعريب نعيم بدوي ، وغبان روسي ، بغداد ، مكتبة الاندلس ، ١٩٦٩) ، مقدمة المعربين ، ص ٨ .
ورشدي عليان ، الصابئون حرائيب ومندائيين (بغداد ، مطبعة دار السلام ، ١٩٧٦) ، ص ٢٦ و ٢٨ .
- (٢) هنالك احصاءات رسمية تذكر عددهم . انظر كتاب السيد عبد الرزاق الحسني ، الصابئون في حاضرهم وماضيهم (دون مكان ، ١٣٩٨ / ١٩٧٨) ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .
- (٣) ر . عليان ، الصابئون ، ص ١٦ . يعرف الصابئة المعاصرون بالمندائيين . انظر حولهم كتاب عليان السابق الذكر .
وديلور ، الصابئة المندائيون والحسني ، الصابئون في حاضرهم وماضيهم وناجبة مراني ، مفاهيم صابئية مندائية (بغداد ، مطبعة شركة التايمس ، ١٩٨١) .
- (٤) آيات : ٦٢ من سورة البقرة و ٦٩ من سورة المائدة و ١٧ من سورة الحج .

في تعريف هذه الجماعة (١) ، وليس ادل على مادار حولهم من اختلافات ما ذكره ابن كثير في تعريفه بهم حين عرض لذكر اختلاف اراء العلماء والمفسرين حولهم (٢) . هذه الاختلافات اذ بالتالي الى اختلافات الفقهاء في كيفية التعامل معهم بين من يحلل ذبايحهم والزواج منهم وبين من يقتلهم (٣) .

وقد ميزت بعض الدراسات الحديثة بين فرقتين من الصابئة هما صابئة البطائح في العراق ، ويعرفون بالمندائيين ، وصابئة حران الوثنيون (٤) ، واعتبرت ان صابئة البطائح هم المقصودون في القرآن الكريم وان ذكرهم فيه ليدل على انهم دين كتابي كاليهودية

(١) قيل انهم يعبدون الملائكة وانهم نوع من النصارى . الكشاف ، ج ١ ، ص ٥١ وج ٢ ، ص ٥٢ .
(٢) انظر عماد الدين ابن كثير ، تفسير الحافظ ابن كثير (مصر ، مطبعة المنار ، ١٣٤٣) ، ج ١ ، ص ١٨٩ - ١٩١ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٩٠ - ١٩١ . وقد جاءت بعض التفسيرات الحديثة مختلفة عن القديمة ايضا انظر في ذلك ، سيد قطب ، في ظلال القرآن (بيروت ، دار الشروق ، الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢) ، ج ١ ، ص ٧٥ وج ٢ ، ص ٩٤٢ .

(٤) الحسن بن الصابئون في حاضرهم وماضيهم ، ص ٦٠ و ٦٢ و ٦٣ و كارانه فور " الصابئة " ، دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج ١٤ ، ص ٨٩ - ٩٢ . وقد تبه السعودي في مروج الذهب (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مطبعة السعادة ،

الطبعة الرابعة ١٣٨٤ / ١٩٦٤) ، ج ١ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، الى وجود فئتين من الصابئة : الحرانيين والكيماريين ، اظهرها رجل واحد يقال له " بودا سف " وقال ان الكيماريين نوع من الصابئة " مباينون للحرانيين في نحلتهم ، وديارهم بين بلاد واسط والبصرة من ارض العراق نحو البطائح والاجام " . ولابي اسحاق الصابي وصف للسكن في البطائح يقول : " محل خسيس لا يطيب مساوه " .
بهاجسة المجالس لابي عمر بن عبد البر (تحقيق محمد مرسي الخولي ومراجعة عبد القادر القط ، القاهرة ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧ / ١٩٦٩) ، ج ٢ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ . اما حران فمدينة قديمة في ديار مصر ، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان ، وتقع على طريق الموصل والشام والروم . يقال بناها هاران اخو ابراهيم الخليل (ويقال عمه ابو زوجته) فنسبت اليه ، وعربت فقيل حران . والنسبة اليها حراني وكذلك حرثاني على غير قياس . وحران مدينة الصابئين ، لهم فيها اماكن مقدسة ، وتتصف هذه المدينة بقلعة الماء والشجر . انظر حولها : ابن حوقل النصيبي ، صورة الارض (ليدن ، بريل ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧) ، ص ٢٢٦ و ابراهيم ***

والنصرانية (١) ، في حين ان الحرانيين اتخذوا لانفسهم اسم الصابئة ليستفيدوا من التسامح الاسلامي المفروض للصابئة (٢) .

اما المصادر العربية القديمة فقد اختلفت في تعريف هذه الفئة (٣) نقتصر هنا على عرض ماجاء في الفهرست لابن النديم والملل والنحل للشهرستاني لانهما من اهم

*** ابن محمد الاصطخري ، المسالك والممالك (تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ، القاهرة ، ١٣٨١/١٩٦١) ، ص ٥٣ ، وابن الفقيه ابا بكر احمد بن محمد الهمداني ، كتاب البلدان (ليدن ، بريل ، ١٩٦٧) ، ص ١٣٢ ، و ابا عبد الله المقدسي البشاري ، احسن التقاسيم (ليدن ، بريل ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧) ، ص ١٤١ ، وابن جبير ، رحلة ابن جبير (تحقيق حسين نصار ، القاهرة ، مكتبة دار مصر ، دون تاريخ) ، ص ٢٣٢ ، و وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٣١٥ ، و ياقوت الرومي ، معجم البلدان (بيروت ، دار صادر ، و دار بيروت ، ١٣٧٥/١٩٥٦) ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ ، و محمد بن عبد النعمان الحميري ، الروض المعطار ، (تحقيق احسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٥) ، ص ١٩١ .

(١) دراور ، الصابئة المندائيون ، مقدمة المعربين ، ص ٨ و ١٨ و كاراده نو " الصابئة " ، و مراني ، مفاهيم صابئية ، ص ٥٢ و ٧٤ .

(٢) دراور ، الصابئة المندائيون ، مقدمة المعربين ، ص ١٨ و كاراده نو " الصابئة " دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٤ ، ص ٨٩ ، D.S. Margoliouth, "Harranians",

Encyc. of Religion and Ethics, vol.6. pp.519-520 (Newyork, Scribner, 1955-56).

وقد اعتمد اصحاب هذا الرأي في ذلك على حكاية الصابئة مع المأمون التي ستذكر فيما بعد .

(٣) من هذه المصادر: الراغب الاصفهاني ، محاضرات الادباء (بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١) ، ج ٤ ، ص ٤٢٢ ، و لسان العرب ، مادة : صبا ، و احمد بن محمد الفيومي ، المصباح المنير (مصر ، المطبعة البهية المصرية ، ١٣٠٢ هـ) ، ج ١ ، ص ٢٠٥ ، و تاج العروس ، مادة : صبا .

المصادر (١) التي تناولت الصابئة بدراسة مستفيضة فإمدتنا بفوائد كبيرة ومعلومات جيدة

• عنهم

يعرض ابن النديم لذكر غير فئة من الصابئة منهم " الصابئة الابراهيمية " الذين

آمنوا بابراهيم وحملوا عنه الصحف المنزلة (٢) • ثم يذكر حكائيتين عن الصابئة توضح

الاولى معتقدتهم الاساسي وما فرض عليهم من عبادات (٣) • ولا يخرج ما ذكر فيها عما وصفه

الشهرستاني مفصلا عن معتقداتهم • وسنعود اليه فيما بعد • اما الحكاية الثانية فيقول انها نقل

عن ابي يوسف ايشع القطيعي النصراني في كتابه في الكشف عن مذاهب الحرانيين المعروفين

في عصرنا بالصابئة تقول الحكاية " ان المأمون اجتاز في اخر ايامه بديار مضر يريد بلاد الروم

للنزو فتلقاء الناس يدعون له • وفيهم جماعة من الحرانيين • وكان زعيم اذ ذاك لبس الاقبية •

وشعورهم طويلة بوفرات كوفرة قره جد سنان بن ثابت • فانكر المأمون زعيمهم وقال لهم : من

انتم من الذمة ؟ فقالوا : نحن الحرانية • فقال : انصاري انتم ؟ قالوا : لا • قال :

فيهود انتم ؟ قالوا : لا • قال فمجوس انتم ؟ قالوا : لا • قال لهم : افلكم كتاب ام نبي ؟

فمجسوا في القول • فقال لهم : فانتم اذا الزنادقة • عبدة الاوثان • واصحاب الرأس (٤) في

(١) يلي هذين المصدرين في الاهمية مروج الذهب للمسعودي ورسائل اخوان الصفا ونهاية الارب

للنويزي • بالاضافة الى المصادر التي ترجمت لاعيان الصابئة كتاريخ الحكماء للقفطي وطبقات

الاطباء لابن ابي اصيبعة •

(٢) ابو الفرج ابن النديم • الفهرست (تحقيق رضا تجدد • طهران ١٩٧١) ص ٢٤ •

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٣٨٣ •

(٤) ينقل ابن النديم عن ايشع النصراني صاحب هذه الرواية حكاية في الرأس غريبة وفضيعة خلط

فيها مولغها او راويها بين ايمان الصابئة بالنجوم وبين تضحيتهم بالقرايين البشرية • وربما

كانت هي المقصودة بكلام المأمون هنا • انظر الفهرست • ص ٣٨٦ •

ايام للرشيد والدي وانتم حلال دماؤكم ، لاذمة لكم ، فقالوا : نحن نوّدي
الجزية ، فقال لهم : انما توخذ الجزية من خالف الاسلام من اهل الاديان الذين
ذكرهم الله عز وجل في كتابه ولهم كتاب ٠٠٠ " وخير المأمون هو هـ ، كما تقول الرواية ،
بين الدخول في الاسلام او في احد الاديان الكتابية وبين القتل ، ثم رحل الى بلد السروم ،
فخبر هو هـ زيهم وتنصرت منهم طائفة واسلمت اخرى ، وبقيت فئة منهم في حيرة من امرهم
واضطراب ، حتى اشار عليهم فقيه من حران ان يقولوا للمأمون اذا رجع من سفره انهم
الصائبون ، " فهذا اسم دين قد ذكره الله جل اسمه في القرآن " ، ثم ان المأمون توفي فسي
سفرته تلك وانتحل هو هـ هذا الاسم " لانه لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون
بالصابئة " (١)

والملاحظ في هذه الرواية عدة امور : اولها ان المأمون لم يكن يعلم بوجود هذه
الفئة من الناس مع ما كان عليه من ثقافة ومعرفه وعلم ، ثانيا ، ان هو هـ القوم عرفوا انفسهم
باسم الحرثانية ، وهي نسبة الى حران ، اى انهم لم ينتسبوا الى دين معين بل الى
مدينة ، ثالثا ، حاول الراوى ان يوحي بان صابئة بغداد ومنهم سنان بن ثابت ، هم من
عبدة الاوثان بقوله ان لهم " وقرات كوفرة قورة جد سنان بن ثابت " ، رابعا ، قوله انه لم
يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابئة . يضاف الى هذه الملاحظات حقائق اخرى منها ان
ابن النديم انما ينقل ما وقع اليه لانه هو نفسه لا يعرف حقيقة الصابئة كما يظهر من طبيعة
عرضه لخبرهم ، ثم انه كان هنالك بعض الفئات تتعمد الاساءة الى الصابئة والنيل منهم
لما كانوا يتمتعون به من حرية ولما برز فيهم من نوابغ في الفكر والعلم (٢) ، يضاف الى ذلك جهلنا

(١) الفهرست ، ص ٣٨٥

(٢) مرانسي ، مفاهيم صابئية ، ص ٧٨٠

بأشجع النصراني الذي ينقل ابن النديم عنه . كل هذا يجعلنا نضع علامة استفهام كبيرة حول هذه الرواية خاصة اذا علمنا ان الصابئة الاصليين هاجروا من القدس الى حران ابتداءً من القرن الاول الميلادي (١) ، كما سوف نرى بعد قليل . يبقى ان اهم ضعف في هذه الرواية هو ما تركه من سؤال : هل كان كل الخلفاء المسلمين من عمر الى المأمون جاهلين بهذه الطائفة ، يقبلون منها الجزية دون ان يكونوا من اهل الكتاب ؟

ثم يذكر ابن النديم طائفة ثالثة من الصابئة يسميها المغتسلة او صابئة البطائح ، يقولون بالاعتسال ويعظمون النجوم ولهم اصنام ، ويضيف : " وهم عامة الصابئة المعروفين بالحرثانيين ، وقد قيل انهم غيرهم جملة وتفصيلاً (٢) .

هكذا يتضح لنا كم في عرض ابن النديم ، وهو مجرد ناقل ، من اضطراب بالنسبة لتحديد طائفة الصابئة . على ان ما ذكره الشهرستاني عن معتقد الصابئة ، وماتوصل الى معرفته الدارسون المحدثون عنهم ، يشكل حلاً لما يضطرب في اذهاننا من معلومات متضاربة بشأنهم ، فالدراسات الحديثة ترفع العلاقة بين الصابئة الاصليين او الموحديين وبين الحرثانيين عن مستوى التسمية الواحدة الى العلاقة الحقيقية التي نتجت عن هجرة الصابئة الحقيقيين عن موطنهم الاول في فلسطين الى مدينة حران حيث جاؤوا اهلها واثروا فيهم وتأثروا بهم (٣) . فقد جمعت حران بين هاتين الفئتين ، فتعرف الحرثانيون على دين الصابئة كما تعرف هؤلاء على دين الحرثانيين وفلسفتهم ، خاصة الافلاطونية الحديثة (٤) هذا التمازج ادى الى

- (١) مراني ، مفاهيم صابئية ، ص ٦٦ .
- (٢) الفهرست ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .
- (٣) دراور ، الصابئة المندائيون ، مقدمة المعريين ، ص ١٣ و ١٥ و ١٦ . وانظر : مراني ، مفاهيم صابئية ، ص ٦٣ و ٦٥ و ٦٦ و ٧١ .
- (٤) دراور ، الصابئة المندائيون ، مقدمة المعريين ، ص ١٦ - ١٧ . وقد ذكر في رسائل اخوان الصفاء ، (بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ) ج ٤ ، ص ١٠٢٩٥ ان من اسماء الصابئة المعروفة لدى الناس اليونانيون ، والخراسون ، والحتوفون ، وتسميتهم باليونانيين دليل وثيق على معرفتهم بالفلسفة اليونانية ، ويعرف السعودي في مروج الذهب (ج ١ ، ص ٩٥) الحرثانيين بالقول : " هم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين " . ويقول ايضا انه رأى على " باب مجمع الصابئة بمدينة حران مكتوباً على مدقة الباب بالسريانية قولاً لافلاطون فسره مالك بن عقبةون **

وجود وجوه شبه كثيرة بين الديانتين ، حتى ان الشهرستاني اعتبر الحرنانية احدى فرق الصابئة .

اما الشهرستاني فقد اعاد الصابئة الى زمن ابراهيم الخليل حين اعتبر ان الفرق في زمانه كانت اثنتين : الصابئة والحنفاء (١) . ويقول ان الصابئة كانوا ينسبون عقيدتهم الى اثنين من الانبياء هم عازيمون وهرمس وهما شيك وادريس (٢) . وقد جعل الشهرستاني الصابئة في اربع فرق تتبع عقيدة واحدة ولكن بتدرج في فهمها واتباعها بين الروحانية والمادية ، ولاندرى ان كان هذا التدرج زمنيا وان كانت جميع هذه الفرق فرقة واحدة كانت في ابتداء امرها تؤمن بعقيدة روحية تدرجت شيئا فشيئا الى عبادة الاصنام او عبادة الله من خلالها (٣) كما عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ وما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى ﴾ (٤)

== وغيره منهم وهو " من عرف ذاته تاله " . (مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٤٨) ويرى بعض المحدثين ان الحرنانيين جمعوا في ديانتهم بين الدين البابلي والهليني وبين الفلسفة الافلوطينية .
(D.S.Margoliot , "Harranians")

- (١) الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٢٣ .
- (٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤ . يقول الشهرستاني عن الحرنانية انهم ينسبون مقالمتهم الى عازيمون وهرمس واعيانا واواذى ، ومنهم من ينتسب الى سولون جد افلاطون لانه . (الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٦ - ٥٧) وقد ذكر ابن النديم سولون هذا ايضا (الفهرست ، ص ٣٨٣) . وقد ذكر لهم علي بن احمد ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والاهواء والنحل (مصر ، المطبعة الادبية ، الطبعة الاولى ، ١٣١٧) ، ج ١ ، ص ٣٥ ، انبياء آخرين كاييلون واسقلانيوس ويود اسف ، وغيرهم . ويقول محمد باقر الخوانساري في روضات الجنات (تحقيق اسد الله اسماعيليان ، طهران ، مكتبة اسماعيليان ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٠ - ١٣٩٢) ، ج ٢ ، ص ١٦٣ ان لهم كتباً واحكاماً ينسب بعضها الى شيت وبعضها الى يحيى بن زكريا .
- (٣) يقول ابن حزم (في الفصل ، ج ١ ، ص ٣٥) ما يقرب من هذا : " وكان الذي ينتحله الصابئون اقدم الاديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا الى ان احدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعها بما ذكرنا فبعث الله عز وجل اليهم ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم يدين الاسلام " .
- (٤) سورة الزمر (٣٩) : ٣ .

الفرقة الاولى يسميها الشهرستاني اصحاب الروحانيات (١) . ويرى هؤلاء ان للعالم مانعا حكيمًا مقدسًا عن سمات الحدشان وانه من الواجب معرفة العجز عن الوصول الى جلاله لذا يتقرب اليه بالمتوسطات ، وهم الروحانيون المطهرون والمقدسون عن القوى الجسدانية والمواد الجسمانية (٢) . هذا المعتقد يحتم ضرورة تطهير النفوس عن الشهوات الطبيعية والقوى الشهوانية والغضبية حتى يحصل مناسبة بينهم وبين الروحانيات فيسألون حاجتهم منها .

الفرقة الثانية يسميهم الشهرستاني اصحاب الهياكل ، وهؤلاء لما لم يستطيعوا التقرب الى الروحانيات باعيانها لجأوا الى هياكلها وهي السيارات السبع وبعض الثوابت (٣) ، فدرسوا احوال الكواكب وتعرفوا بيوتها ومظالمها ومغاريبها ، وعملوا النرائم والدعوات (٤) . وكان من معرفتهم بالنجوم ان شهبوا بالسحر والطلسمات والتنجيم والتعزيم (٥) .

(١) يسميها شهاب الدين النويري "عباد الروحانيات" ، انظر كتابه نهاية الارب في فنون الادب

(القاهرة ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٤٧/١٩٢٩) ، ج ١ ، ص ٥٧ - ٦٠ .

(٢) الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

(٤) اخوان الصفا ، ج ٤ ، ص ٢٩٨ و الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

(٥) الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، وانظر اخوان الصفا ، ج ٤ ، ص ٢٩٥ .

الفرقة الثالثة : اصحاب الاشخاص رأيت ان الكواكب التي يتقرب بها السي

الروحانيات تظهر وتنبئ فشمعروا بحاجة الى اشخاص وصور قائمة يعكفون عليها ويجعلونها
وسيلتهم الى الكواكب ، فيتقربون بها الى الروحانيات ويتقربون بالروحانيات الى الله . فاتخذوا اصناما
على مثال الكواكب السبعة (١) ونسوا اخرى على اسماء الجواهر الروحانية (٢) .

الحرثانية هي الفرقة الرابعة من فرق الصابئة التي ذكرها الشهرستاني وهو لا

يومنون بالحلول والتناسخ ويقولون ان المعبود واحد ومتعدد " اما واحد ففي الذات ، والاول ،

والاصل والازل ، واما كثير فلانه يتكسر بالاشخاص في رأى العين ، وهي المدبرات السبعة والاشخاص

الارضيه الخيره ، العالمه ، الفاضله ، فانه يظهر بها ، ويتشخص باشخاصها ، ولا تبطل وحدته

في ذاته (٣) ، وانه هو الذى ابدع الفلك وما فيه من الاجرام والكواكب . وتقول هذه الفرقة ايضا

بالتناسخ الناتج عن فكره حدوث طبيعه الكسل في نهاية كل ستة وثلاثين الف واربعمائه وخمس وعشرين

سنة زوجين من كل نوع من الحيوانات والانسان ذكرا وانثى ، فيبقى هذا النوع هذه المدة حتى اذا انقضت

انقطع نسل الازواج وتوالدها وابتدا دور اخر (٤) . وهذه هي القيامة الموعودة عندهم ولا ايمان

لهم بالبعث واحياء الموتى (٥) . اما الشواب والعقاب ففي هذه الدار لاني دار اخرى (٦) .

(١) الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٧ ، وقد ذكر النويرى في نهاية الارب (ج ١ ، ص ٦١ - ٦٢) هذه الهياكل

واما كتبها في العالم كاليهند واليمن والصين وغيرها .

(٢) الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٧ ، وقد ذكرت ايضا في مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ ، وهي هيكل

العلمه الاولى ، والعقل والسياسة والصورة والنفس .

(٣) الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

(٥) المصدر نفسه

(٦) المصدر نفسه .

وما يجدر بنا معرفته عن الصابئة ايضا كتمانهم امور دينهم حيث لا يعرف اصول عقيدتهم الا فئة قليلة منهم " قوم مخصوصون او واحد في كل زمان يحيط بذلك علمًا ، ويتيسر له علمًا " اى العلم بحركات الكواكب والافلاك وتصرف الروحانيات فيها ، والعمل بصناعة الاشخاص في مقابلة الهياكل (١) . وتحدث احدى رسائل اخوان الصفا عن كيفية ادخال الاحداث من الصابئة في الدين واسماعهم السر فتذكر ان من هذا السرنوعين : سر الرجال ويسمعه الرجال وسر النساء وتسمعه النساء ، وتقول انه يتألف من هذين السرين تأليفات كثيرة من جملتها اربعة يتضمن كل واحد منها قوانين وبراھين علم من العلوم الاربعة : الطب ، والكيمياء ، وعلم النجوم ، وعلم الطلسمات (٢) . وكان الرسالة تعطي تعليلا لبراعة ابناء هذه الطائفة في العلوم المذكورة .

اما بالنسبة للفروض الدينية فالصابئة يتفقون على اداء ثلاث صلوات يوميا (٣) ، وحرمان لحم الخنزير والكلب والحمام وما له مخلب من الطير ، وينهون عن السكر والاختان . ويتم الزواج عندهم بولي وشهود ولا يجمعون بين امرأتين ، ولا يبيحون الطلاق (٤) . وقد فرض عليهم الصيام ثلاثين يوما متفرقة خلال السنة ويتفلسون ما يزيد على الاربعين يوما (٥) .

-
- (١) الطل والنحل ، ص ٣٣ . ويذكر ان الصابئة المعاصرين يكتمون امور دينهم حتى ليكاد الصابئي لا يعرف شيئا من اسرار الدين ، كما انهم لا يدخلون احدا من الناس في دينهم . الحسن بن الصابئون في حاضرهم وماضيهم ، ص ١١ - ١٢ .
- (٢) اخوان الصفا ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .
- (٣) الفهرست ، ص ٣٨٣ والطل والنحل ، ج ٢ ، ص ٧ ، ويقول ابن حزم في الفصل (ج ١ ، ص ٣٤) بأنها خمس صلوات يوميا .
- (٤) الفهرست ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ والطل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٧ .
- (٥) انظر الفهرست ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ ، ويقول ابن حزم انهم يصومون شهر رمضان ويستقبلون الكعبة في صلاتهم (الفصل ، ج ١ ، ص ٣٤) .

هذه فكرة مجملية عن الصابئة : فرقها ومعتقداتها اعتمد فيها ايضاح ما امكن من معتقداتها واظهار طريقتة تعامل المصادر معها والتي تعكس اختلاف الراى حولها نظرا لسرية تعاليمها ولمحاولات التشويه التي تعرضت لها . لكن ما لا خلاف عليه هو ان لهذه الفرقة اهمية كبيرة بالنسبة لنبوغ عدد غير قليل من ابناءها في مجالات علمية مختلفة . وقد كان معظم هؤلاء في بغداد عاصمة الدولة على صلة مباشرة مع الخليفة او الوزراء . هذه الفئة من الصابئة التي سكنت بغداد قدمت اليها من حران . ويقال ان ثابت بن قرة هو الذى وضع حجر الاساس لوجود الصابئة في بغداد (١) . فقد كان ثابت هذا صيرفيا بحرانا اتى بمقالة في مذهبه انكرها عليه قومه ، فاستتابوه فتاب ، ثم عاد الى القول بها مجددا ما جعلهم يسمونه من دخول الهيكل ، فخرج من حران ونزل كرتوثا (٢) . واقام بها مدة الى ان التقاه احد القواد وهو في طريق عودته من بلاد الروم الى بغداد فاعجب بعلمه وفضله واستصحبه معه ووصله بالخليفة المعتضد (٣) .

لكن مع احتلال الصابئين مراكز مرموقة في الدولة ، وكون هؤلاء ينتمون الى ديانة غريبة ، اصبح الموقف الشرعي منهم غير واضح او ثابت ما جعل وجودهم مهددا بالزوال غير مرة . فيذكر ان الخليفة القاهر (٤) استفتى بأمرهم الامام ابا سعيد الاصطخرى قاضي قم (ت ٥٣٢٨هـ)

-
- (١) الفهرست ، ص ٣٣١ وجمال الدين الققطي ، تاريخ الحكما* (تحقيق جوليوس ليرت ، ليبسك ، ١٩٠٣/١٣٢٠) ، ص ١١٥ وموفق الدين ابن ابي اصيبعة ، عيون الانبياء في طبقات الاطباء* (تحقيق نزار رضا ، بيروت ، مكتبة الحياة ، ١٩٦٥) ، ص ٢٩٥ ومحمد بن احمد الذهبي ، سير اعلام النبلاء* (تحقيق علي ابوزيد ، اشرف شعيب الارنؤوط ، بيروت . مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ١٩٨٣/١٤٠٣) ج ١٣ ، ص ٤٨٥ .
- (٢) وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٣١٣ ، ويذكر ان كرتوثا قرية كبيرة بالجزيرة الفراتية بالقرب من دارالمصدر نفسه والفهرست ، ص ٣٣١ وتاريخ الحكما* ، ص ١١٥ وطبقات الاطباء* ، ص ٢٩٥
- (٣) اعلام النبلاء* ، ج ١٣ ، ص ٤٨٥ . وقد دامت خلافة المعتضد من تاريخ مبايعته سنة ٢٧٩ هـ حتى وفاته سنة ٢٨٩ هـ .
- (٤) كانت خلافة القاهر من تاريخ مبايعته سنة ٣٢٠ هـ حتى خلع وسل سنة ٣٢٢ هـ .

فافتاه يقتلهم لانه رأى انهم يخالفون اليهود والنصارى في دينهم . ويعبدون الكواكب . ولم يشن الخليفة عن عزمه الا جمعهم لمبلغ ضخم من المال كفه عنهم (١) . ويذكر ايضا ان القاهر اجمرو سنان بن ثابت على الاسلام (٢) . وقد صدر في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى مرسوم عن امير المؤمنين كتبه ابو اسحاق الصابي يقضى بصيانة الصابئة وحراستهم والتخلى بينهم وبين مواردهم وعدم مشاركتهم فيها (٣) .

من ابرز علماء الصابئة واعيانها من عرف من عائلتي زهرون وقره . اما عائلة زهرون التي ينتسب اليها ابو اسحاق ابراهيم الصابي . فسيتم التعريف بعلمائها وادبائها خلال دراسة حياة ابي اسحاق . واما المنتسبون الى عائلة قره فنذكر منهم اولاً : ابا الحسن ثابت بن قره (ت ٢٨٨ هـ) وكان في جملة منجمي المعتضد وحظي بمكانة مرموقة في مجلسه . وله مؤلفات (٤) . ثم ابنه ابا سعيد سنان بن ثابت (ت ٣٣١ هـ) وكان ادبياً

(١) تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى (مصر ، المطبعة الحسينية ، الطبعة الاولى

دون تاريخ) ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ، وقد حدد ادم متز هذه الحادثة بحوالي سنة ٣٢٠ هـ . آدم **عز** ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى (تحرير محمود عبد الهادى ابوريد ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الرابعة ، ١٣٧٨ / ١٩٦٧) ، ج ١ ، ص ٨٥ .

(٢) الفهرست ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ، وتاريخ الحنفاء ، ص ١٠٠ - ١٩١ ، وطبقات الاطباء ، ص ٣٠١ ، وقد كان

ابو سعيد سنان بن ثابت (ت ٣٣١ هـ) ادبياً ومؤرخاً وطبيباً ماهراً عمل في خدمة الخلفاء المقتدر فالقاهر ثم الرازي ، توفي مسلماً وله مؤلفات وقد مهر في مهنة الطب لدرجة انه لم يكن يحق لطبيب ان يزاول مهنته الا بعد ان يمتحنه سنان ، وذلك ابتداءً من سنة ٣١٩ هـ . انظر ترجمته بالاضافة الى المصادر السابقة في احمد بن محمد مسكويه ، تجارب الامم (تحقيق

هـ . ف . امدروز ، مصر ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، ١٩١٤ / ١٣٣٢ - ١٩١٦ / ١٣٣٤) ، ج ١ ، ص ٤١٧ ، واقوت الرومي ، معجم الادباء (مصر ، دار المأمون ، بعناية احمد فريد رفاعي ، ١٩٣٦ / ١٣٥٥) ، ج ١١ ، ص ٢٦٢ .

(٣) كاراده غوه ، " الصابئة " ، وينقل ادم متز الخبر عن رسائل الصابيين المخطوطة بمكتبة ليدن بهولند ، رقم ١٧٦٦ ، الورقة ٢١١ أ ب (الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ٧٧ - ٧٨) .

(٤) كان في بدايه امره صيرفياً . له رساله في مذهب الصابئين واخرى في الطب . انظر ترجمته في : الفهرست ، ص ٣٣١ ، وتاريخ الحكماء ، ص ١١٥ ، وطبقات الاطباء ، ص ٢٩٥ ، ووفيات الاعيان .

ومؤرخا وطبيبا ماهرا (١) و ابا اسحاق ابراهيم بن سنان بن ثابت (ت ٣٣٥ هـ) وكان بارعا في الهندسة وعلم النجوم وله مؤلفات (٢) . اخوه ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت (ت ٣٦٥) طبيب بارع فاضل وكتابه في التاريخ مشهور (٣) . ويذكر القفطي من افراد هذه العائلة ايضا ابا الحسن بن سنان الصابي ، وكان موجودا في حدود سنة ٤٣٩ يعمل في البيمارستان ، وله اصابات في الطب والعلاج . كما يذكر له اخا يعرف بابي الفضل بن سنان (٤) .

بالاضافة الى هذه العائلة لا بد من ذكر البتاني (ت ٣١٧ هـ) بين علماء الصابئة

وشهر برصد الكواكب والهندسة وحساب النجوم (٥) . وغير هؤلاء كثير (٦) .

*** ج ١ ص ٣١٣ واعلام النبلاء ج ١٣ ص ٤٨٥ وروضات الجنات ج ٢ ص ١٦٢ .

(١) سبقت ترجمته في هامش الصفحة ١٢ من هذا البحث .

(٢) انظر ترجمته في : الفهرست ص ٣٣٢ وتاريخ الحكماء ص ٥٧ وطبقات الاطباء ص ٣٠٧ .

(٣) خدم المتقي ثم المستكفي ثم المطيع . وكتابه في التاريخ المذكور في المتن يبدأ من سنة ٢٩٥ هـ

والى حين وفاته . انظر ترجمته في الفهرست ص ٣٦٠ ومعجم الادباء ج ٧ ص ١٤٢ .

وتاريخ الحكماء ص ١٠٩ وطبقات الاطباء ص ٣٠٤ ووفيات الاعيان ج ١ ص ٣١٤ .

(٤) انظر تاريخ الحكماء ص ٣٩٧ - ٤٠٢ .

(٥) هو ابو عبد الله محمد بن جابر بن سنان . له تأليف في علم النجوم والهندسة كتاب الزيج

وكتاب مطالع البروج ، وشرح اربع مقالات لبطليموس . انظر ترجمته في الفهرست ص ٣٤٨ .

وتاريخ الحكماء ص ٢٨٠ ووفيات الاعيان ج ٥ ص ١٦٤ .

(٦) نذكر منهم : ابن وصيف الصابي ، وكان طبيبا خبيرا بطب العين ورحل اليه من الاقطار

(تاريخ الحكماء ص ٤٣٦ وطبقات الاطباء ص ٣١١) وهارون بن صاعد الطبيب ، وكان

يعمل في البيمارستان العضدي في وقته ، وتوفي سنة ٤٤٤ هـ (تاريخ الحكماء ص ٣٣٨) .

الفصل الاول

حياة الصابي وأثاره

أصله ، مولده ، أحداثه

أبو إسحاق إبراهيم بن هلال (١) بن إبراهيم بن زهرون بن حُبُون (٢)
سليل عائلة زهرون الصابئية التي قدمت من حران في زمن لم تحدد المصادر
لكنه تال بالطبع لقدم ثابت بن قرة أول من قدم بغداد من الصابئية ومهد
لتمكثهم فيها (٣) والذي يقدر مجيئه اليها بحوالى سنة ٢٥٩ هـ . (٤)
أقدم من تذكره المصادر من عائلة زهرون أبو إسحاق إبراهيم بن زهرون جد أبي
إسحاق إبراهيم الكاتب (٥) . كان هذا طبييا مشهورا ، ترجم له القفطي
في تاريخ الحكماء وقال : " أظنه جد إبراهيم بن هلال الكاتب " (٦) ، فيما لم يذكر

-
- (١) المصادر التي ترجمت للصابي أو ذكرت بعض أخباره مثبتة في نهاية البحث .
(٢) ضبط ابن خلكان اسمه بالشكل الظاهر في المتن (وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٥٢) .
وورد في بعض المصادر اسم هررون بدل زهرون (الفهرست ، ص ١٤٩) وأبو منصور
الثعالبي ، يتيمة الدهر (مكة المكرمة ، دار الكتب العلمية ودار الباز للنشر ،
الطبعة الأولى ١٩٧٩ / ١٣٩٩) ، ج ٢ ، ص ٢٤١ . ومن المفيد الإشارة الى أن اسم
زهرون من الأسماء المقدسة لدى الصابئية المندائيين وتستدل دراور (الصابئية
المندائيون ، ص ٢٦) من وجود اسم زهرون بين أسماء علماء البلاط العباسي على
وجود صلة بين الحرانيين والمندائيين .
(٣) راجع ص ١١ من مقدمة هذا البحث .
(٤) كآراده نو ، " الصابئية " .
(٥) ترجمته في تاريخ الحكماء ، ص ٧٦ و طبقات الأطباء ، ص ٣٠٧ وف ، كرنكو ،
" أبو إسحاق إبراهيم بن زهرون " ، دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة العربية) ،
ج ١٤ ، ص ٨٨ .
(٦) تاريخ الحكماء ، ص ٧٦ .

ابن ابي اصيبعة في ترجمته اى علاقة له بابي اسحاق الكاتب ، لكن هلال بن المحسن الصابي ذكر في رسوم دار الخلافة حديثا عن جده ابي اسحاق الكاتب يفيدنا في هذا الموضوع . يقول هلال : " وحدثني ابراهيم بن هلال جدى ، قال : حدثني هلال ابي ، قال : حدثني ابراهيم ابي ، قال : كنت واقفا بين يدي المكتفي بالله ، صلوات الله عليه ، وهو يفاوضني في بعض الامور ، اذ جرى ذكر ثابت بن قره ، وسلامة طرائقه ، وما كان فيه من ادب النفس . . . (١) . هذه الرواية تشير الى ان ابراهيم ابن زهرون الطبيب هو جد ابي اسحاق الكاتب وذلك انه كان حيا في فترة خلافة المكتفي التي امتدت من سنة ٢٨٩ هـ وحتى سنة ٢٩٥ هـ (٢) ، وقد توفي سنة ٣٠٩ هـ ببغداد (٣) . ثم انه ما كان لابراهيم بن زهرون الصابي هذا ان يكون له هذه المكانة لدى المكتفي فيقف بين يديه يفاوضه ببعض الامور لولا انه لم يكن بارعا في علم من العلوم اوصله الى هذه المكانة ثم ان الحديث الذي يتفاوضون فيه هو ذكر احد الاطباء فهو يتحدث عن سلامة طرائقه اى في الطب . هكذا يتأكد لدينا ان جد ابي اسحاق الصابي طبيب بارع خدم المكتفي بالله وقد وصف بحسن المعاملة وجودة الاخلاق (٤) ، ويبدو انه كان ايضا على معرفة بعلم المنطق لذلك وصفه القفطي ، نقلا عن تاريخ ثابت بن سنان ، بالحراني المنطقي (٥) .

-
- (١) هلال بن المحسن الصابي ، رسوم دار الخلافة (تحقيق ميخائيل عواد ، بغداد ، مطبعة الماني ، ١٣٨٣ / ١٩٦٤) ص ٨٨ .
 - (٢) مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢٥ .
 - (٣) تاريخ الحكماء ، ص ٧٦ و طبقات الاطباء ، ص ٣٠٧ .
 - (٤) طبقات الاطباء ، ص ٣٠٧ .
 - (٥) تاريخ الحكماء ، ص ٧٦ .

ويبدو ان لهذه العائلة قدما راسخة في الطب وانها تتوارث هذا العلم

جيلا بعد جيل فنجد ان لابراهيم هذا ابنا هو ابو الحسن ثابت (١) وهو عم ابي اسحاق وكان هذا طبيبا ماهرا وافر العلم (٢) وله في الطب مؤلفات . اما ابن ابراهيم الثاني وهو ابو الحسين هلال (٣) والند ابي اسحاق الكاتب فقد كان " طبيبا حاذقا عاقلا صالح العلاج مغننا خدم الناس بصناعتهم وتقدم عند اجلاء بغداد وخالطهم بصناعتهم " (٤) وقد عمل ابو الحسين في خدمة توزون (٥) التركي . وسأنتوي على ذكر والد ابي اسحاق فيما بعد .

(١) ولد بالرقبة سنة ٣٨٣ هـ . وتوفي في بغداد سنة ٣٦٥ هـ ، وقيل ٣٦٩ . انظر في ترجمته :

الفهرست ، ص ٣٦ و تاريخ الحكماء ، ص ١١١ وعز الدين ابن الاثير ، الكامل في التاريخ (بيروت ، دار صادر ودار بيروت ١٣٨٦ / ١٩٦٦) ج ٨ ، ص ٧١١ و طبقات الاطباء ،

ص ٣٠٧ . وف. كرنكو ، ثابت بن ابراهيم بن زهرون ، دائرة المعارف الاسلامية ،

(الطبعة العربية) ، ج ١٤ ، ص ٨٨ .

(٢) يروي له القفطي وابن ابن اصيعة اخبارا تدل على براعة في الطب تقرب من حد المعجزة .

انظر تاريخ الحكماء ، ص ١١١ - ١١٥ و طبقات الاطباء ، ص ٣٠٧ - ٣١٠ .

(٣) انظر ترجمته في تاريخ الحكماء ، ص ٣٥٠ . وف. كرنكو ، هلال بن ابراهيم بن زهرون ابو الحسين ،

دائرة المعارف الاسلامية ، (الطبعة العربية) ، ج ١٤ ، ص ٨٨ .

(٤) تاريخ الحكماء ، ص ٣٥٠ .

(٥) ابو الوفاء توزون قائد تركي رماه المتقي لله التي رتبة اميرا لامراء سنة ٣٣١ فغلب على الامر في

خلافته ثم خلعه وسمل عينيه سنة ٣٣٣ هـ ، وايح للمستنقضي بالله . توفي توزون سنة ٣٣٤ هـ .

اخباره في مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٣٤ وما بعدها و تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٣١٥ و ٣٢٠ و ٣١٩

و ٣٢٣ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠

٤١٨ - ٤٢١ و ٤٤٨

إذا ، أبو اسحاق الصابي هو ابن عائلة الأطباء هذه . اختلف في تحديد سنة ميلاده ، فذكر في ذلك تاريخان : الأول سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة (١) وذكره ياقوت معتدا ما جاء في كتاب التاريخ لأبي الحسين هلال بن المحسن حفيد أبي اسحاق . أما التاريخ الثاني فهو سنة نيف و عشرين وثلاثمائة وقد ذكره ابن النديم أولا ونقلته كتب التراجم عنه من بعد . (٢) والرأى الأول هو الأرجح لكونه التاريخ الذي ذكره حفيده ، ثم لتاكيد تاريخ وفاته سنة ٣٨٤ هـ وأنه كان في هذه السنة قد جاوز السبعين وسنعمود لذكر ذلك في الحديث حول وفاته .

لسنا نعلم من هي والدته اذ لم تذكر المصادر عنها شيئا باستثناء ما ذكره ياقوت في ترجمة ثابت بن سنان حين قال : " وقال أبو اسحاق إبراهيم بن هلال الصابي يرثي خاله أبا الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة : (٣) .

شحيح بساك حزين دمه يكف	اسمع انت يا من ضمه الجدف
يكاد منها حجاب الصدر ينكشف	وزفرة من صميم القلب مبعثها
لربها انه ذو غلظة اسف	اثابت بن سنان دعوة شهدت
تشفي العليل اذا ما شفه الدنف	ما بال طيبك ما يشفي وكنت به
وكنت ذائد ها والروح تخطف	غالتك غول المنايا فاستكت لها
اظنها ضارب من زندها نطف	فارقتنى كغراق الكف صاحبها

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢١ و تاريخ الحكماء ، ص ٧٦ وابن تغرى بردى ، النجوم

الزاهرة ، (القاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩ - ١٩٥٦)

ج ٤ ، ص ١٦٢ .

(٢) الفهرست ، ص ١٤٩ و وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٣ ، وصلاح الدين الصفدى ،

الوافى بالوفيات (باعتماد س . ديدرينغ ، فسادن ، فرانز شتاينر ، ١٣٩٢ / ١٩٧٢)

ج ٦ ، ص ١٦٣ .

(٣) معجم الادباء ، ج ٧ ، ص ١٤٣ .

فتت في عضدي يا من غنيت به
ثوى بمفناك في لحد سكنت به
افت في عضد الباغي وانتصف
الدين والعقل والعليا والشرف
ممهدا جسمه من نعمة تسرف
فيها التراب فمنها الفرش واللحف* (١)

نلاحظ انه لا ذكر للرابط الذي يجمع بين الاثنين فتبدوا الابيات رثاء وتأبيناً
لصديق كريم، على ان هذا لا يكفي دليلاً لنفي صلة القرابة بين الاثنين كما انه لا يوهكها قول يا قوت
ان ثابتا خال ابي اسحاق انه ورد في مصادر اخرى (٢) ان ثابتا بن سنان هو خال هلال حفيد
ابي اسحاق وليس لدينا اي اثباتات ترجح لنا رأياً دون آخر (٣)، وبناء على ذلك نحن لانعرف حقاً
ان كانت ام ابي اسحاق ابنة سنان بن ثابت او انها امرأة اخرى . ومن المؤسف ايضاً اننا لانجد فيما
كتبه ابو اسحاق ذكراً لوالده باستثناء بيتين من الشعر فيهما اشارة الى الوالد بمن يقول :

* اسرة المرء والداه وفيما
بين حضنهما الحياة تطيب

(١) معجم الادب، ج ٧، ص ١٤٣ - ١٤٥ .

(٢) تاريخ الحكماء، ص ١١٠ وطبقات الاطباء، ص ٣٠٧ .

(٣) في مقدمة رسوم دار الخلافة لهلال بن المحسن الصابي جمع محقق الكتاب ميخائيل عواد ماجا .

في المصادر حول هذا الموضوع ولم يصل الى نتيجة واضحة . انظر مقدمة رسوم دار الخلافة

فاذا ما طواهما الموت عنه فهو في الناس اجنبي غريب (١)

ولسنا ندرى في اى مناسبة شعر الصابي بالغريرة لفقده والديه ، ايكون ذلك حين افتقد اباہ عندما كان في خدمة المهلبى (٢) وكان قد افتقد والدته من قبل ، ام ان والده قد سبق والدته الى الموت ونراه يتألم لفقدهما في زمن لانعرفه . المهم ان هذين البيتين يحويان الاشارة الوحيدة في كلام الصابي الى والدته ، وتبدو فيهما صورة الام مرتبطة بالاسرة وبفكرة الاحتضان والاطمئنان والعيثر الطيب المناقضة لفكرة الغربة والوحشة .

يحيط الغموض طفولة ابي اسحاق المبكرة ولكننا نتصورها هائلة . فهو حين تحدث حول فقد والديه في البيتين السابقين تحدث حول فقد الحزن الدافىء والعيثر الطيب والغربة الناتجة عن ذلك . ثم ان والده كان طبيبا على اتصال بالدولة وله مكانة فمن الطبيعي ان تكون حالته المادية جيدة بحيث يؤمن لابي اسحاق حياة كريمة ويرعاه بعلمه وماله ويروى عن ابي اسحاق حادثتان تعودان الى حدائته وترتبطان بوالده ، سنثبتهما لاهمتهما في تبيان شخصية الوالد وحياة الابن . يقول ابو اسحاق في الرواية الاولى :

” رأيت ابا الحسين والدى في يوم من ايام خدمته لتوزون وقد خلع عليه وحمله على بغل حسن بمركب ثقيل ووصله بخمسة الاف درهم وهو مع ذلك مشغول القلب منقسم الفكر ، فقلت له مالي اراك يا سيدى مهموما ويجب ان تكون في مثل هذا اليوم مسرورا ، فقال : يا بني هذا الرجل - يعنى توزون - جاهل يضع الاشياء في غير موضعها

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ وروضات الجنات ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٢) ابو محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلبى الوزير (٢٩١ - ٣٥٢ هـ) كان في بداية امره في ضيق من العيش فاتصل بمعز الدولة البويهى وتولى له الوزارة سنة ٣٣٩ هـ . كان محبا للادباء والعلماء . انظر اخباره في : تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٣٨٢ و ج ٢ ، ص ٣٤ و ٨٤ و ١٢٣ - ١٢٥ والمحسن بن علي التنوخي ، نشوار المحاضرة (تحقيق عبود الشالجي المحامي ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩١ / ١٩٧١ - ١٣٩٣ / ١٩٧٣) ج ١ ، ص ١٣٨ و اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ و معجم الادباء ، ج ١ ، ص ١١٨ و وفيات الاعيان ج ٢ ، ص ١٢٤ .

ولست افرح بما ياتيني منه من جميلة من غير معرفة . . . ولست آمن ان يستشعر
في السوء من غير استحقاق فتلحقني منه الاذية " (١) . فالرجل حكيم يعرف ان من
يعطي بغير استحقاق يسيء بغير حق ، ويعلم ان التعامل مع الكبراء يعلي تارة ويخفض
اخرى ، وقد كان علي حق في حذره ، اذ ان توزون قد نكبه فيما بعد . (٢) ويمكن تحديد
تاريخ هذه الحثاية بين سنة ٣٣١ و ٣٣٤ اي في سني امارة توزون اذ كان قبلها مجرد
قائد من قواد الاتراك البكمية ، ولا يتصور ان يهب بهذا الشكل الا من كان في منصب
كبير كالامارة مثلا ، وحتى لو حصلت هذه الحادثة قبل تسليم توزون للامارة فلا
يكون قبلها بكثير . كما انه يكن تحديد النكبة بفترة الامارة ايضا .

اما الحكاية الثانية التي يرويها ابو اسحاق فتفسر لنا اتجاه الصابي الى الكتابة
وتركه لمهنة الطب ، مهنة اسلافه بالرغم من حرص والده على تعليمه الطب وتوجيهه
اليه . يقول الصابي : (٣) " كان والدي ابو الحسن (٤) يلزمني في الحداثة والصبي
(كذا) قراءة كتب الطب والتحلي بصنافته ، وينهاني عن التعرض لغير ذلك ، فقويت
فيها قوة شديدة ، وجعل لي يرسم الخدمة في البيمارستان عشرون دينارا في كل شهر ، وكنت
اتردد الى جماعة من الرؤساء خلافة له ، ونيابة عنه ، وانا مع ذلك كاره للطب ومائل
الى قراءة كتب الادب ، كاللغة والشعر ، والنحو والرسائل والادب ، وكان اذا احسن
بهذا مني ، يعاتبني عليه ، وينهاني عنه ، ويقول : يا بني لاتعدل عن صناعة اسلافك ، فلما

(١) تاريخ الحكماء ، ص ٣٥٠ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥٤ - ٥٦ ، يروي ياقوت الحداثة نقلا عن المحسن بن ابراهيم

الصابي وعن الهال بن المحسن حفيد .

(٤) ربما الاصح " ابو الحسين " .

كان في بعض الايام ، ورد عليه كتاب من بعض وزراء خراسان يتضمن اشياء كثيرة ، كلفه اياها ، ومسائل في الطب وغيره ، سأله عنها ، وكان الكتاب طويلا بليغا ، قد تأتى منشئه وتغارب ، فاجاب عن تلك المسائل ، وعمل جملا لما يريد ، وانفذها على يدي الى كاتب ، لم يكن في ذلك العصر ابلغ منه ، وسأله انشاء الجواب عنه ، قال : فضيبت ، وانشأت انا الجواب ، واطلته وحررته ، وجمت به اليه ، فلما قرأه قال : يا بني سبحان الله ، ما افضل هذا الرجل وابلغ ، فقلست له : هذا من انشائي فكاد يطير فرحا وضمني اليه وقبل بين عيني ، وقال : " قد اذنت لك الان ، فامض ، فكمن كاتبيا " . وهكذا نجد ان التحول في حياة الصابي وانصرافه عن الطب الى الكتابة كان انصياعا لطبعه المحب للادب والشعر والنحو ، وكان ايضا برضوخ للامر الواقع من قبل والده الذي تخلى عن امنيته بان يخلفه ولده في الطب ازا ، ما رآه من بلاتنتسه ومهارته في الكتابة .

جرت هذه الحادثة في حداثة الصابي وقبل نكبة توزون للعائلة . اذ اتنا نرى انه بعد نكبة توزون قد اصبح الامر معكوسا . فالنكبة اتت على اموال هذه العائلة مما دفع ابا اسحاق الى الانقطاع الى النظر في العلوم لحاجته الى المال . في هذا الوقت بالذات وصف ابو اسحاق للوزير المهلبى فاستدعى عمه ابا الحسن ثابت ابن ابراهيم وطلبه منه فوعده ابو الحسن خيرا وكلم ابا اسحاق في الموضوع (١) فامتنع لانشغاله بالعلوم كما ذكرنا ، ويرى ابو اسحاق الحادثة فيقول : " فلم يزل بي ابي ، حتى حملني اليه ، فلما رأني تقبلني ، واقبل علي ، ورسم لي الملازمة " (٢) هنا نقف على منعطف في حياة الصابي يمثل تحوله الفعلي عن ممارسه الطب والعلوم

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

الى معالجة الكتابة والادب وكان اول اتصال له في هذا المجال بالوزير المهلبي
الذى عرف عنه تقديره للادب واكرامه لاصحابه ، فقد جمع في مجلسه نخبة
من اهل الادب والكتابة (١) .

(١) يتحدث ابو حيان التوحيدى في الامتناع والمواصلة (نسخة مصورة عن نسخة حققها
احمد امين واحمد الزين ، بيروت ، وصيدا ، منشورات المكتبة المصرية ، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٣ / ١٩٥٣) ج ٣ ، ص ٢١٢ - ٢١٣
عن مجلس المهلبي فيقول : " واخر من شاهدنا من عرف الاصطناع ، واستحل الصنائع ،
وارتاح للذكر الطيب ، واهتز للمديح ، وطرب على نغمة السائل ، واغتم خلة المحتاج
وانتهب الكرم انتهايا ، والتهب في عشق الشاء التهايا ، ابو محمد المهلبي ، فانه
قدم قوما ونوه بهم ، ونبه على فضلهم واحوج الناظرين في امر الملك اليهم ،
والى كفايتهم ، منهم ابو الفضل العباس بن الحسين ومنهم ابن معروف القاضي ،
ومنهم ابو اسحاق الصابي ، وفلان وفلان " .

في الفترة الاولى لدخول ابي اسحاق الصابي في خدمة المهلبى اثبت تميزه في البلاغة والعلم مما جعل المهلبى يرفعه على جملة كتابه ويشير حسدهم له وسخطهم عليه ، " فلما كان في بعض الايام ، وردت عليه عدة كتب من جهات مختلفة ، فاستدعاني ، وسلمها الي . وذكر لي المعاني التي تتضمنها الاجوبة ، واطال القول ، فمضيت واجبت عن جميعها ، من غير ان اخل بشي * ممن المعاني التي ذكرها ، فقرأها حتى اتى على آخرها ، وتقدم الي في الحال باحضار دواتي والجلوس بين يديه متقدما على الجماعة ، فلزم بعضهم منزله وجدا وغضبا ، واطهر بعضهم التعاليل ، فلم ازل اتلطف وادارى ، واغضي على قوارص تيلفني ، حتى صارت الجماعة اخواني واصدقائي * (١) .

ابواسحاق الذي ابتدأ حياته العملية طبيا في البيلارستان انتقل الى الادب والكتابة وفتح المجال امامه باتصاله بالمهلبى . تاريخ اتصال الصابي بالمهلبى غير معروف تحديدا ولكنه كما ذكر في روايته للحادثة انها كانت في زمن قريب العهد بنكبة توزون ، والمهلبى يخاطب بالاسنان (٢) . فاذا افترضنا ان الحد الاقصى لنكبة توزون كان سنة وفاته سنة ٣٣٤ او ما قبلها بقليل ، علينا ان نفترض اذا ان اصطناع المهلبى للصابي كان في الفترة الاولى من تعيينه وزيراً اي سنة ٣٣٩ هـ (٣) او ما بعدها بقليل لان الفترة بين الحادثتين ، نكبة توزون والاتصال بالمهلبى ، كانت قريبة كما جاء في رواية الصابي .

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٣) تولى المهلبى الوزارة لمعز الدولة سنة ٣٣٩ هـ . تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ١٢٣ والكامل ، ج ٨ ،

ص ٤٨٥ ووفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

حكاية تفوق الصابي المذكورة سابقا ، قد تكررت غير مرة ، فوجدته يروي حادثة
اخرى مشابهة وقعت سنة ٣٤٩ (١) فقد كان الصابي يحضر مجلس انس للمهلبى ضم جماعة
من كتاب المهلبى وخلفائه ، وقد اخذت الجماعة نشوة الخمر ، فسورد رسول من الامير معز
الدولة (٢) يطلب كتابا رسالة في الحال ، فاعتذر المهلبى بسبب سكر الكتاب
وعدم قدرتهم على ذلك في الوقت ثم سأل بعض الكتاب ان كان بإمكانه الكتابة فاعتذر ،
" ورائسي الوزير مصغيا الى القول متشوفنا لما يرسمه لي في ذلك ، فقال : تكتبه
يا ابا اسحاق ؟ قلت : نعم " . فكتب ابو اسحاق الكتاب في الحال واعطاه للمهلبى
فقرأه معجبا بما فيه وقال للجماعة : " هذا كتاب حسن ، دال على الكفاية البرزة ، ولو
كتبه صاحبا مرويا لكان عجبا ، فكيف اذ يكتبه منتشيا ، ولكنه كاتبى وصنيعتى ، قم
يا ابا اسحاق من موضعك ، واجلس ههنا ، حيث اجلستك الكفاية ، واوما الى جانب
ابى الغنائم ابنه ، فقبلت يده ورجليه ، وشكرته ودعوت له ، وجلست بحيث اجلسنى
وشرب لي سارا ، ثم استدعى حاجبه وقال : تقدم دابته الى حيث تقدم دواب خلفائى ،
ويوفى من الاكبار والاكرام ما يوفونه ، فحسدني على ذلك كل من كان حاضرا ووفوني من
الغنىد حكم المساواة في المخاطبة والمعاملة ، واستشعروا عندها اسباب العداوة
والمنافسة ثم قلدني دواوين الرسائل والمظالم والمعاون ، تقليدا سلطانيا ، كتب

(١) ينقل ياقوت الحادثة عن ابى علي المحسن بن ابراهيم وعن كتاب الوزراء
لابنائه هلال بن المحسن والرواية في معجم الاديب ، ج ٢ ، ص ٦٠ - ٦٢ .

(٢) هو ابو الحسين احمد بن ابى شجاع بويه الملقب بمعز الدولة (٣٠٣ - ٣٥٦) . وهو احد
ملوك الديلم استولى على بغداد سنة ٣٣٤ في خلافة المستكفي واستمر حكمه لها
احدى وعشرين سنة ، ولما توفي خلفه في الملك ابنه عز الدولة بختيار . (تجارب الامم ،
ج ٢ ، صفحات متفرقة بين ص ١٤٦ وحتى ١٨٣ ووفيات الاعيان ، ج ١ ، ص
١٧٤) .

به عن المطيع لله الى اصحاب الاطراف * (١) .

وينقل لنا القلقشندی (٢) رواية مماثلة طلب فيها المهلبى من كتابه وبينهم الصابى انشاء كتاب عن المطيع لله بنقل سنة خمسين الخراجية الى احدى وخمسين (٣) .
وعندما عرضت النسخ على الوزير اختار كتاب ابى اسحاق ما اثار حسد الكتاب ايضا (٤) .
وتنقل الرواية عن المهلبى قوله يصف ابى اسحاق : " هو والله في هذا الفن اكتب اهل زمانه " (٥) .

-
- (١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٦٠ - ٦٢ ، وقد ذكر خبر تقليد الصابى لديوان الرسائل تقليدا سلطانيا سنة ١١٣٩ في المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٤٣ ووفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٢ . وكان على ديوان الرسائل حتى ذلك الوقت آل ثوابية يتوارثون هذا المنصب واخر من تولاه منهم احمد بن محمد الذى مات وهو متولىه فولى بعده الصابى (معجم الادباء ، ج ٤ ، ص ٢٤٣) وانظر حول آل ثوابية : الفهرست ، ص ١٤٣ .
و معجم الادباء ، ج ٤ ، ص ٢٤٣ ، ج ٧ ، ص ١٨٧ ، ج ١٨ ، ص ٩٦ .
- (٢) ابو العباس احمد القلقشندی ، صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٩١٣ / ١٣٣١ - ١٩١٩ / ١٣٣٨) ، ج ١٣ ، ص ٥٩ - ٦٠ .
- (٣) يقول القلقشندی (صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٥٩) انه تم نقل السنة الخراجية ست وثلاثمائة الى سبع وثلاثمائة وقد وافق ذلك خلافة المطيع لله ووزارة المهلبى ، وفي هذا التاريخ خطأ واضح لانه لا يوافق خلافة المطيع ووزارة المهلبى . اما الرسالة المعنية ، فقد كتبت عن المطيع بنقل سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وهي في المختار من رسائل ابى اسحاق الصابى (تنقيح شكيب ارسلان ، بيروت ، دار النهضة الحديثة ، دون تاريخ) ، ص ٣٠٥ وقد جاء في تجارب الامم (ج ٢ ، ص ١٨٩) تحت سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ان المهلبى نقل سنة خمسين الخراجية الى سنة احدى وخمسين .
- (٤) صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٥٩ - ٦٠ .
- (٥) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .

هذه الروايات تظهر تفوق الصابي الذي قابله المهلبى بالاكرام والانعام
ما اشار حول ابي اسحاق موجة من الحسد من سائر الكتاب ، حاول بليونته ومرونته
ان يخفف منها ويمتنع عداوة هؤلاء الحاسدين ، وقد عبر الثعالبي عن اعجاب المهلبى
بالصابى بالقول : " وكان المهلبى لا يرى الا به الدنيا ، ويحن الى براعته ،
وتقدم قدمه ، ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه في اوقات انسه " (١) .

لكن مع ان الصابي نال اعجاب المهلبى منذ بداية خدمته له حين اجلسه بين
يديه وقدمه على جماعة الكتاب ، كما في الرواية الاولى ، يلاحظ ان ترقيته الى مرتبة
صاحب الديوان لم تكن سريعة . فالفترة الزمنية التي تفصل بين دخوله في خدمة
المهلبى وبين تقليده الديوان هي عشر سنوات تقريبا ، كان المهلبى يزداد خلالها
اعجابا بالصابى واقتناعا بتميزه ما يدل عليه قوله في الرواية الثانية " ولكنه
كاتبي وصنيعتى ، " فهل اخر تقليد الصابي لديوان الرسائل حداثة سنة في ذلك
الوقت ، ام كونه صابيا ، ام توارث آل ثوابه لولاية هذا الديوان وكانهم مختصون
به ، حتى اذا توفي متوليهم منهم يومئذ ، احمد بن محمد ، استطاع المهلبى التعبير عن
اعجابيه بابى اسحاق وتوليته هذا المنصب ؟

على كل حال ، لم يكن الصابي ليجهل قيمة ما توصل اليه من مكانة ، فهو يعلم
جيدا ما يعنيه ان يكون الفرد كاتباً للسلطان وفي ذلك يقول مفتخراً من قصيدة (٢) :

(١) اليتيمية ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ . ونقلها ياقوت في معجم الادباء (ج ٢ ، ص ٢٩) كما يلي :
وكان المهلبى لا يرى الا به الدنيا ، ويحن الى براعته ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه
في اوقات انسه .

(٢) اليتيمية ، ج ٢ ، ص ٢٧١-٢٧٢ ومحمد بن الحسن ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية
(رئيس الكتاب رقم ٧٦٩) ، الورقة ١٤٨ (يوجد في المصدر المذكور ثلاثة اهميات
فقط) . وعبد الرحيم بن احمد العباسي ، معاهد التنصيص (تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد ، بيروت ، عالم الكتب ، ومصر ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٤٧/١٣٦٧) ج ٢ ،
ص ٧٢ .

وقد علم السلطان اني لسانه (١)
او ازره فيما عسى وامده
يجدد بي نهج الهدى (٢) وهودارس
فيما يبناء ولفظي لفظه
ولي فقر تضحى الملوك فقيرة
ارد بها راس الجموح فينثني
فان حاولت لطفاً فما مروق (٥)
يسلم لي قس وسحبان وائل
فينضي لنشري خاطب وهو مصقع
وكاتبه الكافي السديد الموفق
براي يريه الشمس والليل اغسق
ويفتح بي باب النهى (٣) وهو مخلق
وعيني له عين بها الدهر يرمق
اليها لدى احدائها حين تطرق (٤)
واجعلها سوط الحرون فيعنق
وان حاولت عنفاً فنار تالق
ويوضى جريسر مذهبي والفرزدق
ويعنوا لنظمي شاعرو وهو مخلق

هكذا الصابي يقدر نفسه ، والمهلبسي يعرف له هذه القبة ، وتمكنت العلاقة
بين الاثنين الى حد ان يزور المهلبسي ابا اسحاق للتعزية بوفاته ، والده ، ولنثبت هنا ما اخبر
به الصابي من ذلك لانه ابلغ في تصوير هذه الزيارة . قال ابو اسحاق (٦) : " لما توفي
ابو الحسين هلال ابي ، جاءني ابو محمد المهلبسي معزياً به ، فحين عرفت خبره

(١) في معاهد التنصيص ج ٢ ، ص ٧٢ : " امينه " .

(٢) المصدر نفسه : " الملا " .

(٣) في المصدر نفسه : " الهدى " .

(٤) هذا البيت والبيتان التاليان هي فقط ما جاء في التذكرة الحمدونية (٧٦٩) ، الورقة
١٤٨ من هذه القصيدة .

(٥) في التذكرة الحمدونية (٧٦٩) : " مرقوق " .

(٦) معجم الادباء ج ٢ ، ص ٣١-٣٢ ينقل الخبر عن كتاب اخبار الوزراء لهلال بن المحسن .

بادرت لتلقيه واستغفرت من الصمود ، فامتنع من الاجابة الى ذلك ، وصعد ،
وجلس ساعة يخاطبني فيها بكل ما يقوى النفس ، ويشرح الصدر ، ويصف والدي ،
ويقرظه لي بقوله . " مامات من كنت له خلفا ، ولا فقد من كنت منه عوضا ، ولقد
قررت عين ابيك بك في حياته ، وسكنت مضاجعه الى مكانك بعد وفاته .
فقبلت يده ورجليه ، واكثرت من الثناء عليه والدعاء له . وحضرتني في الحال
ثلاثة ابيات انشدته اياها ، وهي :

لو وثقنا بان عمرك يمتد	د باعمارنا قتلنا النفوسا
قد تركت الموت الزوام مغيظا	يتلظسى لجرحه كيف يوسا
فعدت عندنا المصيبة نعى	باياديك وهي من قبل بوسا

ثم نهض ، واقسم علينا الا يتبعه احد منا ، وانفذ الي في بقية ذلك اليوم خمسة الاف
درهم ، فقال : استعن بهذا على امرك ، ولم يبق احد من اهل الدولة الا جاني
بعده معزيا ، ثم اجتاز بي من الغد في طيارة ووقف واستدعاني وامرني بالنزول معه ،
فبعد جهد ما تركني بقية اليوم . "

تصرف المهلبي هذا يتجاوز علاقة وزير بكاتب ديوان الى علاقة صديق بصديق . فقد
مكن الصابي لنفسه في قلب هذا الرجل وعقله ببراعته وفنه وخلقته حتى اصبح بمثابة
صديق له يراه في الملومات قريبا منه يتصرف معه تصرف النظير لا تصرف ولي الامر .
واعتمادا على الاخبار التي حملتها المصادر منتشرة هنا وهناك ، لم نجد اى
حادثة تؤثر في العلاقة بين الاثنين وكان الحظ ابتسم للصابي منذ اتصاله بهذا الوزير

فصارت ايامه صفوا لا يكدرها مكدر وصار المهلبسي في هذه الفترة موضوعا لاشعار

الصابي ، فيقول في مدحه : (١) .

” قل للوزير ابي محمد الذي قد اعجزت كل الورى اوصافه

لك في المحافل (٢) منطلق يشفي الجوى ويسوغ في اذن الاديب سلاقه

فكأن لفظك لوله (٣) متخمل وكأنما آذاننا اصدافه ”

وقال يمدحه ايضا : (٤) .

” وتعلقت بالرئيس الذي صر ت رثيما مذ عندي في العبيد

والوزير الذي غدا وزراة الـ ملك ركبا لعزه الموطود

ارحى مهلبى سعيد الـ جد صافي الجدوى كريم الجدود

واذا استنطق الانامل جادات ببيان كالجواهر المنضود

في سطور كأنما نشرت يمـ ناء منها عصائبا من سرود

فقر لم يزل فقيرا (٥) اليها كل مهدي بلاغة (٦) ومعيد

يفتدى البارع المفيد لديها (٧) لاحقا بالمقصد (٨) المستفيد

وبيبان شاف ولفظ مصيب واختصار كاف ومعنى سديد ”

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، ابو اسحاق الحصرى ، زهر الاداب وثر الالباب (تحقيق

زكي مبارك ، مصر ، ١٩٢٥) ج ١ ، ص ١٢٥ ، ومعاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

(٢) في زهر الاداب : ” المجالس ” .

(٣) في المصدر نفسه : ” جوهر ” .

(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، والابيات الثلاثة الاخيرة في التذكرة الحمدونية (٧٦٩) ،

الورقة ، ١١٤٨ .

(٥) في التذكرة الحمدونية (٧٦٩) : ” اليها فقيرا ” .

(٦) في المصدر نفسه : ” فصاحة ” .

(٧) في المصدر نفسه : ” اليها ” .

(٨) في المصدر نفسه : ” بالمقصر ” .

وقال مهنثا المهلبى بعيد الفطر قصيدة منها (١) :

"أ سيدنا هنتت نعمال بالفطر
مضى الصوم قد وفيتة حق نسه
كلفت يذكر الله فيه فلا تنزل
هجرت هجود الليل فيه تهجدا
ووقيت ماتخشاها من نوب الدهر
وفاك مكسوب المثوبة والاجر
من الله فيما ترتجيه على ذكر
وصبرا على طول القراءة للفجر
فلو نطقت ايماننا باعتقادها
لناجتك لفظا بالدعاء والشكر"

وقد كان المهلبى يبادل له الشعرا احيانا فقد كتب له يوما : (٢) .

"برد مصيفك وافرشه بميشرة
الذكرى وان اضحى ويمعجنى
فاننى لمقام الخل ارتحل
ان تستريح وان تكنك الظلل"

ويخبرنا ابو اسحاق عن بعض نوادره مع المهلبى والتي تدل على جو التفاهم والتبسط بين
الاثنين فيقول : " واجلسنى معز الدولة لاكتب بين يديه وابو محمد المهلبى قائم
فحجبنى عن الشمس فقال : كيف ترى هذا الظل ؟ فقلت : تخين . فقال : واعجبا
احسن وتسى ، وضحك " (٣) .

وكان الصابى فى هذه الفترة ولما استشعره لنفسه من مكانة قد طمحت نفسه ليكون
مدوحا من كبير شعراء العصر المتنبى ، شأنه فى ذلك شأن الوزراء والروما ، فراسل ابى
الطيب ، موسطا احد كبار التجار ، فى ان يمدحه بقصيدتين مقابل ان يعطيه خمسة

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٣٩ .

(٣) معجم الادب ، ج ٩ ، ص ١٣٤ .

الاف درهم ، فكان جواب المتنبي الامتناع وكان في اعتذاره للصابي مادحا اذ قال :
" والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ولا اوجب علي في هذه البلاد احد
من الحق ما اوجبت ، وان انا مدحتك ، تنكر لك الوزير ، يعني ابا محمد المهلبى ،
وتغير عليك لانني لم امدحه ، فان كنت لاتبالي هذه الحال فانا اجيبك الى ما التمت
وما اريد منك مفعالا ولا عن شعري عوضا " ، فاقتنع الصابي بكلامه ولم يعاود الطلب (١).

هذه رواية نقلها ياقوت من خط ابي علي المحسن بن ابي اسحاق الصابي نقلها عن ابي
اسحاق نفسه ، ولكن مع ذلك نلاحظ انها تحمل في ذاتها ما يدعو الى الشك في صحتها
فقد سبق للمتنبي ، بعد ان عاد من مصر الى بغداد (٢) ، ان امتنع عن مدح المهلبى
الوزير ترفعا عن مدح غير الملوك فما كان من المهلبى الا ان اغرى به شعرا ، بغداد
فتباروا في هجائه ، والتماجن به ، والتندر عليه ، ففارق بغداد واتصل بابي الفضل
ابن العميد ليزيد في حنق المهلبى (٣) . كما ان الصاحب بن عباد (٤) قبل ان يستوزر

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٢) كانت عودته سنة ٣٥٠ بعد ان يثس من عطاء كافور الاخشيدى وهجاءه . (وفيات

الاعيان ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٣) اليتيمة ، ج ١ ، ص ١٢٠ - ١٢٢ .

(٤) اسماعيل بن عباد بن العباس الملقب بالصاحب كافي الكفاة ابو القاسم (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ)

كان من صغار الكتاب في بادئ الامر ، كتب لابى الفضل ابن العميد ثم لمؤيد الدولة
ابن ركن الدولة ، ثم تولى له الوزارة بعد ابي الفتح ابن العميد . بعد وفاة مؤيد الدولة
سنة ٣٢٣ وزير الصاحب لاختيه فخر الدولة الذى استولى على مملكته . ضم بلاط
الصاحب عددا ضخما من مشاهير الادب والعلم والشعر في ذلك العصر . وللصاحب
مؤلفات عديدة في اللغة والادب والشريعة ، ترجمته واخباره في نشوار المحاضرة ، ج ٥ ،
ص ١٦ و ٢٢ - ٢٣ ، والصاحب بن عباد ، الروزنامة (تحقيق محمد حسن ال ياسين ،
ملحق بكتاب الامثال السائرة من شعر المتنبي للصاحب ، بغداد ، مكتبة النهضة ،
الطبعة الثانية ١٣٨٥ / ١٩٦٥) والفهرست ، ص ١٥٠ ، وابو حيان التوحيدى ،
مثالب الوزيرين (تحقيق ابراهيم الكيلاني ، دمشق ، دار الفكر ١٩٦١) ، تجارب الامم ،
ج ٢ ، ص ١٦٨ ، واليتيمة ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٨ ، وابو شجاع الروزداروى ، نيساب
تجارب الامم (ملحق بكتاب التجارب) ، ص ١٠ - ١١ ، و ١٦٣ - ١٦٤ ، و ١٧١ ، و ٢٦٤ - ٢٦٤ ،
ومعجم الادباء ، ج ٦ ، ص ١٦٨ ، و وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ، و اعلام النبلاء ، =

طمع في زيارة المتنبّي له في اصفهان ، فكتب اليه مستدعيا ، عارضا عليه مشاطرته
جميع ماله ، فلم يابه المتنبّي له ولا اجابه على كتابه او حقق له مراده ، بل قصد
حضرة عضد الدولة بفارس ، تلك الزيارة التي قتل في طريق عودته منها . (١) .
هذه الرواية ترجح لدينا اسبقية طلب الصابي المدح من المتنبّي على استدعاء
الصاحب له ، فان كان العكس هو الصحيح وان كان الصابي الكاتب لم يهتم لما فيه
طلبه هذا من منافسة للصاحب الذي كان كاتباً في الوقت ايضا ، فكيف يغفل انه بهذا
الطلب يستعلي على وزيره وولي نعمته ، المهلبى ، بل كيف يجروا بان خدمته لهذا الوزير
ان يتصل بالمتنبّي بعد ان كان المهلبى قد اثار عليه الشعراء يهجونه ؟ صحيح انه
نسب الى الصابي قوله في ختام الرواية : " فتبهت على موضع الغلط ، وعلمت انه
قد نصح ، فلم اعاوده " (٢) . وكأنه كان غافلا ، لكن هل يعقل ان يغفل الصابي
هذا الامر بعد ان صار المتنبّي مضفة تلوكها افواه شعراء بغداد المجان ؟ ثم هل يجروا
الصابي ايضا على ان يتعالى بنفسه على جميع من بالعراق من الرواساء والوزراء ليقول نقلا عن
المتنبّي انه لم يسر بالعراق من يستحق المدح غيره ، والاستعلاء لم يكن يوما من صفات ابي اسحاق
بل لقد عرف دائما بالتواضع للكبراء ولا ريب نعمته بحيث كان يعد مركزه دونهم امرا واقعا ، بالاضافة
الى حذره مما قد يثير غضبهم او استياءهم مؤه ، هذه الامور مجتمعة تضعف من رواية ياقوت هذه وتبعث الشك

(**) ج ١٦ ، ص ٥١١ (تحقيق اكرم البوشي واشراف شعيب الارنؤوط ، روضات الجنات ، ج ٢ ، ص ١٩ ، وخلييل مردم ، الصاحب بن عباد (دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٣٥١ / ١٩٣٢)
ومحمد حسن آل ياسين ، الصاحب بن عباد حياته وادبه (بغداد ، دار المعارف ،
الطبعة الاولى ١٣٧٦ / ١٩٥٣) وبدوى طبانة ، الصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم
(مصر ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٣٨٣ / ١٩٦٣) .

(١) البيتية ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٢) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

فيها، ومهما يكن من امرها او امر واضعها بيد وان القصد منها اظهار مكانة الصابي العالية .

لكن القدر بدأ يرسم نهاية لوجود الصابي في كنف المهلبي ، فقد حدث في سنة ٣٥٢ هـ ان انحدر المهلبي الى عمان لافتتاحها (١) بعد الحاح واصرار من معز الدولة ومدافعة ومداورة من المهلبي (٢) . وكان المهلبي قد عين ابا اسحاق خليفة له على ديوان الوزارة بالاضافة الى توليه ديوان الرسائل (٣) . وكان ان اصيب المهلبي في هذه الحملة بالعملة التي ثقلت عليه حتى اودت بحياته (٤) ، وما ان ورد الخبر الى معز الدولة بمرض المهلبي حتى بعث احسد ثقاته يستطلع خبره واوصاه ان وصل ولقيه قد مات ، ان يقبض على امواله وعمله وكتابه ويحمل جميع ذلك الى بغداد (٥) . وهكذا جرى ، فقبض على عياله وولده ومن دخل يوما اليه مشـلا

(١) ذكرت هذه الحادثة في تجارب الامم ج ٢ ص ١٩٦ والكامل ج ٨ ص ٥٤٦ فقيل ان المهلبي سار في جيش لفتح عمان دون ذكر اية تفاصيل ، لكننا نجد في المصدرين المذكورين (تجارب الامم ، ج ٢ ص ١٤٤ والكامل ج ٨ ص ٤٩٦) تحت احداث سنة ٣٤١ هـ ان يوسف بن وجيه صاحب عمان سار الى البصرة ليفتحها مستعينا بالقرامطة فحاربه المهلبي الوزير ورده عنها واسر جماعة من اصحابه ، لذا يرجح ان يكون المهلبي قد حاول في هذه الحملة السيطرة على عمان وانتزاعها من صاحبها هذا .

(٢) معجم الادباء ، ج ٩ ، ص ١٢٤ وما بعدها .

(٣) اليتيمة ج ٢ ص ٢٤٣ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٤) تجارب الامم ، ج ٢ ص ١٩٦ - ١٩٨ ومعجم الادباء ، ج ٩ ، ص ١٢٦ - ١٢٩ والكامل

ج ٨ ، ص ٤٦٥ - ٥٤٧ .

(٥) تجارب الامم ، ج ٢ ص ١٩٧ ومعجم الادباء ، ج ٩ ، ص ١٢٨ .

وصودروا حتى المكارين والملاحين الذين كانوا يخدمون حاشيته وجري ما لاجسرى
مثله الا على عدد ومكاشف واستغظع الناس ذلك واستقبحوه لمعز الدولة (١) .
وكان قد سبق وفاة المهلبسي ملابسات ومكاشد كانت ستودي به واصحابه الى الاعتقال
والمصادرة لو لم يموت ، فكانت وفاته سببا لصيانتته عن عاجل ابتذالهم له " (٢) . ولما
كان الصابي كاتب المهلبسي وخليفته في الوزارة ، كان نصيبه الاعتقال في جملة عماله (٣) .
وقد تولى الامور بعد المهلبسي ابو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، وابو
الفرج محمد بن العباس بن فسانجس دون تسمية احدهما بالوزارة (٤) . فخلا الاثنان في
في الديوان يعاقبان اصحاب المهلبسي ومنعا الناس من الاقتراب من الباب بان امرا بتلويث ثياب

-
- (١) تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ١٩٢ - ١٩٨ .
(٢) معجم الادباء ، ج ٩ ، ص ١٣٠ . وقد جاء في المصدر نفسه (ص ١٢٤-١٢٩) انه سنة
٣٥١ لهج معز الدولة بذكر عمان وحدث النفس باخذها وقد اغراه بذلك بعض النقباء
فامر المهلبسي بالخروج اليها فدفعه ووضع عليه من يزهد فيها ، فازداد الحاحا . فعرض
عليه المهلبسي ان يستخرج له اموالا كثيرة من حاشيته تساعد على الخروج مقدر ان
سيمكته من مصادرة بقية الحاشية فيعفيه من الخروج ، فلم يفعل بل لح عليه في
المضي ، فانحدر المهلبسي في جمادى الاخرة سنة ٣٥٢ وبقي فترة في البصرة يستعد
للخروج ، وحدث ان امتنع العسكر من ركوب البحر ما جعل معز الدولة يتهم المهلبسي
بانة بعث العسكر على الشغب فكانتبه منكرا عليه توقفه في البصرة . وهنا وجد اعداء
المهلبسي طريقا للطعن عليه لتنكر معز الدولة له ، فأثاروا حوله الاتهامات
من انه يريد السيطرة على البصرة وان العسكر هناك والعشائر على طاعة له ، فافتنع معز
الدولة باقاويلهم ثم اشاروا عليه بالقبض على المهلبسي والاعتياض بامواله عما يقدر حصوله
من عمان ، فقال الى قولهم وبعث الى المهلبسي يأمره بالعود الى مدينة السلام ، وعلم
المهلبسي بالحال ورأى ان يتولى هو مصادرة نفسه واصحابه وخصومه ، هنا اصابته العلة
فانفذ معز الدولة احد ثقاته على ظاهر العيادة له وباطن الاستظهار على ماله وحاشيته
فلما توفي قبض على اسبابه وحرمه واولاده وصودروا جميعا فلم يظهر للمهلبسي مال ولا ذخيرة
وبان لمعز الدولة صدقه .

(٣) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

(٤) تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ، والكامل ، ج ٨ ، ص ٥٤٧ .

من يقترب بالنفط (١) • ومن الطبيعي ان يكون الصابي قد خضع لهذه التجربة الصعبة •
لكن مع ان هذه النكبة قد جاءت عقب فترة من الاستقرار الا انها ربما لم تفاجي الصابي الذي
كان يعلم ان مهنة الكتابة لا بد ان ترتبط بالفقر والتعب • وقد كان قبل هذه النكبة
يعجب من غناه • واستقراره مع كونه كاتباً ادبياً :

قد كنت اعجب من مالي وكثرتي وكيف تغفل عنه حرفة الادب
حتى انشيت وهي كالغضب تلاحظني شزرا فلم تبق لي شيئاً من النشب
فاستيقنت انها كانت على غلط فاستدركته وافضت بي الى الحرب
الضب والنون قد يرجى التفاؤهما وليس يرجى التقاء اللب والذهب (٢)

اذا حدث ما توقعه الصابي من ارتباط مهنته بالفقر ومعاداتها للغنى وكان نصيحه
بالاضافة الى ذلك ان يودع السجن وهو صاحب ديوان الرسائل الذي عمد دائماً الى اداء
مهمته بامانة وصدق ، فيطلق الصابي صرخة قوية يوجهها الى الرؤساء واصحاب الامر طالباً
العدالة واضعاً اياهم امام ضمائرهم ، قائلاً : (٣) •

" يا ايها الرؤساء دعوة خادم اوفت (٤) رسائله على التعديد
ايجوز في حكم المروءة عندكم حبسي وطول تهددي ووعيدي ؟
قلدت ديوان الرسائل فانظروا اعدلت في لفظي عن التسديد ؟
اعلي رفع حسام (٥) ما انشاته فاقيم فيه ادلتسي وشهودي ؟

(١) اليتيمة ، ج ٣ ، ص ٧٨ •

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ، والبيت الاخير ورد في زهرا لاداب ، ج ١ ، ص ٢٤١ ، تاريخ كتابة
هذه القصيدة غير مذكور في المصادر لكن الارجح انه بعد هذه النكبة لانها اول نكبة فعلية
له والمعاني الواردة في الابيات مطابقة لوضعه هذا •

(٣) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ • معجم الادب ، ج ٢ ، ص ٢٩-٣٠ ، وقد وردت بعض ابيات هذه
القصيدة في معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٦٣ •

(٤) في معجم الادب : " ارسيت " •

(٥) في المصدر نفسه : " حساب " •

بفصول در عندكم . (١) منضود ؟
(٢)
عبد الحميد بهن غير حميد ؟

انسيتم كتبنا شحنت فصولها
ورسائلا نفذت الى اطرافكم

ثم يصف الصابي في هذه القصيدة اخوانه الذين اوثقتهم القيود فيسهمم بالاحرار
الصناديد الذين يذلون للموكلين بهم وكأنهم عبيد ثم ينهي قصيدته بالطلب من معتقليه نسيان
الاحقاد مذكرا اياهم بان الحكم لا يخلد لاخذ بل يتنقل وكأنه ضمن كلامه اندارا :

عفوا قد يم حفاظ و حقوق
(٣)
عارية ليست بذات خلود

" ففضلوا وتمطفوا وحبوا لنا
وتعلموا ان الولاية عندكم

يلاحظ ان روح الصابي في هذه القصيدة قوية فهو لا يضمن كلامه تذللا او خضوعا ، انما
يبدو صاحب حق يدافع عن حقه ، ويجاهر بالقول ان احتجازه غير جائز لانه لم يقم باى ذنب يـلـ
خدمهم ببلاغته وفصاحته فهو لا يستحق هذا بالمقابل ، ثم لا يلبث ان يندرهم بعدم دوام الولاية
لاحد . نبرة الصابي هذه ربما تعود الى روح الشباب الذى يسيطر على نفسه والذى يأبى الذل والهوان
وقد كان يومها في التاسعة والثلاثين من عمره وسنجد فيما بعد تلاشي هذه الروح بعد توالي النكبات
عليه .

وسرعان ما انتهت ايام الصابي في السجن **وهي** هو يعود الى عمله مجددا ، (٤) فنجد

(١) في معاهد التنصيص : " عنكم " .

(٢) هنا تنتهي الابيات التي نقلها ياقوت في معجم الادبا .

(٣) البيئمة ، ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٤) المصدر نفسه .

يكتب رسالة الى الوزير ابي الفرج محمد بن العباس معتذرا عن خطئه ، شاكرا الوزير على كرمه في العفو عنه ، واصفا حاله وحال اهله ابان الاعتقال وبعده ، طالبا المزيد من افضال الوزير عليه ، من هذه الرسالة : (١)

اعرف الناس ، اطال الله بقاء الوزير ، (بحاجة) (٢) من وجدها بعد فقد ها ، وفضل العافية من لبسها بعد التعرى منها ، وهذه حالي فيما كنت عليه عند اعراض الحظ عني باعراضه ، وفيما صرت اليه عند اقبال السعادة علي باقبالها ، وما كنت قطها يد الله الوزير ، على كثرة ما في من العيوب البشرية ، مأفونا في الرأي ، ولاسيقا في الاختيار ، لكن الثانية اضلتي في السبيل التي كنت دليلها ، وعدلت بي عن المحجة التي كنت هاديتها وتعاضدت علي اتفاقات مردية ، وافكار مغوية ، واقوال اوحشتني بما فيه الملك ، واتستني بما فيه الهلك ، فزلت ، وقد يزل العالم الذي لا يابيه ، وعثرت وقد يعثر الجواد الذي لا اجاريه ، ثم احسست بالغلطة وقد اتيتها ، والورطة وقد اشفيت عليها ، فظننت لبقية من انعكاس طالعي وتراجع حظي ، ان التلافي قد فاتني والاستدراك قد جاءني ، واستمررت في مضرتي استمرار الجموح ، وتوقفت عن مصلحتي توقف الحرون ، حتى اوردتني المحنة محذورا غايتها ، واسلمتني الى مكروه عاقبتها ، وتقنصتني باشراكها وحيالها ، وفرستني بانياها ومخالبتها ، تداركني من سيدنا الوزير ، ايد الله ، عطفه الكريم ، وخلقه الرحيم ، وقلبه الشريف ، وقدره المنيف فصيح الصفح الجميل ، ووهب الذنب الجليل ، وعفا عن قدرة واقبال اعظم عشرة (٣)

(١) الرسالة كاملة في لقاح الخواطر لعلي بن يحيى بن علي (مخطوطة جامعة كمبريدج رقم

١٣٩ ٩٩) الورقة ٩٢ ب - ٩٣ أ .

(٢) كلمة ناقصة فعلى الاصل ، وضع مكانها ما يناسب النص .

(٣) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٢ ب .

ونستغرب هنا موقف الصابي هذا واعترافه بالزلل والخطأ ، ونظنه نوعا من المجاملة او التواضع بغية الخلاص ، لان هذا الموقف يتعارض مع موقفه في الابيات الشعرية المذكورة سابقا والتي يثور فيها على معتقليه ، والتفسير الممكن لذلك هو العامل الزمني بين الحالين ففي اول عهده بالسجن كان نائرا متهددا ، وقد كان لا يام السجن اثرها في تليينه واخضاعه فبدأ على شي* من الذلة في هذه الرسالة .

وجاء في هذه الرسالة ايضا : "ووحق من وهب لي رضاء ، واعادني الى ذراه ما في قلبي مرض ولا في اخلاصي شوب ، ولا امسي واصبح الا في ذمامه وحماه ، وتحت ظله وكنفه ولا يخطو لي قدم الا الى بابه ، ولا يتعلق لي امل باحد من المخلوقين غيره وان المنزل الذي انزلنيه امتنانه وبوأنيه امانه ليعج عجيجا بالدعاء له من اصغر واكابر كانوا مستوحشين فأنسوا وسكنوا ومنزعجين فقروا واطمأنوا ، وقد رأيت بهم في هذه النكبة من تغير العادة وانقطاع المادة ، وقلوص ظل النعمة ، والخروج من كل ملك ونهيرة ، ما صاروا به قذى في عيني وشجى في حلقى وغصة في صدرى . وانا وهم الان واثقون بالخلف ، منتظرون للمعوض ، قد حسن عزأؤنا عن المأخوذ واستحكمت بغيستنا بالمأمول ، وتراءينا آثار الاقبال لائحة وعلامه واضحة فتم الله على الوزير النعم ، ووقاه النقم ، ولقاه في نفسه النفيسة وذريته الطيبة ، ما لقانيه في نفسي وذريتي من سكون الجأش واجتماع الشمل ، ووقفه في الدنيا لما يديم فوائدها ، وفي الآخرة

لما يؤمن عواقبها ، فان رأى الوزير ، ادم الله عزهم رب النعمة التي اولاهم ، والعارفة التي اسداها ، وان يظهر من جميل رأيه ما يغسل به درن الموجدة عني ، وآمن به شحات عدوى ومساءة صديقي ، فان كرمه طرق لي سعة الامل ورأيه اعلى * . (١)

لنتعرف الآن على حياة الصابي العائلية . فنحن لانعلم تاريخ زواجه كما لانعرف زوجه وكل ماتفيدنا اياه المصادر انه كان لابي اسحاق ثلاثة ابنا : ابوسعيد سنان وابوالعلاء صاعد وابو علي المحسن (٢) . وتفيدنا ايضا ان ابا سعيد سنانا كان اسن اولاده وقد توفي سنة ٣٨١ في حياة ابيه (٣) وان ابا سعيد هذا لم يكن نبيها . (٤)

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ١٩٣ .

(٢) معجم الادباء ، ج ١٧ ص ٨٢ . اما كنية الصابي " ابواسحاق " فيرجح انها لاتعود لوجود ولد له بهذا الاسم ، ان انه من الملاحظ ان الاسماء في هذه العائلة ، كما فسي سواها تتردد مع الكنى فجد ابي اسحاق ابراهيم الكاتب اسمه ابواسحاق ابراهيم ولم يذكر له ولد باسم اسحاق واسم حفيد ابي الحسين هلال مطابق لاسم والده ، وهكذا .

(٣) رسائل الصابي والشريف الرضي (تحقيق محمد يوسف نجم ، الكويت ، سلسلة التراث العربي ، ١٩٦٠ / ١٣٨٠) ص ٦٣ ومعجم الادباء ، ج ١٧ ، ص ٨٢ .

(٤) معجم الادباء ، ج ١٧ ص ٨٢ .

اما ابنه المحسن اصفر اولاده (١) فكان ادبيا فاهلا ، لقي الادباء والعلماء واخذ عنهم ، وكان يعرف بصاحب الشامة لوجود شامة حمراء في وجهه (٢) . ورزق المحسن سنة ٣٥٩ ابنا سماه هلالا ، اتجه ناحية الادب ايضا وسمع من العلماء ، فكان كاتباً شهيراً ومؤرخاً ثقة . اسلم في آخر عمره وله مؤلفات في الادب والتاريخ (٣) . اما ابنه الثالث صاعد فلم يرد في المصادر حوله اى ذكر باستثناء عدة بين ابناى ابي اسحاق .

(١) التذكرة الحمدونية (رئيس الكتاب رقم ٧٧٠) . الورقة ٨١ ب .

(٢) توفي سنة ٤٠١ هـ . انظر ترجمته في : معجم الادباء ، ج ١٧ ، ص ٨١ واعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٥٢٤ وهلال بن المحسن الصابي ، غزر البلاغة (تحقيق اسعد زبيان ، بيروت ، دار الكلمة ، ١٤٠٣ / ١٩٨٣) مقدمة المحقق ، ص ٢١ .

(٣) توفي سنة ٤٤٨ هـ . انظر ترجمته في معجم الادباء ، ج ١٩ ، ص ٢٩٤ وفيات الاعيان ج ٦ ، ص ١٠١ واعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٥٢٤ ورسوم دار الخلافة ، مقدمة المحقق ص ٧ وغرس النعمة الصابي ، الهفوات النادرة (تحقيق صالح الاشر ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٧ / ١٩٦٧) ، مقدمة المحقق م ص ١٤ وغرر البلاغة ، مقدمة المحقق ، ص ٢٣ . ولهلال بن المحسن ولد نبيه هو غرس النعمة بين هلال وكان ادبيا ومؤرخا وله مؤلفات .

انظر ترجمته في : وفيات الاعيان ج ٦ ، ص ١٠١ والصفدى ، الوافي بالوفيات

(باعثناء س . ديدرينغ ، فسباند ، فرانزشتاينر ، ١٣٨٩ / ١٩٧٠) ج ٥ ، ص ١٦٨ ، ورسوم دار الخلافة ، مقدمة المحقق ، ص ٢١ والهفوات النادرة ، مقدمة المحقق ، ص ١٨ .

هذه المعلومات تلقي لنا بعض الضوء على حياة الصابي فنتصور انه تزوج حوالي العشرين من عمره اى بحدود سنة ٣٣٣ تقريبا ، لاننا افترضنا انه ولد له المحسن اصغر ابناؤه بعد اربع او ست سنوات من زواجه وان المحسن تزوج في حوالي العشرين ايضا فولد له هلال سنة ٣٥٩ كل اعتمادنا في هذه الاستنتاجات على تاريخ ميلاد هلال ، وعلى كون المحسن اصغر ابناؤه ابي اسحاق كما ذكر سابقا .

يبقى ان هنالك امرا لابد من عرضه مفصلا بالنسبة لابناؤه ابي اسحاق وهو : هل حقا كان لابي اسحاق ثلاثة ابناؤه كما ذكر ؟ نستعرض الآن جملة من الحقائق :

١ - لم تذكر المصادر حول ابنه ابي العلاء صاعد فمنا اسمه .

٢ - سنرى فيما بعد انه عندما قبض علي ابي اسحاق سنة ٣٦٧ قبض معه على ولديه

ابي سعيد سنان و ابي علي المحسن (١) . لم استثنى صاعد ؟

٣ - سنة ٣٨١ توفي ابو سعيد سنان بن ابراهيم الصابي ، فكتب ابو اسحاق والده

قصيدة في رثائه نذكر ما قاله فيها : ولئن كان في اخيك واوولا د كما ما يفيض من برحائي (٢)

وهو يحدد هنا اخا واحدا لسنان الذى هو المحسن . لم غاب عنه ذكر صاعد ؟ وان

لم يذكر ابناؤه الثلاثة في هذا البيت فلم لم يذكر صاعدا في بيت آخر من قصيدة كتب بها مسن

السجن الى ابنه المحسن بين سنتي ٣٦٧ و ٣٧١ ويقول :

(١) معجم الادباء، ج ١٧، ص ٨٢ والتذكرة الحمدونية (٧٧٠) ، الورقة ٨١ .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ ومعاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧١ .

* دع المحسن يحيا فهو جوهرة
جواهر الارض طرا عندها عرض
اتركه لي واخاه ثم خذ سلسبي
ومهجتني فهما مغزاي والغرض (١)

هذه الحقائق تدخل الشك في ان هاننا حول وجود ابن للصابي باسم صاعد خاصة
اننا قرأنا ما ذكره ياقوت نقلا عن ابي علي المحسن بن ابراهيم : ومن خطه (ابي المحسن) :
لابي المحسن بن سكرة الهاشمي (٢) ، من قصيدة الى والدي وعمي ابي العلاء رحمهما
الله :

آمنوا يا بني هلال جميعا
نوب الدهر والزمان المعاند
وارتقوا كيف شئتم في المعالي
وانلوا واهبطوا كل حاسد
لكم في ابي العلاء علو
وصعود ببدرة التم صاعد
زاد في عزكم وما زال منكم
كل يوم يزيد في الصيد واحد * (٣)

كلام المحسن عن ان ابا العلاء عمه يؤكد ما جاء في الابيات من عد صاعد من بني
هلال وهنا نجد انفسنا امام احتمالين : الاول ان صاعدا ابن ابي اسحاق والثاني انه
اخوه ونحن لانملك ان نرجح رأيا على آخر انما يلفتنا ما ذكره الصفيدي عن ابي اسحاق حين قال :

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧١ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٧٨ و روضات الجنات ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٢) ابو الحسن محمد بن عبد الله (ت ٣٨٥ هـ) شاعر مشهور يعود بنسبة الى الخليفة ابي
جعفر المنصور العباسي ، شهر بقول الطرف والمجون والسخف وكان يقال ببغداد : ان زمانا
جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخي جدا وما اشبههما الا بجرير والفرزدق في عصريهما .
انظر ترجمته في اليتيمة ، ج ٣ ، ص ٣ و وفيات الاعيان ، ج ٤ ، ص ٤١٠ .

(٣) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٩٠ .

" وهو كبير بيته ، واهل بيته جماعة فضلاء نبلًا " (١) وهذا يشير في ذهننا فكرة كون صاعد هذا اخا الصابي الصغير الذي كان بوصفه كبيرا للبيست، يرعاه حتى اختلط الامر على المترجمين في عدة ابنا له . هذه مجرد فكرة والحقيقة غير معلومة ، لكن يمكن ان يضاف الى ما ذكر احتمال آخر وهو ان يكون صاعد قد توفي قبل سجن والده واخويه وبالتالي قبل وفاة اخيه . لكن عدم ذكره في اى من شعر الصابي يضعف هذا الاحتمال فوفاة اخيه مثلا ، كانت مناسبة لتذكره من قبل والده وتذكر المه به ومع ذلك فلم يات على ذكره فيها .

وتغيب عنا اخبار الصابي فترة حتى سنة ٣٦٠ لانعرف فيها عنه شيئا الا انه يتابع عمله اعتياديا، يدلنا على ذلك ما نراه من رسائل مؤرخة في هذه المرحلة .

ثم نجد الصابي يكتب رسالة الى عضد الدولة (٢) يهنئه فيها بفتح حقه ويشكره على مال

(١) الوافي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .

(٢) ابو شجاع فضا خسرو بن ركن الدولة (ت ٣٧٢ هـ) تسلّم فارس بعد وفاة عمه عماد الدولة ثم بلغ من سعة الملك والسيطرة على الملوك ما لم يبلغه احد . وكان الى جانب اهتمامه بالسياسة يتفرغ للادب . انظر في ترجمته واخباره: اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ورسوم دار الخلافة ، ص ٨٠ - ٨٥ و ٩٤ - ١٥ و وفيات الاعيان ، ج ٤ ، ص ٥٠ . وصفحات متفرقة من تجارب الامم وخاصة ج ٢ ، ص ٣٦٣ - ٣١٥ وصفحات متفرقة من ذيل التجارب خاصة ص ٣١ - ٦٧ .

انفذه اليه من فارس وصله سنة ٣٦٠ هـ (١) ، نقتطع منها بعض المقاطع المتعلقة بحياة الصابي والتي تظهر علاقته بمعضد الدولة :

" كتابي ، اطال الله بقاء مولانا الامير الجليل عضد الدولة ، من واسط ، يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر ربيع الاخر ، والامور التي يراعيها مستقيمة منتظمة ، والنعمة في ذلك تامة عامة ، وانا لابس من جميل رأيه وشريف اصطناعه ، شعارا ضامنا للصيانة ، كافيا بالوقاية ، حائلا بين النوائب وبيني ، دافعا لاحداثها عني ، آسيا لما سلف من كلومها ، جابرا لما سبق من ثلومها ، واعدا باخلاق ما اخذت ، واضعاف ما سلبت ، والحمد لله كما هو اهله ، وشخصت الى هذا الموضوع ، اطال الله بقاء مولانا الامير الجليل عضد الدولة ، متوجها الى اعمال الاهواز للخدمة فيما رسم لسي والتسكع في بقية بقيت من مغارم محنتي ، ، ، ، ، " (٢) .

" ووصل كتاب مولانا الامير الجليل عضد الدولة ، اطال الله بقاءه ، جوابا وفهمته ، وما اقترن به ثوابا وقبضته ، ووقع مني موقع الماء من ذي الغلة ، والشفاء من اخي العلة ، واعظت قدر ما اختصني به ايدى الله من عنايته ، وابانه من رعايته ، وجعلت ذلك جنة بيني وبين الزمان ، واثرة لي على الاضراب والاقربان ، وشكرت انعامه مجتهدا محتفلا ، وادرعته مفتخرا متجملا ، وتضاعف اغتباطي بقوة الحرمة به ، ووثاقة العصمة لديه ، وجرى ذلك عندى مجرى الفرس الذي استقر

(١) الرسالة في رسائل الصابي ، ص ٩٥ - ٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

أصله ، واستطال فرعه ، وثبت عرقه ، وقسويت شعبه ، وأراني نفسي بصورة من استحکم في الجملة
نسبه وصار اليها منتسبه ، وحصل فيها رهنه ، وتوفرت منها حظته ، وأما اني ان بسط مكاتبها مواصلا ،
وقضيت ان ابسط مأمورا متهيئا ، وإلى الله رغبتني في اطالة بقاء مولانا ، . . . ، والا يزيل عني ظله ،
ولا يسلبني طوله ، ولا يفجعني بالموهوب من رأيه الذي هو عوض عن كل مسلوب ، وذريعتي الى كل
مطلوب بقدرته . ومولانا الامير الجليل عضد الدولة ، اطال الله بقاءه ، ولي ما يراه ، وأمر به ، لا زال صائب
الرأى ، نافذ الامر ، يمين تشريفي بالمكاتبه وتصريفني في عوارض الخدمة ان شاء الله * . (١)

هذه الرسالة تظهر لنا امورا مهمة في حياة الصابي منها :

اولا : العلاقة بين الصابي وعضد الدولة الذي كان آنذاك بغارس علاقة جيدة ، فعضد الدولة
يستخدم الصابي في بعض الامور ويرفده بالمال ، والصابي يتمسك بهذه العلاقة مع عضد الدولة
لانه يرى في هذا الرجل القوى ملجأ له وعصمة من الانذى ، فيحمل اليه مشاكله ومتاعبه .
ثانيا : تظهر الرسالة الصابي رجلا مجربا ذاق مر الحياة وآلامها ، فروح الشباب القوى تختفي
هنا نهائيا ليظهر الصابي رازحا تحت كلال الدهر ، فتطالعنا في الرسالة كلمات :
النوائب ، الاحداث ، الكلوم ، الثلوم ، التسكع ، المغارم ، المحنة ، ذى الغلة ، اخي العلة ،

مسلوب ، ونجد بالتحليل تركيزاً على فكرة العصمة والملجأ من جانب عضد الدولة : الصيانة ،
الوقاية ، حائلاً بين النواصب وبين دافعاً لآسيا جابرا ، واعدة جنة بيني وبين الزمان ،
قوة الحرمة ، وثاقة العصمة واستحکم في الجملة نسبة . . هاتان الفكرتان : فكرة الجرح او المحنة
او الالم تقابلها فكرة العزاء او العصمة او اللجوء ، هما المسيطرتان على الرسالة وتوضحان لنا
الحالة التي يعاني منها الصابي في هذه الفترة والهدف الذي يريد بلوغه . يريد هذا الرجل
الهروب من واقعه الاليم ليعيش في كنف رجل يحترمه ويقدر ادبه ويحميه . هذه الحالة لم يكن
عرفها الصابي من قبل ، ولم تبد في رسالته الى الوزير ابي الفرج ، اذ ، اما ان شخصية عضد
الدولة هي التي اوحته له بهذه المعاني ، واما ان الصابي قد عرف بعد محنته مع عمال المهلب
سنة ٣٥٢ محناً جديدة وهذا هو الرأي الأرجح والذي تدل عليه الرسالة حين يقول : " متوجهاً
الى اعمال الاهواز للخدمة فيما رسم لي والتسكع في بقية بقية من مغارم محنتي . " وهنا نسأل : من
نكب الصابي مجدداً ؟

اننا حاولنا ان نستوحي الجواب من التاريخ نجد انه سنة ٣٥٦ هـ ثار الديلم
والترك على عزالدولة (١) مطالبين بالاموال والمناصب كل فئة لنفسها ، مما اضطر عزالدولة
بختيار ان يضمن لهم ما طلبوا ، ولما لم يكن يستطيع ذلك عمد الى الطلب من وزراءه العمل على جمع

(١) ابو منصور بختيار عزالدولة بن معزالدولة البويهية ، ولي ملكة ابيه بعد وفاته سنة ٣٥٦ ،
قتل سنة ٣٦٧ بعد معركة دارت بينه وبين ابن عمه عضد الدولة وكان في السادسة والثلاثين
من عمره . انظر اخباره في صفحات متفرقة من تجارب الامم والبيتية ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ووفيات
الاعيان ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

هذا المال كيفما اتفق . فضمن أبو الفضل العباس أرضاء الجند على أن تكون الوزارة من نصيبه (١) ،
" فأخذ في مصادرة الحاشية والزمهم أموالا علم أنهم يفون بها ولا يجحف بهم " وديسر
الأمر وأرضى الترك والدليم (٢) . والسؤال هو : الأيجوز أن يكون الصابي من ضمن هذه الفئة
التي صودرت ؟ والأرجح أن يكون ، لأن أمر النكبة هذه مرجح لذا كان يسمى سنة ٣٦٠ لتمديد
مأخذه من مغارم . ونتصور أنه في هذه الفترة بالذات كتب الصابي قصيدة يشكو فيها الأيام التي
تعربها دون أن يحقق فيها رغباته كما يألم لفقره في حين يظنه الناس غنيا . وهذا شبيه بما ذكر
إعلاء من أن الوزير ألزم الناس أموالا علم أنهم يفون بها . ويضع الصابي اللائمة على الحظ
الذي يتفوق على الجد والعمل فيلقى الإنسان حظه لما قدمت يداه . يقول الصابي :

وحظي من رغائبها يفوت	" وأيام تعد علي عدا
وحسبي من ظنون الناس قوت	يظن الناس لي فيها ثراء
وحالي من خصاصتها تموت	كأنني من تخاصمهم مكيين
ولكن اعيت الحيل البخوت	ولم آل اجتهادا واحتفالا
ففايته التحمل والسكوت " (٣)	إذا رام الكريم شكاة بث

(١) تجارب الامم ج ٢ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧ .

(٣) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

ثم ان الجوال العام المسيطر على الرسالة المذكورة سابقا ، يذهب بنا الى الظن بان الصابي ربما عانى من غير نكبة في هذه الفترة وفي ذلك يقول الثعالبي انه لما خلى عنه بعد نكته سنة ٣٥٢ هـ مع عمال المهلبى " لم يزل يطير ويقع وينخفض ويرتفع الى ان دفع في ايام عضد الدولة الى النكبة العظمى والطامة الكبرى " (١) فحياة الصابي بعد وفاة المهلبى لم تعرف الاستقرار ، وانما كانت تسير في خط يعلو ويهبط ، ونجد نقطة مميزة على هذا الخط لشدة انحدارها هي نكته على يد عضد الدولة سنة ٣٦٧ هـ والتي حددت مسير حياته بعدها في خط شبه مستقيم مع اتجاه نزولي عام .

فقد عرفنا من الرسالة المثبتة سابقا ان الصابي كان يكا تبعضد الدولة في فارس ويخدمه وعضد الدولة كان يرعاه بالمال والحماية، وهذا ما توهمه المصادر ايضا . (٢) ونجد رواية ذكرها ياقوت (٣) تشير الى خدمة الصابي لعضد الدولة سنة ٣٦١ . تقول الرواية : " كان ابو اسحاق الصابي واقفا بين يدي عضد الدولة هويين يديه كتب قد وردت عليه من ابن سمجور ، صاحب خراسان ، وعلى رأسه غلام تركي ، حسن الوجه ، جميل الخليفة ، وكان مائلا اليه ، ورأيت الشمس اذا وجبت عليه حجبها ، الى ان استتم قراءة ما كان في يده ، ثم التفت اليه ، وقال له : هل قلت شيئا يا ابراهيم ؟ فقال :

(١) البيعية ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) ذيل التجارب ، ص ٢١ و معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٣٥ .

(٣) معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

وقفت لتحجبني عن الشمس
نفس اعز علي من نفسي
ظلت تظللني ومن عجب
شمس تقنعني عن الشمس

فسر بذلك ، وطوى الكتب وجعله مجلسا للقرب ، والنقي على الجوارى الستائر ، ففنىوا
به في ذلك اليوم ، وهو في الخامس من شوال سنة احدى وستين وثلاثماية .

بورود عضد الدولة الى بغداد سنة ٣٦٤هـ ، ازادات العلاقة به وثوقا فزاد اختصاص

الصابي به وقربه منه (١) . فقد اكرمه عضد الدولة وحاضره ، ولا بد من الاشارة الى ان لقب
عضد الدولة الثاني وهو تاج الملة قد اختاره له ابو اسحاق فيروي هلال بن المحسن عن جده
ابي اسحاق قوله : لما ورد عضد الدولة في سنة ٣٦٤ للمعاونة على الاتراك ، قال لي فسي
بعض ماتجان بنيه ، قد عرفت يا ابا اسحاق ما كان من العم معز الدولة في منعنا من اللقب
بتاج الدولة ، وردنا عنه ، ولو جئنا نلقب الان به لقب ان يقال عضد الدولة وتاج الدولة ،
فقلت ولم لا يقال : وتاج الملة فيجمع في اللقبين بين الدولة والملة . قال : صدقت ، فلكم هذا
الامر اليس ان يحضر وقته ، فلما عاد في سنة ٣٦٧ تلقب به (٢) .

لكن هذه العلاقة الوطيدة والخدمة المخلصة حملت في ثناياها سلبيات للصابي

الذي كان ، بصفته كاتباً ، مرتبطاً بالمصير بالعلاقات بين الامراء . فالعلاقات بين عضد الدولة
وعز الدولة لم تكن على ما يرام في هذه الفترة ، فقد كان عضد الدولة يطمع من وراء مساعده

(١) ذيل التجارب ، ص ٢١ و معجم الادباء ج ٢ ، ص ٣٥ .

(٢) رسوم دار الخلافة ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

لعزالدولة في فترة الاتراك سنة ٣٦٤ الاستيلاء على العراق وبسط سيطرته عليه (١) .
وكان عزالدولة قد ابتدأ في معاداة عضد الدولة من قبل بان منع صاحبه من شراء
الآلات والدواب التي كان يطلبها من بغداد (٢) . وربما ان الصابي كان يأمل ببقاء
عضد الدولة ببغداد حتى تمارى في الاختصاص به مع علمه بما بينه وبين عزالدولة، ولسو
حظ الصابي لم يحدث هذا . ولهذا السبب خاف الصابي من البقاء في بغداد بعد خروج
العضد منها فعمل على الخروج معه (٣) وقيل : ان عضد الدولة طلب منه الخروج معه فعزم
الصابي على ذلك ووعد به (٤) . لكن يبدو انه فكر في امره ملياً ورأى انه ان مضى الى
فارس سيخلف اهله في بغداد فيكون قد تسبب لهم بما اراد لنفسه النجاة منه (٥) هنا وقع

(١) تجارب الامم، ج ٢، ص ٣٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٦ .

(٣) معجم الادبا، ج ٢، ص ٣٥ .

(٤) تاريخ الحكماء، ص ٧٥ .

(٥) معجم الادبا، ج ٢، ص ٣٥ و تاريخ الحكماء، ص ٧٥ . جاء في معجم الادبا (ج ٢، ص ٣٥)

* ثم علم انه متى فعل ذلك (اي خرج الى فارس) اسلم اهله وولده وتعجل منهم ما عسى
الله ان يدفعه عنه وفهم الخبر في دائرة المعارف الاسلامية انه يخاف من ان يسلم اهله
وولده اي يدخلوا في الاسلام، وليس هذا المقصود بدليل ما جاء في الجملة التي تلي في كرتكو
الصابي ابو اسحاق ابراهيم بن هلال * دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة العربية، ج ١٤،
ص ٨٣ - ٨٥ .

الصابي في حيرة من امره بين البقاء او الذهاب وهو يتصور النكبة نصب عينيه . لكن عضد الدولة ،
العصمة والملجأ حل له هذه القضية بان ذكره في الاتفاق واليمين التي كتبت بينه وبين
عزالدولة وعمدة الدولة اخيه ، فشرط عليهما حراسته في نفسه وماله (١) .
لكن ذلك لم يكن ليظمن الصابي لعزالدولة ووزيره ابن بقية (٢) ، فما ان مضى عضد
الدولة الى فارس حتى استنابوا اسحاق واستمر على ذلك مدة (٣) ، وكتب ابواسحاق مصورا نفسه
في الاستنار من قصيدة : (٤) .

(١) ذيل التجارب ، ص ٢١ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٦ الخبر في ذيل التجارب : بينه

وبين عزالدولة وعمدتها اخيه واليمين التي حلفا بها " وفي معجم الادباء " بينه وبين عزالدولة
وعهد به اليه ، واليمين التي حلفا بها وشرط عليهما " . وواضح ان عهد به اليه " تحريف لعمدتها
اخيه لان سياق الجملة " حلفا بها وشرط عليهما " يدل على ان المقصود اثنان لا واحد . وعمدة
الدولة هو ابواسحاق ابراهيم بن معزالدولة ، لقب سنة ٣٦٢ . (تجارب الامم ج ٢ ، ص ٣١٢) .

(٢) ابو طاهر محمد بن محمد بن بقية ، لقب نصير الدولة ، وزير لعزالدولة سنة ٣٦٢ . وكان
قبل ذلك صاحب مطبخ معزالدولة . عمل على تأجيج الخلاف بين عزالدولة وعضد الدولة
فسلمت عيناه سنة ٣٦٦ ولما ملك عضد الدولة بغداد القى تحت ارجل الفيلة حتى قتل
ثم صلب . انظر ترجمته في وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١١٨ وفي صفحات متفرقة من تجارب الامم
خاصة ج ٢ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ و ٣١٠ - ٣١٤ و ٣٥٤ - ٣٥٨ .

(٣) ذيل التجارب ، ص ٢١ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٤) اليثيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ والبيتان الثاني والثالث في معاهد التصحيح ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

" ليس لي منجد على ما اقا سي
من كروبي سوى المعلم السميع
د فترى مؤنسي وفكرى سميرى
ويدي خادمي وحلمي ضجيعي
ولساني سيفي وبطشي قريضي
ودواتي غيثي ودرجي ربيعي
اتعاطى شجاعة ادعيها
في القوافي لقلبي المصدوع
بمقال اعز من ليث غاب
وكما هر في جوارى هر
وفعال اذل من يربوع
وانا اجتاز في السطوح فمن قب
كان يفضي الى فوادى المروع
ل قبوع الجرذان منه قبوعي "

وهكذا استمر الصابي في استتعاره هذا حتى توسط ابو محمد بن معروف القاضي بامرره ،
واستأن له من عزالدولة بختيار ووزيره ابن بقية واخذ عليهما العهد بعدم التعرض له (١) ،
وقد كتب له الامان ابن بقية بيد (٢) فظهر الصابي وترك مدة قصيرة ثم قبض عليه بسعاية
ابن السراج به (٣) . ويبدو ان ابن بقية وعد ابا اسحاق بالافراج عنه ثم اخر ذلك ، (٤)
فكتب ابو اسحاق ابيات شعرية وانفذها اليه وهو في حضرة الامير عزالدولة .

(١) ذيل التجارب ، ص ٢١ ومعجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٢) معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٦٦ . ينقل عن الهلال بن المحسن .

(٣) ذيل التجارب ، ص ٢١ ، وابن السراج هو ابو نصر ابراهيم بن يوسف * وهو من الاشرار

المعروفين بالسعاية ، قد جمع المكسب الخبيث مالا عظيما واعقد ضياعا جليلا * تجارب

الاسم ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .

(٤) نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ، والتنوخي يروى الخبر نقلا عن ابي اسحاق . وقد عسل =

قال فيها : (١)

(٢)

" الا يا نصير الدين والدولة الذي رددت اليها العزائم فاترده

ايعجزك استخلاص عبدك بعدما تخلصت مولاك الذي انت عبده ؟ " (٣)

هذه النكبة كانت قاسية على الصابي حيث جرى له فيها " خطوب اشقى فيها على نهب

النفوس " (٤) .

لكن امر ابن السراج قد فسد مع ابن بقية، وكان في ذلك الفرج لابي اسحاق فقبض

على ابن السراج " ونقل القيد من رجل ابي اسحاق الى رجله " . (٥) وحكاية ذلك ان ابن

بقية مرض مرضا شديدا حتى فقد الامل من شفائه، فكان ابن السراج يوغر صدره بختيار عليه

** هلال بن المحسن اهمال ابن بقية للصابي " لحق كان قد اوجبه عليه ايام كون عضد الدولة
بيفدان " معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(١) الابيات في نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٢) في نشوار المحاضرة : ايا ناصر الدين والدولة التي .

(٣) في هذا البيت اشارة الى استخلاص ابن بقية لبختيار حين اعتقله عضد الدولة سنة ٣٦٤ .

(٤) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٥) ذيل التجارب ، ص ٢١ - ٢٢ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

ويزيّن له القبض على عماله ومصادرتهم، فلما تعاسك ابن بقية بعد عدة أيام من مرضه علم ما فعل ابن السراج فقبض عليه وعرض لاصناف العذاب حتى مات، وكان ذلك سنة ٣٦٤ (١) .

عاد الصابي بعد هذه الازمة الى خدمة عزالدولة، (٢) بعد ان استحلّفه ابن بقية لدى الافراج عنه بان يعرفه ما يريد عليه من كتب عضدالدولة ويسلم اليه من يجيئه من رسله (٣). وهكذا استمرت حياة الصابي تسيّر بشكّلها العادي حتى سنة ٣٦٧ وهي السنة التي احتل فيها عضد الدولة بغداد، والتي تشكّل منعطفًا خطيرًا في حياة الصابي، انها سنة المحنة وبداية الطريق نحو النهاية .

(١) تجارب الامم، ج ٢، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٢) ذيل التجارب، ص ٢١ - ٢٢ ومعجم الادباء، ج ٢، ص ٣٦ .

(٣) معجم الادباء، ج ١٧، ص ٨٤ .

محتته ونهاية أمره

كان الصابي وثيق الارتباط بعجلة السياسة لتكونه كاتبا للديوان ، كما ذكرنا من قبل
وهاهي الموازين تتقلب الان ، ففي سنة ٣٦٥ مرض ركن الدولة (١) ، فخاف ابنه عضد الدولة ،
بعد الوحشة بينه وبين ابيه الذي لم يرض عن استيلائه على بغداد سنة ٣٦٤ وانتزاعها من ابن
عمه عز الدولة ، انه ان مات والده توزع ملكه وضاع فوسط لديه ابا الفتح ابن العميد (٢)
في ان يزيل الوحشة بين الاثنين وان يجعله ولي عهد ، نظرا لانه اكبر اولاده واقدرهم
وانجبهم ، فاقترح ركن الدولة بذلك ، وقر رأيه عليه . فمضى ركن الدولة الى اصفهان
واستدعى ابنائه الثلاثة : فخر الدولة (عليا) ومويد الدولة (بويه) وعضد الدولة
(فناخسرو) ، وجرى احتفال حضره الامراء والقواد والحاشية واعلن ركن الدولة

(١) ابو علي الحسن بن بويه الديلمي الملقب ركن الدولة ، صاحب اصفهان والري وهمدان
كان ملكا جليل القدر ، عالي الهمة استوزر ابا الفضل بن العميد ولما توفي استوزر ابنه
ابا الفتح توفي سنة ٣٦٦ هـ ترجمته في صفحات متفرقة من تجارب الامم ووفيات الاعيان

ج ٢ ، ص ١١٨ .

(٢) علي بن محمد بن الحسين ، ابو الفتح بن العميد ، ملقب بذي الكفائتين ، وزير لركن الدولة
ثم لابنه مويد الدولة . كان ادبيا فاضلا بليغا . قبض عليه سنة ٣٦٦ فسلم وعذب
ثم قتل . انظر ترجمته في صفحات متفرقة من تجارب الامم واليتميم ج ٣ ، ص ١٨١ ومعجم

الادباء ، ج ١٤ ، ص ١٩١ .

فيه عضد الدولة وليا لعهد ه وخليفته على ممالكه واخوته خلفاءه في الاعمال التي رتبهم فيها . وقد اعترف له الاخوان بذلك . لكن عزالدولة بختيار عمد اولا الى اصلاح امره مع عضد الدولة بوساطة عمه ركن الدولة ثم عمل سرا على تجميع القوى لمكاشفة عضد الدولة العداء والاستقلال عنه يساعده في ذلك وزيره ابن بقية . ولما اعلن بختيار الحرب على عضد الدولة ، انقض من حوله من كان وعده بالنصرة فهزمه وخير بين الطاعة لعضد الدولة المقرونة بالسلامة او الحرب فاختر السلام وخلع عليه عضد الدولة وزوده بالنفقة ، لكنه عاد وانقلب عليه فحاربه مجددا في شوال سنة ٣٦٧ في موقعة قصر الجص ، فاسر بختيار فيها ثم قتل ، ومضى عضد الدولة بعد المعركة الى الموصل لافتتاحها . (١) هذا الاستطراء في ذكر العلاقة بين عضد الدولة وعزالدولة ضروري لفهم المسرح والارضية التي يتحرك عليها ابواسحاق والتي تتميز بتعقيد لم يستطع تجاوزه ، مما ادى الى سقوطه .

اناه بعد حرب مع بختيار ورد عضد الدولة بغداد . صحيح ان ابواسحاق كاتب بختيار كان على علاقة جيدة سابقا مع عضد الدولة وانه كان مكرما لديه ، الا ان الخوف دب في قلبه من امكان نكبة عضد الدولة له . فلما حصل عضد الدولة بواسطة خرج الصابي الى ابي سعد بهرام بن اردشير كاتب عضد الدولة فسأله اجراء ذكره عنده وطلب امان له ، تسكن اليه نفسه وكتب على يده كتابا الى عضد الدولة (٣) ، جاء في جوابه :

(١) انظر تفصيل ذلك في تجارب الامم ج ٢ ، ص ٣٦١ - ٣٨٢ .

(٢) ذيل التجارب ، ص ٢٢ ومعجم الانبا ، ج ٢ ، ص ٣٧ .

” . . . ومن كانت به حاجة الى اقامة معذرة ، واستقالة من عثرة او الاستظهار

في مثل هذه الاحوال بوثيقة فخانت مستغن عن ذلك ، بساهقتك في الخدمة ، ومنزلتك من الثقة ، وموقفك لدينا من الخصوص والزلفة وذكرا ابو سعد - اعزه الله التماسك امانا ، فقد بذلناه لك على غناك عنه ، وانت آمن على نفسك ، ودمك هو شعرك ، وبشرتك ، واهلك ، وولدك وسائر ما تحويه يدك ، حال في كل حال بكنف الاثرة والخصوص ، والاحسان والقبول عندنا ، محروس في جاهك وموقفك ، وحالك فاسكن الى ذلك واعتمده ، ولسك علينا الوفاء به عهد الله وميثاقه ” . (١)

هكذا ارتاحت نفس ابي اسحاق قليلا وقد هيا له هذا الامان ان يخرج بنفسه لاستقبال هذا الدولة وخدمته . (٢) واصبح ابو اسحاق الان خائفا على داره الشاطئة (٣) ان يدخلها الترك لانه ممن حواشي بختيار فطلب من عضد الدولة ان يرسل من يحرسها فانفذ معه نقيبائه يتحدث ابو اسحاق عن ذلك قائلا : ” وتقدمت عائدا ، والنقيب معي ، فكان يمضي اكثر النهار في اشغاله ، فاتفق ان هجم على الدار احد القواد الاكابر وطرح اصحابه احمالهم وفرشوا فرشهم

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٢) ذيل التجارب ، ص ٥٣ .

(٣) يقول هلال بن المحسن في تاريخ الوزراء (بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٤) ص ٢٨٨ : ” وكان ابو اسحاق ابراهيم بن هلال جدى ابتاع دار عبيد الله بن القاسم من ابي الحسن ابن عمرو الشرايبي حاجب الخلافة بخمسة الاف دينار ، وكانت مستاتها طاعة في دجلة لا يفارقها الماء في سائر اوقات السنة ” .

وربطوا دوابهم وتقدموا اليها بالانتقال ، فأيسنا من دورنا، ومضى غلmani يطلبون النقيب
فلما حضر سلم على القائد وقبل يده، ووقف بين يديه واخذ يحادثه ثم قال له الديلمي : فيم
جئت ؟ قال : انفذني الملك لا حفظ هذه الدور ممن يتعرض لها فقال له : هذا كاتب من
اصحاب بختيار فأى شيء بينه وبين الملك ؟ قال : كان يخدمه وله موضع عنده . قال ابو
اسحاق : فوالله ما استتم النقيب كلامه حتى نهض القائد الديلمي ورمى بكرسيه كان جالسا
عليه ، وقال لغلmanه : ارفعوا . وركب في الحال وخرجوا بعده (١)

وظلت مكانة الصابي محفوظة وحظه من العيش موفورا ، فيروى عنه حكايته لمجلس انس
حضره مع عضد الدولة بعد وقعة قصر الجص ومقتل عزالدولة ، ووصفه لما غني فيه ولطرب عضد
الدولة للفنساء . (٢) ثم ان عضد الدولة وبعد مضيئه الى الموصل لمحاربة صاحبها
عدة الدولة ابي تغلب بن حمدان ، (٣) حليف بختيار في حربه ضد عضد الدولة يكتب الى ابي
اسحاق مخبرا بانتصاره في المعركة . نستدل على ذلك من وجود جوابين كتبهما ابو اسحاق

(١) ذيل التجارب ، ص ٥٣ .

(٢) الهفوات النادرة ، ص ١٤ - ١٥ .

(٣) هو الغضنفر بن ناصر الدولة ، صاحب الموصل ، اراد احتلال بغداد لما رأى ضعف
بختيار فخالفه ابوه في ذلك وانتشر نظام عائلتهم ، لما حاربه عضد الدولة سنة ٣٦٧ هـ هرب
الى الشام ثم قتل في السنة نفسها . ترجمته في صفحات متفرقة من تجارب الامم ووفيات

الاعيان ، ج ٢ ، ص ١١٧ .

الى عضد الدولة (١) مهنتا بالظفر ، طالبا العفو لنفسه . بعض المقاطع من هاتين الرسالتين تفيدنا في فهم الموقف الذي اتخذه ابو اسحاق طانا ان فيه نجاه له وذلك حين يهاجم اعداء عضد الدولة الذين كانوا اوليا . سابقا :

* ووصل كتاب مولانا الملك السيد ولي النعم عضد الدولة وتاج الملة ، ادام الله

علو امره ، وعز نصره ، في معسكره بظاهر الموصل . مبشرا بالفتح الذي املات له آفاق السماء

نورا ، وارجا ، الارض سرورا ، فتلقيته ساعيا على قدمي ، وقبلته بكلتا يدي ، وسجدت شكرا لله على

مستودعه ، ولولانا ، كبت الله اعداءه على تأهيلي للمطالعة به ، وتصرفت في تأمل معناه الجزل ،

ومنطقة الفصل ، تصرف المعجب به لا المتعجب منه ، واقول في ذلك ما قاله ارسطوطاليس للاسكندر

في مفتتح بعض رسائله اليه : اما التعجب من مناقبك فقد اسقطه تواترها فصارت كالشهي

المألوف قد انس به ، لا كالغريب يتعجب منه ، فاما ما شرحه مولانا الملك السيد ، ادام الله علاه

وتمم نعماءه من تقسيم اعدائه بين قتيل صار الى النار وهو هزيم تقنع بالعار ، فايد يهيم او كست ،

واقواهم نفخت ، ولولا الشقا المكتوب عليهم ، والخزي المعصوب بهم ، لا تعظوا بغيرهم

من مضى قبلهم ، وسلموا الامر لمستحقه ، ونهم ، وعرفوا حق المعرفة انفسهم ، ووقفوا بها عند

حدهم وقدرهم ، فقد قيل انه لاضيمه على من عرف قدره ، وكذلك لانجاة لمن عدا طوره ، ولكن الحين

(١) الجوابان في رسائل الصابي ، ص ١٠٠ - ١٠٩ و ١١٠ - ١١٣ .

يصم ويعمي ، ويوق ويردى . . .

" واما خضوع الخاضع له ونزوعه من الامر الذى اورد ، وما يصدره ويبدله في اقتداء
حفاشة النفس ، وشميلة الحال ، فبالتذلل لمولانا يعز العزيم ، وبالتعزز عليه يذل الذليل ،
وان صحت منه البصيرة ، وخلصت السريرة فستكسوه المراجعة شعارا من الطاعة ، تتلافاه من السقطة ،
وتنقذه من الورطة ، ومولانا الملك السيد ، ادام الله دولته وبسط قدرته ، اعلم بالمخايل ، واهدى
الى الدخائل ، وليس يمدلول على قبول الانابة من النادم المقر ، ولا على اياها من المداهمن
المصر ، وله ، ايدى الله ، عادة جارية بالعفو عن الهفوة الاولى ، التي لم تسيقها قرينة ولا تقدمتها
نظيرة ، فان عفا فعلى سنته الماضية ، وبعد قدرته القاهرة ، وبالرأى الموضوع موضعه ، والاختيار
الذى لا اضطره معه ، وان سطا فبالله ماتحل سطوته الابن لامطع في انتياشه ، ولا سبيل الى
انتعاشه ، ولن يعدمه الله صواب العزم ، وصرمة الحزم ، اى المذهبين ذهب ، واى الغرضيين
طلب ، . . . " ثم يختم الصابي رسالته بالطلب من عضد الدولة ان يأمر بتضمين ما اكتب به مسن
ابتداء وجواب طرفا من الاستخدام ، لاثقا بما غرنى من الانعام ، في صفير يوازى قدرى او كبير
يجذب اليه بضبعي . . . (١)

ثم نرى ان الصابي قد غير من نبرته في الرسالة الثانية وكان شيئا ما حدث زاد فسي
اطمئنانه كأن يكون عضد الدولة مثلا قد بعث اليه جوابا على رسالته ، يشير باستخدامه ، فنلاحظ
انه في الرسالة الثانية يتكلم معتبرا نفسه ضمن الدولة ، فيقول متحدئا عن اعداء عضد الدولة

(١) الرسالة كاملة في رسائل الصابي ص ١٠٠ - ١٠٩ .

اي بختيار واهي تغلب الحمداني .

" فلم يرض الله فيهم ما رضينا ، ولم يعزلهم ما اردناه ، للسابق من جرائمهم ،
والسالف من جرائمهم ، والمستسر لنا في قضائه جل وعز ، من تخويلنا نعمهم واموالهم
وتعليقنا ديارهم واعصارهم " (١) . ولاشك اننا لاحظنا ضمير المتكلم " نا " وما يمكن ان
يعنيه في هذا المجال . ثم يخاطب ابواسحاق عضد الدولة شعرا : **وعبد مولانا الطك**
السيد الاجل المنصور عضد الدولة وتاج العلة اطلال الله بقاءه . يقول مرتجلا ومذكرا :

بقدره السامي الجليل

قل للمهام المستطيل

انشدته قبل الرحيل

يذكر ابياتي التي

قد نال من راع كفيل

فقد ضمنت له الذي

بشرته يردى القتييل

لولا اتقاء البغي قد

من سيفه عما قلييل

وكذاك يمهي من نجا

للعين متضح الدليل

مازال ذلك بينيا

نقع الصدور من القليل * (٢)

فالحمد لله الذي

وينهي الصابي رسالته بما يدل على انه رسم له ممارسة عمله كاتبا في الديوان لعضد الدولة

اول من ينوب عنه ويخلفه اثناء غيابه :

(١) الرسالة في رسائل الصابي ، ص ١١٠ - ١١٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٢ . القصيدة مجزوء الرجز و صدر البيت الثالث من الكامل .

" وانا اطل الله بقاء مولانا الملك السيد ولي النعم ،عضد الدولة وتاج الملة ،

ملازم للخدمة في الدار المعمورة، ومواظب على مجلس الاستاذ، (١) ادام الله عزه ،تصرفا
من الامر العالي على ما سبق ، وانتظارا منه لما يود ، ومن الله استمد التوفيق لما زاد نسي
عند مولانا حظوة وزلفى ، وكسبني لديه اثره وقربي ، وهو حسبي ونعم الوكيل . (٢)
لكن الحظ عاد وانقلب على الصابي ، فبعد ان استأمن المسكين ، وهنتت نفسه
او كادت ،عاد الى المحنة من جديد . اذ ان عضد الدولة بعث من الموصل امرا الى وزيره ابي
القاسم المطهر بن عبد الله (٣) بالقبض على ابي اسحاق (٤) ويروى في ذلك انه فيمسا
كان ابو اسحاق جالسا بحضرة وزير عضد الدولة ابي القاسم المطهر ، ورد البريد من الموصل وفض

(١) المقصود بالاستاذ وزير عضد الدولة ، وكان في ذلك الوقت المطهر بن عبد الله وتبين لنا
رواية القبض على الصابي المذكورة اعلاه صحة ذلك ، اذ ان الصابي كان حاضرا في
مجلس المطهر حين ورد الامر من عضد الدولة بالقبض عليه .

(٢) رسائل الصابي ، ص ١١٣ .

(٣) هو وزير عضد الدولة عرف بشراسة الاخلاق وخشونتها ، وحدث ان مضى لمقاتلة الحسن
ابن عمران بن شاهين سنة ٣٦٩ ولما احس بإمكان اخفاقه في الحملة قطع شرايين
يديه جميعا حتى مات من النزف ، وذلك خوفا من انخفاض منزلته ، وانظر اخباره في
تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ - ٤١٢ وصفحات متفرقة اخرى ، والحضارة الاسلامية ج ١
ص ١٢٩ .

(٤) ذيل التجارب ، ص ٢٢ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٩ ، ينقل ياقوت الرواية عن هلال
ابن المحسن الذي ينقلها عن جده ابي اسحاق .

بين يديه ، فابتدأ بقراءة كتاب عضد الدولة حتى اذا بلغ مبلغا منه بان عليه الوجوم فقام الصابي من مجلسه يريد الانصراف ، فتبعه بعض اصحاب الوزير وعدل به الى غرفة في الدار وارسل يقول له : " لعلك قد عرفت مني الانزعاج عند الوقوف على الكتاب الوارد من الحضرة اليوم ، وكان ذلك لما تضمن من القبض عليك ، واخذ مائة الف درهم منك وينبغي ان تكتب خطك بهذا المال ، ولاتراجع فيه ، فوالله لا تركت ممكنا في معونتك وتخليصك الا بذلته ، وقد جعلت اعتقالك في داري ، ومقامك في ضيقتي ، فطب نفسا بقولي ، وثن بما يتبعه من فعلي " (١) .

هذا كل ما يستطيع هذا الوزير ان يخدم الصابي به ، اعتقال جميل في منزله شبيه بالاستضافة ، يخلصه به من عذاب المستخرجين ، ومن ايقاع المكروه به . وكان القبض على ابي اسحاق لم يكن كافيا حتى قبض على ولديه ابي سعيد سنان ، و ابي علي المحسن . (٢)

حكاية نكبة الصابي سنة ٣٦٤ على يد عز الدولة بختيار ، او سنة ٣٦٧ على يد عضد الدولة مرتبطة بعلاقة ابي اسحاق بكل من هذين الرجلين وعلاقتهما احدهما بالآخر . فالصابي كاتب يمارس مهنة محدودة ، ولسوء حظه ان مهنته هذه مرتبطة بالسياسة اشد ارتباطا ، الكاتب يومر بالكتابة فيكتب ما يعجب السياسي الذي يأمره ، فهو ان كتب لعز الدولة كان لا بد وان

(١) معجم الادباء ج ٢ ، ص ٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٠ - ٤١ .

يكتب كما يعجبه وكذلك الامران كتب لعضد الدولة مثلا اولغيرهما صحيح ان لشخصية
السياسي دهرها الكبير في عمل الكاتب بحيث توثر بشكل او باخر في ما يكتبه ، وهذا ما
سنلاحظه في رسائل الصابي ، الذي لم يستطع رسم صورة جيدة لعزالدولة ، بل كان
احيانا يحصل على عكس ما يريد ، فيما تبدو صورة عضد الدولة كأحسن ما يكون عليه الطوك او
القواد . هذا في الرسائل الديوانية ، اما في الرسائل الخاصة والشعر ، فليس في مالدينا
من ذلك اى بيت شعري او رسالة كتبت في عزالدولة مدحا او تهنئة ، فيما نجد انه كتب
الكثير في عضد الدولة ، ربما هذا دليل يظهر لنا ميل الصابي الى الصدق في ادبه ونستدل
من ذلك ان عضد الدولة كان يعني شيئا كثيرا للصابي مما لم يكن يعنيه غيره كعزالدولة
مثلا . فالصابي كان يحذر عزالدولة ووزيره فنراه يستتر حتى بعد كتابتهما امانا له ، بينما
لم يحذر من العضد ولم يستتر ، وهذا دليل ثقتة بعضد الدولة وثقتة بمكانته عنده هذه المكانة
التي تبدو جلية في نسخة الامان التي كتبها له عضد الدولة ، وفي حراسة منزله من الجند .
اذا بالمقارنة بين علاقة الصابي بكل من عزالدولة وعضدها نجد علاقته بعضد
الدولة اوثق ، وقد كان اخلاصه له سببا في نكته الاولى . وحفظ له عضد الدولة سابقية
الخدمة والاصطناع ، وكتب له امانا وحرس داره ، ولكنه ، وفجأة وعمد الى اعتقاله . وهكذا
نلاحظ ان عملية اعتقال الصابي في الاولى والثانية ، لاتعود اليه مباشرة بقدر ماتعمد
لارتباطه بالعلاقة بين الاثنين ، فالصابي كتب في اثناء الخلاف بين عزالدولة وعضدها
جميع الرسائل التي كانت تطلب منه ، وهذا طبيعي فهو في عمله هذا يودى واجبه كما كان

يمكن ان يفعل اي كاتب آخره اين المشكله اذا ؟

تذكر المصادر ان ابا اسحاق كتب في هذه الرسائل ما اثار حفيظة عضد الدولة وجعله ينقم عليه، ويعزوه معظمها (١) سبب غضبته الى رسالة كتبها سنة ٣٦٦ عن الطائع لله الى اصحاب الاطراف بتكرمة بختياره، (٢) وخاصة ما جاء فيها من قوله : "وقد جدد الله امير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق ، والمعالي السوامق ، التي تلزم كل دان وقاص وعام وخاص ، ان يعرف له حق ماكرم به منها ويتزحج عن رتبة المعاملة فيها " . (٣) وتقول المصادر ان عضد الدولة انكر هذا الكلام اشد الانكار واعتبره تعريضا به . (٤)

ويعيد هلال بن المحسن في رسوم دار الخلافة (٥) غضب عضد الدولة بسبب

الرسالة ، الى تقديم عز الدولة وتعظيمه وانه قرر له الدعاء في صدرها " بأطال الله بقاءك ، وأدام عزك وتأيدك ، وامتع امير المؤمنين بك وبالنعمة فيك ، وفي الفصول والذكر بأيد ، اللهم " ويقول هلال انه لما ملك عضد الدولة العراق طلب من الطائع ان يزيد على ذلك ، فزاده

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ ورسوم دار الخلافة ، ص ١١٣ و ١٢١ ومعجم الادب ، ج ٢ ،

ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) الرسالة في رسائل الصابي ، ص ٣١٥ - ٣٢٥ ورسوم دار الخلافة ، ص ١١٣ - ١٢١ .

(٣) النص منقول بحرفيته عن اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ ونجده مع اختلاف بسيط في الالفاظ في

رسائل الصابي ، ص ٣٢٢ ومعجم الادب ، ج ٢ ، ص ٣١ .

(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ ومعجم الادب ، ج ٢ ، ص ٣١ .

(٥) رسوم دار الخلافة ، ص ١١٣ و ١٢١ .

" وسعادتك ونعمتك ، وامتع امير المؤمنين بك ، وبالنعمة فيك وعندك ، وجعل الدعاء له في الفصول وعند الذكر بادام الله عزه ، وبديء* بذلك في الكتاب اليه بتلقيه تاج الملوك مضافا الى عضد الدولة : (١)

ويلفتنا بالطبع ان القبض على ابي اسحاق كان بعد مضي عضد الدولة الى الموصل وبعد ان امنه واستخدمه . وهذا يعني وجود رابط بين كون عضد الدولة بالموصل وبين القبض على الصابي . وتفسيرا لذلك ، يروى انه لما مضى عضد الدولة الى الموصل اخرج الى الديوان ما وجد في قلاع ابي تغلب من الكتب ، فكان فيها ما كتبه عزالدولة الى ابي تغلب بخط ابي اسحاق . (٢) وكان الناظر في الموصل (٣) ، يحمل عداوة للصابي فجمع الشيء الكثير مما فيه ذكر عضد الدولة وحمله اليه . (٤) ولا يستبعد ان يكون لهذا الناظر فسي الموصل المعادي للصابي دور في توزير صدر عضد الدولة على الصابي يتعدى احالة الرسائل اليه .

ونجد سببا آخر لانتقام عضد الدولة من ابي اسحاق ذكره القفطي (٥) ويتعلق

- (١) رسوم دار الخلافة ، ص ١١٣ و ١٢١ . والرسالة المشار اليها هي في رسائل الصابي ، ص ٢٧٩ ، ويلاحظ عدم وجود جميع الادعية المذكورة في المتن في الرسالتين في رسائل الصابي مع وجود نسبة اكبر منها في رسالة تكرمه بختيار في رسوم دار الخلافة ، ص ١١٣ .
- (٢) ذيل التجارب ، ص ٢٢ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٩ .
- (٣) ذكر باسم ابي عمرو ولم نتوصل الى معرفة اسمه كاملا وبالتالي ترجمته .
- (٤) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٣٩ .
- (٥) تاريخ الحكماء ، ص ٧٦ .

بنسخة الصلح الذي عقد بين عضد الدولة وعزالدولة وذلك ان عزالدولة تقدم الى الصابي
بانشاء نسخة يمين، فأنشأها واحكمها فلم يجد عضد الدولة له مجالا في نكثها والتزم الحلف
بها، وهكذا لما اخذ العراق سجن ابا اسحاق لهذا السبب . وقد مر بنا ان صلحا عقد
بين الاميرين العضد والعز سنة ٣٦٤، وان عضد الدولة اشترط فيه امان الصابي وعدم ايدائه ،
فهل يمكن ان يقوم الصابي بما يؤذي عضد الدولة في الوقت الذي يعمل الآخر على حمايته
ورعايته ؟ وان كان هذا صحيحا ، ألم يكن بإمكان عضد الدولة القبض على الصابي حال دخوله
العراق ؟ فلم يوه منه ويحرسه ثم يفدر به ؟ وربما ما قصد القفطي غير الصلح الذي كتب
سنة ٣٦٤ او انه يعني رسالة اخرى .

فالمصادر اتفقت على ان سبب القبض على الصابي هو المكاتبات الفجة التي كان يرسلها

عزالدولة بانشاءه الى عضد الدولة او عنه ، (١) وهكذا سجن الصابي سنة ٣٦٢ هـ ودفع الى

" النكبة العظمى والطامة الكبرى " .

ويبدو ان الصابي لم يترك وحيدا في محنته ، فقد تدخل البعض للشفاعة به

والتعريف بفضلته فقبل لعضد الدولة : " مثل مولانا لا ينقم على مثله ما كان منه ، فانه كان في خدمة

قوم لا يمكنه الا المبالغة في نصحهم . ولو أمره مولانا بمثل ذلك اذا استخدمه في ابليس ،

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢١ ووفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٢ والوافي بالوفيات ، ج ٦ ،

ص ١٥٨ و ابوالفداء عماد الدين اسماعيل ، المختصر في اخبار البشر (القاهرة ، المطبعة الحسينية

المصرية ، ١٣٢٥) ج ٢ ، ص ١٢٩ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .

ما أمكنه المخالفة . فقال عهده الدولة : قد سوغته نفسه فان عمل كتابا في مآثرنا وتاريخنا
اطلقته " . (١)

ومثلما وجد من يشفع للصابي وجد ايضا من يشمت به ويعييره ، وفي ذلك قال : (٢)

حلولي لطالت واشمخرت مراكبه	" يعيرني بالحبس من لويحله
ومعتقل عان وقد عز جانبـــــــــــــــــه	ورب طليق اطلق الذل رقه
يدا كيدى لاقته ايد تجاز به	ومن مدّ نحو النجم كيما يناله
من المجد من ساع تدب عقاره	ولا بد للساعي الى نيل غايه
نظيرى فيها كل قرم اناس به	واني وان اودت بمالي نكبه
ويعلق ان انحى على الكيس سالبه	فما كنت كالمقطار يثرى بكيسه
حوتها له انيا به ومخال به	ولكن كليث الغاب ان رام ثروه
مباحا له من كل طعام اطاي به	بييت خميصا طا ويا ثم يفتدى
بها يدرك الربح الذى هو طالبه	كذلك مثلي نفسه رأس مالـــــــــه
غنى قلما يشكو الخصاصه صاحبه	ولي بين اقلامي ولبى ومنطقي

يمكن تقسيم الفترة التي قضاها ابواسحاق الصابي في السجن الى قسمين :

(١) معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

الاول يبدأ من تاريخ القبض عليه سنة ٣٦٧ وينتهي سنة ٣٦٩ ، حين اطلق ولداه وامر
بكتابة تاريخ للدولة البويهية ، والقسم الثاني ، يمتد من سنة ٣٦٩ وحتى اطلاقه سنة ٣٧١
وقد اعتمد في ذلك رواية تقول : انه لما اراد عضد الدولة من وزيره ابي القاسم المطهر
ان ينحدر لقتال الحسن بن عمران بن شاهين (١) ، طلب الوزير منه اطلاق ابي اسحاق
واستخلافه بحضرته ، فقال له : " اما العفونه فقد شفعتك فيه وعفونا له عن ذنب لم نعف
عما دونه لاهلنا (يعني الديلم) ، ولا لاولاد نبينا صلى الله عليه (يعني ابا الحسن محمد
ابن عمر و ابا احمد الموسوي) (٢) . ولكنا وهبنا اساءته لخدمته وعلينا المحافظة فيه على
الحفيظة منه ، واما استخلافك له بحضرتنا فكيف يجوز ان نقله من السخط عليه والنكبة لسه
الى النظر في الوزارة ؟ ولنا في امره تدبير وبالعاجل فاحمل اليه من عندك ثيابا ونفقة
واطلق ولديه وتقدم اليه بعمل كتاب في مفاخرنا * (٣) وهكذا جرى فقد حمل المطهر ثيابا ونفقة

(١) عندما توفي عمران بن شاهين صاحب البطيحة سنة ٣٦٩ ، خلفه ابنه الحسن بن عمران .
تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

(٢) قبض عضد الدولة على الشريفين محمد بن عمر العلوي و ابي احمد الحسين الموسوي
سنة ٣٦٩ هـ . ولكن نظن ان محمد بن عمر ليس مقصودا هنا لانه لم يكن قد قبض عليه
قبل انحدار المطهر الى البطيحة بل بعد ذلك لان محمد بن عمران حذر مع المطهر وقبض
عليه بعد موت المطهر . تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ - ٤١٢ .

(٣) الرواية في ذيل التجارب ، ص ٢٢ - ٢٣ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤١ - ٤٢ والنص
الحرفي عن الذيل .

وأطلق سراح ولديه بولغفه بوجوب تأليف كتاب في الدولة الديلمية ، ومضى المطهر الى

البيطحة (١) يوم السبت للنصف من صفر سنة ٣٦٩ . (٢)

ويبدو ان اطلاق ولدى الصابي لم يتم دفعة واحدة ، فقد امر عضد الدولة ابا القاسم
المطهر وزيره بالافراج عن ابن ابي اسحاق صاحب الشامة . اى المحسن لقديم خدمة له ففعل
ما اثار تذمر اخيه سنان ، وشكواه ، ودمدمته على والده الذى قال له : أى امر لنا
يا بني في نفوسنا ؟ ام اى ذنب لي فيما لطف به لآخيك وحرمته ؟ (٣) وارتأى ابو اسحاق
حينذاك التناوب في السجن بين الاثنين وعرض الامر على المحسن فامتنع واصر عليه حتى استحميا
واجاب ، (٤) فكتب ابو اسحاق الى المطهر قائلاً :

وعزّ حسهما عن منظر النور

* ابناى عيناى كف الحيس لحظهما

عين فصرت عن الابنين كالعمور

اطلقت لي منهما عينا وقد بقيت

ستوفرا منهما من اجر مأجور

فسوّ بينهما في فك اسرهما

ابوهما وهما من كل محذور * (٥)

يفسدك بالانفس التي مننت بها

(١) ذيل التجارب ، ص ٢٢ - ٢٣ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص (٤١ - ٤٢) .

(٢) تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ .

(٣) معجم الادباء ، ج ١٧ ، ص ٨٢ - ٨٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

(٥) المصدر نفسه .

" فقال المظهر : أأمر الى الملك ، والذي رسم لي اطلاق ولدك صاحب الشامة . ولو كنت
مستطيعا للجمع بينهما لفعلت ، بل لم اقنع حتى تكون انت المطلق ، فعاوده وشكره وقال :
اذا كان قد اخذ في تخلية واحد فيجوز ان يتناوبا في الخروج وفسح المظهر في ذلك ، (١) وبرى
عن ابي علي المحسن ان الخدمة التي رعاها له عضدالدولة وتسببت في اطلاقه هي انه ساعد رسول
عضد الدولة الذي سلمه والده ابو اسحاق الى ابن بقية بعد ان شرط عليه ان يسلمه رسل عضد
الدولة وليفتمنا من الرواية ما جاء فيها من ان المحسن جهد بوالده الا يفعل " فخاف واشفق
ولم يقبل " وحمله الى ابن بقية " الذي ضربه واعتقله " . (٢) ويظن المحسن ان الرسول اخبر عضد
الدولة بهذه الحادثة فحفظها له . (٣)

ورأينا اثبات هذه الحادثة لاهميتها في ناحيتين : اولا ، مثلما يمكن ان يكون قد بلغ
عضد الدولة معاونة المحسن للرسول ، يمكن ايضا ان يكون قد بلغه تسليم ابي اسحاق له وربما هذه
ليست الحادثة الوحيدة من هذا النوع وهذا ما يمكن ان يضاف الى بواعث القبض على الصابي لدى
عضد الدولة والتي ربما كانت مترسبة في اعماقه قبل استشارته بالرسائل . ثانيا : توضح الحادثة

(١) معجم الارباب ، ج ١٧ ، ص ٨٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٣ - ٨٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٥ .

صفة مهمة لدى ابي اسحاق وهي ايثاره السلامة والبعد عن المخاطرة لذا * خاف ، واشفق

ولم يقبل " بعدم تسليم الرسول كما جاء في الرواية . (١)

خلاصة ما ذكر هنا انه قبل اطلاق ولدى الصابي سنة ٣٦٩ ، مرت فترة تناوب الاثنان

فيها الخروج من السجن .

تتميز الفترة التي قضاها ابو اسحاق في السجن بالخصوبة الادبية ان انه انصرف الى

معالجة ما يمس شخصيا من امور فهو رسميا غير معني الا بانجاز كتاب في التاريخ ، لهذا

نجده يصرف اهتمامه الى نفسه ومعاناته .

في السجن بعيدا عن اهله واصدقائه يحاول الاعتذار الى عضد الدولة واسترطائه ،

وينتظر المساعدة والعمون من رؤسائه . وهكذا يعيش حالة معاناة حقيقية حيث تتعاضد

عليه امور كثيرة كالسجن والفربة والفقير .

الموضوع الرئيسي الذي كتب فيه الصابي هو عضد الدولة . عضد الدولة ومدوح ابي

اسحاق سابقا اصبح اليوم شيئا آخر في ذاكرته ، مع استمرار كونه مدحيا . كان امل الصابي وملجأه

واليوم اصبح سبب شقائه وبؤسه مع استمرار كونه الامل والملجأ . لقد خاب امل الصابي به

في حين يعلم انه لا امل له في غيره . هكذا كان عضد الدولة محور نتاج ادبي كبير ، فيقف

الصابي احيانا بذل امام هذا الرجل القوي القاسي ، وتختلط في نفسه مشاعر كثيرة حوله

ثم حول الحياة بشكل عام بما فيها من معان وقيم ، فيميل الى الشكوى بعد ان مل ما

(١) معجم الادباء ، ج ١٧ ، ص ٨٤ .

تهيئه له الحياة من نكبات متوالية ، فتوأمي له الدهر وكأنه مفيظ من صبره يحاول الأنة قناته

لكنه يشبت له منتظرا الفرج ، يقول : (١)

فليس تغبني منه الخطوب	" كأن الدهر من صبري مفيظ
ويأبى ذلك العود الصليب	يحاول ان تلين له قناتي
واشربها كأنني مستطيب	تلوح نواجذى والكأس شربي
وتحت الجهر لي سر كئيب	ففوق السرلي جهر ضحوك
بركنيه كما ثبت النجيب	سأثبت ان (٢) يصادفني زماني
ففي اثناء الفرج القريب " (٣)	وارقب ماتجي * به الليالي

ويعترى الصابي شعور بالغبن ، ويرى ان الدهر لم يعطه ما يستحق ، وليس ذلك لقصور منه او لنقص

فيه وانما انقلاب في المقاييس ، يقول : (٤)

واحببت ان تدرى الذى هواخذق	" اذا جمعت بين امرأين صناعة
(٦)	(٥)
به لهما الارزاق حين تفسرق	فلا تغفد منهما غير ما جرت

(١) اليتيمة، ج ٢ ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ، والابيات الاربعة الاخيرة في معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

(٢) في معاهد التنصيص : " ان " .

(٣) في المصدر نفسه : " فرج قريب " .

(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ ، ومعجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٨٥ - ٨٦ ، وبهجة المجالس ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٥) في بهجة المجالس : " تتأمل " .

(٦) في المصدر نفسه : " به جرت " .

(١) فحيث يكون النقص فالرزق واسع
(٢) وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق "

كان الصابي قد جعل عضد الدولة قبلته يرسل اليه الشعر والرسائل، مذكرا
اياه بحاله . وصارهمه الآن ان ينجو من النكبة وان يكون مايعيشه محنة عابرة لا تلبث
ان تزول ليعود بعدها الى سابق حياته ، فله من كتاب : " انا اعتصم بالله الذي يسلم من
استرجع اليه تأثبا ، ولا يخمدل من استنصر به منيبا وبمولانا الملك المنصور عضد الدولة وتناج
العله ، اطال الله بقاءه ، الذي لا تبور عنده حرمة ولا يحقن في فناءه ذمة . ولا تكون بلية مثلي
من الخدم المخلصين ، والعبيد المطيعين ، في ايامه المشرقة الا اصلاحا لا اطراحا ،
وتهديبا لا اجتياحا ، ومجازا الى نعم سابغة يوليها ، وعوارف صا دقة يسديها " . (٣)

وكان يحاول استعمال اساليب مختلفة في ترقيق عضد الدولة ، فأهدى اليه يوما
درهمين خسروانين وكتاب السانك والمالك في دفتري (٤) . وكتب اليه :

" اهدى اليك بحسبها
لي في الخاصة درهمين
وبحسب قدرك دفتري
ن هما جميع الخافقين
فانما فتحتهما رأيت
ت بيان ذاك بلحظ عين " (٥)

-
- (١) في بهجة المجالس : " النوك " .
 - (٢) في المصدر نفسه : " الحدق " .
 - (٣) لقاح الخواطر ، الورقة ٩١ ب .
 - (٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .
 - (٥) المصدر نفسه .

وله اليه ايضا :

" تعذر د ينارى علي ودرهي فلاطفت مولانا ببيتين من شعري

وكم بيت شعر زاد بالشكر قدره على بيت مال من لجين ومن تبر" (١)

يلفت انتباهنا في الابيات المذكورة ذكره للخصاصة ورقة الحال ، في حين يضع في الجهة المقابلة العلم والادب ويفضلهما على العال وكأنه يشير الى ان لديه ما هو افضل من المال الذي يحاولون استخراج منه فلم لا يستفيدون مما لديه من ثروة علمية وادبية ؟

ثم نرى الصابي بعد ثلاث سنوات من سجنه يستعطف عضد الدولة بقصيدة وجدانية واصفا له حالة اهله في غيابه وما يعانون نتيجة فقده ، ويقال انه ما رقق عضد الدولة شي * كهذه القصيدة (٢) .

يبدأ الصابي قصيدته باجرام مقارنة بين عضد الدولة وابنائهم واصفا اجتماع شملهم والنعمى بهم ، وبينه هو وابنائهم ، المتفرغين عنه على حال من الاسى والحزن ، ثم يطلب من عضد الدولة الرثاء لحاله والتصدق عليه بمثل ما اعطي من نعمة . ويلاحظ في هذا المقطع ذكره لابنة له وزوجة :

" اجل في البنين الزهر طرفك انهم حووا كل مرأى للاحبة موهنق

وتمت لك النعمى بقرب كبيرهم فاهلا به من طارق خير مطرق

(١) اليثيمة ، ج ٢ ، ص ٢٨١ .

(٢) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٤ .

بمولى موال منك كالبدر مشرق
فارت لذى الشمل ا لشتيت المفرق
فمن مثل ما خولت فيهم تصدق
الى حلة ممن اعول ود ورق
على كمد بين الحجابين مقلق
ويصدع قلب النازع المتشوق
وبائنة من بعلمها لم تطلق
شوارد عنه كالقطا المتزق * (١)

موال لنا مثل النجوم مطيفة
وقد ضمهم شمل لك موف
وان كنت يوما عنهم متصدقا
فلي مقلة تقذى اذا ما مددتها
اناث وذكرا ن ابيت من اجلهم
رسائلهم تأتي بما يلدغ الحشا
فباكية ترثي اباها ولم يمت
وزغب من الاطفال ابنا منزل

في ذكر الاطفال هنا ربما اشارة الى احفاده . بعد هذا الوصف ينتقل الصابي الى ذكر
العلاقة بينه وبين عضد الدولة فيمدحه ويعتذر اليه من ذنبه ويذكره بسابق خدمته : (٢)

ولم ارع ما اوليتني من ترفق
ودائعه مودعة عند احق
وقيدك في ساقى تاج لفرقي
تعرقت البقيا اشد تعرق

" شهدت لكن انكرت انك صنعتني
لقد ضيع المعروف عندي واصبحت
وحبسك لي جاء عريض ورفعة
خلا ان اعواما كملن ثلاثة

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٦ - ٤٧ .

- (١) وقد ظمعت عيني التي انت نورها
الى نظرة من وجهك المتألق
- (٢) فيا فرحتي ان القه قبل ميتتي
ويا حسرتي ان مت من قبل نلتقي
فهب لي يوما واحدا لم اوفسق خدمتك مذ عشرون عاما موقفا
فعندك عفو واسع غير ضيق * فان يك ذنب ضاق عندي عذره

وكتب اليه سنة ٣٧١ قصيدتين احداهما حين توجهه الى زيارة مشهد الامام علي في الكوفة ،

والثانية عندما اوشكت جيوشه على احتلال جرجان (٣) ، فمن بعض ما يقوله فسي

الاولى : (٤) .

- * توجهت نحو المشهد العلم الفرد على اليمين والتوفيق والطائر السعد
تزور امير المؤمنين فيساله ويالك من مجد منيخ على مجد
امولاي مولاك الذي انت ربه اليك على جور النوائب نستعدى
وهذي يدي مدت اليك بقصة اعيدك فيها من اباء ومن رد
فلا تبعدني عنك من اجل عثرة فان جياذ الخيل تعثران تخدى
ولو كنت تنفي كل من جاء مخطئا اذا لعمت الناس بالنفي والطرده

(١) هذا البيت والذي يتلوه ذكرا في الوافي والوفيات ج ٦ ، ص ١٦١ .

(٢) في الوافي بالوفيات : " فيا فرحتا ان القه قبل ميتتي ويا حسرتا ان مت من قبل نلتقي " .

(٣) تم احتلال جرجان سنة ٣٧١ هـ بواسطة موهيد الدولة المزود بجيش قوى من عضد الدولة .
ذيل التجارب ، ص ١٥ - ١٧ .

(٤) القصيدة كاملة في اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٧ .

توالت سنني اربع ومدامعي
لها اربع كالسلك سلّ من العقد
فيا ايها المولى الذي اشتاق في عبده
اليه اما تشتاق يوما الى العبيد ؟
فان كان لم يبلغ الى رتبة الرضا
فبلغه فيما قبله رتبة الوعد
وامر امرك العالي بتغيير حاله
وتخفيف ما يلقي من البؤس والجهد
فقد يجبر العظم الكسير وربما
تزايد بعد الجبر شدة مشتد *

ومن الثانية قوله مهنته بعيد المهرجان : (١)

" تصبح بعز واعتلاء جدود
وابشر بخير واطراه سعود
وقل مرحبا بالمهرجان وحيه
بطلعة بسام اغر مجيسد

الى ان يقول :

" وقد نزلت منه اليك هدية
وجرجان ما محصولها بيعيد
وما بيننا الا المسافة فانتظر
ورود بشير فوق ظهر بريد
ولما رأيت الله يهدي وخلقه
تجاسرت واستفرغت جهد جهيد

(١) القصيدة كاملة في اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٨٥ - ٢٨١ والابيات الاربعة الاخيرة في معجم
الادباء ، ج ٢ ، ص ٨٣ . والمهرجان هو في السادس والعشرين من تشرين الاول من
شهور السريان (كذا في صبح الاعشى وربما المقصود الشهور الميلادية) مدته ستة ايام ،
ويسمى اليوم السادس منه المهرجان الاكبر ، ويقال انه ذكرى لليوم الذي عقد فيه التاج على
رأس اول ملوك الفرير الساسانية وللفرس تقاليد وعادات في هذا اليوم تتعلق بالملابس
والطقوس الدينية . صبح الاعشى ، ج ٢ ، ص ٤١٠ - ٤١٢ ويصف منزله هذا العيد في الحضارة
الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

فكان احتفالي في الهدية درهما يطير من الانفاس يوم ركوب
وجزءاً لطيفاً ذرعه ذرع محبسي وتقبيده بالشكل مثل قيودى
الاطف مولانا وكالما طبعه تسلسل من عذب النطاف برون

ونجد الكثير مما كتبه الصابي في عضد الدولة نثراً ، والأرجح ان ذلك بعد اسره نظراً لتركيزه على فكرة العقوبة والعفو ، وجرائم الاولياء وتوبة المذنب ، وقد جاءت هذه النبذات على شكلين الشكل الاول وصف مباشر لعهد الدولة وسلوكه ، اخلاقه ، مجالسه ، حكوماته ، عطايه . . . وهو في كل ذلك يمدحه ويظهر محاسنه . ونورد من ذلك الامثلة التالية :

" . . . هو لطيف الحس ، صدوق الحدس ، ذكي الالفاظ ، مسدد الالفاظ

عفيف الجوارح ، نظيف (الجوانح) (١) ، قابض يده عن مفارقة الامام ، مقيد لسانه عن هجر الكلام ، ناظر الى العواقب من بعد ، متناول للغايات عن قرب ، غليظ على اهل العنساد ، متعطف لاهل الوداد ، حلیم اذا غضب (رصين) (٢) اذا طرب ، متعاص على التعنيف منقاد مع التلطف ، له من مروته عين على خلوته ، ومن دينه رقيب على نفسه " (٣)

ومنها : " . . . بعقله المسلط المطلق ، وغضبه الاسير الموثق وربما نازعته النفس الى وطر

-
- (١) بياض في الاصل ، وقد وضعت الكلمة المناسبة للمعنى .
 - (٢) بياض في الاصل ، وقد استعملت كلمة مناسبة للمعنى .
 - (٣) من قطعة من كلامه في وصف عضد الدولة في لقاح الخواطر ، الورقة ٩٨ أ .

يقضيه ، او غيظ يشفيه ، فيمتنع عليها حتى يكرر عليهما فكره ، ويشاور فيهما غيره . طلبا
لاغراض الصواب ، وتطبيقا لمفاضل السداد ، ونهايا الى الامر الاحزم ، والحديث الاجمل " (١) .
ومنها " واما (٢) ونقماته مختلفة باختلاف المجرمين والجرائم ، فاذا كانت في الاولياء
والاداني ، فيقابلها العقاب والتوقيف . فان اغت ، والافالاغلاظ في التعنيف ، فان كفيها ،
والافالاعذار والانداز ، فان كفيها ، والافالابعاد الى حد الاصلاح لا الى حد الاطراح ، فليس
يفضي الى الغايات الا مترقيا في درجات ، هوفي جميعها مائل مع العفو وكاظم على جرة
الغيظ " (٣) .

وفي وصفه ايضا : " واما عطاياه فعلى المراتب في الاقدار ، وبحسب الاعمال والآثار ،
فليس فيها محاباة مقصر ولا بخش لمجتهد ، ولا يرى على بساطه ولا في اطرافه مبرز محروم ولا عاجز
محطوط ، فالميزان عادل والجزاف زائل ، والواصل الى (حضرته) (٤) شاكر ، والمبمد
عنها عاذر ، وقد علم من وصل اليها انه متى فارق ما اوجبها فارقها " . (٥)

-
- (١) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٨ ب .
 - (٢) بياض في الاصل بمقدار كلمة .
 - (٣) من قطعة له في لقاح الخواطر ، الورقة ٩٨ ب .
 - (٤) بياض بمقدار كلمة ، وضعت الكلمة المناسبة .
 - (٥) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٨ ب .

وهكذا يصف ابواسحاق عضد الدولة من نواح كثيرة حتى اننا نجد له وصفاً
لكيفية تناوله الطعام ومحاولته ترويض نفسه والسيطرة على شهوته (١) ، ولا يستبعد ان تكون
هذه النماذج التي حفظتها لنا بعض المصاحف متفرقة ، قد انتزعت من كتاب "التاجي"
تاريخ الدولة البويهية الذي امره عضد الدولة بكتابته في السجن ، وذلك لبعدها عن لهجة
الخطاب فلا يمكن ان تكون رسالة موجهة ، ثم نجد دليلاً آخر فيما قاله الثعالبي في اليتيمة
تحت ترجمة عضد الدولة : " ثم من اراد ان ينظر في اخبار عضد الدولة ويوقف على محاسن
آثاره ، فليأمل الكتاب التاجي من تأليف ابى اسحاق الصابي ، لتجتمع له مع الاحاطة
بها بلاغة من قد تسهل له حزونها ، ولا ينبت متونها ، واطاعته عيونها " . (٢) وسنعود لذكر
التاجي في موضعه .

اما الشكل الثاني فهو ما يرجح انه قيل في عضد الدولة دون اشارة مباشرة اليه ،
وذلك بوصفه للملك وما يجب ان يكون عليه ، وسنعرض مقتطفات من ذلك :

" الملك بمن غلط من اتباعه فاعتظ ، اشد انتفاعا منه بمن لم يغلط ولم يتعظ ،

لان الاول كالقارح الذي ادبته العشرة واصلحته الندامة والثاني كالجذع الذي هو راكب
الغرة وراكن الى السلامة ، والعرب تزعم ان العظم اذا جبر من كسر ، عاد صاحبـــــــــــــــــه

(١) من كلامه في ذكر مطلق عضد الدولة ، لقاخ الخواطر ، الورقة ٩٨ ب .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

اشد بطشا واغوى ايدا". (١)

ومن ذلك : " الملك القادر اولى بالتأني في حكوماته ، والتثبت في عزماته لانه ان اخذها على شبهة وامضاها على غير بينة لم يكن له دافع عنها ، ولم يخل ايضا من مساعده عليها". (٢)

ومن ذلك : " الملك المنعم اذا افاض المكارم واغفر الجرائم ، ارتبط بذلك خلوص نية من قرب منه وهم الاقل ، وانفساح الامل من بعد عنه وهم الاكثر ، فيستخلص حينئذ ضمائر الكل من حيث لم يصل معروفة الا الى البعض". (٣)
ومنه : " الملك اذا وعد وفى ، واذا اوعد غا". (٤)

وغير ذلك كثير ، مقاطع ادبية تبد وكلاما عاما في سياسة الدولة واخلاق الملوك ، انما المرجح ان الصابي كتبها لملك معين هو عضدالدولة ، يعزز هذا الرأي عدة امور منها انه يتحدث حول " ملك " وهذا غريب عن المفهوم الاسلامي الشرعي لنظام الحكم والذي

(١) النص بحرفيته عن لقاح الخواطر ، الورقة ٨٩ أ . ونجده مع اختلاف قليل في اللفاظ

في زهر الاداب ، ج ٣ ، ص ٨ وابن حمدون ، التذكرة الحمدونية (تحقيق احسان عباس ،

بيروت ، معهد الانماء العربي ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣) ج ١ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٢) التذكرة الحمدونية ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

تجلى بوضوح في رسائل الصابي الديوانية التي سنراها فيما بعد . والمعلوم ان عضد الدولة هو اول من تلقب بالملك في الاسلام ، وسمي شاهنشاه او ملك الملوك . فاعتماده في ذكر الامور اللازمة للملك لا يرتبط بالمفهوم الاسلامي الشرعي ولا يعتمد آيات قرآنية انما هو كلام حكيم يعتمد العقل . وقد ذكر ابن حمدون عند ايراد هذه الفقرات ان الصابي جمعها من كلام الحكماء . (١)

يلاحظ ايضا التركيز على مسألة العقوبة واغتفار الجرائم وتوبة المذنب . والتي يمكن تلخيصها انه باغتفار الملك ذنب من اذنب وتاب او قدم عذرا لذنبه ، ينتفع الملك بسببه ، فالولى للملك التأني في حكمه . ونعلم ان التركيز على فكرة العقوبة والعفو يمس الصابيسي شخصا فهو يريد من ملكه اقالة عشرته والاستفادة منه من جديد .

يمكن القول اذا ما ان هذه الافكار خامرت ذهن الصابي واختمرت فيه ، ثم وجدت طريقها الى الظهور مع وجود ملك على العرش ، عانى الصابي من قسوته ما عانى . انما لانعرف في اى مجال تسنى للصابي اظهار افكاره هذه على شكل قواعد للحكم والسياسة .

على ان الصابي لم يكن يوفق دائما في ما يفضيه وكان احيانا يصل الى نقين ما يأمن ، فيروى انه حين كان يكتب التاجي ، دخل عليه صديق فراه منشغلا بالكتابة والتعليق ، فسأله عما يعمل ، فقال : " اباطيل انعمها واكاذيب الفقهاء " ، (٢) فما كان من هذا الرجل الا ان

(١) التذكرة الحمدونية ، ج ١ ص ٢٩٠ و ٢٩٧ .

(٢) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٢ وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٢ والمختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٢٩ واعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٥٢٤ والوفائي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ١٥٩ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .

انهى ذلك الى عضد الدولة " (١) . فزادت من غضب العضد وسخطه ، فأمر بان يلقي ابواسحاق تحت ارجل الفيلة (٢) . عندئذ اكب نصر بن هارون وعبد العزيز بن يوسف (٣) على الارض يقبلانها شافعين في امره حتى عاد عن عزمه على قتله وامر باستصفاه امواله وابقائه في السجن . (٤)

طبيعي ان نسأل عند الاطلاع على هذه الرواية : كيف يمكن للصابي ان ينطق بمثل هذه الكلمات بحضور من لا يأمنه وهو الرجل الحكيم الحذر ، الذي ذاق من المويلات ما ينبغي ان يقوى

(١) معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٢) المصدر نفسه واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٣) نصر بن هارون وزير لعضد الدولة ثم شورك في الوزارة بينه وبين المطهر بن عبد الله حتى اذا توفي المطهر سنة ٣٦٩ انفرد بالوزارة وهو نصراني . اخباره في صفحات متفرقة من تجارب الامم . اما عبد العزيز بن يوسف فكان كاتب عضد الدولة وصاحب ديوانه المعترف في عداد وزراءه . بعد وفاة عضد الدولة سنة ٣٧٢ وزير لابنائه على دفعات اخباره في صفحات متفرقة من ذيل التجارب وترجم له الثعالبي في اليتيمة (ج ٢ ، ص ٣١٢) مثنيا على ادبه .

(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ و معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٢٢ . وفي اليتيمة ان المطهر بن عبد الله استشفع له مع نصر بن هارون وعبد العزيز بن يوسف وهذا احتمال بعيد نظرا لان الصابي كما ذكرنا ، بدأ بعمل الكتاب بعد مضي المطهر الى البطيحة في الدفعة التي مات فيها . وفي اعلام النبلاء (ج ١٦ ، ص ٥٢٤) لا يوجد ذكر للشفاة ، بل يقول انه بعد ان بلغه هذا الكلام عن الصابي " طرده ومات " .

نزعتة الى الحذر والتستر ، بالاضافة الى ما يعلمه من وجود حساد حوله يكيدون له . وقد لاحظنا توخيهِ السلامة والبعد عما يشير الشبهة في رواية تسليمه رسول عضد الدولة الى ابن بقية ، والتعامل مع الكبراء . فن اتقنه ابواسحاق ولو ان حظه السيء احيانا كان يخلب على تدبيره . هذه الملاحظات حول الرواية التي نسبت الى الصابي قوله " ابا طيل انمقها واكاذيب الفقها " ، تدفعنا الى الشك بانها من اقوال الصابي ، وانما وضعت عليه لابقاعه بما لاتحمد عقباه وقد تكون من وضع بعض حساده . اما اذا كانت صحيحة النسبة فنجد امامنا احتمالين اما ان الصابي يثق بالرجل كليا وليس لديه ادنى شك به ، واما انه شعر بالاشمئزاز تجاهه ما يفعله ، خاصة انه كان كلما انهى جزءا من الكتاب حمل الى عضد الدولة فيقرأه " ويزيد فيه ويتنص منه " (١) ما اثار العابي ، ودفعه الى قول ماروى عنه .

زاد هذا الحادث في احراج الصابي وصعوبة موقفه الذى كان يفتنى عن المزيد من الصعوبة والتعقيد . فمجل ايام الصابي في السجن كانت صعبة وقاسية ، وقد حاول كما رأينا الخلاص مما هو فيه او الهروب فكانت وسيلته الى ذلك تتخذ اتجاهات عدة اهمها : التوجه الى عضد الدولة بالاعتذار والاستعطاف ، وقد رأينا امثلة وافية حول ذلك ، ثم اللبس المساعدة من الاخوان والاصحاب ، وهذان الاتجاهان يمثلان الناحية الايجابية ، ناحية الامل . اما اليأس فكان يتخذ اتجاه الاستياء من الواقع القاسي وتمنى الموت ،

(١) ذيل التجارب ، ص ٢٣ ومجمع الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

والثورة على بعض القيم والعلاقات الاجتماعية والانسانية .

انا بالاضافة الى محاولاته استرضاء عضد الدولة اتجه ابواسحاق شطرس
اصدقائه يتفقد هم ، خاصة من يمكنه مساعدته منهم ، ان لم يكن بشفاقة لدى الملوك
فبالحال الذي يسد به المغارم المفروضة عليه ، فكتب الى عبد العزيز بن يوسف قصيدة
يمدحه فيها ثم يذكره بنفسه وبالآمه وامله بان تكون محنته تهذيبا له وصقلا ليعود
اكثر اخلاصا في عمله ، ولا تختلف هذه القصيدة عن قصائده لعضد الدولة باغراضها ،
والفرق انه يتبسط في مخاطبة عبد العزيز فيتحول الاستعطاف الى معاتبة ومطالبة ،
مع عدم اغفال موقع عبد العزيز في بلاط عضد الدولة . من هذه القصيدة : (١)

اضاف الى عبد العزيز وانسب

" كفاني علاء حين افخر انني

كفالتة كالا بن وهوله اب

حنته علي الحانيات فصرت في

وعفوا لذي جرم ففشيوا واخصبوا

عمتم جميع الناس حسنا لمحسن

ولي عراقي غدا وهو مجسذب

فما بال ابراهيم ان ليس قبله

وسكيتهم في رتبة حين رتبوا

مجليهم في حلبة حين ارسلوا

جفونك عني حين ابكي وانذب

ومالك يا عيني البصيرة غمضت

غلامك عنها بالمرء يعذب "

وكيف استطببت العيش في ظل نعمة

الى ان يقول :

(١) القصيدة كاملة في اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

• ازا منصل بالفتح في مقاله
وياسوه حالي لو جريت لديكم
فصبرا على بوسى قليل بقاوها
لكن غمني التائب فيكم وسائني
وعلمي باستحكام حقي لديكم
وانك للحر الذي لي عنده
فما هو الا المشرفي المجرب
بمجرى الذي لا يصطفى فيهدب
لنعمى لنا فيها مراد ومرحب
لقد سرنى ان كنت من يوينب
يحقق ظني ان جرمي سيوهب
ود يعة ود خبرها مترقب •

ولاندرى ماذا لقي الصابي من استتجاده بعبد العزيز بن يوسف واستعطافه
فالصادر لا تذكر شيئا من ذلك كما ان في موقف عبد العزيز بن يوسف من الصابي بعض الغموض
ففي حين يذكر ياقوت انه عندما امر عضد الدولة بان يلقي الصابي تحت ارجل الغيلة اكب عبد
العزيز بن يوسف ونصر بن هارون يقبلان الارض شفاعة له حتى امر بتركه حيا (١) . ينقل ياقوت
ايضا عن الهلال بن المحسن ما اخبر به الوزير ابو الريان حامد بن محمد (٢) جده ابا اسحاق
بعد الاعتقال من انه لما انفذ الصابي قصيدته اللامية لتتهنئة عضد الدولة عند عودته من الزيارة
اختر ابو الريان عرضها على عضد الدولة في وقت لم يكن فيه عبد العزيز بن يوسف حاضرا وبحضور

(١) معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٢) حامد بن محمد الاصبهاني ، استخلف على الوزارة وتدبير الاعمال وجمع الاموال بعد مضي
ابي القاسم المطهر بن عبد الله الى البطيحة سنة ٣٦٩ هـ . (تجارب الامم ، ج ٢ ،
ص ٤١٠) .

عبد الله بن سعدان (١) الذي كان ابوالريان يأمنه على ابي اسحاق لان اعتقاده بابي اسحاق يوافق اعتقاد الوزير كما جاء في الرواية (٢) وقد نقل الشعالي في البيتية (٣) مقتطفات من اجوبة رسائل كتبها عبد العزيز بن يوسف الى الصابي يصف في معظمها بلاغته ويقول في احدها ردا على رسالة وقصيدة وصلت من ابي اسحاق بيد وانها في الشكوى :
" ووجدت خطابه مفتتحة بشكوى الايام في انحرافها ومكاره احداشها ، فاستوحشت منها لاستيحاشه ، واستهديت عليها لاستعدائه وشايعت المهجنين لآثارها ، والزارين على احكامها لانحرافها دون آماله ، وقدحها في احواله ، ولم يستبق الجمال لنفسه والفضل لاهله دهر اناخ على مولاي بصرفه واختزله دون واجب حقه ، . . . " (٤) ثم يجيب عن القصيدة شعرا ما دحا ابا اسحاق يحفظ اليهود والتفرد بالمكرمات والادب ، وينهي قصيدته بالقول :

" ضللا لدهر انت من حسناته ولم تكن في نيل احسانه الفردا

لما انه الدهر العثور وانه لسيلان من اجدى عليه ومن اكدى

يعيل على ذى الفضل للجهل ضلة يجرعه سما ويبدى له شهيدا

(١) وزر لصمصام الدولة سنة ٣٧٣ ثارت عليه العامة لما حصل في عهده من غلاء وهجموا على داره فقتل سنة ٣٧٥ بمكيدة دبرها عليه عبد العزيز بن يوسف الذي تولى الوزارة بعده . اخباره في صفحات متفرقة من ذيل التجارب وقد سجل التوحيدى جلساته مع هذا الوزير في كتاب الامتناع والمؤانسة .

(٢) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) البيتية ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ - ٣٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢١ .

على انه سلم لمن حل بالحمى حمى الملك المدعو لك دولة العضد^(١) (١)

ومن المرجح ان تكون رسالة الصابي قد كتبت من السجن لان الصابي ، كما يبدو ، يشكو من المكاره التي حلت به وذلك في عهد عضد الدولة - كما تبين الابيات - الذي كان بمجمله شوها على الصابي وقد امضى معظمه في السجن . ويلاحظ من الابيات ان ابن يوسف يدعو الصابي الى الدخول في حمى ضد الدولة حيث يجد السلام ، وكأنه يدعو الى التوسعة اليه والافاء . الى كفه . على انه ليس من صفات عبدالعزيز بن يوسف المساعدة والاخلاص في الود والنصيحة ، فقد شهر بانه رجل مؤامرات ومكائد . (٢) وان كنا لانفهم الدور الذي لعبه تجاه ابي اسحاق الا ان التجاه اليه ، كما يبدو ، لم يأت باية نتيجة .

لكن صرخات ابي اسحاق الى اصدقائه لم تذهب كلها ادراج الرياح ، فقد كان احيانا يجد من يهتم به ويراعي اموره . من اهم هؤلاء الوزير المطهر الذي احسن اليه منذ بدء اعتقاله بان اعتقله في منزله ووعد به بالعون ثم سمح بالمناوبة بين ولد يسه في الخروج ،

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

(٢) انظر في ذيل التجارب (ص ٩٧ و ١٠٢ و ١٠٤ و ١٠٧) ما فعله عبد العزيز بن يوسف

في افساد حال ابن سعدان لدى صمصام الدولة حتى تم القبض عليه ثم قتله سنة ٣٧٥

والمؤامرة التي اضطلع فيها لاجراج الحكم من يد صمصام الدولة . وفي الامتاع (ج ٣ ، ص ١٤٨

١٥٠) حديث حول عبد العزيز بن يوسف يبين سوء اخلاقه وصفارته .

واستمر في الاهتمام به حتى نجده قد استشفع له في اطلاقه ، ومن الطبيعي ان يقدر

ابو اسحاق مساعدة هذا الوزير في وقت عز فيه الصديق والمعين .

وحدث مرة ان تفقد المطهر حال ابي اسحاق فرأى خلافا في مطعمه ومشربه

استاء منه فضرب الطباخ ومنع المستخرج من مطالبته ببقية من مال كانت عليه (١) . وكانت

نوبة المحسن آنذاك خارج السجن فكتب ابو اسحاق اليه رسالة (٢) يخبره فيها عن

النعمة الجديدة التي حلت به وبابنه سنان المسجون معه ، ويشرح حالتها الجيدة .

بعد ان اصبحا ينالان ووفرة من الطعام الجيد ، وبعد ان تخلصا من مطالبة المستخرج السيئة .

وفي الرسالة وفي جواب المحسن عليها وصف للمستخرج بما يدل على لومه وقسوته وقد كانت

لهذه الجائحة دلالة كبيرة لدى الصابي على العناية به من قبل الوزير ، ومن قبل السلطان ،

بما يصل الى حد الانقلاب من اهماله الى المحافظة عليه وصونه ، ولا بأس من ذكر ما جاء في جواب

المحسن على كتاب والده من وصف للمستخرج (٣) .

... " والانقياد من ملكة المستخرج ، القصر النسب ، الدقيق الحساب ، الذي

لا يراقب ولا يخاف العواقب ، ولا تدركه هزة ، ولا تعطفه اريحية ، والخروج من يده الكسرة

الاصابع ، القليلة المنافع ، اللثيمة الظفر ، الكثيرة الضرر ، التي لا مخلص لمن وقع بين اناملها ،

(١) التذكرة الحمدونية (٧٧٠) ، الورقة ٨١ أ ب .

(٢) الرسالة كاملة في المصدر نفسه ، الورقة ٨١ ب - ٨٢ ب .

(٣) المصدر نفسه ، الورقة ٨٤ أ .

ولا منتزع لمن نشب في مخا ليها ، فالحمد لله الذي كفها عنا بعد الانبساط وقصرها
بعد الاستطالة .

وربما كان الصابي يصف هذا المستخرج عندما كتب الى الحسن من السجن قائلا : (١)

" كتبت اقيقك السوء من محبس ضنك (٢)
وعين عدوى رحمة منه لي تبكي

وقد ملكتني كف قط مسلط (٣)
قليل التقى ضار على الفتك والافك

صليت بنار الهم فازدادت صفوة
كذا الذهب الابريز يصفو على السبك "

وقد كان يسلي ابا اسحاق عن همومه واحزانه رسالة تصله من صديق او محب ، فقد

كتب اليه ابنه المحسن يوما مؤاسيا :

" لاتأس للمال ان غالته غائلة
ففي حياتك عن فقد اللهى عوض

ان انت جوهرنا الاعلى وما جمعت
يداك من طارف او تالد عرش " (٤)

فكتب الصابي مجيبا : (٥)

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٩١ .

(٢) في معجم الادباء : " مجلس " .

(٣) في المصدر نفسه : " فظ " .

(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧ ، و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٧٧ و روضات الجنات ، ج ١ ، ص ١٦٤ ،

في اليتيمة و روضات الجنات : " تالد او طارف " .

(٥) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧١ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٧٧ - ٧٨ و روضات الجنات ،

ج ١ ، ص ١٦٤ .

لها اقيها المنايا حين تمتري
عن نية لم يشب اخلاصها منري
جواهر الارطرا عندها عرض
وان اصبت بنفسي فهولي عوض
ومهجتي فهما مغزاي والفرض

" يادرة انا من دون الردى صدف
قد قلت للدهر قولا كان مصدره
دع المحسن يحيا فهو جوهرة^(٢)
فالنفس لي عوض عما اصبت به
اتركه لي واخاه ثم خذ سلبني

ومن طريق ما حصل للصابي في السجن ما دار بينه وبين ابي الفرج الببغا^(٣) من مكاتبة
شعرية يقال انها انتهت الى عضد الدولة فأعجب بها واستظرفها، وكانست احد
اسباب اطلاق ابي اسحاق من سجنه. (٤)

الراحة التي تسببها زياره احد الاصدقاء الى سجن الصابي او رسالته اليه، تجعله

(١) في معجم الادب وروضات الجنات: "الورى".

(٢) في روضات الجنات: "المحبس".

(٣) ابو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي من اهل نصيبين، خدم سيف الدولة الحمداني، حتى اذا
توفي، تنقل في البلاد. توفي سنة ٣٩٨هـ. ولقب بالببغا، لحسن فصاحته وقيل للشفة في لسانه.
ترجمته في اليتيمة ج ١ ص ٢٣٦ ووفيات الاعيان، ج ٣ ص ١٩٩ واعلام النبلا، ج ١٧ ص ٩١

(تحقيق شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم المرقدوسى) والمكاتبة التي دارت بين الاثنين في اليتيمة،
ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ ووفيات الاعيان، ج ٣ ص ٢٠٠ - ٢٠١ ومهجة المجالس، ج ٢ ص

١٠٩ - ١١١.

(٤) وفيات الاعيان، ج ٣ ص ٢٠١.

يفتقد . هذه المحاولات من اصدقائه ، وما يرتبط بها من خبر يستعلمه ورأى يرشده ، وايناس يخفف عنه الوحشة . فنجد رسالة (١) عتاب وتوبيخ لابن عم له لتقصيره معه في الزيارة تبين حالته ، ونظرتة الى الناس :

* فان كان هذا شيئا يقودك الى سلوة عني ، وجفوة لي ، فما استحقه منك ، ولا اتيت ما يقتضي وجودها . وان كان عن توان تذهب فيه على سجية وخليقة ، فما اخرج محاسنك الى ان تهذبها ، وتزحج هذه القذاة عن جوهرها ، وانا اترك الاغراق في هذا القول ، لجهات منها كراهية النظرة في استعتابك ، اما تراني جعلت فداك ، واملاكي مأخوذة ، وطعمي مأكولة ، ومنافعي محسومة ، ومضاري معتمدة ، والالسن بما اكره منطلقه ، وعمسا احب معتقلة ، وزادى غير مبلغ ، ومسكتي غير لائنة ، واعلام الصواب علي دازسة ، وابوابه دوني مغلقة والمحسن المجل من كان مثلك لا يقول هجرا ، ولا يتعهد قبيحا ، ولا يسعف برأى يرشده ، ولا بسعي يعضد ، ولا يكون منه الا الجواب الواحد ، بعد الايام المتطاولة ، عن الرقاع الكثيرة ، ولا يتعلق عليه ولا منه سفيه من يأس صريح ولا اجتهاد صحيح ، فان كان احنى الناس علي هذا نعته ، واغلظهم ذاك وصفه ، هل اجد بينهما من اتخذه معولا واسميه معقلا ، وهل ههنا الا رفع الطمع من المخلوقين قاطبة وصرف الامل الى من لا تحجب عنه الظلامة ولا يتأخر منه الادالة .*

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٠ ب - ٩١ أ .

اما الاتجاه الثالث الذى سلكه ابو اسحاق فهو اليأس وتمني الموت وفقدان

الثقة بالناس والاصدقاء . وله وصف بليغ للاشرار المنافقين من الناس في رسالة

كتبها الى بعض اصدقائه : (١)

" ولو حملت نفسي على الاستشفاع والسؤال ، لضاق علي فيه المرتكن والمجال ،

لان الناس عندنا - ما خلا الاعيان الشوان الذين انت بحمد الله اولهم - طائفتان :

مجاملة ، ترى انها قد وفقت خيرا اذا كفتك شرها ، واجزلت لك رفاها اذا اجنبتك

كيدها ، ومكشفة ، تنزوا الى القبيح نزو الجناب ، او تدب بيب العقارب ، فان

عوتبوا ، حسروا قناع الشقاق ، وان غولظوا ، تلثموا بلثام النفاق (٢)

والفريقان في ذلك كما قلت منذ ايام :

اما تعثر الدنيا لنا بصدق (٣)

ايا رب ، كل الناس ابناء علة

ذوات اديم في النفاق صفيق

وجوه بها من مضر الغل شاهد

قذى لعيون او شجا لحلوق

اذا اعترضوا عند اللقاء فانهم

اسروا من الشحناء حر حريق

وان اظهروا برد الودود وظلّه

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) ما بين قوسين ورد في لقاح الخواطر الورقة ٨٨ ب .

(٣) هذا البيت والذى يليه في محاضرات الادباء ، ج ٣ ، ص ٢ ، وقد جاء فيها البيت الاول على الشكل التالي : " ايارب ، كل الناس اولاد علة اما تغلظ الدنيا لنا بصدق " .

اخو وحدة قد آنتستي كأنني

بها نازل في معشر ورفيق

فذلك خير للفتى من ثوائه

بمسبحة من صاحب وصد يق

ويصف الصابي وحدته وتنيه الموت قائلا :

" هجرت واتي بعد تصريف حليها

وواصلت كالوراق قارورة الحبر

وعاشرت من دون الاخلاء دفترا

يحدث عما مرّ في سالف الدهر

فطورا يسليني التعلل بالمنى

وطورا يكون الموت مني علي ذكر" (١)

يبدو من الابيات انها كتبت بعد سنة ٣٦٩ وان الدفتر الذي يعنيه هو كتاب التاريخ

الذي كان يؤلفه . وهكذا تراءى الموت للصابي ورآه نهاية لا بد منها ، فشمع بعيشية الحياة

وتساوى الشقاء والسعادة فيها ان كانت النهاية واحدة ، لكن الفرق ان الموت بيد وسهلا اذا

جاء منقذا من نكد العيش :

" اذا لم يكن للمرء بد من الردى

فاسهله ما جاء والعيش انكد

واصعبه ما جاء وهو راتع

تطيف به اللذات والحظ مسعد

فان الك شر (٢) العيشتين اعيشها

فاني الى خير الماتين اقصد

وسيان يوما شقوة وسعادة

اذا كان غبا واحدا لهما الفد (٣)

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ .

(٢) في معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٤ : " سو " .

(٣) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ و معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٩٢ - ٩٣ و معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

احيانا كان الصابي يبلغ قمة اليأس فيتمنى ان يستريح مما يلاقه بتقديم نفسه

فدا* احد اصدقائه (١) :

ان قد مللت حياتها وبقاها

" نفسي فداؤك غير معتد بها

ارضى لنفسك ان تكون ازاها

ولو ان لي ما لاسواها لم اكن

قد آن لي ان استطيل ذماها

لكن صغرت فلم اجد الا التي

لك شاكر ان قد قبلت فداها

فاذا شكرت لمن فداك فانني

من نائبات ما اطيق لقاءها .

وكأنني المفدى حين ارحمتي

وكان الصابي قد لاحظ ما بيد وفي شعره من يأس فيعجب له وقد عرفه بالاسم وكله جسدا

وسرور . فبضع اللائمة على الدهر وحوادثه ونكباته ويقرر ان العيش مر والموت حلو كالغسل ،

يقول (٢) :

يضحك عن السرور والجدل

" عهدى بشعري وكله غزل

قلب عن النائبات مشتغل (٤)

ايام هي بحبة (٣) بهم ال

نيرانها في الضلوع تشتعل

فالآن شعري في كل داهية

(١) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ ومعاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٣) في معاهد التنصيص : " احبة " .

(٤) في المصدر نفسه : " يشتغل " .

اخرى فنحسى بهن متصل
لا بد من ان تقيمها الدول
والموت حلو كأنه عسل

اخرج من نكبة وادخل في
كأنها سنة مؤكدة
فالعيش، مر كأنه صبر

لكن لكل حال نهاية، وقد آن لعذابات ابي اسحاق ان تنتهي، وكان القدر اشفق
عليه اخيرا، فحسن لمحتجزيه اطلاقه. وقد تحدثت المصادر حول هذه الحادثة
وحطت في ذلك روايات عديدة، ف قيل انه تخلص في ايام صمصام الدولة ابن عضد الدولة (١)
وقيل انه * تخلص في آخر ايام عضد الدولة وقد رزحت حاله وتهدت ستره * . (٢) وقيل انه
افرج عنه سنة ٣٧١ هـ . (٣) وقد نقل ياقوت عن الهلال بن المحسن انه قبر على جده يوم
السبت لاربع بقين من ذى القعدة سنة سبع وستين وثلاثمائة وافرج عنه يوم الاربعاء لعشربقين من
جمادى الاولى سنة احدى وسبعين وثلاثمائة، فكانت مدة حبسه ثلاث سنين وسبعة اشهر
واربعة عشر يوما (٤) . وجاء في رسوم دار الخلافة ان مدة حبسه كانت اربع سنين

-
- (١) معجم الادب، ج ٢، ص ٢٣٠ . و صمصام الدولة هو لقب ابي، كاليجار المرزيان بن عضد الدولة
الذي تولى الحكم بعد وفاة ابيه سنة ٣٧٢ لكن اخاه شرف الدولة استولى على بغداد سنة ٣٧٦
واعقله. اخباره في صفحات متفرقة من ذيل التجارب.
- (٢) البيته، ج ٢، ص ٢٤٤ .
- (٣) ذيل التجارب، ص ٢١ و وفيات الاعيان، ج ١، ص ٥٢ و اعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٥٢٤ .
- (٤) معجم الادب، ج ٢، ص ٣٥ .

وشهـورا (١) .

وكما اختلفت المصادر في ذكر تاريخ الافراج عنه ، اختلفت كذلك في ذكر اسباب اطلاقه ، فيروي ياقوت عن هلال بن المحسن انه سمع ابا الريان حامد بن محمد الوزير ، يقول لجدّه ابي اسحاق ، وكانوا جميعا في مجلس انس ، انه لما نفذ ابو اسحاق القصيدة اللامية بالتهنئة بقدم عضد الدولة من الزيارة (٢) ، عرضها ابو الريان عليه في وقت لم يكن عبدا العزيز بن يوسف حاضرا فيه فقراها ثم رفع رأسه الى ابي الريان والى عبد الله بن سعدان ، الذي كان يوافق ابا الريان في رأيه بالصابي وقال : " قد طال حبس هذا المسكين ومحتته " فقبلا الارض عند ذلك ، فقال لهما : " كانكما توءثران اطلاقه ؟ فقالا " ان من اعظم حقوقه علينا ، وذرائعه عندنا ، ان عرفناه في خدمتك وخالطناه في ايامك " ، قال : " فاذا كان رأيكما فيه ، فانغذا وافرجا عنه وتقدما اليه عنا بملازمة منزله ، الى ان يرسم له ما يليق بمثلته " (٣) فاسرع ابو الريان وابن سعدان برسالة الامر بالافراج عن الصابي ولما كان ابو الريان يعلم ان من عادة عضد الدولة ان يسأل عن الامر فان رآه قد فعل امراه ، وربما عسرض

(١) رسوم دار الخلافة ، ص ١٢١ .

(٢) القصيدة كاملة في معجم الادب ، ج ٢ ، ص ٤٢ - ٤٤ والابيات الاربعة الاولى منها في المتممة ج ٢ ، ص ٢٧٤ . مطلع هذه القصيدة :

لأجلّ ندى قدم يلان بنعلها .

" اهلا باشرفاوية واجلها " معجم الادب ، ج ٢ ، ص ٤٧ - ٤٨ .

له خاطر بعدم اضاعته ان تأخر ، فلما دخل عليه يطالعه في امر قال له : "سمع الله
في مولانا ما دعي له " . فقال : " مات جرد ؟ " قال : " شاهد الناس ابا اسحاق
الصابي وقد اخرج من محبسه ومضى الى داره ، فاكثروا من الدعاء والشكر . " (١) وتتابع
الرواية ان عضد الدولة شغل بعلمته عن النظر في هذا الامر الا ان الصابي قد اتصل بسبه
في ايام متفرقة بين اطلاقه وبين اشتداد العلة على عضد الدولة فاعطاه العضد ثيابا ونفقة
عدة مرات . (٢)

تشير هذه الرواية عدة اسئلة : لم اختار الوزير ابو الريان عرض قصيدة ابي اسحاق
على عضد الدولة في وقت لم يكن فيه عبد العزيز بن يوسف حاضرا في حين يقول عن ابن
سعدان في الرواية : " وكنت آمنه عليك ، واعلم ان اعتقاد ، يوافق اعتقادى فيك " لم يكن
ابو الريان يأمن عبد العزيز بن يوسف على ابي اسحاق في حين وجدنا انه في احسندي
المراحل كان عبد العزيز هذا قد خلى ابا اسحاق من الموت تحت ارجل الفيلة ؟ لاجواب
لدينا . وقد ذكر من قبل ان موقف عبد العزيز بن يوسف تجاه ابي اسحاق كان محاطا
بالغموض . (٣) واما بالنسبة لصحة هذه الرواية فانه لاشك لدينا بها لانها اولا ، منسوبة

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩ ، وينقل ابو شجاع الرواية مختصرة في ذيل التجارب ، ص ٢٤ .

(٣) راجع ص ٧٥ - ٧٧ من هذا البحث .

الى هلال بن المحسن حفيد ابراهيم ، كما اننا نجد مؤشرا آخر يدل على صحتها وهو شعر
كتبه ابواسحاق الى الوزير ابي عبد الله بن سعدان مطلعته :

" ثنائي لو طولته لك قاصر وطولك لو قصرته لي باهر

ويقول فيسه : ومازلت من قبل الوزارة جابري فكن رائشي ان انت ناه وآمر

أمنت بك المحذور ان كنت شافعا فبلغني المأمول ان انت قادر * (١)

ونجد شافعا آخر للصابي في رواية حول اطلاقه تقول : " ان صاحبنا دخل على عضد

الدولة بهمدان * (٢) وعضد الدولة مكب على دفتر يقرأه ، فقال : يا ابا القاسم بمذه رسالة

لك في بعض فتوحنا ، نحن نأخذها باسيافنا وانت تجملها باقلامك ، فقال : المغنسي

مستفاد من مولانا وان كانت الالفاظ لخادمه ، ثم انشده :

" وانت اكتب مني في الفتوح وما تجرى مجيبا الى شأوى ولا امدى * (٣)

فقال : لمن البيت ؟ فقال : لعبدك ابي اسحاق الصابي محبوسا ببغداد ، فأمر

بالافراج عنه والخلعة عليه ، فكان ذلك سبب خلاصه وتقدمه . * (٤)

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ والبيتان الاخيران في معجم الادب ج ٢ ، ص ٨٠ - ٨١
وفي التذكرة الحمديونية (رئيس الكتاب ، رقم ٧٧١) بالورقة ١٧٦ ب .

(٢) ورد صاحب بن عماد همدان والتقى عضد الدولة فيها سنة ٣٧٠ هـ (ذيل التجارب ، ص ١٠)

(٣) هذا البيت من قصيدة للصابي مطلعها :

" يراكب الجسرة العبرانة الاجد
تدمي مناسمها في الحزن والجدد
انظر القصيدة ومناسبتها في معجم الادب ، ج ٢ ، ص ٦٢ - ٦٥ .

(٤) محاضرات الادب ، ج ١ ص ٩١ .

ان صحة الرواية الاولى لا تطعن في صحة هذه الرواية حول الصاحب ، فيمكن

ان تكون عدة عوامل قد تضافرت للافراج عن الصاحب منها شفاة جماعة من بينهم الصاحب

ابن عباد ، والوزيران ابوالريان وابن سعدان ، ثم رقة عضد الدولة عليه بعد كتابة

عدة قصائد يستعطفه ، ثم انه قد انتهى ما طلب منه من كتابة التاريخ .

المهم ان ايام السجن قد انتهت ، وان ابواسحاق قد نال ماسعى لاجله من حرية

لكن الحرية لم ترجع له مافات ، وآثار النكبة لم تكن لتزول بسهولة ، فأيام السجن كانت محكا

لحقائق كثيرة ، خرج ابواسحاق منها بقله في العال وخيبة في الناس والحياة فكشرت

شكواه من وضعه هذا ، فيروي عن الهلال بن المحسن قوله : " قلت لجدي ابي اسحاق ،

تجاوز الله عنه ، وهو يشكو زمانه : يا سيدي ، مانحن بحمد الله تعالى الا في خير وعافية

ونعمة كافية ، فما معنى هذه الشكوى التي تواصلها ويضيق صدرك بها ، ويتنفس عيشك معها ؟

فضحك وقال : يا بني نحن كدود العسل ، قد نقلنا منه الى الخل فهذا نحن بحموضتنا ،

ونأسى ونحزن على ما كنا فيه من العسل ولذته ، وانتم كدود الخل ، ما نقتم حلاوة غيره ،

ولا رأيتم طلاوة ضده " . (١)

بعد وفاة عضد الدولة عرضت على الصاحب فرصة للاستقرار والعمل فقد ارسل الصاحب

ابن عباد يستدعيه الى حضرته بالرى باذلا له نفقة واسعة (٢) فكتب اليه معتذرا من قصيدة

(١) معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٠٠ .

يبدو فيها انها كتبت سنة ٣٧٢هـ نذكر منها:

وتقاعست عن شأوهن مآرسي	"نكصت على اعقابهن مطالبي
كانت نفاذا كالشهاب الثاقب	وتبدلت ضي القريحة بعد ما
دفن الاعزة في العذار الشائب	وكيت شرخ شبيبتهم فدفتها
حتى اقبل ظهر كف الصاحب	فلوان لي ذاك الجناح لطاربي
من غيث راحتته الطيث الساكب	كثرت عوائقي التي تعتاقنسي
هورابمي وعشيرتي واقاربي	ولد لهم ولد وطن ثالث
شامت بوارق يومها المتقارب	والسن تسع بعدها خمسون قد
والحال يقصر عن ترفه راكب	فالجسم يضعف عن تجشم راجل
كانت على الملوك ضربة لازب	وطي للسلطان طاعة مالك
كل سوا في الحساب الحاسبي (١)	وتعطل مع شهرتي كتصيرفي

هكذا بقى ابو اسحاق في بغداد فتولى ديوان الانشاء لصمصام الدولة (٢) ابن
عضد الدولة وخليفته في الحكم . ووجد له شعرا كتبه في صمصام الدولة من ذلك ما
كتبه حين اهداه اضطر لابس :
"يمز علي ان اهدى نحاسا
السي من فيس راحتته نضار

(١) معجم الادب، ج ٦، ص ٣٠١ - ٣٠٣ .

(٢) رسوم دار الخلافة، ص ١٢٥ وتاريخ الوزرا، ص ١٥١، والهفوات النادرة، ص ٣٠٨ .

ولكن الزمان اجتاح حالي وانت عليه لي ان جمار جار* (١)

ويقال ان ابا اسحاق استمر على ديوان الانشاء في ايام اولاد عضد الدولة ووزرائهم حتى

وفاته (٢) ، فيما يقال ايضا انه استمر متعطلا الى ان مات (٣) ، وسنحاول استقراء المصادر

لترجيح احدى الروايتين . ففي رسالة كتبها ابو اسحاق جوابا على مذكرة بعثها

الشريف الرضي (٤) يطلب منه فيها انشاء عهد له بتقليده نقابة الطالبين

والنظر في امور المساجد وخلافة والده ، فالنظر في المظالم والحق بالناس

وذلك سنة ٣٨٠ هـ (٥) قال ابو اسحاق : " على ان عهدي بالعمل بعيد ، وذهني بعد الغاء كلي .

(١) اليتيمة ج ٢ ، ص ٢٨٢ والا ص ٢٧٦ و الاعيان ج ١ ، ص ٥٢ .

(٢) وفيات الاعيان ج ١ ، ص ٥٦ .

(٣) تاريخ الحكماء ، ص ٧٦ .

(٤) معجم الادب ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

(٥) ابو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب ابن احمد الحسين بن موسى ، يعود بنسبه الى الحسين بن

علي بن ابي طالب ، ولد ببغداد سنة ٣٥٩ وابتدأ يقول الشعر بعد ان جاوز العاشرة بقليل . وصف

بأنه اشعر الطالبين . خلف والده في ولاية نقابة الطالبين والنظر في المظالم والحق بالناس . توفي

سنة ٤٠٦ ببغداد ، وله مؤلفات عديدة . انظر ترجمته في اليتيمة ج ٣ ، ص ١٣١ و وفيات الاعيان ،

ج ٤ ، ص ٤١٤ و الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ (باعتبار) ديدرينغ ، استانبول ، مطبعة وزارة المعارف ،

١٩٤٩) و اعلام النبلاء ، ج ١٧ ، ص ٢٨٥ و روضات الجنات ، ج ٦ ، ص ١٩٦ و عهد الحسين الحلبي ، حياة

الشريف الرضي (بغداد ، مطبعة الحرية ، ١٣٨٨ / ١٩٦٨) واحسان عباس ، الشريف الرضي (بيروت ،

دار بيروت و دار صادر ، ١٩٥٩ / ١٣٧٩) .

(٥) رسائل الصابي والرضي ، ص ٧٣ و اليتيمة ، ج ٣ ، ص ١٣٢ و وفيات الاعيان ، ج ٤ ، ص ١٥٥ ، يذكر

ابن خلكان سنة ٣٨٨ تاريخا لذلك وهو خطأ .

وخاطرى بعد الصحة عليل ، وقلبي بعد الفراغ مشغول* (١) ثم هل يمكن ان نقول ان الصابي ،
قد تولى ديوان الانشاء حتى آخر حياته اذا طمنا انه مرض في آخر حياته حتى لم يعد يستطيع
حركة ؟

ومهما يكن من امره فهو لم يعدم عملا يقوم به فنجده سنة ٣٧٨ يمارس ناحية اخرى من نواحي
مصرفته وهو علم التجيم ، فقد امر شرف الدولة الذي كان قد استولى على بغداد واخرج اخاه
صمصام الدولة من العراق (٢) ، برصد الكواكب السبعة في سمرها ، وتقلها في بروجها كما
جرى في زمن المأمون ، واختار لهذه المهمة عالما منجما اسمه ويجن بن رستم الكوهي (٣) ، فبنى
من اجل ذلك بيتا في دار الملكة وعمل فيه آلات للرصد ، وكتب فيما توصل اليه محضرين ،
كثمت فيهما خطوط الحاضرين بما شاهدوا واتفقوا عليه (٤) . وكان ابو اسحاق بين الحاضرين
وكتب خطه بذلك (٥) .

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٧٦ . وشرف الدولة هو ابو الفوراس شيرزيل بن عضد الدولة ، تولى

بغداد سنة ٣٧٦ وتوفي سنة ٣٧٩ . اخباره في صفحات مغرقة من ذيل التجارب .

(٢) انظر خبر استيلاء شرف الدولة على العراق في ذيل التجارب ، ص ١٢٣ وما بعدها .

(٣) ويجن بن رستم ابو سهل الكوهي ، عالم بعلم الهيئة وصناعة آلات الارصاد . ترجمته في تاريخ الحكماء ،

ص ٣٥١ - ٣٥٤ .

(٤) تاريخ الحكماء ، ص ٣٥١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٥٣ .

ويبدو ان المصائب لم تكن تسمح لابى اسحاق بالارتياح ، بل تستمر في ملاحقته فهنا

هو يفقد ابنه الاكبر سنانا سنة ٣٨٠ هـ ، ويكى الصابى ابنه بلوعة ، وحرقة مرثية قائلا : (١)

أسعدانى ، بالدمعه الحمراء	جلّ ما حل بي عن البيضاء
هدّ ركبي شوى سنان وقدكنا	ن يهد الاركان من اعدائى
كنت منى ، وكنت منك اخاقتا	والتثاما مثل العصا واللحا
وكنت فى اليتم فى اجمل منى	فيك للشكل فى اوان فناعى

جاءت هذه المصيبة لتهد ما بقى من قوة وجلد لدى ابى اسحاق ، فنراه يصف حالته فى

جواب لرسالة تعزية بعثها اليه الشريف الرضى فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٠ ، قائلا : " وعلست

الرقعة ، . . . بالتضلل الذى زاد واوفى ، والقول الذى نفع وشفى ، والتعزية التى غمرنى احسانها

وهزنى استعسانها ، فصادفت منى قلبا عليلا وخاطرا كليلا ، ونفسا قد اتخذتها الرزية ، وولت بها

المصيبة ، واحالتها المحنة عما كانت عليه من جلد وقوة وتماسك ومعرفة ، . . . (٢) .

هكذا صارت حال ابى اسحاق تزداد سوءا مع تقدم الايام ، فبعد ان كانت معاناته

نفسية ، اضيفت اليها آلام جسدية ، وصار سنة ٣٨١ يشكو المرض فى جسمه ، فقد جاء فى رسالة

كتبها الى الشريف الرضى قوله :

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ وعض ابيات القصيدة فى معاهد التصحيح ، ج ٢ ، ص ٧١ .

(٢) رسائل الصابى ، والرضى ، ص ٧١ .

" ولولا العلة التي قد اخذت بمخنقي ، وجثمت على مدارج نفسي . لما اخللت

يقصد حضرته والمواظبة على خدمته " . (١)

ونجد للمصابي الكلام الكثير في وصف آخر امره وما آلت اليه حاله من الكبر ،

فقد زمن وظهرت عليه علامات الكبر كالشيب ، والصلع ، ثم ابتلى بالمرض الذي اقعده ، فاصبح

يحتاج الى الجلوس في المحفة اذا اراد الانتقال لقضاء حاجة . فيقول في الصلح :

" لقد اخلقت جدتي الحادثات ومن عاش في ربيها يخلق

وبدلنني صلعا شاملا من الشعر الفاحم الاغسق

وقد كنت اصلع من عارضي فقد صرت اصلع من مفرقي " (٢)

وقيل (٣) انه اراد ذات يوم ان يبرهن للحاضرين في مجلسه ، وهم كثر ، انه

يستطيع الكتابة فشخصت الا بصار اليه لما فتح الدواة ليكتب ، فوضع القلم وقال : (٤)

" وجع المفاصل وهو أي سر ما لقيت من الاذى

جعل الذي استحسنته واليأس من حظي كذا (٥)

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٨٠ .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ ومعاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٣) الخبر في معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٤) الابيات في اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٩٣ ومعاهد التنصيص ، ج ٢ ،

ص ٧٦ .

(٥) معجم الادباء " والناس " .

(١)
والعمر مثل الكأسير سب في اواخره القذى *

وقد ظلت حال الصابي محتملة حتى سنة ٣٨٤ وهي سنة وفاته ، وكان العرض
والعجز قد اخذا منه كل مأخذ . فصار شبح الموت مسيطرا على تفكيره وقد رأى انه صار
قريبا جدا ، فهو عاجز كليا عن الحركة لا يستطيع تحريك يدا ورجل فكتب الى الشريك
الرضي ، يشكو الكبر من قصيدة في مدحه نذكر منها : (٢)

لها ارجل يسمي بها رجلا	" اذا ما تقدت بي وسارت محفة
وفت لي لما خانت القدمان	وما كنت من فرسانها غير انها
سبيلا عليها يسلك الثقلان	فقد حملت مني ابن سيعين سالكا
جنينة يوم للمنية راني	ولي بعدها اخرى تسعى جنازة
وماكف من خطوى ويطش بناني	واني على عيث الردى في جوانبي
ذما قليل في غد هو فاني *	لاعلم اني ميت عاق دفنه

لكن الصابي في هذه القصيدة ، يلتفت الى الماضي فيرى ان ما حرمه اليوم كان يملكه
بالامس وكان الزمان قد اعطاه الكثير حين بز الاقران وتغوق عليهم فيعتريه شعور بالافتخار ،

-
- (١) معجم الارباء : " اواخرها " .
 - (٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٥ - ١٦ . اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .
 - (٣) في اليتيمة : " تعمدت " .
 - (٤) في المصدر نفسه : " تسعين " وهو خطأ .

فيقول : (١)

فقد اسلفتني حوز كل رهان * وان اخرتني اليوم سن تقدم
ليالي طارت بي عتاب بلاغتي وبذت بغاثا ما استطاع يراني
(٢)
ابابيل خابت دون ادراك غايتي على انها لم تأل في الطيران *

وللصابي كلام بليغ ، ضمن رسالة كتبها الى الشريف الرضي ، يصف حالته في آخر
امره . مشبها نفسه بالرديف على ظهر زمان (٣) ، يقول : " اصبحت ، . . . محمولا حمل الرديف
على ظهر زمان ، ان حث الى مصلحة جنح او ثني عن مضرة جمع ، الامر كله اليه ، والعنان
والسوط في يديه ، فانا الراكب وهو الضارب ، وانا المملوك وهو المالك ، قد انزلني منزلة
الاسير ، وتحكم علي تحكم الاميرهم قذف بي الى الفراش ، وباعدني عن الانتعاش ، وحص جناحي
بعد الرياش ، وتكبني في المال والمعاش ، فهو الغشوم الظلوم ، والمذم الملووم ، الذي ان
اطعم لم يشبع وان اكل لم يشبع ، وان اعطى خفف ، وان اخذ اجحف واسرف ، عجزت عن مداراة
خلائقه ايام جلدي ، فكيف اثبت لها في اوان اودي " .

هكذا كان ابو اسحاق في اواخر ايامه يقاسي المرض والعجز الى ان وافته المنية

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٢٠٠ واليهيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠١ .

(٢) اليهيمة : " جايت " .

(٣) الرسالة كاملة في رسائل الصابي والرضي ، ص ٩٥ - ٩٦ .

في شوال سنة ٣٨٤ هـ . (١) وقد اجمعت المصادر على هذا التاريخ باستثناء ابن النديم الذي ذكر ان ابا اسحاق توفي قبل الثمانين وثلاثمائة . (٢) وقد نقلت بعض المصادر هذا التاريخ فأوردته على سبيل الرواية مع ذكرها التاريخ الاول (٣) وسياق حياة ابي اسحاق وما حملته لنا المصادر ، من ذكر كتاباته وحالته خلال السنوات ٣٨٠ - ٣٨٤ خاصة منها ما كان يدور في هذه الفترة بين ابي اسحاق و الشريف الرضي من مكاتبات (٤) تدحض هذا القول . انما الخلاف الحقيقي بين المصادر هو في تحديد عمر ابي اسحاق حين وفاته

- (١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٤٥ واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٠ والكامل ، ج ٩ ، ص ١٠٦ وتاريخ الحكماء ، ص ٧٦ وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٣ والمختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٢٩ واعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٥٢٤ والذهبي ، العبر في خبر من غير (تحقيق فؤاد السيد ، الكويت ، ١٩٦١) ج ٣ ، ص ٢٤ والوافي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ١٥٩ وعمد الدين ابن كثير ، البداية والنهاية في التاريخ (مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٨ - ١٣٥٨ / ١٩٢٩ - ١٩٣٩) ج ١١ ، ص ٣١٣ وابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٩ - ١٩٥٦) ج ٤ ، ص ١٦٧ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٧ واسماعيل البغدادي ، هدية العارفين (استانبول ، طبعة وكالة المعارف ، ١٩٥١) ج ١ ، ص ٧ .
- (٢) الفهرست ، ص ١٤٩ .
- (٣) وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٣ والوافي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ١٥٩ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .
- (٤) راجع ما ذكره ص ٩٣ - ٩٦ من هذا البحث وللمزيد من التفاصيل انظر ما دار بين الاثنين من مكاتبات نشرية وشعرية في رسائل الصابي والرضي .

ف قيل انه في الحادية والسبعين (١) ، وقيل في الحادية والتسعين (٢) ، والفارق بين الرأيين
عشرون سنة تزيد في عمر الرجل اي ان الرواية الثانية تجعل ولادته سنة ٢٩٣ هـ . وما ينقش
هذا الرأي لدينا امران : الاول ترجيح المصادر للرأى الاول في حين لم يأخذ بالرأى الثاني الا قلة .
والثاني تحديد ابي اسحاق لعمره في قصيدة كتبها جوابا على استدعاء صاحب له
الى حضرته بالرأى وذلك بعد وفاة عضد الدولة (٣) (ت ٣٧٢) . يقول في القصيدة معتذرا
عن القبول :

* والسن تسع بعد ها خمسون قد
شامت بوارق يومها المتقارب
فالجسم يضعف عن تجشم راجل
والحال يقصر عن ترفه راكيب * (٤)

فانما كانت بعض المصادر قد حددت سنة ولادته بـ ٣١٣ هـ وانه كان في الحادية والسبعين
حين توفي سنة ٣٨٤ هـ ، وطالما ان هذه الابيات قد كتبت بعد وفاة عضد الدولة ، فلا بد ان
تكون قد كتبت سنة وفاته تحديدا ، فيثبت تماما ما جاء في المصادر ، وحتى لو انها كتبت بعد
ذلك بسنة او اكثر فنحن نبتعد اكثر عن احتمال كونه جاوز التسعين حين توفي .

-
- (١) رسائل الصابى والرضى ، ص ٤٥ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢١ ووفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٣
واعلام النبلاء ، ج ١٦ ، ص ٥٢٤ وشذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .
(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ والكامل ، ج ١ ، ص ١٠٦ والمختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .
(٣) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ .

علاقاته بشخصيات العصر

ادب الصابي وفنه يضاف اليهما شخصية محببة لطيفة تم عن خلق كريم وفكر نير، مؤهلات كفيفة يجعل ابي اسحاق من تكثر معارفه واصدقاؤه وان يكون معظم هؤلاء من اهل الادب والسياسة ومن ضمنهم بلاطات الامراء من شعراء وكتاب وقضاة (١) ،

(١) نذكر من هؤلاء : القاضي ابن معروف وله اليه ابيات شعرية ورسائل (انظر اليثيمة ج ٢، ص ٢٩٤ و ج ٣ ص ١٠٨) وابن سكرة الهاشمي، (انظر محاضرات الادباء، ج ١ ص ٢٩٧ ابيات مدح كتبها ابن سكرة للصابي) وابن الحجاج الشاعر وله في الصابي مدائح (انظر الجزء الثامن من كتاب التاريخ لهلال بن المحسن المنشور ملحقا بـ تاريخ الوزراء ص ٤٣٢ - ٤٣٣) والسري الرفاء بينهما مكاتبات شعرية (انظر اليثيمة، ج ٢، ص ١٣٢ و ١٤٦ - ١٤٨ و ١٧٤) وابو محمد جعفر ابن ورقاء الشيباني واخوه ابو احمد عبد الله وهما من رؤساء عرب الشام وقوادها (اليثيمة، ج ١ ص ٩٥) وكان بين ابي محمد و ابي اسحاق مودة وتزاور ومكاتبات شعرية (انظر اليثيمة، ج ١ ص ٩٧ - ٩٨ و روضات الجنات، ج ١ ص ١٦٥ و ابي احمد مديح للصابي في اليثيمة، ج ١ ص ٩٨) والشاعران الخالديان : ابوبكر محمد وابو عثمان سعيد (للصابي قصيدة في مدحهما في اليثيمة ج ٢ ص ١٨٣ و اعلام النبلاء، ج ١٦ ص ٣٨٧) وابو الفرج البغفاً، وبينهما مكاتبات ايضا (انظر اليثيمة، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٥) وقد مدحه التوحيدى في الامتاع (ج ١ ص ٦٨) وقال عنه في مشالب الوزيرين (ص ٢٧٤) : " كان كاتب زمانه ، لسانا وقلما وشمائلا وكان له مع ذلك يد طويلة في العلم الرياضي " . هذا بالاضافة الى علاقاته بالوزراء الذين كتب لهم كالمهلبين ، والذين لم يكتب لهم كتابهم الفتح بن العميد ، الذي اشاد بابي اسحاق في احد مجالسه حين قدم بغداد سنة ٣٦٤ قاعلا : " ذاك رجل له في كل طراز نسج ، وفي كل فضاء رهج ، وفي كل فلاة ركب ، ومن كل غمامة سكب ، الكتابة تدعيه باكثر مما يدعيها ، والبلاغة تتحلى به باكثر مما يتحلى هو بها .

امتن هذه العلائق كانت مع اثنين من اعيان القرن الرابع الهجرى ادبا وثاساسة
نعني بهما الشريف الرضى والصاحب بن عباد . (١)

علاقته بالشريف الرضى :

ربطت ابا اسحاق والشريف الرضى علاقة متينة بالرغم من فارق السن بين الاثنين
ومن اختلاف الملة . ولسنا ندرى بالتحديد تاريخ بداية هذه العلاقة الا ان اقدم ما ورد في
الكتاب الذى ضم المراسلات الشعرية والنثرية (٢) بينهما هي ابيات اربعة من الشعر
مؤرخة بسنة ٣٧٦ ومطلعها :

" اعدت زمانة وزمان عائق عن قضاء حق الشريف " (٣)

(١) يمكن ان يضاف اليهما الزبير المهلبى الذى عمل الصابي فى خدمته فترة طويلة وكان اثمرا لديه .
وقد مر بنا ان علاقة وثيقة كانت تربط بينهما لكن عدم دراسة هذه العلاقة ضمن علاقاته
بشخصيات العصر عائد الى انها درست مفصلة ضمن حياة الصابي ثم انها كانت واضحة
وخالية ، كما يبدو عن اية ابعاد سياسة او اى تعقيد او غموض .

(٢) هو كتاب رسائل الصابي والرضى .

(٣) المصدر نفسه ، ع ٧ - ٨ وديوان الشريف الرضى (بيروت ، دار صادر ودار بيروت ، ١٣٨٠ / ١٩٦١)

يعتذر فيها ابواسحاق عن عدم قدرته على زيارة الشريف بالزمانة والضعف اللذين يصيبانه
فالصابي كان في ذلك الحين في الثالثة والستين يعاني العلة ، فيما الرضي فتى يافع في السابعة
عشرة . ثم امتدت العلاقة بين الاثنين على ما يسجله كتاب رسائل الصابي والرضي ، حتى وفاة
ابي اسحاق ، فقد كتب الشريف ردا على الابيات المذكورة قصيدة مطلعها :

" كم ذميل اليكم ووجيف وصدود عنا لكنم وصدوف "

يشيد فيها بفضل الصابي وصبره ويمدح بلاغته (١) . ثم نجد الشريف يكتب للصابي طلبا
بانشاء عهد عن الخليفة الطائع لله سنة ٣٨٠ وقد رسم له عن الطائع تقليد نقابة نقباء
الطالبين والنظر في امور المساجد وخلافه والده في ولاية المظالم والحج بالناس . (٢)

سنة ٣٨٠ توفي سنان بن ابي اسحاق فكتب اليه الشريف رسالة تعزية (٣) بعد

" ان كان لقيه بنفسه معزيا . وفي رجب من سنة ٣٨٤ كتب ابواسحاق الى الشريف قصيدة يمدحه

فيها ويشكو اليه زمانته وعجزه (٤) . وكان آخر ما كتبه للرضي تهنئة بعيد الفطر سنة ٣٨٤ وكان

(١) القصيدة في رسائل الصابي والرضي ، ص ٨ - ١٤ وفي ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٢٧ - ٣٠

(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ٧٣ - ٧٥ وجواب الصابي في المصدر نفسه ، ص ٧٥ - ٧٦ .

وقد تكرر هذا الطلب سنة ٣٨١ بتقليد الشريف عملا آخر . انظر المصدر نفسه ، ص ٧٧ -

٧٩ - ٨٠ و ٨١ .

(٣) رسائل الصابي والرضي ، ص ٦٣ - ٧٠ والجواب عليها في المصدر نفسه ، ص ٧١ - ٧٢

(٤) القصيدة في رسائل الصابي والرضي ، ص ١٥ - ٢٠ واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ - ٣٠١

ومطلعها :

لها ارجل يسعى بها رجلان "

" اذا ما تعدت بي وسارت محفة

والجواب عليها قصيدة مطلعها :

وديني على من لو يشاء قضاني "

" ظمائي الى من لو اراد سقاني

(رسائل الصابي والرضي ، ص ٢١ - ٢٦ واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣) .

بين ارسالها اليه وبين موته اثنا عشر يوما وربما كانت آخر ما كتبه . (١)

هذا باختصار مسار الرسائل التي تبادلها الصابي والرضي بين سنتسي

٣٧٦ و ٣٨٤ وهي وسواها مما لم يعرف تاريخه تساعدنا على تفهم العلاقة التي يمكن ان تربط

فتى من الاشراف بشيخ من الصابئة . ومن خلال هذا النتاج الادبي الرائع من النثر والشعر

تبدو هذه العلاقة متينة ونبيلة وتتخذ عدة اوجه :

الوجه الاول : الصداقة والود ، حيث يصف الشريف صديقه في رسالة تأبين كتبها بعد وفاته

" بالصديق الصادق والحميم الموافق " . (٢) وفي رد على رسالة تهنئة بلقطة كتبها الصابي

سنة ٣٨٤ معتذرا عن عدم قدرته على موافاة الشريف بنفسه ، يقول الشريف واصفا مكانة الصابي

لديه : " وقد قبلت عذره ، ادام الله عزه ، في التأخير عني ، وكيف لا اقبله وانا احق به واولسى

بمثله ، لانني الناهض السارح وهو القاعد الراح ، وانا المطلق المحلول وهو المزموم المعقول .

وانا الاقدر على الخطوات وهو الاضعف عن الحركات . وانا طليق السن النامية وهو اسيسر

(١) البيتية ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ . بعض هذه التهنئة شعرو بعضها نثر . الشعر قصيدة طويلة
مطلعها :

" اباكل شمي * قيل في وصفه حسن الى ذاك نهجو من كناك ابا الحسن "

وهي في رسائل الصابي والرضي ، ص ٢٧ - ٣١ وفي البيتية ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٥ والنثر

في رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٩ - ٩٧ والجواب على الشعر في المصدر نفسه ، ص ٣٢ - ٣٩

والبيتية ج ٢ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ وعلى النثر في رسائل الصابي والرضي ، ص ٩٨ - ١٠٢ .

(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٠٥ .

السن العالية ، والشوق يجذبني اليه كما يجذبه الي ، والنزاع يهفوي بي نحوه كما يهفو به نحوي ، فتالله انه الحقيق بالعدر وانا الخليق باللوم والعدل ، ان لم يشهد لسي قلبه بصدق الطوية ويحملني على باطن النية ولم لا وقد وضعنا قدمينا في قبال واحد ، واستهمنا في طارف من الادب وتالد ، ووالله انني لاتمنى ان ينفرج له صدرى انفراجة فيرى فيه مكانه المكين ووده المصون ، اللذين لا يشاركه فيهما مشارك ولا يملك موضعه منهما مالك " (١) . وفي قصيدة كتبها الشريف ردا على شكوى الصابي من المعجز ، يقول واصفا علاقة الاخاء التي تجمعهما : (٢)

بخل ، وضربي عنده بجران	" فلولا ابو اسحق قل تشبثي
بشيمة لا وان ، ولا متوان	هو الالفتي عن ذا الزمان واهله
(٤) رضيع صفا ، اورضيع لبان	(٣) اخاء تساوى فيه انسا والفة
وكل للوبي غاية اخوان	(٥) تمازج قلبانا مزاج اخوة
وان كان مني الاقرب المتداني	وغيرك ينبو عنه طرفي مجانيا

-
- (١) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٠٠ - ١٠١ .
(٢) القصيدة في ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٥٣٩ ورسائل الصابي والرضي ، ص ٢١ واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .
(٣) في اليتيمة : " ودا " .
(٤) في المصدر نفسه : " لا " .
(٥) في المصدر نفسه : " تمازج اخوة " .

(١)

ورب قريب بالعداوة شاحظ
ورب بعيد بالموودة داني
ولوان لي ، يوما على الدهر امرة
وكان لي العدو على الحدان
خلعت على عطفك برد شبييتي
جوادا بعمرى واقتبال زماني
وحملت ثقل الشيب عنك مفارقي
وان فل من غربي وغض عناني

والرسائل الشعرية والنثرية المتبادلة بين الاثنين تزخر بأمثلة هذا الكلام من وصف
للسداقة والمحبة بينهما ، خاصة منها ما كتبه الشريف الرضي بعد وفاة الصابي من تأبين
ورثاء ، مما سنعود لذكره فيما بعد .

ولوان قصائد ورسائل الشريف اصدق واقوى في تصوير هذه العلاقة
الا انه لا بد من ذكر بعض كلام الصابي في الشريف : ولولا العلة التي قد اخذت بمختقي
وجثمت على مدارج نفسي ، لما اخللت بقصد حضرته والمواظبة على خدمته ، قاله سبحانه
يعلم ان عيني ما تكتحل بغرة هي اعز علي من غرتي ، ولقد اهدى الي يوم تجشمه العناء
الى داره التي انا ساكنه فيها بمشاهدة ضياء وجهه ومناسبة شريف خلقه ، تحفة لا يكار
الزمان يسمح لي بعثها ، ولا يمكنني من اهتبال غرتها . (٢) ويبدو من الامثلة المذكورة
اتسام عاطفة الشريف بالوجدانية والصدق وعدم التكلف ، اما الصابي فقد وسم وصفه

لشريف بالاحترام والتشريف نسبة لمكانته الدينية الكريمة .

(١) في البيتية : " ساخط " وفيها يأتي هذا البيت قبل البيت السابق .

(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ٨٠ .

ثم ان هذه الصداقة كانت تترجم اعمالا ، فنرى

الرضي مثلا الى جانب صديقه حين وفاة ابنه سنان ، فلم يكفه ان يمضي اليه معزيا حتى كتب له رسالة فيها كل ما يقال مما يقوى النفس ويعزز الايمان (١) ، ويطلب منه في نهايتها ان يجيبه عليها كي يطمئن الى انها لاقت صدق في نفسه وانه عاد الى السلوة والعزاه .

ولا بد ان يكون موقف ابي اسحاق منه مماثلا حتى نجد الشريف يقول في رسالته

بعد وفاة الصابي : " ان فقدناه اعزى ظهري على كثرة حمايتي وانصاري واوحدني على اقاربسي وعشائري ، وجرعني من شكله غصة لا زال اجد مرارتها في لهواتي ، واحس بالمها ما بين اضلاعي ابدا " . (٢)

ويمكن ان نحدد لهذه الصداقة بين الاثنين اسبابا معينة منها اعجاب كل منهما

بمناقب الآخر وفضله ، فالرضي يرى ان الصابي متكامل الصفات والفضائل والاخلاق حتى لو طلب فيه عيب او نقص لما وجد باستثناء الاسلام ، حيث ان فضائله دنيوية " فلعمري لو طلب فيه عائبه خلة تحتاج الى ان تتهم ونقيصة يجب ان تتم من الفضائل الدنياوية والمناقب الاكتسابية ، لاعجزه ما طلب واعياه ما اراد والتمس " (٣) وفي كتاباته اليه الكثير من الوصف لفضله ومناقبه . اما ابو اسحاق فيضاف الى اعجابه بصفات الشريف وخلق

(١) الرسالة في رسائل الصابي والرضي ، ص ٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

اعجابه بنسبه الكريم . فقد كتب قصيدة في مدحه ، (١) كانت مدحا لهذه الجماعة
الى العلوية واعلاء شأن الرضي من بينها من ابياتها :

الى ذاك ينحو من كناك ابا الحسن	" ابا كل شي " قيل في وصفه حسن
وانتم اناس فيكم المجد قد قطن	الستلها بعد الوصي ، وآله
ودعواه اصفاء يراهن في الوسن	مناقبكم حق بدت بيناته
فاوفيت واستعليت منها على القن	تولتم في كل هضبة سوء
واقسامه مجموعة فيك تختزن	نقسم هذا الفضل بين طوائف
كمالا عجيبا مثله قط لم يكن	غدوا لك كالأبغاض ان انت كلهم

وقد كان الرضي يشعر بفارق النسب والميلاد بينه وبين صديقه ، وربما كان يلام على صداقته لهذه الاسباب ، فنراه يفتش عن علائق امتن من علائق النسب والميلاد ليبرر هذه الصداقة وهي المناسبة في الفضل ، فيقول في رثائه :

" الفضل ناسب بيننا ان لم يكن شرفي مناسبه ولا ميلادي " (٢)

وفي ذلك يقول نثرا : فالأمكن قريني سنا ولدة ، فانه قهبي صفا ومودة . والا يكن موازني

شرفا وحسبا ، فانه مساهمي فضلا وادبا . (٣)

-
- (١) القصيدة في رسائل الصابي والرضي ، ص ٢٧ ، واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .
(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٣ ، وديوان الرضي ، ج ١ ، ص ٣٨٥ ، واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .
معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٨ ، وفي رسائل الصابي والرضي واليتيمة : " ان لم يكن " .
(٣) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٠٧ .

ثم ان طبائع الرجلين كانت متوافقة ، فكان كل يرتاح لحدث الآخر ، اغافة الى الثقة المتبادلة . فيصف الشريف الصابي بانه " شاهد لخاطري في المناقشة وحافظ لسري عند المباشرة " . (١) ونجد الصابي يوصي الرضى بحفظ اولاده والعناية بهم بعد وفاته :

هنالك فاحفظ في بني اذمتي	وذر عنهم روعات كل زمان
فاني اعتد العودة منك لى	حساما به يقضون في الحدثان
ذخرت لهم منك السجايا وانها	لانفع مما يذخر الابنوان
وفاء ومدا للجناح عليهم	وضنا بهم عن مس كل هوان " (٢)

الوجه الثاني للعلاقة بين الاثنين هو الوجه الادبي ، ان كلا الرجلين من اهل الادب ، انما يغلب النثر على ادب الصابي والشعر على الرضى ، ويبدو ان كلا منهما يقدر ناحية ابداع الآخر . فالشريف يقدر نثر الصابي وفنه الكلامي لذلك رأينا انه كان يطلب منه انشاء العمود له عن الطائع لله . (٣) وقد وصف الشريف نثر الصابي بقوله : " جاريا على رسمه (٥) في ابراد الغرر وزواج الفقر والاستكثار من المعاني المضيئة والالفاظ الجليلة " . (٤) وقال فيه :

- (١) رسائل الصابي والرضى ، ص ١٠٧ .
- (٢) رسائل الصابي والرضى ، ص ١٨ - ١٩ واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠١ .
- (٣) انظر رسائل الصابي والرضى ، ص ٧٣ و ٧٧ .
- (٤) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .
- (٥) الابيات في المصدر نفسه ، ص ٣٥ وديوان الرضى ، ج ٢ ، ص ٥٤٤ واليتيمة ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

" مسود ^(١) قصب الاقلام نال بها
نيل المحر اطراف القنا اللندني
ان لم تكن تورد الارماح مورد ها
فما عدلت الى الاقلام عن جبن
والطاعن الطعنة النجلاء عن جلد
كا لقاتل القولة الفراء عن لسن .

اما الصابي فكان يعرض على الرضي بعض ما يكتبه من شعر ليحكم له فيه ، من ذلك
ما ارسله من مجموعة مقطوعات شعرية حول حفظ السرسنة ٣٨٢ هـ . (٢) ومن اقوال
الصابي مما يدل على اعجابه بأدب الشريف ماجاء في جواب على طلب الشريف انشساء
نسخة عهد :

" والله ياسيدي لو كتبت انت ما استكتبتني ، وكفيت نفسك ما استكتفتني ، لكنك
اجراً مني يدا ولسانا ، واطول شأوا وميدانا ، واكثر اصابة واحسانا ، لانك ترجع الى نسبك
العربي الشريف ، وادبك المنيف ، فتكون بهما احز مني لعفاصل الكلام واسبق الى درك
المرام . (٣)

وقوله : " فوالله ما قرع الاسماع احسن من نظمه اذا نظم ، ونثره اذا نثر ، وحكمه
اذا حكم ، وفصله اذا فصل ، فلو استطعت ان اسعى الى انامله التي سطرت تلك البدائع
ورصفت تلك الجواهر لفعلت مسارعا حتى اودعهم عن كل حرف قبلة واستلمهم . جملسة

(١) في اليتيمة : " مسنود " .

(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ٨٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٦ .

ان كن للفضائل معادن وللمحاسن مكان . (١)

الوجه الثالث للعلاقة هو الوجه السياسي وقد تناولت هذه الناحية غير دراسة
ادبية . منها كتاب حياة الشريف الرضي للشيخ عبد الحسين الحلبي وكتاب الشريف
الرضي للدكتور احسان عباس ، بالاضافة الى اشارة بعض المصادر والمراجع ، الى هذا الامر
اشارة عابرة . (٢)

تتلخص هذه المسألة بالقول ان الشريف الرضي كان ذاهمة عالية وطموح كبير بلسخ
به حد الطمع بالخلافة والعمل من اجل تحقيق ذلك ، يعزز هذا الطموح لديه انتسابه
الى بيت النبوة وموهلاته وقدراته العالية . وديوان الرضي يزخر بشعره المليء بالشجوة
والعزم على الوصول الى غايته هذه كقوله :

من ولدي ما كان من والدي

" ما انا للعلية ان لم يكن

- (١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٩٤ .
(٢) روضات الجنات ، ج ٦ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ و ٢٠٤ ، وزكي مبارك ، النثر الفنى فى القرن
الرابع (القاهرة ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٣٥٢ / ١٩٣٤) ج ٢ ،
ص ٢٩١ ومقدمة ديوان الشريف الرضي (شرح وتعليق كامل سليمان ، بيروت ، دار
الفكر ومكتبة العرفان ، ١٩٥٦ / ١٣٧٥) ج ١ ، ص ٨ ومقدمة ديوان الرضي ، ج ١ ص ٥ -
٦ (دار صادر . وهذه النسخة هي المعتمدة في هذا البحث) السيد محمد حسين
فضل الله " تأملات حول شخصية الشريف الرضي " ، الثقافة الاسلامية ٢ (١٤٠٦ هـ)
ص ١٢ .

سير هذا الاغلب الماجد * (١)

ولامشت بي الخيل ان لم اطأ

وقوله عن نفسه :

كرمت مفارسه وطاب المولد * (٢)

* هذا امير المؤمنين محمد

وقوله في امير المؤمنين القادر بالله سنة ٣٨٢ :

في دوحة العليا لا نتفرق

* عطفنا امير المؤمنين ، فاننا

ابدا كلانا في المعالي معرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت

انا عاطل منها ، وانت مطوق * (٣)

الا الخلافة ميزتك فانني

وقد سيطر هذا الطموح على شخصية الرضي وعلاقته بالملوك والخلفاء وطبعها بطابعه ،

كما كان له الاثر الكبير على حياته . (٤)

(١) ديوان الرضي ، ج ١ ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ وروضات الجنات ، ج ٦ ، ص ١٩٧ .

(٢) ديوان الرضي ، ج ١ ، ص ٤٠٩ وروضات الجنات ، ج ٦ ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٤٢ وروضات الجنات ، ج ٦ ، ص ١٩٢ .

(٤) في كتاب الحلبي حياة الشريف الرضي ، شرح واف لبواعث هذا الطموح ومراحله ، انظر الصفحات ٦ و ١٢ - ٢٧ و ٣٨ وخاصة ٤٧ - ١٠٥٤ ما كتب الدكتور عباس ، الشريف الرضي ، فيرافق تقلبات هذا الطموح في نفس الشريف بين ثورة وخمود وقوة وضعف . انظر الكتاب خاصة منه الصفحات : ١٥ - ١٦ و ٧٨ - ٩٥ و ٩٨ - ١٠٩ و ١١٣ - ١٢٦ و ١٤٢ - ١٤٣ .

اما ابواسحاق الصابي ، الشيخ المحنك ، ذو الخبرة بالزمان ، والمعرفة بعلم

النجوم ، فقد بشر الرضي في احدى قصائده اليه بانه سيصل الى مطامحه قائلا : (١)

" ابا حسن لي في الرجال فراسة تعودت منها ان تقول فتصدقا

وقد خبرتني عنك انك ماجد سترقى من العليا بعد مرتقى (٢)

فوفيتك التعظيم قبل اوانسه وقلت اطال الله للسيد البقا

واضمرت منه لفظة لم ابح بها الى ان ارى اظهارها لي مطلقا (٣)

(٤) فان عشت اوان مت فاذكر بشارتي واوجب بها حقا عليك محققا

وكن لي في الاولاد والاهل حافظا اذا ما اطمان الجنب في مضجع النقا (٥)

والسؤال هو : هل كان لهذه الفراسة الواضحة والموكدة من قبل صاحبها تأثير على نفسية

الشريف وحياته ؟ هنا نجد اختلافا في نظر الدارسين . لذا لابد من استعراض بعض الآراء

التي قيلت في هذا الموضوع ومناقشتها بغية الاستفادة من ذلك وللمزيد من الايضاح .

(١) الابيات في رسائل الصابي والرضي ، ص ٤٠ وديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٨٩ - ٩٠

وروضات الجنات ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ .

(٢) في روضات الجنات : " السى " .

(٣) في ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٩٠ : " اطلاقها " .

(٤) في روضات الجنات : " فان مت اوان عشت " .

(٥) في ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٩٠ : " في موضع البقا " .

عد بعض الدارسين هذه الفراسة اسطورة او خرافة لا يمكن ان يدخل مثلها الى قلب الشريف وعقله . (١) وكان الاخذ بهذا الكلام نوع من السخف حاشا للشريف ان ينزلق اليه . وهذا الرأي يدحضه امران : ثقة الشريف بالصابي واطمئنانه اليه ، ثم القصيدة التي اجاب الشريف بها فراسة الصابي والتي مطلعها : (٢)

* سننت لهذا الرمح غربا مذلقا
واجريت في ذالهند واني رونقا*

وفيها يقول واعد الصابي بالسعي لتحقيق ظنه وبنصيبه من العز الذي سيلغفه :

(٣)

لعينيك يقضي ان وجود ويفدقا

* لعن برقت مني مخايل عارض

(٤)

يراصد غرات المقادير مطرقا

وان ترليثا لاثذا بفريسة

عليك اذا جلى اليها وحققا

فما ذاك الا ان يوفر طعمها

سما ليوقتي وطء رجلك مزلقا

وان يرق يوما في المعالي فانه

سعى لك في ذاك الطريق مطرقا

وان يسع في الامر العظيم ، فانما

(٥)

وسرك محصورا ويرضيك مطلقا

فان راشني دهرى اكن لك بازيا

(١) مقدمة ديوان الرضي لكامل سليمان ، ج ١ ، ص ٨ .

(٢) القصيدة في رسائل الصابي والرضي ، ص ٤١ وديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٩٠ والبيتان

الاولان منها في روضات الجنات ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ .

(٣) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٤١ : " لعينك تقضي :

(٤) في المصدر نفسه : " لا بدا ."

(٥) في المصدر نفسه ، ص ٤٣ : " دهره ."

أشاطرك العز الذي استفيد ه
بصفقة راض ان عنيت واملقا
وان تعطني الاعظام قولا فانني
ساعطيك فعلا منه انكي واعبقا
فوالله لا كذبت ظنك انه
لعار اذا ما عاد ظنك مخفقا
فان الذي ظن الظنون صوابقا
نظير الذي قوى الظنون وحققا

• فيما يعترف البعض ان لكلام الصابي نوع من الايحاء بهذه الفكرة للشريف تحببا او تزلفا (١) .

اما صاحب كتاب حياة الشريف الرضي فيعبر عن هذه الفراسة " بالمماندة . والواربة " (٢)

ويرى ان التأثير عكسي فحب الخلافة الذي مازج نفس الشريف منذ صباه هو الذي اثار شعور

الصابي هذاه (٣) وقد كان الصابي - كما يقول - يهدف من خلال ذلك الى استعادة مقامه

الاول بعد ان افقده اياه عن ضد الدولة واهانه . (٤)

اما تعليل الدكتور عباس لهذا الموضوع فيمكن اختصاره على الشكل التالي : ليس

الصابي " خبيثا ماكرا " في "نهجته" (٥) وهناك عدة عوامل دفعت اليها :

— كان يظهر له من خلال قصائد الرضي طموحه الى الخلافة والمجد وتغنيه بالحرب ، والسلاح

(١) م . فضل الله تأملات حول شخصية الرضي ، ص ١٧ .

(٢) الحلبي ، حياة الرضي ، ص ٥١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) عباس ، الشريف الرضي ، ص ١١٤ .

ادارة الثورة .

— معرفة الصابي بأن المتريحين على عرش الخلافة لا يمتازون عن الرضي بعقل ولا ادب ولا

طموح .

— ربما لفته انتصار العلوية في كل مكان فلم يبق الا ان يكون الخليفة في بغداد عموماً .

— السنوات تقترب من نهاية القرن حين يمكن ان يبعث الله للناس اماماً ليحدد لهم دينهم (١) ويرى

الدكتور عباس ايضاً ان لهذا الكلام الصادر عن الصابي موقفاً عميقاً في نفس الرضي نظراً لاحترامه

له وثقته به وتجربته ، ثم لكونه صابئاً عارفاً بالنجوم . (٢) .

نلاحظ انه في الرأي الاول يرتبط التعليل بحياة الصابي وغاياته حيث يعتبر المؤلف ان

رغبة الصابي في استعادة مركزه بالاضافة الى ما يعرفه من طموح الرضي للخلافة ، املت عليه هذه

الفراسة ، لذا فهو موارب وممانق ، اما الرأي الثاني ، فيربط الفراسة بشخصية الصابي ، وخبرته حيث

اتخذ من معرفته بحياة الرضي ، وافكاره ، ومن مراقبته الوضع السياسي في عصره عامته ورسمها

من معرفته بعلم النجوم دلائل على فراسته هذه ، ونلاحظ انه لا اثر في هذا الرأي لغايات خاصة

للصابي وربما لهذا السبب لم يعتبره خبيثاً او ماكراً . ولا بد من الانتباه الى امرين في هذا التعليل :

الاول هو ان انتصار العلوية في بغداد وتسلمهم الحكم لم يكن امراً متيسراً او متوقفاً لتمسك البويهيين ،

اصحاب السلطة الحقيقيين ، بالخلافة العباسية . اما الامر الثاني ، فهو ان الاعتقاد بإمكان ان يبعث

الله في نهاية كل قرن اماماً يحدد للناس دينهم هو اعتقاد اسلامي من الصعب ان يؤمن به ابو

اسحاق العباسي المعتقد . ثم ان الشريف قد لا يكون الامام

الذي يصلح للناس دينهم مع سمو اخلاقه وشمائله وذلك انه لم

(١) عباس الشريف الرضي ، ص ١١٤ .

(٢) المصدر نفسه .

يتحدث عن الخلافة ، كعضون سياسي يحقق من خلاله اهدافا اسلامية تحل مشاكل الناس ، كما انه لم ينطلق من مشاكل الامة المصيرية - من ظلم الحاكم وجهل المحكوم - ليضع برنامجا لتغيير الواقع هو انما كانت مسألة الخلافة بالنسبة اليه مجرد طموح يرضي نزعة الشعور بالعظمة الذاتية لديه المكتسبة من كنيته المميزة وانتسابه الى بيت النبوة . (١)

لنلاحظ الآن بعض الحقائق المستقاة من النصوص :

اولا : نجد في بعض شعر الشريف ما يدل على نوع من المشاركة بينه وبين الصابي في نبيل غاية واحدة كما في جوابه على فراسة الصابي حيث يؤكد على مشاركته فيما سيصل اليه ، (٢) وفي قصيدة اخرى يقول :

" تمازج قلبا نامزاج اخوة وكل طلوبي غاية اخوان " (٣)

فلنطبق هذه الفكرة في ذهننا ، وننتقل الى نص آخر نستخرجه من رسالة في تأبين الصابي كتبها الشريف الى بعض الرواسا * :

* ان فقدت اعزى ظهري على كثرة حماتي وانصاري ، واوحدني على اقاربي وعشائري

-
- (١) فضل الله تأملات حول شخصية الرضي ، ص ١٨ .
(٢) راجع الابيات المذكورة ص ١١٢ - ١١٣ من هذا البحث وانظر القصيدة كاملة فسي
ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٩٠ ورسائل الصابي والرضي ، ص ٤١ .
(٣) رسائل الصابي والرضي ، ص ٢٤ و ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٥٤١ والبيتيمة ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .
وفي البيتيمة " تمازج اخوة " .

وجرعني من شكله غصة لا زال اجد مرارتها في لهواتي ، واحس بالمها ما بين اضلاعي
ابدا ، ما اطيل لي في الامل وروخي لي من الطول ، حتى لقد ضاقت لذلك مفاسخ قلبي و ضعفت
حوامل جسي ، وحننت الى قرب الوفاة وسئمت تكاليف الحياة " (١) ثم قوله : " لقد فجعت
منه بفصن الفضائل الوريق ، ولسان المناقب الذليق ، والاروع الذي ماضل في مسارح الخطوب ،
ولم يظلع باعباء الامور . ولا التفت عليه العظام الا فرجها ، ولا استجيبمت دونه المضائق
الا ولجها ، ولا جرد في مهم الا كفاء ، ولا استطب لداها الا شفاء " . (٢) وقوله : " لقد وجدت
به وجد الرؤوم بيكرها وقد فقدته ، والبعوم بطلاها وقد اضلته ، وسلبنيه الزمان آنس ما كنت
بفضله ، واحوج ما كنت الى مثله ، شا هذا لخاطري في المنافة وحافظا لسرى عند المباشة " (٣)
وقوله : فياليت شعري على ما آسى من ابي اسحاق بعد خلومكانه وتهافت بنيانه :
على رياسته القديمة وقدمه المتقدمة وتقلبه في الدول يستمدها من التجارب وتستمده من
المناقب ، وتكسوه ملابس العز والفخر ، ويكسوها ملابس الصيت والذكر ، ام على انقطاعه من
المجارين وانفراده عن المبارين ، وحصوله في البلاغة لمعة ساطعة الشعاع وغرة سائلة القناع ،
وسابقا قد اعجز الطالبيين وامن اللاحقين " . (٤)

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٠٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

هذه المقطوعات تبين لنا عدة أمور :

اولا ، الصابي سند للرضي يعتمد عليه حتى يشعر بعد فقدة بالضعف مع وجود الانصار وبالوحدة مع وجود الاقارب ، ولا بد من الاشارة الى ان الرضي كثيرا ما فضل الصابي على اقاربه في شعره (١) ، وهو عامة يضيق بهؤلاء الاقارب نظرا لما بينهم من تنافس على السلطة والنقابة وغير ذلك . (٢)
اذا فالتأثير الذي تركته وفاة الصابي كان كبيرا على الشريف حتى بلغ به الضعف والتأثر ان تنسى الموت لنفسه حين قال : " لقد ضاقت لذلك مفاسخ قلبي وضعفت حوال جسي بوحننت الى قرب الوفاة وسعمت تكاليف الحياة . "

الامر الثاني هو ثقة الشريف بمقدرة الصابي على تدبير الامور وتسييرها ، وايجاد الحلول والتخلص

من المآزق .

(١) من ذلك قوله : " وغيرك ينبوعه طرفي مجانبا
ورب قريب بالعداوة شاحط
(ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٥٤)
وقوله :
ان يدن قوم الى دارى فالفهم
فالمراء يسرح في الآفاق مضطربا
والبعد عنك بلاني باستكانهم
انت الكرى موئسا طرفي وبعضهم
وان كان مني الاقرب المتداني
ورب بعيد بالمودة داني
وقناعني فانت الروح في البدن
ونفسه ابدا تهفو الى الوطن
ان الغريب لمضطربا الى السكن
مثل القذى مانع عيني من الوسن " .

(ديوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ ورسائل الصابي والرضي ، ص ٣٦) .

(٢) عباس الشريف الرضي ، ص ٣٦ .

ثالثا : الموت وافى الصابي حين كان الرضي بأس الحاجة اليه يحادشه ويفضي اليه
باسراره .

رابعا : ايمان الرضي بكفاية الصابي في الرئاسة وسياسة امور الدولة وذلك بتجربته الفنية
وبلاغته العالية .

ثم لنترك هذا ايضا لنشير الى امر آخر مهم وهو شعور الرضي بالفين اللاحق بابي
اسحاق والظلم الذي تعرض له حين لم تعطه الايام ما كان يستحقه نظرا لما يتمتع به من
فضائل . من ذلك قول الشريف : (١)

ليس الحظوظ على الاقدار والمهن

" ما قدر فضلك ما اصبحت ترزقه

فزاد ما بهك من كحظي على الزمن

قد كنت قبلك من دهرى على حنق

لي على قدر عقله المضعوف (٤)

وقوله : (٣) " ان شكواك للزمان مبين

(٥)

قع غلا للفاضل المعروف

ايوم المجهول بحر اول بيت

ت ولكن انا فغير منيف"

قدمت غيرك الجدود واخر

وهنا نجد شيئا مشتركا بين الاثنين : قد رات وموهلات عالية وحق مهضوم ، نقمة على

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٣٥ - ٣٦ ود يوان الرضي ج ٢ ، ص ٥٤٤ واليتيمة ،

ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٢) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٣٦ واليتيمة : " في " .

(٣) رسائل الصابي والرضي ، ص ١٢ ود يوان الرضي ج ٢ ، ص ٢٩ .

(٤) في رسائل الصابي والرضي : " عن " .

(٥) في المصدر نفسه : " فيه " .

الزمن وطموحات مشتركة .

وهكذا أصبح لدينا الآن مجموعة من الحقائق يمكن تلخيصها بالقول ، ان الاثنين
يسميان لغاية مشتركة . وان وجود الصابي كان دعامة كبيرة لعمل الشريف فضعف بعد وفاته
ثم ان الشريف كان مؤمنا بقدرات الصابي في سياسة الامور وتديرها ، معجبا ببلاغته
واهميتها في تسجيل آثار الدولة وبلاضافة الى ذلك يشعر بان الصابي لم يعط ما يستحق .
بناء على ذلك لا يستبعد ان يكون الصابي مستشار الرضي في اعماله ، ييوج له باسرار
وطموحاته فيجد لديه النصيحة الحكيمة التي استمدها من حياته الطويلة في الوسط السياسي
ولا يستبعد ايضا ان يكون قد اعد للصابي منصبا يتبوأه حين يتسلم زمام الامور ، كأن يكون مستشارا
له يستفيد من اراءه ، او صاحبا لذيوانه يرفع صيت الدولة ، اوربنا وزيرا يعهد اليه بالمهم
من الامور اليس لدى الصابي الكفاية التامة لقولي هذا الامر ؟ بلى وهذا ما يعرفه الرضي
جيدا . ويعرف ان الصابي لن ينافسه في امر بل سيكون صنيعته المطيع لذا يصح الاعتماد
عليه اكثر مما لو كان احد اقربائه خاصة انه سيوفر له باحرمته اياه الايام وحكام ذلك الزمان .
اما من ناحية ابي اسحاق ، فاعلم الظن انه لا يريد تحديدا استعادة كرامته التي
اهانها عضد الدولة ، كما ذكر صاحب كتاب حياة الشريف الرضي وانما يريد ضمانته

لنفسه ولا بنائه من بعده بان لا يتكرر ما فعله ضد الدولة به في زمن آخر ومع اشخاص آخرين .
فجماعة الصابئة في بغداد فئة قليلة العدد ضعيفة وسط المجتمع المسلم الضخم تريد العيش
بسلام وسيلتها الى ذلك العلم وحسن التصرف . وليس بعيدا ان يكون قد اعتمد في فراسته
على ما عرفه من طموحات الشريف ومن واقع الحال في عصره . كما ذكر الدكتور عباس ، انصبا
كان للغاية الشخصية من طلب الضمانة والحماية له ولا بنائه الدافع الكبير في هذه الفراسة
والا اليس غريها ان يكون الصابي قد تنبأ ايها للصاحب بن عباد بالرفعة والعز وطلب منه
ايضا حماية ابناؤه من بعده ؟

يقول الصابي في رسالة استراحة كتبها الى الصاحب بن عباد : " على انه لم يستوف
بعد حظه ، ولم يستوعب قسطه ، فان للدينيا مواعيد فيه لا بد من ان ينجزها بمساعيه وما اخاف
في هذا القول والحمد لله من غلط الفراسة ولا كذب المخيلة ، ولا بمعارضة المعارض ومناقضة
المنافض ، ولا اعدم صحة الشهادة وقيام الدلالة وقبول المستمع وتشجيع المتبع ، " (١)
ثم ان ابا اسحاق عند احسن بقرب وفاته سنة ٣٨٤ كتب الى الصاحب كتابا
يسأله فيه الاستمرار في امداد ولده من بعده بالرسم المقرر لهم (٢) وقسرن الكتاب

(١) رسائل الصابي ، ص ٤٠٦ .

(٢) معجم الادبا ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ ويروي ياقوت عن هلال بن المحسن ان الصاحب بن عباد
كان على اهتمامه ومراعاته لمن ببغداد والحرمين من كتاب وشعراء وادبا وزهاد
بيعت اليهم المال كل سنة مع الحاج علي منازلهم فيحمل الى ابي اسحاق بن هلال
خمسة دينار والى حفيده هلال بن المحسن الف درهم (معجم الادبا ، ج ٦ ، ص ٣٠٠) .

بقصيدة يقول فيها :

" اسيدنا ان العنية اعذرت
لها نذر قد آذنتني بهجمة
وحق لنفسك كان منك معاشها
ومن وراث الاولاد بعد وفاته
أطلب منك الرغد عمرى كله
وليست باولى بدعة لك فى الندى
وهذا شبيه جدا بما كرهه فى السنة نفسها الى الشريف الرضى من قصيدة : (٢)
" هو الاجل المحتوم لى جد جده
له نذر قد آذنتنى بهجمة
ولا بد منه ممهلا او معاجلا
هنالك فاحفظ فى بني ادموسى
فانى اعتد المودة منك لى
ذخرت لهم منك السجايا وانها
وفاء ومدا للجنح طيهم

الى آيات تسروع وتذعر
على مورد ما عنه للمرء مصدر
اذا غضت عينا وعينك تنظر
حضانك طابت نفسه حين يقبر
واطلبه والجنب منى معفورا
لها موقف فيه لك الحمد ينشر" (١)
وكان يرينى غفلة المتوانس
له لست منها آخذا بأمان
سيأتى فلا يثنيه عنى ثانى
وزد عنهم روعات كل زمان
حساما به يقضون فى الحدشان
لا نفع ما يذخر الابوان
وضنا بهم عن سر كل هوان" (٣)

(١) معجم الادباء، ج ٦، ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٢) القصيدة فى رسائل الصاحب، والرضى، ص ١٥ واليتيمة، ج ٢، ص ٢٩٩ ومطلعها :

" اذا ما تعدت بى وسارت محفة
لها ارجل يسمى بها رجلا ن."

(٣) رسائل الصاحب، والرضى، ص ١٨ - ١٩ واليتيمة، ج ٢، ص ٣٠١.

وقد افئنا في ذكر ابيات القصيدتين لما بين معانيهما من تشابه وحتى بين

الالفاظ ايضا ، ونراه يتوسل الى كل منهما بما يربطه به من علاقة فالاول يرفده بالمال لذا
يطلب منه الاستمرار في ذلك والثاني تربطه به مودة يورى من مستلزمات رعاية ابناؤه
من بعده . هذا الامر يؤكد لنا اهمية دور الجانب الشخصي في موضوع الفراسة
على ان هذا لا يعني انه يمكننا ان نسمي هذه الفراسة مواربة ومماذقة لان تحققها
يشكل نتيجة منطقية لطموحات الشريف وسميه اليها .

اذا يمكن القول ان الصابي كان معيناً للشريف الرضي على تنفيذ مآربه بما يقدمه
له من دعم معنوى ، ان يحفظ اسراره او بتثبيته على السمي فيما يريد ، او بدهه بالمشورة
والرأى وذلك لما كان يورى في الشريف من رغبة في هذا الامر واستحقاق له ولما كان يطوى
في نفسه من توق الى توفير السلام والامن له ولابناؤه من بعده .

لكن ربما كان الامر ابعد من ذلك وان العلاقة بين الاثنين يمكن ان تفسر بنوع من
التوافق السياسي والمصلحة المشتركة . فاذا عدنا الى حياة كل منهما وجدنا فيهما
فترة مظلمة يمكن ان تسمى بزمن النكبة وهو عهد عضد الدولة .

فالصابي قد اهتم في هذه الفترة وانزل من مكانته العالية ليسجن ويصادر ما الجأه الى استعطاف هذا وذاك من الكبراء للشفاة له اولمده بالمال. اما الرضي فقد كان طفلا ابن عشر سنوات حين اعتقل ابوه وعمه في فارس . (١) ولا يستبعد ان يكون قد صوروا ايضا ، اما احباؤه واصدقاؤه فقد خضعوا لتدابير عضدالدولة فهم بين حبيس وقتيل . (٢)

فاذا كان قد تأكد لدينا استنادا الى الرسائل المتبادلة بين الشريف والصابي انهما كانا على علاقة جيدة سنة ٣٧٦ فهذا لا ينفي احتمال ان تكون العلاقة اسبق في الزمن او ان تكون قد ابتدأت بعلاقة ما ربطت بين الصابي ووالد الشريف. ابي احمد الموسوي ربما اقتضت على المعرفة المتبادلة ، والمودة والاحترام المهم ان الشريف والصابي عاشا الظروف نفسها في عهد عضد الدولة وهذا ما يهصرهما في خانة واحدة : خانة المضطهدين من قبل الحكم . وتختلف طرق التعبير عن هذه المعارضة ، فظهر تعبير الشريف في طموحه لنيل الخلافة وسعيه العلي من اجل ذلك : اما الصابي فانه قد وجد فتى شريفا صاحب طموح كبير فوجه اهتمامه اليه بكل ما يقوى لديه آماله وطموحاته ، يريد ان يخلق به بدلا لما هو موجود على الساحة وان ينتقم به من المهينين الذين اساءوا اليه واحتقروا خدمته او ان يتوصل عن طريقه الى مركز قوة في الدولة .

(١) تجارب الامم ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

(٢) الحلبي ، حياة الرضي ، ص ١٣ .

على هذا الاساس، بيد و الصابي صاحب اطماع يعلم انه لا يستطيع تحقيقها بنفسه بسبب سنه العالية ووضع الصعب، لذلك عمد الى العمل في الخفاء بأن وقف وراء الرضي يمدد بالعمون والثقة. فكان الرضي الشخصية التي ترضي طموحه وتحقق له ما لم يعد قادرا على تحقيقه بنفسه، اما بالنسبة للشريف فقد كان ابو اسحاق اكثر من هذا، كان السند القوي والدعم الثابت والمحفز الدائم، لذا نجد انه افتقده كثيرا بعد وفاته، وهذا يمكن ان نفسر الصدق في التعبير عن شاعره نحوه ان خلال حياته او بعد وفاته والذي لا نجده بهذه القوة في كتابات الصابي الى الشريف او عنه .

هذه اهم جوانب او اوجه العلاقة التي ربطت الصابي بالشريف الرضي، وقد كانت على الاقل بالنسبة للرضي عميقة الاثر بعيدة الغور، فقد كتب في ابي اسحاق القصائد الجميلة والتي عرضنا لنماذج منها، فهو بالنسبة اليه جزء من الحلم الكبير الذي ملاه كيانه. ولما توفي ابو اسحاق رثاه الشريف بقصيدة طويلة مطلعها :

" ارأيت من حطوا على الاعواد ارأيت كيف خبا ضياء النادى "

وكان ان عتب على الشريف فيها كونه شريفا يرثي صابئا فبرر ذلك بالقول : " انما رثيت فضله . " (١) وقد كان من نصيب هذه القصيدة ان يفسرها ابن جني (٢) ضمن كتابه تفسير العلويات . وهي اربع قصائد للشريف الرضي منها هذه القصيدة وقصيدته

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٤ و اعلام النبلاء ج ١٦ ص ٥٢٤ و الوفيات ج ٦ ص ١٦١ و شذرات الذهب ج ٣ ص ١٠٧ و روضات الجنات ج ٢ ص ١٦٦ . ويقال ان الشريف المرتضى اخا الرضي عندما سمع مطلع هذه القصيدة قال : نعم طمنا انهم حطوا على الاعواد كلها كافترا صابئا عجل به الى نار جهنم . (تاريخ الحكماء ص ٧٦) .

(٢) ابو الفتح عثمان بن جني النحوي ، كان اما ما في علم العربية وله مؤلفات عديدة . وفيات الاعيان ، ج ٣ ص ٢٤٦ .

ففي رثاء الصاحب بن عباد (١) وقد اعترضت قصائد الشريف فسي رثاء الصابي من اصدق مراثيه واشجاها (٢) وهي ثلاث، الاولى العشار اليها سابقاء (٣) ومنها :

من وقعته متتابع الا زياد	" جبل هوى لوخر في البحر اغتدى
ان الثرى يعلو على الاطسوان	ما كنت اعلم قبل حظك في الثرى
وعدت على ذاك الجواد (٤) عوادي	طاحت بظلك المكرمات طوائج

-
- (١) معجم الاديب، ج ١٢، ص ١١٢.
 - (٢) عباس الشريف الرضي، ص ٢١٦ - ٢١٧.
 - (٣) القصيدة في رسائل الصابي والرضي، ص ٤٥ وديوان الرضي، ج ١، ص ٣٨١ واليتيمة، ج ٢، ص ٣٠٦ ومعرباياتها في معاهد التخصيص، ج ٢، ص ٧٧ - ٧٨.
 - (٤) في رسائل الصابي والرضي واليتيمة : "الجلال".

(٢)	(١)
اسفا عليك فلالعا لرقاد	ولقد كبا طرف (١) الرقاد بناظري
أني ، ومثلك معوذ الميلاذ (٤)	شكلك ارض لم تلد لك ثانييا
والقلب بالسلاوان غير جواد	(٥) ان الدموع عليك غير بخيلة
وغسلت من عيني كل سواد	سودت ما بين الفضاة وناظري
فلمثلته اعيا على المرثا (٦)	لا تظليبي يانفس خلا بعده
شرفي مناسبه ولا ميلادى	(٧) الفضل ناسب بيننا ، ان لم يكن
(١٠) فلانت اعلقهم يدا بودادى	(٨) ان لم تكن من اسرتي وعشيرتي

-
- (١) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٤٨ : " طيف " .
(٢) في البيتية ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ : " منذ افتقدتك " .
(٣) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٤٨ والبيتية ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ : " لرقادى " .
(٤) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٤٩ والبيتية ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ : " معوزة " .
(٥) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٠ والبيتية ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ : " اما " .
(٦) في البيتية ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ : " المقتاد " .
(٧) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٣ والبيتية ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ : " ان " .
(٨) في رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٣ : " الا " .
(٩) في المصدر نفسه : " وعشائري " .
(١٠) في معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٨ : " بغوادى " .

وتركت اضيقها علي بلادى *

ضاقت علي الارض بعدك كلها

وفي الشهر نفسه ، شهر وفاته ، اجتاز الشريف بقبره بالجنيذة من ارض كرخايا (١) فقال
يرثيه في قصيدة (٢) منها :

اقمنابه نشمى الندى والمعاليا

* ايعلم قبر بالجنيذة اننا

(٣)

عظام المساعي لالعظام البواليا

حططنا ، فحيننا ساعيه انها

(٤) (٥)

من الدمع اوشال ملآن الما قيا

ومالاح ذاك الترب حتى تحلبت

نكفكف بالايدي الدموع الجواريا *

نزلنا اليه عن ظهور جيانا

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٦ ، وكرخايا نهر ببغداد تتفرع منه انهار عدة تدخل بغداد
ومنها انهار الكرخ كلها ، ويذكر ياقوت انه لم يبق لهذا النهر اثر في زمنه . انظر
الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (بيروت ، دار الكتب العلمية ، دون تاريخ) ، ج ١
ص ١١٢ - ١١٣ معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ . والجنيذة : تصغير جنة وهي
الحديقة او البستان والجنيذة : أرغ . (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٧٣) .

(٢) القصيدة في رسائل الصابي والرضي ، ص ٥٦ ود يوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٥٧٩ واليتيمة ،
ج ٢ ، ص ٣١٠ .
(٣) في رسائل الصابي والرضي واليتيمة : " عطفنا " .
(٤) في رسائل الصابي والرضي : " القرب " .
(٥) في اليتيمة : " تخيلت " .

ثم يختم قصيدته بالقول :

* رثيتك كي اسلوك فازد دت لوعة
لان المراثي لاتسد المرازيا
واعلم ان ليس البكاء بنافع
عليك ولكني امني الامانيا

آخر ما قاله الشريف الرضي في الصابي في جمادى الاولى سنة ٣٩٣ وقد اجتاز بقبره (١) فشمع
بالحنين والشوق اليه والى ذاك الزمن الذي جمعهما :

* لولا يذم الركب عندك موقفي ،
حييت قبرك ، يا ابا اسحق
كيف اشتياقك مذ تأيت الى اخ
قلق الضمير اليك بالاشواق
هل تذكر الزمن الانيق ، وعيشنا
يحلو على متأمل ومذاق
وليا لي الصبوات وهي قصائر ،
خطف الوميض بعارض مبراق
امضي وتعطفني اليك نوازع
بتنفس كتتنفس العشاق
وانود عن عيني الدموع ولو خلعت
لجرت عليك بوابل غيداق * (٢)

علاقته بالصاحب بن عباد :

اما علاقة ابي اسحاق الصابي بالصاحب بن عباد فهي مختلفة تماما منها مع الشريف
الرضي حيث يغيب هنا الجانب الوجداني او الاخواني ، لنجد علاقة اذ بية بين كاتب وآخر ،
او بينه وبين وزير ، اختصرها الصابي بالقول : * وما يزال بين رغبة مولانا صاحب الجليل

(١) رسائل الصابي والرضي ، ص ٦١ ود يوان الرضي ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٢) المصدران نفسهما .

كافسي الكفاة ، اذ ام الله علوه وكبت عدوه، وفي عبده ورغبة عبده اليه سر مكنون في الصدور ،
ومستور تحت الضلوع ، فهما يتناحيان به على بعد الدار ، ويلتقيان عليه بالافكار
فان مطلع من حجاب القلوب وشذ من ظهور الغيوب ، فان ظهوره يكون من جهته في نفحات
الانعام ، ومن جهتي في ثمرات الكلام * (١) .

العلاقة بين الصاحب والصابي قديمة يرجح انها تعود الى سنة ٣٤٧ حين ورد
الصاحب بن عباد الى بغداد برفقة الاميرابي منصور بويه من ركن الدولة (٢) - الذي لقب
فيما بعد بمؤيد الدولة - وكان كاتباً له (٣) . ويروي الصاحب في الروزنامة ان اول ما جرى
لدى قدومه العراق استدعاء الوزيرابي محمد المهلبى له وجمعه بينه وبين ندمائه (٤) .
في ذلك الحين كان ابواسحاق يكتب للوزير المهلبى ولاشك انه التقى الصاحب وعرفه كاتباً ،
وسنرى فيما بعد ان الصابي لم ينس انه عرف الصاحب كاتباً .

ولسنا ندرى كيف تطورت العلاقة بين الاثنين فيما بعد اذ ان رسائل الصابي الى
الصاحب والتي تلقي الضوء على هذه العلاقة معظمها متأخرة . ونستدل من كلام للصابي
في احدى رسائله اليه ، انه خدمه قبل ان يستوزر . يقول : " وانما خدمته ايام كانست

(١) صبح الاعشى ، ج ٨ ، ص ١٤٠ .

(٢) تجارب الامر ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الروزنامة ، ص ٨٧ . وفي المصدر نفسه ذكر لعدة لقاءات بين الصاحب والمهلبى .

رئاسته سرا في ضمير الزمان ، ودينا في ضمان الايام فكيف لورأيته آمرنا ناهيا بيبسسن
وسادتيه ، ورآني خادما ماشلا بين يديه " (١) .

ومهما يكن من امر فان صاحب بن عباد كان شديد الاعجاب بنثر الصابي وترسله

وقد عبرت المصادر عن ذلك بالقول : " وكان صاحب يحبه اشد حب ، ويتعصب له " (٢) .

وكان للصاحب رغبة في رعاية من ينفد اد والحرمين من الكتاب والشعراء والزهاد فيبمسث

اليهم الصلات سنويا مع الحاج فكان يرسل الى ابي اسحاق خمسمائة دينار والى حفيسه

هلال الف درهم . (٣) وللصابي رسالة (٤) يتحدث فيها حول هذا الامر فيذكر ورود اثنين

من الحاج عليه مرسلين من صاحب ، يقول : " فعرجا الى ملعين ، وعاجا علي (٥) مسلمين

فحين عرفتهما ، وقيل (٦) ان ارد السلام عليهما ، مدت اليه اليهما ، (٧) كما مدها حسان

(١) التذكرة الحمدونية (٧٧٠) ، الورقة ٧٩ ب .

(٢) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ و معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ١٩ و وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٣٩٢

(٣) معجم الادبا ، ج ٦ ، ص ٣٠٠ .

(٤) الرسالة في البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ و معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٤٩ - ٥١ وبعضها في
لقاح الخواطر ، الورقة ١٩٤ .

(٥) في معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٤٩ : " الي " .

(٦) في المصدر نفسه ، ص ٥٠ : " فقبيل " .

(٧) في المصدر نفسه : " الي مامعها " .

ابن ثابت الى رسول جبلة بن الايهم (١) ثقة منى بصلته ، وتشوقا الى تكريمته واعتياده ،
لاحسانه والفا لموارد انعامه ، وتيقنا ان خطوري بباله ، مقرون (٢) بالنصيب من ماله .
وان ذكره لي مشفوعة بجدواه ، (٣) وقمت عند ذلك قائما ، وقبلت الارض ساجدا ، وكسرت
الدعاء والشناء مجتهدا ، وسألت الله تعالى (٤) ان يطيل له البقاء كطول يده بالعطاء ،
ويمد له في العمر ، كما تداو ظله على الحر (٥) ، وان يحرس هذا البدن ، القليل العدد ،

(١) يشبه ابواسحاق نفسه مع صاحب بن عباد بالشاعر حسان بن ثابت مع جبلة بن الايهم
الملك الغساني ، وكان يمدحه قبل حه قبل الاسلام فخصص له الملك قدرا من المال والثياب
يدفع اليه كل عام ابو الفرج الاصفهاني ، الايغاني (تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ،
دار الكتب المصرية ، ١٣٧٩ / ١٩٥٩) ج ١٥ ، ص ١٥٨ . اما حكاية حسان مع رسول
جبلة فيروى ان معاوية بن ابي سفيان وجه رسولا الى ملك الروم فلقي جبلة بن الايهم
هناك وكان تنصر من بعد اسلامه والتجأ الى ملك الروم فسأله جبلة عن حسان فأخبره
بانه اصبح شيخا ضريبا ، فدفع اليه بالف دينار ليوصلها اليه فلما عاد الرسول الى المدينة
لقي حسانا في المسجد فقال له . " يا ابا الوليد ، صد يقك جبلة يقرأ عليك السلام " فقال :
" هات ما معك " . قال : " وما علمك ان معي شيئا " ، قال : " ما ارسل الي بالسلام قط
الاومعه شي " . قال : " فدفعت اليه المال . (الايغاني ، ج ١٥ ، ص ١٦٨ - ١٦٩) وهناك
رواية اخرى للخبر . انظر المصدر نفسه . ص ١٦٦ - ١٦٨ .

(٢) في معجم الادبا ، ج ٢ ، ص ٥٠ : " الخطرة منى على باله مقرونة " .

(٣) في المصدر نفسه : " بجدواه علي " .

(٤) " تعالى " غير موجودة في معجم الادبا وفي لقاح الخواطر .

(٥) في لقاح الخواطر : " ويمد له عن تطرق اقباله ويحرس هذا البدن "

من مشيخة الكتاب ، ومنتحلي الآداب ، (١) ما كفهم به من ذراه ، وأفا* (٢) عليهم من نسيدها ،
واسامهم فيه من مراتعه ، وأعد به لهم من شرائعه ، التي هم محللون . الا عنها ، ومحرومون الا
منها .*

وهنا بيد وان الصابي يكتب بصفته احد الكتاب الذين يصلهم الصاحب بالمال . ولا يخفى
تواضع الصابي للصاحب في الرسالة وذلك من مد اليد لاخذ المال وتقبيل الارض والسجود . وليست
هذه المرة الوحيدة التي نرى فيها ابا اسحاق يتحدث بصفته احد الكتاب متلقي الصلة من
الصاحب انما نجد له رسالة اخرى (٣) يعرض فيها مشكلته ومشكلة هؤلاء الكتاب جميعا . يقول
في الرسالة :

" اما بعد ، ايد الله سيدي الصاحب ، فان نوب الدهر تتردد منذ منون (كذا)
علي وعلى اهل صناعتنا المنحوسة بالعراق ، منيخة بنوازلهما ، ملقمة بكلاكلها ، كالحة بوجوهها ،
كاشرة عن انيابها ، لتعاقب الايدي الوالية علينا ، وتدرجها في الاساءة الينا ، وتزايد هـا
في الغظاظلة بنا ، وتجاوزها المنزلة الى المنزلة في الاستئصال لاحوالنا ، وقد توفر قسطلي في
تأثيرها بحسب ضمني بعرضي وصوني نفسي ، وبذلي دونها مالي ، ووقايتي اياها بما ملكست
يدي ، حيث لم اسأل المعونة احدا ولا سمحت ان استميج مسودا ولا سيدا راجعا الى شـي*

(١) في لقاح الخواطر : " الابواب " .

(٢) في لقاح الخواطر ومعجم الادب ، ج ٢ ، ص ٥٠ : " افا* " .

(٣) رسائل الصابي ، ص ٤٠٤ .

ما يرجع اليه الناس من موروث تالد ، ومكتسب طارف ، حتى انتهت مغارمي الى نحو
خمس مائة الف درهم ، لم يبق لي بعدها ضيعة ولا منزلة ، ولا باطن ولا ظاهر . . . (١)
كلام الصابي باسم الكتاب عارضا مشكلتهم يحدد وجهها من اوجه العلاقة بين
الإثنين ، ونظن ان هذه العلاقة ابتدأت بكون الصابي كاتباً يتلقى الهبة من صاحب كما يتلقاها
اي كاتب آخر . ثم اتخذت نوعاً من الخصوصية ، ان ابا اسحاق كان ارفع منزلة لدى
الصاحب من بقية الكتاب ، فالصاحب شديد الاعجاب به وقد روى عنه قوله : " كتاب الدنيا ،
وبلغها العصر اربعة : الاستاذ ابن العميد (٢) ، وابوالقاسم عبد العزيز بن يوسف ،
وابواسحاق الصابي ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعني نفسه " . (٣) كما روي عنه ايضاً :
" ما بقي من اوطاري واغراضي الا ان امك العراق (٤) واتصدر ببغداد واستكتب ابا اسحاق
الصابي ويكتب عني واغير عليه " . (٥) فنقل الحديث الى ابي اسحاق فقال : " و ~~يفي~~
علي وان اصبت " . (٦)

-
- (١) رسائل الصابي ٤٠٨ - ٤٠٩ .
(٢) يعني ابا الفضل عليا وكان الصاحب يعمل اول امره في خدمته . (معجم الادباء ،
ج ٦٦ ص ١٧٢) .
(٣) البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ ، معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٥١ .
(٤) عرف عن الصاحب انه كان يحب بغداد والرياسة فيها . انظر ذيل التجارب ، ص ١٦٣ -
١٦٤ .
(٥) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٦ ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .
(٦) المصدر نفسه .

بعد انتهاء محنة ابي اسحاق ووفاة عضد الدولة كتب الصاحب يستقدم ابي اسحاق " وبذل له النفقة الواسعة ، والمعونة الشاسعة عند شخوصه والارغاب والاكتسار عند حضوره " . (١) فاجابه الصاحب معتذرا بلباقة قائلا :

وتقاعست عن شأوهن مآربي	" نكصت على اعقابهن مطالبني
كانت نفاذا كالشهاب الثاقب	وتبدلت مني القريحة بعد ما
حتى اقبل ظهر كفا الصاحب	فلوان لي ذاك الجناح لطاربي
ضمنت سعادة كل جد خائب	واعيش في سقيا سحائبه التسي
شحنت بكل مسائل ومجاوب	واعد من جلساء حضرته التي
متثبت فيقول هذا كاتبني	فيقول : من ذا ؟ سائل عني له
اني وخدمته اجل مراتبسي	اترى اروم بهمتي ما فوق . ذا
من غيث راحته المثلث الساكب	كثرت عوائقي التي تعتاقتني
هو رابعي وعشيرتي وثاربي	ولد لهم ولد ووطن ثالث
شامت بوارق يومها المتقارب	والسن تسع بعد ها خمسون قد
والحال يقصر عن ترفه راكب " (٢)	فالجسم يضعف عن تجم راجل

ولابأس من اثبات مقطوعات من رسائل اخرى يعتذر فيها ابو اسحاق عن اللحاق بالصاحب

(١) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠١ - ٣٠٣ .

من ذلك قوله : " كتبت بعد الجواب ، وانا منقسم بين نية ناهضة ، وعوائق قابضة . وشوق
باعث وانتشار امر حابس ، ومراقبة لا بد ان يستعملها طالب السلامة وسالك الاستقامة ، ورأيه
ادام الله تعالى ايامه ، في ذلك الاعلى ، ودليله الاهدى وامره الانفذ الامضى " . (١)

وكتسب ايضا : قد كنت ، اطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل كافي الكفاة ، منذ
ثمانين سنين (٢) تحت كلكل من كلاكل المحن ، ثقل علي بركة وبلغ مني عركه ، وتقليبي بين عطلة
شديدة ونبوة مديدة ، ثم رفعت عني بفضل الله وما استدار من دوائر الاقدار وحوادث الليل
والنهار التي اذا اظلت اللثام قنطوا واذا انفرجت عنهم غمطوا ، كما انها اذا ساورت الكرام
(صبروا) (٣) واذا هادنتم رؤفوا واحد بوا " . (٤) الى ان يقول : " قد صرت بتناول
الاذى وتبا ري المدى وركود الخطرات وفتور الثروات بمنزلة الريض الذلول ، القانع من الليالي
باقلاع بوسها وانحراف نحوسها ، المستكثر القليل من اسعادها والزهد من ادخارها
فلذلك اقتصرت وتركت بيني وبين الغاية التي دعيت الى الخدمة فيها منزلة اتفرغ بتركها لخير
اكتسبه ومعاد اصلحه وولد اوده به وصديق اذا كرهه . وغير ذلك مما الظفر به مفنم وعصر

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٧ ب .

(٢) يمكن تحديد تاريخ هذه الرسالة بسنة ٣٧٢ اذا اعتبرنا ان بداية محنته كانت على يد عز
الدولة سنة ٣٦٤ هـ .

(٣) كلمة محووة في الاصل وضعت مكانها كلمة متممة للمعنى .

(٤) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٥ أ .

الشيخوخة له موسم * (١)

اذا صاحب يطلب الصابي وذاك يتفنع ، وقد حاولت المصادر تفسير موقف كل من الرجلين فقيل ان صاحب كان يطلب ابا اسحاق * اما تشوقا واما تشرفا * . (٢) وقيل ان استدعاه اياه ابان محنته دليل على الود الاكيد الذي يضره صاحب له * ود خالص لوجه الادب ، وبو خالص لوجه الله ، لا يريد صاحب به جاها ولا منزلة لانه كان ان ذاك صاحب الجاه والمنزلة * . (٣) كما قيل بالنسبة لاي اسحاق انه كان * يحتمل ثقل الخلطة ، وسوء اثر العظلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة صاحب ، بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة في ايامه * . (٤) وقد رأينا ما اعتذر به ابو اسحاق شعرا ونثرا ، وسنحاول عرض هذا الموضوع استنادا الى الوقائع .

عرف صاحب بن عباد بالكبرياء والعجب ، وفي ذلك يقول الشعالي : * لما بلغت

سنوه الستين اعترته آفة الكمال . وانتابته امراض الكبر * ، (٥) وقد زخرت صفحات كتاب

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٥ ب .

(٢) معجم الادب ، ج ٢ ، ص ٥١ .

(٣) طبانة ، الصاحب بن عباد ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ و معجم الادب ، ج ٢ ، ص ٥١ .

(٥) اليتيمة ، ج ٣ ، ص ٢٧٨ .

مثالب الوزيرين للتوحيدى بذكر اخبار كبريائه واعجابه بنفسه وبأدبه وازدراعه لنتاج غيره من الادباء والشعراء . (١) وهكذا كان صاحب دائما يطلب الجاه والرفعة ويسمو الى المزيد من الرياسة والسلطة . فما هو قبل الوزارة يطمع في زيارة المتنبى له في اصفهان فيكتب اليه مستدعي اياه بلطف ضامنا له مشاطرته جميع ماله ، فلم يجبه المتنبى الى ذلك . (٢) وهذا يوضح لنا استهانه صاحب بنصف ماله مقابل ان يقصد المتنبى كما يقصد غيره من الرواساء وهو الآن يستدعي الصابي ويفريه بالمعاطيا الكثيرة فما هو هدفه ؟

هنالك عدة امور لا يمكننا انكارها:

اولا : اعجاب صاحب بادب الصابي وقد ذكرنا ذلك من قبل ، ويبدو ان ابن عباد كان يستدعي اجزاء من رسائل ابي اسحاق ليقرأها ، (٣) فوجد رسالة كتبها ابواسحاق الى احده اصدقائه الذى سيحمل جزءا من رسائله لعرضه على صاحب من المفيد اثباتها نظرا لاهميتها في تبيان الطريقة التي يخاطب بها ابواسحاق صاحب :

(١) انظر مثالب الوزيرين خاصة الصفحات ٨٢ - ٨٣ و ٩٩ و ١١٤ - ١١٥ و ١١٩ و ١٢٥ - ١٢٦ و ١٣٢ - ١٣٣ و ١٤٧ - ١٤٨ و ١٦٦ و ١٩٥ و ١٩٨ . وقد اشارت الى ذلك بعض الدراسات الحديثة . انظر مردم ، الصاحب بن عباد ، ص ٥٦ و ٦٢ و ٦٧ وآل ياسين ، الصاحب حياته وأدبه ، ص ٤٨ .

(٢) اليتيمة ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٣) لقاح الخواطر ، الورقة ٩١ ب .

" وليس مولاي ، ايد ه الله ، في حمل هذا الجزء الى تلك الحضرة الاديبية
والنفس الاديبية والفضائل السيارة ، والخصائص التي تقصر عن وصفها العبارة ، الا كمن
جلب الى هجر تمرا بل حشفا . (١) وحقا اقول انه كوز ما اجاج تجهز الى بحر فرات
عجاج ، فلينعم غير ما مورويقدم امامه اعتذارا او تصهيدا ، وليعلمه ، ثبت الله وطأته وادام
دولته ، انني عبده في الخدمة وتلميذه وتخريجه في الصناعة ، وان الحسنه مني وان ظهرت
فهي له محسوبة واليه منسوبة ويسأله لازل مسوء ولا ان ينبه على ما يرضاه ولا يخفيه
ويستر على ما ياباه ولا يبيديه ، ان شاء الله تعالى " . (٢)

ويبدو ان صاحب ، خلافا لعادته في ازراء نتاج الآخرين ، قد تحدث

عن الصابي في مجالسه معليا من شأنه ، فكتب الصابي يشكره قائلا من رسالة :

" وانا تأملت صنع الله في ان شئ وجه النعم الي ، وعطف بها علي ، وجدت
اوكد دواعيه واقوى الاسباب فيه ما حفظ علي مولانا صاحب الجليل كافي الكفاة وروى عنسه
وتردد في انديته ومحافله ، من اعلاء قدرى بتقريظه ، ونعتي بما لا يثبت الا بشهادتسه
وتقليده ، فاذا شكرت فاليه ينتهي شكرى ، وانا فخرت فعليه يقف فخري ، وما انا ملجأ مع
بعد الدار اليه عرض بضاعي نظما ونثرا عليه ، وتعريض اطمارها لانها تعرض وتتصفح بيمن

(١) الحشق من التمر : مالم ينو ، فاذا يبس صلب وفسد لا طعم له ولا لحاء ولا حلوة .

(اللسان ، مادة : حشف) .

(٢) لقاح الخواطر ، الورقة ٩١ ب .

يديه ، مع العلم بانها ضعيفة الاثمان خفيفة الاوزان مضمحلة على الامتحان ، فان رزقت قبولا منه فيحسن رأيه وان نغقت على غيره فيما يتضمن من طيب ثنائه . واذا ثبت قول القائلين ان كل مجتهد مصيب ، فقد اجتهدت وما فرطت ، واعذرت وما عذرت * (١)

ثانيا : نلاحظ في المقطوعات التي اثبتت تواضع الصابي حيال اعجاب الصاحب به . هذا التواضع الذي يبدو في مختلف رسائله للصاحب ، ان في شكره على الصلوات او في الاعتذار من الالتحاق به او في طلب المال ، هو الذي زاد رغبة الصاحب في استقدامه اليه والذي جعله لا يتخوف من شيوع مديحه لواعجابه به ، وذلك انه بكبريائه لا يمكن ان يحتمل من يتباهى عليه ويتمجرف ، لذا رأيناه يلاحق المتبني متمتعا سقطاته مظهرا سيئاته لانه ترفع عن الالتحاق به (٢) .

ثالثا : الصاحب كان يصل الصابي بالمال ابتداء ، ثم كان يوفده حين يمد اليه في نكاته وهذا ما اشعر الصاحب بان له افضالا على هذا الكاتب وكأنه ضيعته .

رابعا : الصابي كاتب الخليفة ورئيس ديوان الرسائل في الخلافة العباسية ، صاحب مكانة عالية لا يقلل من قيمته ومن رأى الناس به فقدوه منصبه وتعرضه للمحن ، او كما قال هو :
" وتعطلي مع شهرتي كتصرفي كل سوا " في الحساب الحاسب * (٣)

(١) لقاخ الخواطر ، الورقة ٩٥ ب .

(٢) البيئمة ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٣) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ .

فالوزير صاحب يعلم ان وجود مثل ابي اسحاق في بلاطه فيه المزيد من الرفعة له والعزة، خاصة مع ما تعلمه من تسابق امراء ووزراء ذلك الزمان على اجتذاب افضل الادباء والعلماء الى قصورهم . فالصاحب لم يكن يورعى الادباء رعاية خالصة لوجه الله كما قيل ، وانما ايضا ليشيع فيه الشناء الحسن والصيت الحميد ، ولو ان صاحب كان يصل الادباء كعمل من اعمال البر الخالص من الكسب الذاتي لما فارقه ابو حيان التوحيدى بعد ثلاث سنين من الخدمة وليس في حوزته منه درهم واحد . (١) اما كان يمكنه ان يصل التوحيدى ببعض المال ويصرفه؟

خلاصة القول ، ان صاحب معجب بترسل الصابي ، معجب بمكانته ، يرتاح الى طريقته في التصرف وتواضعه له ، يشمر بفضله عليه لانه كان يصله دائما بالمال هذه الاسباب مجتمعة كانت تدفع صاحب الى طلب الصابي اليه ليمثل بين يديه بعد ان كان استكنابه له حلما قد يما له حين كان يقول : " ما بقي من اوطارى واغراضى الا ان امسك العراق ، واتصدر ببغداد ، واستكتب ابا اسحاق الصابي " (٢) . فلما توفي مخدوم الصابي وسيد ، الملك المهذب عضد الكولة ، وكان الصابي في حالة فقر ، اتاحت للمصاحب فرصة تحقيق حلمه القديم . لذلك استدعى الصابي وبذل له الكثير لكن حلمه لم يتحقق و ابو اسحاق رفض الالتحاق به ، فهل كان رفضه نتيجة كبريائه كما ذكرنا ام بسبب ما كان يعتذر به من فقر

(١) مثالب الوزيرين ، ص ٢٠٧ .

(٢) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٦ ووفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .

وشيخوخة واهل ام ان هنالك اسبابا اخرى ؟
الصاحب بالنسبة لابي اسحاق رجل محايد ، مستقر ، بعيد عن التقلبات السياسية
التي كانت تطيح بوزير لترفع سواه ، وكان يرعاه ويمده بالمال ، فهو بالنسبة اليه الشهي
المستقر الدائم الذي يمكن الاعتماد عليه في كل الاوقات ، لذا كان يقصده اذا اعوزه
المال ايان محنته ويعلم انه لا يخيبه .

كما ان ثقة الصابي بالصاحب وبمكانته لديه دفعتة الى ان يوصيه بالاستمرار فسي
اجراء المال على اولاده بعد وفاته . (١) وما يجدر ذكره ان الصابي كان كلما مدح
الصاحب ادخل في مدحه صفة الكرم والعطاء ، كقوله يتحدث عن ان الدهر حرمه من جوار
الصاحب وباعده عنه * وانما حماني ورود بحر زاخر ، وحجيني عن ضياء بدر زاهر ، ومنعني
من بلال نوء ماطر واخرجني من عموم غيث قاطر وحال بيني وبين من اليه الشكوى لـ
ومنه العدوى عليه حتى خلابي فافرط ظلمه وتحكم في فجار حكمه * . (٢)

اذا الصاحب مصدر عيش للصابي ، ومساعد دائم ، لم يتغير من ناحيته يوماً ،
لكننا لانعلم تماما كيف يفكر ابو اسحاق بالصاحب فيما عدا ذلك . ونجد هنا رأيين
نقلهما التوحيدى عن الصابي ولا نعلم مدى صحتهما . يقول التوحيدى : * سألت الصابي
ابا اسحاق عنه فقال ان صدقت في وصفه سا* قوما وان كذبت في وصفه ساءني ولان انفسرد
بالمساءة احب الي ، وبعد فنحن معه كما قال الشاعر :

(١) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٥ .

(٢) التذكرة الحمدونية (٧٧٠) ، الورقة ٧٩ ب ولقاح الخواطر ، الورقة ١٩٥ .

" وتمتدب احيانا عليه ولو مضى لكنا على الباقي من الناس اعتبارا " (١)

كما ينقل رأى الصابي باده : " وقال الصابي : هو مجتهد غير موفق ، وفاضل غير منطوق ، ولو خطأ كان اسرعه ، كما انه لما عدا كان ابظا عليه ، وطباع الجبلي مخالف لطباع العراقي يثبت مقاربا فيقع بعيدا ، ويتناول صاعدا فيتقاعس قعيدا " . (٢)

ثم اننا لانرى في وصف الصابي للصاحب او في رسالته اليه ملامح اعجاب بشخصه باستثناء وصفه بالكرم الذي كان يفخره به ، لذا يمكن القول ان الصاحب وزيرا واديبا لا يعني الكثير للصابي والذي يبدو من عرض الحقائق فيما سبق ان عدم التحاقه به قد يكون عائدا الى اجتماع الاسباب التي ذكرها الصابي والمذكورة في المصادر . فالصابي كما قال عن نفسه قد روضته الايام حتى اصبح قانعا يرضى منها برفع البؤس عنه ، فهو لا يطمع بالكثير ، فلمسم اذا يتجشم مشاق الرحلة الى الصاحب تاركا اهله وابناءه ؟ فالغاية ليست على قدر كبير من الاهمية لديه كي تسهل اليها السبل ، والصاحب ليس ذاك الشخص الذي يحل كيانه بشخصيته كي يلتحق بخدمته ، كيف وبالا مس كان كاتباً في مثل مستواه .

اما اذا حاولنا البحث عن اسباب اخرى فلا نجد امامنا الا احتمال ان يكون الصابي

متمسكا بالبقاء ببغداد ، ولا يعود ذلك لخوفه على اهله كما كان سنة ٣٦٤ هـ عند مسـ

(١) مثالب الوزيرين ، ص ٢٠٩ .

(٢) الامتاع ، ج ١ ، ص ٦٢ .

رفض الخروج مع عضد الدولة الى فارس ، وانما لنيته القيام بمشروع معين ، كعمل سياسي تكون بغداد مسرحا له . فهل كان يومذاك قد تعرف الى الشريف الرضي ورأى فيه خليفة المستقبل ؟ ام هل كان بانتظار حدث كبير يغير الوضع القائم ؟ ام انه قد ارتبط بعمل ما مع الدعاة الفاطميين الذين كانوا في بغداد ؟

في هذا المجال نلاحظ اماكن وجود علاقة بين ثلاثة اقطاب : الشريف الرضي والصابي والفاطميين ، ففي فترة يرجح انها سنة ٣٨٤ (١) جرت حادثة مع الرضي تدل على انه يعلق آماله بالفاطميين ، ان لم تدل على ارتباطه بعلاقة معهم . فقد رفع اصحاب الاخبار للخليفة القادر ابياتا شعرية منسوبة الى الرضي يقول فيها :

مقول قاطع وانف حمسي

" كم مقامي على المهوان وعندى

وبمصر الخليفة العلوى

اليس الذل في ديار الاعادى

ى انا ضا مني البعيد القصي

من ابوه ابي ومولاه مسولا

واوامي بذلك الورد رى * (٢)

ان خوفي في ذلك الربع أمن

ففاظ القادر امر الابيات وعاتب والد الشريف بذلك هو وكل امره الى ابيه الذى عاتبه عتابا وافيا فانكر نسبة الابيات الى نفسه ، لكن لما امره ابوه ان يكتب للخليفة

(١) عباس ، الشريف الرضي ، ص ١٠٦ .

(٢) ابوالفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم (حيدرآباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٨ هـ) ج ٢٣ ، ص ٢٨١ .

بذلك طاعنا بنسب صاحب مصر رفض بحجة انه يخاف الدعاة ، وتردد القول بينه وبينه
ابيه فحلف ابو احمد انه لا يقيم معه في بلد وانتهت الحكاية ان اخذت اليمين على الرضي
انه لم يقل هذا الشعر (١) لكن بعد فترة عزل الخليفة ابا احمد والد الشريف وابنيه
من مناصبهم . (٢)

موقف الرضي من الفاطميين لم يثبت طويلا بل تغير ، فوجد انه لما كتب في ديوان
الخلافة محضر بالظمن في النسخ الفاطمي في ربيع الاخر سنة ٤٠٢ هـ كتب الرضي خطه فيه (٣)
هذا ما يجعلنا نربط بين الموقفين فنرى في الموقف الاول : وجود الصابي (٤)
وعلاقة جيدة مع الفاطميين ، وفي الموقف الثاني : غياب الصابي وانكار للحق الفاطمي .

بعد عرض مختلف الاحتمالات التي قد تكون ادت بالصابي الى رفض الالتحاق
بالصاحب يمكن وصف العلاقة بينهما بانها على مستوى من المتانة والثقة حتى انها لسم
تكن لتتغير يوما او تتأثر بمؤثرات خارجية . اعجاب واحترام من ناحية صاحب يقابلهم
تواضع وحسن تصرف من ناحية ابي اسحاق .

(١) المنتظم ، ج ٧ ، ص ٢٨٢ .

(٢) عباس ، الشريف الرضي ، ص ١٠٩ .

(٣) المنتظم ، ج ٧ ، ص ٢٥٥ .

(٤) حتى لو كان ابو اسحاق قد توفي في هذا الوقت الا ان رأى الشريف الفاطميين
لم يكن وليد ساعته انما كان سابقا في ذهنه .

شخصيته وآراؤه

ابو اسحاق الصابي انسان عرف بناحيتين : قلم بليغ وخلق رفيع . وقد وصف اهمل

العصر فيه هاتين الصفتين ف قيل في ادبه :

برسائل الصابي ابي اسحاق

" اصبحت مشتاقا حليف صباية

ذوب البراعة سلوة العشاق

صوب البلاغة والحلاوة والحجى

يحكي لنا الاطواق في الاعناق

طورا كمارق النسيم وتارة

كتبت بدائع على الاحداق * (١)

لا يبلغ البلغاء شأوا مبرز

اما خلقه فنختار ما قيل فيه كلام ابي حيان التوحيدي الذي وصفه " بالظرف الناصع ،
والتواضع الحسن ، واللهجة اللطيفة ، والخلق الدمش ، والعزفة بالزمان ، والخبيرة
باصناف الناس ، . . . " (٢) وكلام الشريف الرضي الذي قال في رسالة الى احد الرؤساء
يذكر ابا اسحاق بعد وفاته : " ابو اسحاق ابراهيم بن هلال ، فلو كان اسم يوضع على جماع
الفضل ويكون علما لمجموع النبل في زماننا هذا ، لكان هذا الاسم واستغنى بذكره عن ذكر

(١) اليتيمة ج ٢ ، ص ٢٤١ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٢٧ ومعاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٦١ .

(٢) الامتاع ، ج ١ ، ص ٦٨ .

الثناء الجميل ، واختصرت به مسافة القول الطويل * . (١)

لم يكن ينقص ابا اسحاق بنظر الكثيرين الا الاسلام . وهذا يرسم حوله علامة استفهام
ان كيف يمكن ان يتولى ديوان الانشاء ويتقلد تقليدا سلطانيا كاتب صابى * ، في حين ان الاسلام
هو من الشروط الواجبة على صاحب هذه الوظيفة (٢) اعتمادا على نصوص من القرآن والحدِيث
واعمال الصحابة والخلفاء الاولين .

يقول تعالى في القرآن الكريم ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يالونكم خيالا وادوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم
الآيات ان كنتم تعقلون ﴾ (٣) . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : " انا لانستعين
بمشارك " (٤) . وقد حفظ من اقوال الصحابة وفعالهم ما ثبتت ذلك ، (٥) كما درج عليه الخلفاء
ذوو الثناء الحسن في الامة . (٦) فلوظيفة كاتب ديوان اهمية كبيرة نظرا لعظم المهمات

(١) رسائل الصابى والرضي ، ص ١١١ .

(٢) صبح الاعشى ، ج ١ ، ص ٦٣ .

(٣) المصدر نفسه . سورة آل عمران (٣) : ١١٨ .

(٤) شمس الدين ابن قيم الجوزية ، احكام اهل الذمة ، (تحقيق صبحي الصالح ، دمشق ، مطبعة
جامعة دمشق ، الطبعة الاولى ، ١٣٨١ / ١٩٦١) ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

(٥) احكام اهل الذمة ، ج ١ ، ص ٢١٠ - ٢١٢ و صبح الاعشى ، ج ١ ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٦) احكام اهل الذمة ، ج ١ ، ص ٢١٢ : ويروى لنا ماجرى مع كل من هؤلاء الخلفاء بالنسبة
لهذا الموضوع انظر المصدر نفسه ، ص ٢١٢ وما بعدها .

المتعلقة بها وهي حفظ القوانين واستيفاء الحقوق ، وإثبات الرقوع ومحاسبات العمال ، وإخراج الأموال ، وتصحيح الظلمات (١) ، ثم إن الكاتب يحتاج للاستشهاد بالقرآن الكريم ففى كتاباته ولمعرفة أوامره ونواهيه ، فإن كان نسياً خلت كتابته من القرآن وإن حفظ شيئاً منه فقد أبيحت حرمة الله تعالى الذى يقول (لا يسه الا المطهرون) (٢) .

ومع ان الصابى لم يكن اول كاتب يستلم هذه الوظيفة من غير المسلمين الا ان شهرته الواسعة ، ربما دفعت بعض الدراسين (٣) الى محاولة تفسير وجوده حيث لا يحق له شرعاً ان يكون ، فرأى ان ذلك دليل على العناية بديوان الانشاء لان ابا اسحاق كان اكبر المنشئين فى زمانه (٤) . ويستطرد هذا الباحث مدعماً رأيه بالقول ان رثاء الشريف الرضى ، نقيب العلويين ، للصابى الذى رفض الاسلام يدل على ان قيمه

(١) ابو الحسين على بن محمد الماوردى ، الاحكام السلطانية (مصر ، مطبعة الوطن ، ١٢٩٨ هـ) ص ٢٠٥ وابويعلى الفراء ، الاحكام السلطانية (القاهرة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي ، ١٣٥٧ هـ) ص ٢٣٧ .

(٢) صبح الاعشى ، ج ١ ، ص ٦٣ ، سورة الواقعة (٥٦) : ٧٩ وقد فسرت هذه الآية بانها نفى للزعم الذى قال ان الشياطين تنزلت بالقرآن ، انما تنزلت به الملائكة المطهرون . " ولا " هنا نافية لوقوع الفعل لا ناهية . (فى ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٤٧) .

(٣) آدم متزفى الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ٤٤٨ .

(٤) المصدر نفسه .

الانشاء الجيد فسي نظرههم اهم من قيمة العقيدة الصحيحة (١) . ونجسد

رأيا آخر قريبا من هذا يعد استخدام ابي اسحاق على ديوان الانشاء

دليلا على اعتماد الحكام بالكتاب (٢) .

وكان القلقشندى (٣) قد حاول ايضا تفسير هذا الامر، فرأى انه

لا يحتج بالصابي وانه كتب للخلفاء وملوك الديلم وهو غير مسلم، لانه من مدة " قليل

اهلها، ليس لهم ذكر ولا ملكة، وليس منهم محارب لاهل الاسلام ولا لهم

له ولادة قائمة فتخشى غايلته وتخاف عاقبته" . (٤)

لكننا وعد عرضنا لحقيقة العلاقة بين الشريف الرضي وابي اسحاق نستطيع

ان نخطىء الرأى الذى اتخذ من رثاء الشريف للصابي دليلا على ان الانشاء الجيد اعلى

(١) الحضارة الاسلامية، ج ١، ص ٤٤٨، ويرى السيد محمد حسين فضل الله ان موقف الرضى من

الصابي يدل على عدله حيث ان الاختلاف مع الصابي فى ناحية العقيدة لم يمنعه من رؤية الجوانب الاخرى الايجابية فيه من قيمة ذاته وخلقية وثقافية (" تأملات حول شخصية الرضى"، ص ٢١) .

(٢) شوقى ضيف، الفن ومذاهبه فى النثر العربى (القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٧٧)

ص ٢٠٢

(٣) ف، صبح الاعشى، ج ١، ص ٦٣ .

(٤) المصدر نفسه .

قيمة في نظرهم من صحة العقيدة ، ان تبين لنا ان الادب لم يكن العامل الوحيد
الذى يربط بين الرجلين، بل تربطهما علاقة من الصداقة والثقة والتوافق السياسي تخطت
الاختلاف الديني بينهما. كما اننا نرى انه بالرغم من صحة الرأى القائل باعتداد الحكام
بالكتاب في ذلك العصر الا ان هذا ليس السبب الوحيد في تولية الصابي ديوان الرسائل،
وليس السبب ايضا ما ذكره القلقشندي ^١ به ليلته وجود غير وزير نصراني في الحكم نذكر منهم
مثلا ابا العلاء صاعد بن ثابت الذى استخلفه وزير عزالدولة بالحضرة سنة ٣٥٧ هـ (١)
ونصر بن هارون وزير عضد الدولة ، وهو^٢ من اهل ملته كثيرة العدد ولهم مالک ومنهم
محاربون لاهل الاسلام. والذى نظن انه السبب الحقيقي هو طبيعة الحكم في الدولة العباسية
في ذلك الوقت حين لم يكن التمسك بالنظام الاسلامي وما اثر عن السلف تاما ، وانما كان في
معظم الاحيان شكليا ، والافان امورا كثيرة كانت تجرى في الدولة مخالفة للشرع الاسلامي^٣
وفيها ما فيها من الظلم والتعسف كالمصادرات والاقالات والتلاعب بالخلفاء وغير ذلك
فعدم التقيد بالنظم الشرعية اعطى نوعا من الحرية لغير المسلمين فتنبهوا بعضهم
المناصب العالية كما بي اسحاق الصابي الذى تميز بالكفاية العالية والقدرة على العيش
مع المسلمين وكأنه احد هم .

(١) تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

لسنا ندرى في اى وقت تعرف ابواسحاق الى الاسلام ودرس القران وفقهه

وحفظه " حفظا يدور على طرف لسانه وسن قلمه " . (١) لكن من يقرأ رسائله لا يشك لحظة في انه مسلم ، ان لم يكن يعلم ذلك ، حتى ان رسائله الخاصة كانت تحفل بالروح الايمانية الاسلامية ، لكن اباسحاق كان صابئا ويقال انه كان من نساك اهل دينه ، محاميا عن مذهبه متصونا عن الشهوات والهوى (٢) ، وله في ذلك شعر :

حمتي لذتي رتب المعالي	وضني بالمروة والوقار
ودين ضاق فيه مجال فتكسي	لخوف عقوبة وحذار نار
فواشوقا الى خلع العذار	وفعلي ما اريد بلا اعتذار
ويالهبغي على حل الازار	صريعا بين سكر او خمار " (٣)

ويروى ان الصابي حضر يوما مائدة الوزير المهلبى فامتنع من اكل باقلا كانت عليها وهو محرم على الصابئة فالح الوزير عليه ليأكل فقال : " ايها الوزير لا اريد ان اعصى الله في مأكول ، فاستحسن ذلك منه " (٤) وقد بلغ من تمسك الصابي بدينه ان عسر

(١) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ووفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٣٩٢ .

عليه عز الدولة (١) الوزارة ان اسلم فرغى (٢) . لكن تدينه لم يكن
من نوع التعصب الذي يعمي البصيرة عن الرؤية ، فقد كان حسن العشره
للمسلمين ، يحترم ديانتهم . فبالاضافة الى حفظه القرآن ، نجد انه كان
يصوم شهر رمضان مشاركة لهم . (٣) فتسك الصابي بدينه كان تسكا
ايمانيا عميقا . وكثيرا ما تظهر نفحات الايمان هذه في رسائله ، من ذلك
على سبيل المثال لا الحصر قوله يذكر النوائب التي المت به : " والله في اثنا
ذلك سر جميل ، ومنع جليل ، والله المحمود رب العالمين " . (٤) او قوله : " وما رفعنا
اليه من العظامم التي لا يصبر لها ولا لبعضها الا من استحكمت بالله نفسه وحسن يقينه

(١) في المختصر في اخبار البشر ج ٤٦ ص ١٢٩ : " معز الدولة " .

(٢) البيهقي ج ٤٢ ص ٢٤١ ومعجم الادباء ج ٤٢ ص ٢١٠ وفيهات الاعيان ج ٤١ ص ٥٢

والعبر في خبر من غير ج ٤٣ ص ٢٤ . واعلام النبلاء ج ١٦ ص ٥٢٣ والوافي بالوفيات ج

ج ٤٦ ص ١٥٨ والمختصر في اخبار البشر ج ٤٢ ص ١٢٩ وشذرات الذهب ج ٤٣ ص ١٠٦ .

(٣) البيهقي ج ٤٢ ص ٢٤١ ومعجم الادباء ج ٤٢ ص ٢٨ وفيهات الاعيان ج ٤١ ص ٥٢ والعبر

في خبر من غير ج ٤٣ ص ٢٤ واعلام النبلاء ج ١٦ ص ٥٢٣ والبداية والنهاية ج ١١ ص ٣١٣

وشذرات الذهب ج ٤٣ ص ١٠٦ ويقول السيد عبد الرزاق الحسني ان الصابئة الحاليين يتشابهون

بالصيام في اول رمضان مجارة لمجاورهم من المسلمين كما كان يفعل ابو اسحاق الصابي

مع الشريف الرضي ، (الصابئون ، ص ١٣٥) .

(٤) لقاص الخواطر الورقة ٩٦ ب .

وانا احمد الله على ان انزل مع كل محنة امتحنني بها عبرا لها وشكرا عليها
وقولا بما يرضيه فيها". (١)

ويبدو ان علاقته مع ابننا* بلده الاول حران كانت جيدة ونرى فسي احدي

رسائله اليهم انه كان يحترمهم وينظر اليهم كجماعة روحية صافية، فيقول :

" اما دعاؤكم، ايدكم الله، لي فقد كنت اعتقد دوعا حصينة وجنة متينة واعلم
ان الله تدارككم، به حتى لان لي غليظ القلوب وتزحزحت عني كلاكل الخطوب، والا فلو وكنت
في تلك النائبة الى نفسي وعوني بي على استحقاقي لكنت بعيدا من ادراك مطالبي والظفر
بأرسي لان سهوى اكثر من تيقظي، وذهني اضعاف تحفظي . . . ومن كان بهذه الصفة
كانت نوائبه واقعة موقع العدل وكان مأخوذا اذا قبل منها الفضل وكان حريا بأن يقوم
ويؤدب وحقيقا بأن يشفق ويهذب لكن اعتقدت منكم، ايدكم الله بالعامل المجتهد، والساهر
المتجدد، والخير التقى، والصالح الزكي حفني بصلاتكم وانقذني بالرحمة لكم، ومن علي
بالخلاص انذلات حين ضاع". (٢)

ونحن لا نستطيع ان نستدل على الرخصيات في معتقد ابي اسحاق الا اننا نعلم
انه صائبي لا يختلف في عقيدته عن جماعة الصابئة بحران لذا هو يحترم دعاؤهم وتهجدهم

(١) لقاح الخواطر، الورقة ٩٧.

(٢) المصدر نفسه، الورقة ٨٩.

وصلا تهيم، ثم نجد له بيتا من الشعر في قصيدة غزلية يختصر عقيدة الصابئة بالتوحيد فيقول : (١)

* والصابئون يرون انك مفرد (٢) في الحسن اقرارا لفرد ماجد* (٣)

ثم ان الصابئ يعرف التجيم ويؤمن به، فيقول عن ذلك : * فان شمة هذه الصناعات هو، تقدم المعرفة بما يكون، والاستعداد له بما يمكن ولا اقول ان ذلك يؤدي الى دفع مقدورنازل ولا معارضة محتوم حاصل . ولكني اقول : ربما كان من سعادة السمع ان يعلم هذا الامر فيتصدى لحياسة ما يحب، ويتوقى حلول ما يكره، وربما كان من منحسة المنحسوس ان يجهله فيكون كالمسلوب بصره وسمعه، الذي لا يرى فيتحفظ، ولا يسمع فيتيقظ . وكلا الامرين لسابق قضاء الله تعالى موافق، ولمتقدم علمه مطابق* . (٤) وهكذا فالصابئي نظرة توفيقية بين استعمال الغيب وبين القضاء والقدر .

اذا فالصابئي بقي على معتقده الصابئي، الا ان حسن تصرفه ازال هذا الحاجز بينه وبين معارفه من المسلمين، فقد كان اسلمه في التعامل مع الناس يقرب القلوب منه

-
- (١) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٥٩ ومعجم الادب، ج ٢، ص ٨٧ وروضات الجنات، ج ١، ص ١٦٥ .
(٢) في معجم الادب وروضات الجنات : " فردة " .
(٣) في روضات الجنات : " لرب " .
(٤) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٤٨ .

ورأينا كيف استطاع ان يحول كتاب المهلبى من حساد الى اخوان واصدقاء، " وطسك
عادة لم، قد رضت نفسي عليها وسست ما بيني وبين اكثر الاخوان المهيبا اذ كانت
المسامحة انجح فيهم واوصل بجنابهم " . (١) ثم انه كان يقدر الصداقة ويحترم هذه
العلاقات الطيبة التى قد تنشأ بين انسان وآخر، فيذكر انه كان له صديق ابتعد عنه
ايام عطلته (٢) فلما اشرى الصابى وكانت حال صديقه قد ساءت كرتب اليه عارضا عليه
المشاركة فيما جاءه من مال قائلا : " ليس ينعني ما استحدثته ، ايدك الله ، من المقاطعة
التى لا عذر لك فيها من رعاية ما سلف من رعاية الحقوق التى كان منك لاني اطراحها ،
وقد عرفت من اخلاقي طى طول الصحبة ما يسهل سهيل المراجعة وانت على احوال لا استحسن
تركك عليها وخشية قد استحوذت عليك وعطلة قد غابت بك ، وقد اتانا الله ، وله الحمد ، في هذا الوقت
خيرا فى الجاه ، والمال حظك منه ان شئت متوفر ، ومرامه عليك متيسر ، فاحب ، ايدك الله ، ان تجعل
الجواب على هذه الرقعة المصير الي واشقا بان الذى جرى مطوى لا ينشر ومنسي لا يذكر " . (٣)
وهذا خير مثل طسى الصفح والمسامحة بين الاصدقاء .

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٢ أ .

(٢) المصدر نفسه ، الورقة ٩٥ .

(٣) المصدر نفسه .

اما ابو اسحاق الاب، فظاهر ما يبدو من صفاته الحنان والحب فهو حذب على
ابنائهم جل همه رعايتهم وحراستهم والاهتمام بامورهم والسعي لارضائهم، فقد كتب
الى بعض اولاده : " قد اوحشتهم، وجعلتهم، الله فداك، ايحاشا شديدا، ونزلت من الاولى
بك منزلا بعيدا وكان جفاؤك اذا جفوت قولا لا فعلا فقد جمعتهما الآن جمعا يخالف
الحقوقي ويساوي المعقوق . وانا في ذلك صابر عليك لا عنك، ولولا العلة التي تراءت من بعدك
وتضاعفت لبعدك، لكنك مكان هذه الرقعة ستعيدك الى الهرة وستغفوا من الجفوة." (١)

" وقال عاتبا على ابنه : (٢)

عليه ان يفضب الرحمن من غضبي

" ارضى على ابني اذا ما عنتي حذرا (٣)

(٥)

اقداء عيني وقد اقررت عين ابني"

ولست ادري بما استحققت من ولدي

(١) لقاح الخواطر، الورقة ٩٧ ب.

(٢) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٦٩، ومعجم الادب، ج ٢، ص ٧٦، والوافي، بالوفيات، ج ٦، ص ١٦٢.

(٣) في معجم الادب، والوافي بالوفيات : " عن".

(٤) في الوافي، بالوفيات : " حديبا".

(٥) في المصدر نفسه : " لم".

وقال حيمى رأى ولدا لولده المحسن مترعرا ناشئا : (١)

" ابو على محسن كبدى

وقد نشئا من فتاه لى خلب

كان هذا وذاك ان نسبا

من سواد يضمه قلسب

لا زلت القى الخطوب د رنهما

حتى كانوا عليهما حجسبا

وكان يحاول تدبير امور ابنائه ورأينا من قبل توصيته للشريف الرضى وللصاحب بن عماد بهم

بعد وفاته كما كان احيانا يلتمس اجرا الرزق لاحدهم فيكتب الى بعض الرؤسا . (٢)

" وما انا الا دوحه قد غرستها

وسقيتها حتى تراخى بها المدى

فلما اقشعر الجلد منها وصوت (٣)

اتتك باغصان لها تطلب الندى "

او يكتب الى بعضهم قصيدة فى انفاذ ابنه اليه ليستخدمه : (٤)

" بعثت اليك ابني، والله انه

لأحلى من النفس المقيمة فى جنبي

وهل انا الانسخة هي اصله

وهل هو الا كالمحرر فى الکتسب

(١) اليتيمة، ج ٢٢ ص ٢٧٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٩ والتذكرة الحمدونية (٧٧١)، الورقة ١٧٦ ب ومعجم الادباء،

ج ٢ ص ٧٦ - ٧٧ والوافى بالوفيات، ج ٦ ص ١٦٢ .

(٣) فى معجم الادباء، ج ٢ ص ٧٧ : " العود " .

(٤) اليتيمة، ج ٢ ص ٢٦٩ .

وشتان بين العود ابيض وانحنى وبين النبات الغض والغصن الرطب (١)

ومعايدل ايضا على رعاية الصابي لابنائهم واحفاده انه جعل من جملة اعتذاره عن الالتحاق
بالصاحب انصرافه الى تأديب ابنائه .

هنالك بعض النواحي السلبية في شخصية ابي اسحاق كالاكتثار من الشكوى
والاستعطاف والتذلل ، قد تكون دفعت اليها طبيعة عمله كاتبا والتقلبات التي كان
يتعرض لها صاحب هذه الوظيفة مما يجعل حياته عرضة للنكبات باستمرار ، وفي ذلك قال ابو
حيان التوحيدى عند ما سأله الوزير ابن سعد ان لم لا يعمل كاتبا في الديوان :
" انا رجل حب السلامة غالب علي والقناعة بالطفيف محبوبة عندي " . (٢)

خط ابو اسحاق الصابي الكثير من الرسائل في الشكوى من النكبات والسجن
او الفقر وارق ما الوجه في السوء ال والطلب . يقول في رسالة استمache الى صاحب :
" فلما صارت صروف الدهر تتوغل بعد التطرف ، وتجحف بعد التحيف . وصادف
ما تجدد علي منها في الوقت اشلاء منهوكة واعظما مبرية ، وحشاشة مشفية ، وبقية مودية ، فارقت
الايتار ، واطعت واعى الاضطرار ، وجعلت اختار الجهات ، واعتام الجنبات ، لأنحومنها

(١) البيئمة ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ .

(٢) الامتاع ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

ما لا يعاب سائله اذا سأل ولا يخيب آمله اذا امل ، فكان سيدي ، ادام الله عزه ، اولها
اذا عدت واولها اذا اعتمدت .

" وكتبت كتابي هذا بيد يكان وجهي يتظلم منها ان تخطفه اشفاقا على مائه ما بهريقه
لولا الثقة بانه ، ايده الله ، يحقن مياه الوجوه ويحميها ويجمعها ولا يقذيها ، . . . " (١)

ويقول في مثل ذلك : " ولما اتاخذت النكبة من حالي على طلل قفر ، وبلقع صفيره
وعون المفارم اثقل وطأة من ابكارها ، وابلغ تأثيرا في ثلمها واخرارها ، فقد اضطرني الى
تجشم ما كنت اجمه من نداء ، والتعرض لما كنت ادخره من جدواه ، . . . " (٢)

فلم يكن الصابي يأنف من التذلل للكبراء للوصول الى ما يريد ، من ذلك ما كتبه في
الشكوى عامة وما كتبه من السجن في استعطف اعضاء الدولة او غيره . وغالبا ما كان يعبر عن
العلاقة بينه وبين المسؤول او النعم بالملاقة بين العبد والمولى . ففي قصيدة كتبها
الى بعض الرؤساء في انفاذ ابنه اليه ليستخدمه يقول :

" فدونك فاقبله وثق منه بالذي يراد من العبد المناصح للرب " (٣)

(١) رسائل الصابي ، ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ .

او قوله في رسالة يشكر الوزير ابا الفرج محمد بن العباس، عند ما اطلقه من سجنه بعد
نكبتهم مع عمال المهلبى : " فوالله جهد القسم، اننى اليوم اخذت عبيده واصفاهم طوية
واصدقهم سريرة . . . " (١) .

او قوله فى رسالة الى صاحب : " وانفذت درجة كتابا الى مولانا الامير مؤيد
الدولة سلكت فيه سبيل العبد اللائذ بمولاه والخدام المحتاج الى نداء . . . " (٢)
ومن امثلة تذلل قوله يشكر الوزير ابا نصر سابور بن اردشير على صلته منه :

تشاكل ما قدمت من نعم عندي	" انتهى على بعد المدى منك نعمة
يمن بها المولى الكريم على العبد	كتابك مطويا على كل منة
وعفرت قد ام الرسول به خدى " (٣)	فقبلت اجلالا له الارض ساجدا

وهذا يشبه ما كتب في رسالة الى صاحب ردا على صلته منه :

" وقمت عند ذلك قائما، وقبلت الارض ساجدا، وكررت الدعاء والثناء مجتهدا . . . " (٤)

-
- (١) لقاح الخواطر، الورقة ٩٣ أ.
 - (٢) رسائل الصابى، ص ٤١٠.
 - (٣) معجم الاديب، ج ٢، ص ٧٢.
 - (٤) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٤٥ و لقاح الخواطر، الورقة ١٤ معجم الاديب، ج ٢، ص ٥٠.

من ناحية اخرى ، وفي اطار علاقة الصابي بالكبراء عامة من امراء او وزراء يلاحظ تميز الصابي بالليونة البالغة التي قد تتجاوز حدها لتبلغ ما يمكن تسميته بالتزلق او المعالاة ان لم يسجل للصابي طيلة حياته موقف سياسي واحد اتخذه ووقفه وانه بجرأة . هذا يدل على صفة المحايدة لديه وايثار السلامة والامن ، فهو يخدم الامير حتى اذا زالت ولتسه خدم من يحل محله واصبح مناصرا له ، وبكلام آخر ، يتخذ الصابي جانب الغالب دائما وقد بلغ من زعيقته وتدبذه انه لم يكن يعطي رأيه بصراحة وصدق باحد ما . من ذلك رأيه بالصاحب الذي نقله التوحيدى ونعيد اثباته : " ان صدقت في وصفه ساء قوما ، وان كذبت في وصفه ساءني ، ولان انفرد بالمساءة احب الي " (١) هذا الموقف لا ينطبق على رأى ابي اسحاق بالصاحب بالذات ، وانما يشكل قاعدة لتصرف الصابي وحكمه على الاشخاص فهو قد يجانب الصدق باعطاء رأى او باتخاذ موقف ، كي لا يسيء الى احد ، اما خوفا وحذرا او تزلفا ومجاملة .

قاعدة اخرى في سلوك الصابي هي تواضعه ، وفي ذلك يقول : " ان الترفع على الناس غلط في طلب الرفعة عندهم ، والتواضع لهم حيلة في الظفر بها منهم ، لمقابلتهم كلاما من الحاليين بعثله (٢) . ولا حاجة الى اعطاء شواهد على هذه الصفة التي ميزت كل علاقاته والتي

(١) مثالب الوزيرين ، ص ٢٠٩ .

(٢) لقاح الخواطر ، الورقة ١٨٩ .

هي اساس الاستعطف والتدليل لديه .

لكن هذا الجانب من شخصية الصابي المحايدة والمجااملة ربما كان يخفي جانبا اكثر خطورة وهو شخصية السياسي المتآمر الذي يعمل على الساحة السياسية بسرية وصمت وهنا تبدو عدة تصورات لصور الصابي ، لا يمكن عدّها حقائق لعدم توفر الادلة الكافية عليها ، وانما هنالك مؤشرات توحي بها . هذه التصورات قادرة على قلب الكثير مما ينسب حول شخصية الصابي من افكار ، لانها تشكل التقيض لما جاء حوله في المصادر ولما يسبذ من رسائله فحكاية نكبات الصابي المتواصلة ، قد لا تكون بسبب ظلم الحكام والروءساء فقط وانما لتحركات سياسية معينة كان الصابي يقوم بها . ففي بدء حياته كان يخدم المهلبسي وهذه العلاقة هي الوحيدة الواضحة في علاقاته مع الوزراء والملوك وكان نصيبه في نهايتها الاعتقال لوجود اسباب من الخلاف بين المهلبسي ومعز الدولة . لكن علاقاته بمعز الدولة وعضد الدولة تشير الاسئلة الكثيرة . فقد كان يعمل في خدمة عز الدولة ببغداد . وكان في الوقت ذاته يخدم عضد الدولة الذي كان في فارس عن بعد . ولما ساءت العلاقات بين الاثنين ، بعدما فتح عضد الدولة بغداد سنة ٣٦٤ هـ ، لم يتخذ الصابي جانب محدد من الاساسي عز الدولة وانما استمر في علاقته بعضد الدولة حتى اذا اراد هذا الانصراف عن بغداد خاف ابو اسحاق من البقاء فيها بعد مضيّه ، ولما لم يكن يستطيع مرافقته الى فارس ذكره عضد الدولة في وثيقة الصلح التي كتمت بينه وبين عز الدولة . مع ذلك استتر الصابي خوفا من عقاب عز الدولة ثم شفع له لدى عز الدولة ، فكتب له امانا ومع ذلك قبض عليه بعد ظهوره من الاستتار ، فاستتار الصابي الذي فسرناه فيما سبق بعدم ثقته بمعز الدولة

ووزيره ابن بقیة (١) ، يمكن ان يفسر ايضا بانه كان ضالعا في مؤامرة مع عضد الدولة الذي كان طامعا في بسط سيطرته على بغداد ، والا لم يعمل عضد الدولة على طلب الامان له قبل ترك بغداد وهو في الاصل ليرى كايه بل كاتب الخليفة وعز الدولة ، وهذا ما يؤكد اتعاز الصابي جانب عضد الدولة ربما لما يعرفه من قوته وقدرته واطماعه في السيطرة وسط النفوذ . ولما يعرفه في الوقت ذاته من ضعف عز الدولة وفساد تدبيره .

ثم لما خرج الصابي من السجن عاد الى خدمة عز الدولة حتى اذا ورد عضد الدولة بغداد للمرة الثانية سنة ٣٦٧ وتغلب على عز الدولة وقتله ، قُبض على الصابي بعد ان امنه ، هل اخطأ الصابي في الحساب هذه المرة فلم يتوقع عودة عضد الدولة الى بغداد فاكثرت من الاختصاص بعز الدولة والوقوف الى جانبه ؟ ام انه كان ضالعا بمؤامرة جديدة ما ادى الى القبر عليه وسجنه فترة طويلة لم تقصر منها رسائله في الاستعطاف ولا شفاعات اصدقائه ممن المتنفذين . ثم بعد خروج العاصي من السجن ثانية وبعد وفاة عضد الدولة بفترة غير معلومة

(١) راجع ص ٥٢٣ و ٥٢٤ من هذا البحث : وجميع الاحداث المذكورة في المتن قد فصلت فسي عرض سيرة حياة الصابي .

تماماً يبدأ بعلاقة مع الشريف الرضي صاحب الاطماع في مركز الخلافة، مقوماً لديه هذه النزعة مادحا جماعة العلماء شيئا بماثرهم. (١) ولا ندري ان كانت علاقته بالصاحب بن عباد ايضاً تحمل ابعاداً سياسية، فنجده يقول في احدى رسائله اليه معذراً عن الاقلال من مكاتبتة : (٢)

"كنت منذ سنين كثيرة مرمياً بعطلة وموسوماً بعزلة فتخوفت ان يتطرق لبعض المنحرفين عني والباغين عليّ قول ربما تطرق مثله (٣) علي من نيابه زمانه وهرتبه (٤) اوطانته، فأكون قد ابديت لمرآده (٥) عن مقاطي ولمجامله عن حز (٦) مفاطسي، فلزمت (٧) التقية وكرهت الاذية وانتظرت الامكان وتوقعت دورة الزمان...".

-
- (١) القصيدة في رسائل الصابي والرضي، ص ٢٧ - ٣١ والبيته، ج ٢، ص ٣٠٣ - ٣٠٥.
- (٢) الرساله في التذكرة الحمدونية (٧٧٠)، الورقة ٧٩ أ - ٧٩ ب ولقاح الخواطر، الورقة ٩٤ ب - ٩٥ أ.
- (٣) في لقاح الخواطر، الورقة ٩٥ أ. "ربما يطرق علي من نيابه"...
- (٤) في المصدر نفسه : "جفتبه".
- (٥) في المصدر نفسه : "انتدبت لمواصله".
- (٦) في المصدر نفسه : لمخاطبه عن حدّ".
- (٧) في المصدر نفسه : "فالتزمت".

فما هي الاسباب التي دعت الى التقية ابان المحنة والى التخوف من مكاتبة صاحب

او الاتصال به ، وما علاقته الحقيقية بالصاحب ؟

يلاحظ على الصابي بالاضافة الى ذلك ، انه كان خلال كل نكبة او بعد ها يعترف
بانه مذنب ويعتذر ويستعطف ، فهل كان التذلل و ارادة الخلاص تصل بالصابي الى حد
الاعتراف بذنوب لم يقترفها ؟ ام انه كان مذنباً فعلاً ؟

هذه صورة للصابي تتسم بعدم الوضوح ، فلا يمكن اتهمه صراحة بانه رجل مؤامرات
ودسائس لعدم وجود الاثبات القطعية ، كما لا يمكن الحوّل دون تسرب الشك السي
الانها ان حول هذه الشخصية الظاهرة العرونة والبرائة .

آراءه : اذا اردنا دراسة آراء الصابي نقع في صعوبة كبيرة وذلك لان ابا اسحاق كاتب
يكتب كما يجب ، وخاصة في مجال السياسة حيث لانستطيع استنتاج فكرة عن حقيقة آرائه
فهو في الرسائل الديوانية يتحدث عن نظام الحكم وصفات الحاكم كما يجب ان يكون ، بما
يتوافق مع الشرع الاسلامي ، اما في حديثه عن الملك فكلامه قريب من تجربته الشخصية
يمليه عليه ما يريد ان يتحقق له من عضد الدولة .

معظم آراء الصابي الاخرى جاءت نتيجة تجربته في الحياة ، فالنوايب والاحداث
التي مرت به ، تركت لديه خواطر من الحكمة والتأمل يصعب صياغة فلسفة في الحياة متكاملة
منها ، فهو يرى ان الانسان مركب من شيئين : شريف ودني ، النفس والجسم ، وانه كما
يجب ان يتخذ للجسم الدقي اطباء يعالجونه من امراضه ويغذونه بالقوت والدواء ، ويجب

ان يفعل للنفس الشريفة مثل ذلك فيتعاهدها بالآداب والنواهي والمواظب . (١)
ثم انه لاحظ تقلب الايام بالانسان وانتقاله من حال الى حال فرأى ان من شروط الدنيا
اقتران الخير بالشر والنفع بالضر ، وهذا امتحان من الله للعباد ليكونوا عند السسراء
على اهبة الانتقال منها فلا يغبطوا ، وعند الضراء على امل الخلاص منها فلا يقنطوا .
(٢) ويتحدث في المعنى ذاته عن الدهر وتقلبه " ان كانت الحسنه منه زائرة لا تقيم
والسيئة زائلة لا تدوم " ، (٣) لذا يجب ان يتبصر الانسان في معاناته مع الايام لاختلاف
ما تتعاقب به مع الثقة " بحلم الله العادل وفضله الشامل " (٤) مدار هذه الافكار كما نرى
عدم الركون الى الدنيا لانها لا تبقى على حال ، ونلاحظ قرب هذه الافكار من تجربته
الشخصية .

-
- (١) لقاح الخواطر ، الورقة ١٩٨ - ٩٨ ب .
(٢) المصدر نفسه ، الورقة ٨٦ ب .
(٣) المصدر نفسه ، الورقة ٩٧ أ .
(٤) المصدر نفسه .

وهكذا نرى ان نشير الى ان بعض الظلم وقع على الصابي في قول القائل
ان اثر الحكمة قليل في رسائله (١) وان القارى لا يجد فيها " ما يلفت النفس اليه
الا بعض الفقرات الوصفية التي تمثلنا لنا رجلا فنانا بحكم القول ، وجيد الوصف ، وهذه
الفقرات قليلة ايضا ، وهي غريقة في لجج استهائه وتطويله " . (٢) ونقول ان صاحب هذا
الرأى قد اغفل تجربة وجدانية عميقة تدو آثارها في رسائل الصابي وكلماته وأشعاره
المعمثرة في ثنايا المصادر . . صحيح انه كان فنانا يجيد سياسة القول ، لكنه كان ايضا انسانا
زهيف الحس ، عميق التأثر لكل فنان اصيل وحتى في رسائله الديوانية والتي تتضمن احيانا مسادة
قانونية بحث كالمهود والتقليدات نجده يضي عليها صفة فنية جميلة تحولها من مسادة
جافة الى حياة ، فنتصور الحاكم العادل يتحرك امام اعيننا بافضل ما يمكن ان يكون عليه حاكم ،
سنجد خلال دراستنا لغنه النثرى انه كان غنيا بالحكمة التي استندها الصابي من صخره .
• بدراسة القوانين الاسلامية ، والثقافة الاسلامية عامة ، حتى استطاع ان ينفذ الى روحية
هذه القوانين ويجردها من ماديتها .

(١) زكي مبارك في النثر الفني ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

مؤلفات الصابي

لابي اسحاق الصابي مؤلفات عدة في العلم الرياضي والادب والتاريخ ، منها ما ذكرته المصادر القديمة ولم يصل اليها ، ومنها ما هو مخطوط في مكتبات العالم ، والقليل منها هو المطبوع المتداول . فقد ذكر له القفطي كتاب المثلثات وعدة رسائل في اجوبة مخاطبات لاهل العلم بهذا النوع . (١) ويبدو ان احدى هذه الرسائل موجودة على شكل مخطوط وهي رسالته الى ابي سهل الكوهي وقد ذكرها بروكلمان . (٢) اما في الادب فذكرت له المصادر ديوانا شعريا (٣) وكتاب ديوان رسائل في نحو الفارقة . (٤) وقد تتبع بروكلمان امر هذه الرسائل وفصلها على الشكل التالي : (٥)

١- رسائل الصابي : (أ) في المعانيات (ب) في الشغاعات (ج) مانفذ الى العمال والنواحي ، (٦) .

-
- (١) تاريخ الحكماء ، ص ٧٥ .
 - (٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الادب العربي (ترجمة عبد الحليم النجار ، القاهرة دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧) ج ٢ ، ص ١٢٠ .
 - (٣) الفهرست ، ص ١٤٩ ومعجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٩٤ هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٧ .
 - (٤) المصادر نفسها وتاريخ الحكماء ، ص ٧٥ .
 - (٥) تاريخ الادب العربي ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .
 - (٦) وهو مخطوط . المصدر نفسه .

٢ - منشآت الصاهبي . (١)

٣ - المختار من رسائل أبي اسحاق الصاهبي وقد نشر الامير شكيب ارسلان الجزء الاول منه (٢)

واما في التاريخ فله كتاب التاجي في تاريخ بني بويه ، (٣) وقد ضاع الا قليلا

منه وسندرس خصائصه الادبية في الفصل الثاني . وقد نسبت بعض المصادر هذا الكتاب الى

سنان بن ثابت . (٤)

وقد ذكرت المصادر عدة مؤلفات نسبتها الى الصاهبي في حين انها

لسواه ، وان نسبتها اليه ليست ثابتة . فذكره كتاب اخبار اهله وولد ابيه . (٥) وقد

نسب الكتاب نعمه الى سنان بن ثابت . (٦) ولا علم لدينا حول هذا الكتاب طالما انه لم يعلن

(١) تاريخ الادب العربي ج ٢ ، ص ١٢٠ . وهو مخطوط .

(٢) المصدر نفسه . وهو مخطوط . وقد اعتمد الجزء المنشور منه في هذا البحث .

(٣) ذكر في الفهرست ، ص ١٤٩ ومعجم الادب ، ج ٢ ، ص ٩٤ وهديّة العارفين ج ١ ، ص ٧٠ .

(٤) معجم الادب ، ج ١١ ، ص ٢٦٢ ، نسبة الكتاب الى الصاهبي صحيحة بدليل اجماع المصادر

وما لتأليفه من علاقة مباشرة بحياته .

(٥) الفهرست ، ص ١٤٩ ومعجم الادب ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

(٦) معجم الادب ، ج ١١ ، ص ٢٦٣ وتاريخ الحكماء ، ص ١٩٥ وطبقات الاطباء ،

منه شي ولم يذكر في كتابات ابي اسحاق لكن يثير انتباهنا هنا قول ياقوت عن الصابي
" وكتب من الحبس الى ابنه المحسن وقد اكثر من هذا في ترجمة ابيه " (١) ، وقوله
في عدة مواضع من معجم الاديب انه ينقل من خط المحسن كما ان المصنفين
التي نقلت اسماء كتب سنن بن ثابت نقلتها من خط المحسن ايضا ، (٢) وقد
مر بنا وجود نوع من القرابة بين ابي اسحاق و سنن ، فهل يكون المحسن هو صاحب
كتاب اخبار اهل المذکور ؟

وطالما ان المصادر قد وقعت في الغرض في نسبة المؤلفات بين

الصائفة ، فقد نسبت الى سنن بن ثابت رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر (٣) ،

فيما نجد لابي اسحاق رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر اشار اليها التوحيدى

في المقابسات (٤) ، واثبتت في التذكرة الحمدونية (٥) ورد عليها ابن الاثير في المثل السائر

(١) معجم الاديب ، ج ٢ ، ص ٩١ .

(٢) تاريخ الحكماء ، ص ١٩٥ و طبقات الاطباء ، ص ٣٠٤ .

(٣) معجم الاديب ، ج ١١ ، ص ٢٦٣ و تاريخ الحكماء ، ص ١٩٥ و طبقات الاطباء ، ص ٣٠٤ .

(٤) ابو حيان التوحيدى ، المقابسات (تحقيق محمد توفيق حسين ، بغداد ، مطبعة الارشاد ،

١٩٧٠) ص ٢٧٢ .

(٥) التذكرة الحمدونية (٧٧٠) ، الورقة ٧٦ - ٧٨ .

بعد ان ذكر ما جاء فيها (١) .

نسب للصاهبي ايضا كتاب اخبار الوزرا (٢) ومعلوم ان الكتاب المذكور

هو تحفة الامراء في تاريخ الوزرا لحفيده هلال بن المحسن ونسبته اليه ثابتة . (٣) كما

نسب الي ابي اسحاق كتاب النهفات النادرة (٤) وهو لغرس النعمة بن هلال الصاهبي (ت ٤٨٠ هـ) .

وذكر من مؤلفات ابي اسحاق كتاب اخبار النجاة (٥) . وكتاب اختيار شعر المهلبى (٦)

ولا علم لدينا عنهما حيث لم يذكر في كتب الفهارس التي ذكرت الصاهبي (٧) .

(١) ضياء الدين ابن الاثير، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر (مصر، المطبعة المهيبة، ١٣١٢ هـ)

ع ٣٢٢ - ٣٢٤ .

(٢) هدية العارفين، ج ١، ص ٧٠ .

(٣) الكتاب مطبوع في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت، ١٦٠٤ وقد الحق به الجزء الثامن المتبقي من كتاب التاريخ لهلال بن المحسن وقد جاء في اخبار الوزرا ما يؤكد نسبة الكتاب الى

هلال حين يقول : " وعهدى وانا اوقع في قصص المتظلمين في ايام مصمام الدولة عن ابي اسحاق جدى في ديوان الانشا " . . . (ص ١٥١) ويذكر فيه ايضا منزلا ابتاعه ابو اسحاق .

(ص ٢٨٨) .

(٤) خير الدين الزركلي، الاعلام (بيروت - دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠) ج ١، ص ٤١ .

٤٧٨ والكتاب مطبوع بتحقيق صالح الاشرسنة سنة ١٣٨٧ هـ . ولد سبق استعماله فسي

هذا البحث .

(٥) هدية العارفين، ج ١، ص ٧٠ .

(٦) معجم الادب، ج ٢، ص ٩٤ .

(٧) كتاريخ الادب العربي لبروكلمان الذي ترجم للصاهبي، ج ٢، ص ١١٩ وكتاب :

Fuat .Sezgin, Geschichte des arabischen

Schrifttums (Leiden . E.J. Brill, 1975) 2: 592

اما الكتاب الذى ضم المراسلات بين الشريف الرضى وابي اسحاق فتنسب
بعض المصادر جمعه الى ابي اسحاق حيث تذكر من مؤلفاته كتاب مراسلات الشريف
الرضي ابي الحسن محمد الموسوي، (١) فيما تنسبه مصادر اخرى الى الشريف الرضى فتذكر
بين مؤلفاته كتاب رسائله الى ابي اسحاق الصابي (٢) ومختار شعر ابي اسحاق الصابي
وما دار بينهما من الرسائل . (٣) ولنا ندري ان كان هذان الاسمان يدلان على كهاب
واحد . اما بالنسبة للكتاب الذى وصلنا فى هذا الموضوع بعنوان رسائل الصابي والشريف
الرضي فالمؤكد ان الصابي لم يجمعه لتضمنه ما قاله الشريف فى رثائه .

(١) الفهرست، ص ١٤٩ .

(٢) روضات الجنات، ج ٦، ص ١٩٤ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٥ .

الفصل الثاني

الصافي الكاتب

" وایواسحاق معانیه فلسفیه ، وطباعة عراقیة ، وعادته محمودة ،
لايشب ولايرسب ، ولايكل ولايكلهم ، ولايلتفت وهو متوجه ، ولا
يتوجه وهو ملتفت ، . . . هذا ونظمه مشوره ، ومنشوره منظومه ،
انما هو ذهب ابريز كيفا سبك فهو واحد ، وانما يختلف
بما يصاغ منه ويشكل عليه ، " .

ابو حيان التوحيدى

الامتاع ، ج ١ ، ص ٦٧ - ٦٨

رسائل الصابي

انواعها

رأينا انه ضمن مؤلفات ابي اسحاق مجموعة كبيرة من الرسائل ، لا زال بعضها مخطوطا في مكتبات العالم ، مما حدا بنا الى ان نحضر دراستنا في ما نشر من هذه الرسائل ، خاصة في كتاب المختار من رسائل الصابي ، وما استطعنا استخراجها من ثنايا المصادر القديمة ، المطبوعة منها او المخطوطة .

يمكن تقسيم رسائل الصابي الى نوعين رئيسيين : الرسائل الديوانية والرسائل الشخصية .

١ - الرسائل الديوانية : ونعني بها كل ما كتبه ابو اسحاق عن الخليفة العباسي او عن احد الملوك البويهيين الذين كانوا يتسلمون زمام الامور ، او عن احد الوزراء ، ويشمل ذلك :

كتب الفتح :

تتضمن اخبار الخليفة او احد الملوك او غيرهم نبأ الفتح الذي قد يكون بالتغلب على احد الشوار المتمردين ، او باسترجاع منطقة كانت في ايدي الاعداء ، وغالبا ما تتضمن هذه الرسائل وصفا للمعارك ودعا لموقف المنتصر بالادلة والحجج . من امثلة هذا النوع رسالة فتح بغداد والانتصار على سبكتكين المتمرد سنة ٣٦٤ وقد كتبت عن عز الدولة بختيار الى ركن الدولة (١) ، ورسالة اسر المستق التي كتبت سنة ٣٦٢ عن المطيع لله الى ركن الدولة (٢) .

(١) رسائل الصابي ، ص ١٧ - ٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٤ - ٧٥ .

كتب مفتوحة الى الرعية :

يصدر هذا النوع عن الخليفة او الملك لنهي الرعية عن امر وحشهم على آخر او لطلب النصرة منهم . من ذلك رسالة عن الخليفة الطامع لله الى رعية خرجت عن الطاعة (١) . وعنه رسالة الى اهل البصرة (٢) . وغير ذلك .

كتب المهود والتقليدات :

وكانت تصدر عن الخليفة كالعهد الى احد الحكام او القضاة او تقليد اعمال النقابة او الحج او الملاة ، او تقليد حماية منطقة معينة . وتتضمن هذه الكتب عادة الصفات التي يجب ان تتوفر في صاحب التقليد او العهد ، والاعمال المتعلقة بهذا المنصب ، والتوجيهات التي تحدد له تصرفه وواجباته . ويدخل ضمن هذه المراسيم السلطانية كتب الخلع والتشريف والتلقيب والتكرمة كالرسالة الى عهد الدولة بالتشريف والخلع وزيادة التلقيب بتاج الملة ، (٣) والرسالة عنه ايضا بتكرمة بختيار بن معز الدولة (٤) .

كتب الاقطاعات وما يتعلق بالخراج :

تتعلق بشؤون الاقطاعات لاقطاع ضيعة الى احد الاشخاص وذكر شروط ذلك ومن امثلتها عن المطيع لله الى فلان (٥) . واما ما يتعلق بشؤون الخراج فمنها رسالة

(١) رسائل العاهلي ، ص ٢٨٢ - ٢٩١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠١ - ٣٠٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣١٥ .

(٥) ابن حمدون ، التذكرة (٧٧٠) ، الورقة ٦١ ب ، والقلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ١٢٣ .

عن المطيع لله في نقل سنة احدى وخمسين وثلاثمائة الخراجية (١) .

عقود الصلح والهدنة وعهود الامان :

فأما عقد الصلح فمنه ما يكتب من جانب واحد كالصلح الذي كتبه ابو اسحاق عن الشريف ابي

احمد الموسوي وابنه الرضي الى سابور بن اردشير وفيه الايمان المؤكدة على نفسيهما بالاخلاق له

وصيانة ابنته التي هي زوجة الرضي ، وجعل في نسختين (٢) . ومنها ما يكتب عن الطرفين كالصلح الذي

جرى بين صفام الدولة واخيه شرف الدولة سنة ٣٧٦ هـ ويذكر فيه شروط الاتفاق وما يلتزمه

كل الى الآخر ، ثم حلف كل منهما على ذلك (٣) .

واما رسائل الهدنة فتتضمن شروط الهدنة بين الطرفين والحلف على تنفيذها وتوقيع الشهود

على الكتاب . منها نسخة الهدنة التي كتبت عن صفام الدولة بأمر الطابع لله لملك الروم (٤) .

واما عهد الامان فهو شبيه بالهدنة وقد يكون - موجها الى فرد او جماعة طلبت الامان فيعطى

لها نتيجة التزامها بالطاعة والاستقامة . من ذلك نسخة امان لجماعة من العرب (٥) .

شؤون مختلفة : العلاقات بالدول والجماعات والولاء .

من ذلك نسخة تذكرة الى القرامطة عن عز الدولة يؤكد فيها الصلات الطيبة بهم ويعرض

بعدوه الناصر سبكتكين التركي (٦) . او ما يكتب عن الخليفة الى الولاة كتساب الطابع لله الى عضد الدولة

(١) رسائل الصابي ، ص ٣٠٥ والقلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٣ ، ص ٦٥ .

(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٤ ، ص ٩٧ - ٩٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٢ - ٩٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠ - ٢٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١٣ ، ص ٣٣٧ .

(٦) رسائل الصابي ، ص ٣٦٠ .

بالدعوة الى الصلح بينه وبين عز الدولة سنة ٣٦٦ هـ (١) ، او ما يكتب عن الملوك الى القواد

لاستمالتهم كما كتب عن عز الدولة الى سيكتكين (٢) ، ثم الى الفتكين (٣) .

هذه اهم الموضوعات التي تعالجها الرسائل الديوانية التي تعتبر المجال الذي برع فيه

الصابي وعليه كانت شهرته الواسعة . ثم اننا نجد نطا آخر من الرسائل يمكن الحاقه تجوزا بالرسائل

الديوانية ، وهو رسائل متنوعة كتبها ابو اسحاق عن الملوك او الوزراء في موضوعات مختلفة منها

الجدية ومنها الهزلية : اما في الموضوعات الجدية فتجد له رسالة كتبها عن عز الدولة لما نقل

ابنته المزوجة بعدة الدولة ابي تغلب الحمداني اليه (٤) . ومنها في الشفاعة كما كتب عن مصام

الدولة الى صاحب بن عباد (٥) ، ومنها في الصيد كوصف رحلة صيد عن الوزير محمد بن العباس بن

فسانجس الى عز الدولة بختيار (٦) ، او التهنية او غيرها من الموضوعات .

واما الموضوعات الهزلية : فمنها عهد التطفيل الذي كتبه ابو اسحاق عن عز الدولة

بختيار (٧) . ومنها كتاب تعزية في ثور كتبه عن ابن بقية الى القاضي ابي بكر بن قريعة يعزبه عن

(١) رسائل الصابي ص ٣٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٨٤ .

(٤) اليتيمة ج ١ ص ٢٥٥ وابن حمدون ، التذكرة (٧٧٠) ، الورقة ٦٠ ، وفي الراغب الاصفهاني ،

محاضرات الادب ، جزء من الرسالة ج ٣ ص ٢١١ .

(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ج ٦ ص ٥٦٠ .

(٦) ابن حمدون ، التذكرة (٧٦١) ، الورقة ١٩٢ .

(٧) التنوخي ، نشوار المحاضرة ج ٧ ص ١٥٥ ، الخطيب البغدادي ، التطفيل وحكايات الطفيليين واخبارهم

(تعليق كاظم المظفر ، النجف ، المكتبة الحيدرية ، ١٣٨٦ / ١٩٦٦) ص ١١٢ ، صبح الاعشى ج ١٤ ص ٣٦٠ .

شور جلس للعزاء عليه تراقعاً (١) .

٢ - الرسائل الشخصية : وهي كل ما كتبه ابواسحاق عن نفسه . والذي وصلنا من هذا النوع قليل جدا ، معظمه مقاطع من رسائل نقلتها المصادر ، عالج ابواسحاق فيها عدة موضوعات كالتهنئة والشكر ، والشكوى ، والعتاب ، والوصف والمدح والاستماعة والتعزية والادب ، وغير ذلك من الموضوعات . وكما اعتبر الصابي مجيدا في السلطانيات كل الاجادة فقد اعتبر مقصرا في الاخوانيات وكتب التعازي (٢) . وظالما ان النماذج التي لدينا قليلة فلانستطيع الفصل في هذا الموضوع ، بل سنعرض لذكر السمات العامة لرسائل الصابي المستفادة من رسائله جميعا .

السمات العامة للرسالة لدى الصابي :

لاتخرج رسائل الصابي من حيث بعض سماتها عن اطار عصرها ولا عما يحدده نوعها ، اذ تختلف الرسائل الديوانية في بعض خصائصها عن الرسائل الشخصية مثلا ، وهذا امر طبيعي ، لكن لرسالة الصابي ما يميزها ضمن السمات العامة للرسالة في عصره ، اذ ان لكل كاتب طريقة وان السمة الواحدة وان كانت عامة لكتاب العصر لابد ان تبرز في ادب كل كاتب بشكل متميز ، بالاضافة الى ذلك ، نجد ان لرسالة الصابي سمات اختلفت بها وحدها . فما كان الصابي فيه ما شيا لخصائص الرسالة في عصره ، مع تفرد ضمن ذلك في بعض النواحي ، طول الرسالة ، واستعمال الامثال والشعر فيها ، والاكتثار من السجع والازدواج ، واستعمال التحميدات والادعية والاقتباس من القرآن الكريم ، . . . اما الخصائص الذاتية الميزة للرسالة لديه فتبرز في بناء الرسالة وتصوير الشخصيات وغير ذلك .

(١) زهر الاداب ، ج ٤ ، ص ١٠١ .

(٢) ضياء الدين ابن الاثير ، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر (تحقيق احمد الحوفي ودور طبانة ،

القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الاولى ١٣٧٩ / ١٩٥٩) ج ١ ، ص ٣٣٢ .

١ - طول الرسائل :

تتميز الرسالة لدى الصابي عامة بطولها وخاصة رسائل الفتوح والمعهود ، وهذا عائد الى تشعب الموضوعات التي تعالجها احيانا ، وانتحائه فيها منحى تفصيليا استقصائيا ، بالاضافة الى رتبة الرسالة الديوانية وما استدعيه من التحميد والدعاء والايضاح والشرح وغير ذلك . كما في رسالة كتبها عن عز الدولة عند دخوله الموصل وانهزام ابي تغلب الحمداني عنها سنة ٣٦٣ هـ (١) فاننا نلاحظ احتواء مقدمتها على تحميدة ودعاء . اما التحميدة فيمكن ان تقسم الى اربع تحميدات ، في الاولى يحمد الله ويذكر صفاته في العظمة والقدم والعدل والكرم ، ومساعدة الاولياء والانتقام من الاعداء . والتحميدة الثانية على ان الله اصطفى محمدا للنبوته فنقل الناس من الضلال الى الهدى والتوحيد ، والتحميدة الثالثة على انه انتخب امير المؤمنين من اصل الشريف ، اما الرابعة فهي على ان اهل البويهيين : ركن الدولة وعز الدولة وعز الدولة على الحظوة عنده .

وعلى مثل هذه الاطالة جرى ابواسحاق في كثير من رسائل الفتوح كرسالة فتح بغداد (٢) ورسالة اسر الدمستق (٣) ، لكن الاطالة لدى الصابي غالبا ما كانت تخدم اهدافا في رسالته وهذا ما سنعرض له في تحليل نماذج من نشره . وانما نذكر من امثلة هذه الاهداف في المثال المذكور سابقا (اى رسالة فتح الموصل) (٤) .

اولا : خلق ثنائية متقابلة في الرسالة بواسطة اطالة المقدمة كما رأينا : فمن ناحية لسدينا البويهيون التابعون للخليفة المنتهي الى محمد رسول الله . وهذا يعطى شرعية للحكم ويجعله مثالا لله وخليفته على الارض ، يقابله من ناحية اخرى جماعة من المرتدين

(١) انظر الرسالة رقم (١) في ملحق الشواهد .

(٢) رسائل الصابي ، ص ١٧ - ٤٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٤ - ٧٥ .

(٤) انظر الرسالة رقم (١) في الملحق .

العاصين المنكرين لشريعة الحكم ، الخارجين عن الطاعة لحاكم بغداد ومن ثم للرسول محمد عليه السلام ومن ثم لله سبحانه . هذا السياق المنطقي في رسائله : الله ، النبي ، امير المؤمنين ، البويهيون ، يظهر النصر كنتيجة تؤكد على ان طاعة الامير الصالح هي من طاعة الخليفة الصالح الذي يؤيد ما اداءه النبي عن الله ﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ﴾ (١) ثانيا : الافاضة في شرح اسباب حملة عز الدولة على الموصل وذكر اعمال ابي تغلب وسيطته ، يخدم امرين : تغطية حقيقة موقف عز الدولة حيث يبدو ويربط من كل رغبة شخصية دفعت به الى الموصل كاللهو والصيد وجمع الاموال ، ثم ان الصابي لا يكتفي بتبرئة . . . حاجة عز الدولة حتى يجعل ذهابه ضروريا حيث يظهر بمظهر الحاكم الشرعي الذي ينفذ احكام الشريعة .

الامر الثاني هو اضعاف موقف ابي تغلب ، فذكر سيئاته ثم الاستطراء في ذكر ما جرى بينه وبين والده واخوته يخدم في ادائه فييدو في الرسالة بصورة المناقض تماما لما يجب ان يكون كما جاء في القرآن الكريم . فبدل ان يكون القائد المسلم المرابط في الثغر ينحط الى مرتبة عامل من عمال صاحب الروم او بطريق من بطارقه يهديه الخمر والصلبان ، لذا تجب مقاتلته شرعا .

ثالثا : يخدم التطويل في الاتاحة لعناصر فنية بالبروز في الرسالة كرسوم الشخصيات والتطوير التصاعدي في الاحداث .

ونظن ان الاطالة من مستلزمات اسلوب الصابي الذي يسير على وتيرة واحدة ويتميز بالهدوء النسبي ،

او كما قال التوحيدى : " لا يثب ولا يرسب ، ولا يكل ولا يكهم " (٢)

٢ - الترابط في تركيب الرسالة : البنية الخارجية والبنية الداخلية .

على ان طول رسائل ابي اسحاق لم يفقد ها . وحدتها والترابط القائم بين اجزائها ، والسدى

(١) سورة النساء (٤) : ٥٩ .

(٢) الامتاع ، ج ٤١ ص ٦٧ .

يجعل كل قطعة من الرسالة تخدم هدفا لدى الكاتب ، وسيبين لنا ذلك في

تحليلنا لطبيعة تركيب الرسالة أي البنية الخارجية والبنية الداخلية لها .

فاما البنية الخارجية فهي متشابهة في معظم الرسائل حيث تتألف الرسالة عنده من

ثلاثة اقسام : المقدمة ، والموضوع أو القضية ، والخاتمة . وغالبا ما تبدأ المقدمة

بأما بعد ، وتتضمن حكمة تختصر موضوع الرسالة أو القضية التي ستعرض فيها كقوله في رسالة

تعزية لمحمد بن العباس (١) :

" الدنيا ، اطل الله بقاء الرئيس ، اقدار ترد في اوقاتها ، وقضايا تجرى الى غاياتها . ولا يرد

منها شيء عن مداه ، ولا يصد عن مطلبه ومنحاه وقد تقترن الحكمة بالتحميد والدعاء في الرسائل

الديوانية ، وقد يستعملان دونها كما رأينا في مقدمة كتاب فتح الموصل . والتحميد غالبا ما يتضمن ذكر صفات

الله وحكمته والاشادة . بالاسلام ونبويه محمد عليه الصلاة والسلام .

ونجد شكلا آخر للمقدمة هو البدء بـ " كبت " أو " كتابي " ثم يذكر تاريخ الرسالة او مكان

المرسل . لكن مع اختلافات اشكال المقدمة نجد ما تحتوي التحميد والدعاء بشكل شبه دائم يتبعه التمهيد

لعرض الموضوع الذي غالبا ما يبدأ بالقول : وقد عرف مولانا او وقد كان كذا . . . حتى اذا انتهى

من عرض القضية فاضى الى الخاتمة التي قد تكون حمدا او دعاء وقد تكون طلبا لطيفا او امرا بالقيام بعمل ما ،

وقد تتضمن تاريخ كتابة الرسالة .

هذا هو الشكل الغالب على رسائل ابي اسحاق وان كنا نجد له بعض الاستثناءات ، كأن نجد

له رسالة تجاوز فيها المقدمة الى الموضوع مباشرة كقوله في رسالة استماعة الى صاحب (٢) . " اننا

اعتذر الى سيدي ، اطل الله بقاءه ، من تأخر كتبي عن حضرته "

اما اذا كانت الرسالة جوابية فقد تبدأ بالمقدمة المعهودة وهنا يقسم الموضوع الى

جزئين : يتضمن الاول تلخيصا لمضمون الرسالة المتضمنة يبدأ بقوله : ووصل كتاب مولانا . . . وينتهي

بالقول " وفهمته " ليبدأ بالرد عليها وهو الجزء الثاني من الرسالة .

(١) الرسالة في الحصرى ، زهر الآداب ، ج ٤ ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) رسائل الصابي ، ص ٤٠٤ - ٤١١ .

فالبنية الخارجية للرسالة الصابنية بسيطة وان اختلفت في بعض اشكالها . اما البنية

الداخلية فانها لا تخلو من بعض التعقيد وغالبا ما تبني على الثنائية ، ولا يستبعد ان يكون لهذا

البناء علاقة بحياة الصابي الشخصية ودين الصابئة الذي يؤمن به .

فمن ناحية حياة الصابي ووضعه في بيئته ، فهو صابي ، يعيش بين المسلمين ويتسلم مركزا

في دولتهم فهو ظاهرا يتصرف كأحد هم : في عمله كاتبا ويفهم القوانين والانظمة الاسلامية ويتخذ جانب الحاكم

المسلم الذي يعمل له هتم في علاقاته مع المسلمين بحسن معاملته لهم ومشاركتهم صيام رمضان وبحفظ

القرآن وغير ذلك . فالظاهر بسيط ، انه يبدو كأحد المسلمين ، لكن الحقيقة التي اصر عليها ابواسحاق

وسجلتها المصادر انه بقي على معتقده ، بل كان من المتشددين فيه . وهنا يبدو التعقيد في شخصية

الصابي حيث انه يعتقد ديانة يقر باعتناقه اياها لكنه لا يبدو الكثير من فروضها او مفاهيمها ، ويتحدث

بلسان ديانة اخرى لو آمن بها حق ايمان لكان اعتنقها خاصة مع ما قد تحمل له من تسهيلات

في العيش واعتلاء المناصب .

اما من ناحية ديانة الصابئة فان هذه الديانة تحمل نوعا من الثنائية من وجود ظاهر لها

وباطن . فالظاهر بسيط : توحيد الله ، وايمان ما بالنجوم والكواكب ، والباطن معقد تختلط فيه النظريات

الفلسفية بالطقوس الوثنية ، بالاسرار التي لا يعرفها الا القلة منهم ، مع شعور بالتميز عن بقية الناس

فلا يطلع على دين الصابئة احد ، وبالتالي لا يسمح لأحد بالدخول فيه .

هكذا نجد ان الصابي عاشر الثنائية في شخصيته على مستوى علاقته بالاسلام والمسلمين ، ومستوى

معتقده الديني - قبل ان تظهر في تركيبته رسائله ، فنلاحظ مثلا في رسالة اسر الدمستق (١) . انه

ادخل سياقاً خارجياً على النص ليفيد منه في خلق صورة موازية للوضع الذي يريد ابرازه في الرسالة .

فهو حين ركز في مقدمته على صفات الله الذي ينصر اولياءه ، وينزل اعداءه ، والذي اختار الاسلام ديناً لهذه

الامة واظهره على الدين كله ونصره . واصطفى محمداً وفضله ، وبعثه رسولا فدفع برسائله واستنقذ الامة

(١) انظر الرسالة رقم (٢) في الملحق .

من الضلال ووحدها ، يكون قد ادخل سياقاً خارجياً ربطه باهخاص الرسالة بشكل مواز .
فاذا وجود الخليفة هو استمرار لرسالة محمد ، والعمل تحت راية الخليفة عمل تحت راية الاسلام
ومن اجل عزته ، ثم جعل ركن الدولة اساس الشجرة البويهية وعز الدولة استمراراً له ، وجعل العلاقة
بين شخصية الخليفة وشخصية عز الدولة هي ان الاولى حافز للثانية والثانية دعامة للاولى . الاولى
تمثل القوة الروحية والثانية القوة العملية فكلاهما معا يمثلان محمداً الذي جمع بين القوتين . ثم
نرى الوضع الذي تتحرك فيه الشخصيات المتوازنة نفسه : فحال الامة قبل الاسلام من الكفر والضلال كحال
الروم الذين يعيشون في الارض فساداً . ثم انه لم يكن يرسم هذه التشابهات حتى اعاد الى الازهان
بداية الصراع مع الروم حين وضع المعركة التي يصفها في الرسالة في الاطار الذي جرت فيه وقعة مؤتة
التي جرت بين المسلمين والروم وهزم فيها المسلمون ، لكن لينهي هذه المعركة بنتيجة معكوسة : انتصار
اولياء الله وانهمزام اعدائهم . وسنورد المقطع المتشابه في وصف بداية المعركة بين السيرة والرسالة . ففي
السيرة يتحدث الكاتب حول المسلمين : " ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من ارض الشام ، فبلغ الناس ان هرقل قد
نزل مآب من ارض البلقاء ، في مئة الف من الروم ، وانضم اليهم من لخم وجزام والقين وسهرا ، ويلي مئة
الف منهم ، فلما بلغ ذلك المسلمين ، اقبلوا على معان ليلتين يفكرون في امرهم " (١) . وفي الرسالة
يقول الصابي : " وورد واظا هرآمد يوم الثلاثاء . . . فعرفوا صحة خبر الدمستق لعنه الله وحصوله على
اقواه الدروب في خمسين الف رجل منهم عشرون من المدججة . ودوى المراتب المقدمة وتلوم اصحابنا
بها يريحون والكفرة على مسافة يوم منهم . مقيمون مرة تقدم بهم الآجال ، ومرة تحجم بهم الاوجال ، " (٢) .
اذا ، سياق الرسالة قائم على الموازنة بين حالتين وشخصيتين لابرز الحالة التي يريد شرحها
في الرسالة واعطائها معنى روحياً عميقاً يتجاوز الحروب العادية بين الدول ليكون حرباً للحق على الباطل
والهدى على الضلال ، مما يبلننها مستوى الرسالية ، هذا ما يعطي قيمة للتحميدات في المقدمة والتي تبدو

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية (تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الابيارى . وعبد الحفيظ طهبي ، مطبعة

مصطفى الباطني الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٣٢٥ / ١٩٥٥) ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٢) رسائل الصابي ، ص ٧٢ .

لأول وهلة طويلة وخارجة عن موضوع الرسالة • وقد ارتبطت هذه الثنائية في الرسالة المذكورة بنوع من التطوير التصاعدي للأحداث بلغ بها إلى مرحلة حاسمة وهي المعركة التي يريد تصويرها والتي تشكل حلاً للقضية المطروحة •

شكل آخر من الثنائية نجد في رسالة فتح الموصل وهي الثنائية القائمة على المقابلة والتضاد ، لا الموازنة ، حيث لا يجري التركيز على شرعية الحكم وارتباطه بالله ورسوله بقدر ما هو على إبراز الناحية المقابلة لذلك وهي اعداء الحكم أي أبو تغلب ومن معه من الكفار ، وقد بلغت هذه المقابلة حد القلب حيث تتطور شخصية أبي تغلب سلبياً حتى تبلغ مرحلة لا تطور بعدها إلا بفعل خارجي ، وهي عقدة القضية فكانت المعركة التي ووجه بها هذا العاصي الحل لها •

أبو تغلب قائد مسلم عهد إليه بحماية الثغور ومجاهدة الروم فلادلف " طاغية الروم " وقاد إليه الخيل العتاق " مما يساعده على المسلمين وحمل إليه الخمر وصلبان الذهب • هذا التقرب إلى صاحب الروم حول أبا تغلب إلى أن يشبه عاملاً من عماله وطريقاً من بطارقتة وهنا تبلغ الشخصية غاية في السلبية بحيث تصبح في جملة اعداء الله • فملاطفة الروم كما يرى الصابي ، تخالف قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ (١) • ونقله الخيل من ديار المسلمين إلى ديار اعدائهم نقيض قوله تعالى : ﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ (٢) • أما اهداء الخمر والصلبان فيخالف قول الله عز وجل : ﴿ انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ (٣) • هنا لم يبق إلا أن يصدر الحكم

(١) ريباتل الصابي ، ص ١٣٣ • سورة التوبة (٩) : ١٢٣ •

(٢) المصدر نفسه ، سورة الانفال (٨) : ٦٠ •

(٣) المصدر نفسه • سورة المائدة (٥) : ٦٠ •

على هذه الشخصية فتكون المعركة .

وقد اتبع الصابي هذا الاسلوب في غير رسالة ومنها مثلاً رسالة الظفر بروزبهان سنة

٣٤٥ هـ (١) ، حيث يعتمد الى السرد التطويري للاحداث ، وينحو منحى تصاعدياً في ابراز ملامح الشخصية

معتمداً التناقضات . ومن يقرأ الرسالة يجد انها قائمة برمتها على التناقض بين معان عدة : كالنعم

والنقم ، والشاكر والكافر ، والمطيع والعاصي ، بين شخصية روزبهان المناق الجاحد وشخصية معز الدولة

المحسن الحليم ، بين ظاهر روزبهان وباطنه ، بين جيش روزبهان وجيش معز الدولة . وهكذا تتفاعل

هذه التناقضات حتى تكون المعركة التي جرت بين معز الدولة وروزبهان قمة هذا الصراع بين التناقضات ،

يأتي بعدها الحل وهو انتصار الاولياء وهزيمة الاعداء ، وهو الحل الدائم في رسائل الفتوح لدى الصابي .

اذا ابواسحاق يعتمد في البنية الداخلية للرسائل على الثنائية المتوازنة او المتقابلة

كما يعتمد على السرد التطويري للاحداث وللشخصيات ، فيسير باحداثه وشخصياته في طريق التعقيد لبلوغ

نقطة معينة تشكل عقدة القضية وغالباً ما يكون الحل بفعل خارجي كالمعركة مثلاً .

٣ - تصوير الشخصيات :

من اهم الشخصيات التي رسمها الصابي في رسائله شخصية المناق ذي الثنائية المتقابلة :

ظاهر وباطن . هذه الشخصية كما صورها ابواسحاق في شخصية روزبهان المناق موافقة لما جاء في القرآن

الكريم من وصف للمناقين .

شخصية روزبهان هي ابرز ما يبدو في رسالة الظفر بروزبهان وقد سخرت لاجل ابرازها بعض

الاحداث والشخصيات الاخرى . فنحن نتعرف بهذه الشخصية منذ بداية امره حين كان صغيراً فرغمه

معز الدولة وكرمه حتى * تقطعت بمنافسته انفاص النظراء * (١) . لكنه عصى واتبع هواه ونفسه فسقطت عنه النعمة . فتحرف اليه وهو في القمة حائزا على الثقة والقوة وحوله الرجال والاولياء . ويكيد له الحساد لكن سيده لا يقبل عليه كيذا ويفسح له مجال العودة عن نفوره ، وهنا تبرز لديه صفة الإنال في العصيان فيستمر على عناده وفيه ، ويعلم ما كان خافيا ، فيبدو في اوج قوته في العصيان والسلبية وتبلغ الشخصية غاية علوها ليسقط. بعد المعركة في صورة الاسير الذليل الخاضع .

بمقارنة ملاح هذه الشخصية مع صفات المنافقين في القرآن نجد تشابها كبيرا : روزبهان المنافق

يخفي ما لا يظهر : فقد اظهر لنا غرورا من سعيه في الخدمة وكذبه ، وسرابا لامعا من وقائمه ونصحه ، وهو يدب الضراء ويسر حسوا في ارتشاء ، ويوكي على الغشريعيايسه ويحنو على النكث ضلوعه وحجابه ، ولا يبدى لنا بادية وفاق ، الا عن خافية نفاق (٢) يقابل هذا في القرآن الكلام عن صفة الخداع لدى المنافقين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون * (٣) .
- الصفة الثانية هي التظاهر بالطاعة واسرار الكيد والمؤامرات : ففي الرسالة يتصل روزبهان بأخيه لاطلاق سجينين في القلعة كانا من المتمردين ، ثم يتصل من ذلك ويذم فعلة اخيه ويدعي الموالاة والطاعة ، وقد وصف فعل المنافقين في القرآن بالقول * واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون * (٤) .

- من صفات روزبهان الكفر بالنعمة والاساءة الى من احسنه ، فقد احسن اليه معز الدولة ورفع من قدره

ومكانته * وانتبهنا في الانافة بقدره والاشادة بذكوره ، والتفخيم لامره . . . الى الخاية التي لا

تسمح بها نفس باذل ، ولا تسمحوا اليها همة آمل ، فلما عز بعد الذلة ، وكثر بعد القلة . . . نزت به بطنته وادركته

(١) رسائل الصابي ، ص ٥٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

(٣) سورة البقرة (٢) : ٩ .

(٤) سورة البقرة (٢) : ١٤ .

شقوته، ونزغ له شيطانه، ٠٠٠ فنصب اشراكه وجباله، واعمل مكايده ومخاتله ٠٠٠ (١)

وفي القرآن ﴿ وما تقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ (٢)

ومن صفاته ايضا ان اسراره الكيد يجعله يشعر بأنه متهم فنجده يذكر بحرمانه مما جعل

معز الدولة يحلف له ايمانا كثيرة يؤمنه ويهدى من ثغوره " وادعى من تنكرت له وتغيرنا

عن العناية به واصفائنا الى افساد المفسدين عليه، وياحشر الموحشين منه (٣) ٠٠ وفي

القرآن يقول سبحانه يصف المنافقين من آية ﴿ ٠٠٠ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ (٤)

ثم ان آفة المنافق صفة مركوزة في طبيعته وهي تؤدي الى نهاية مهلكة: " ٠٠ ابي

له ضعف العقل والنحيظة، ولوم الطبع والخريظة، الا اصرارا على طيشه وسفهه واستمرارا في

طيشه وسفهه، ٠٠٠ (٥) ثم يقول واصفا اياه " دالفا دلوف الجاهل بريسه

الذاهل عن رشده، المركوس في غيبه، المموق الى حتفه، ٠٠ اورده قحة الاديم

(١) رسائل الصابي، ص ٥٥٠

(٢) سورة التوبة (١) : ٧٤

(٣) رسائل الصابي، ص ٥٥٣

(٤) سورة المنافقون (٦٣) : ٥٤

(٥) رسائل الصابي، ص ٥٥٥

ورقة الدين موارد هلكة لاصدر عنها ،واقتمت به قحم خطة لا انفراج لها ،والله في ذلك كله ناصرنا
وخاذله ،ومظفرنا وقاتله ،ومعلمنا ومسقطه ،* (١) وفي القرآن * في قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضا ،ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون * (٢) .

ثم نجد ابا اسحاق يفيض في سرد الاحداث ليمرزا بعباد هذه الشخصية وساعاتها مع انها
شخصية المناق العاصي في حين تختفي شخصية معز الدولة البر والخير . هذا التعادى في ابراز
جوانب الشخصية بالاضافة الى تركيز الصابي في مواضع كثيرة من الرسالة على ان الله ينزع النعمة
من كافريها واستشهادها بالآية * وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل
مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * (٣) . يجعلنا تتصور
ان هدف الصابي انما يفسره ويدل عليه هذه الفكرة التي اذا طبقت على وقائع الرسالة تعني ان روزبها ن
الذي جاحه النعمة وكفر بها كان عقابه من الله ان يخسرها وان يعرض عنها البؤس والشقاء . وهكذا
يكون هو الذي قتل نفسه بأن جنى عليها لكفره بالنعمة . وما دور شخصية معز الدولة الادور الوسيط
او الاداة التي اتاحت لهذه الشخصية تطورها ثم قتلها . ان هو الذي انعم الله بواسطته على
روزبها ن وبواسطته اذله الله واسقطه .

شخصية ثانية اجاد ابو اسحاق في رسمها هي شخصية الكافر الذي عصى الله وخالف
امامه وقتل والده وقطع رحمه . هذه هي شخصية ابي تغلب الحداني في رسالة فتح الموصل

(١) رسائل الصابي ، ص ٦٠ .

(٢) سورة البقرة (٢) : ١٠ .

(٣) سورة النحل (١٦) : ١١٢ .

وهنا لا يترك ابواسحاق شخصيته تلقى مصيرها بنفسها وتصل الى غايتها المحتومة . انما يهسي
لوجود قوة خارجية تعيد هذه الشخصية الى صوابها وذلك بعد ان تحل كم وتحشد كافة
الادلة التي تدل عليها ثم يصدر الحكم عليها تماما كهيئة المحكمة .

تشمل شخصية ابي تغلب المرتبة الاولى في معاني الرسالة في حين تساهم
شخصية عز الدولة في محاولاته لتقسيمه ومعاملته له ، في ابراز سمات هذه الشخصية
فتشكل المحرك لها المساعد على ظهورها خاصة في الجزء الاول من الرسالة حيث يبدو
تحوار الشخصيتين وتفاعلهما ، وذلك بشكل تطويرى تنتهي فيه كل شخصية في جانب ،
فعمز الدولة يحاول تأليف المعاندين لابي تغلب ويحاول اصلاحه ثم يلومه ويوسط وزيره
لرده الى الجادة ولما يستمر ابو تغلب في غيه يستعمل عز الدولة الحزم معه فينهز السى
الموصل . اما ابو تغلب فقد اظهر اولا القبول والتبصر حتى اذا تقلد اعمال ابيه
منع المال وخان العهد ، ثم ازداد طمعا وشرها واصراراً على الخطأ ثم كاشف بالخلاف
والشقاق . ابو تغلب الذى برز مكاشفا يسقط سريعاً وينهزم امام جيش بختيار ويظهر
عمله في انراق سفن عز الدولة عمل جبان هارب . هنا ينتهي كل ما يمكن للصابي ان يقوله
عن ابي تغلب مما جرى له مع عز الدولة . لكنه لما كان يريد ادانة الرجل عمد الى البحث عن
اشياء اخرى فيه ليوظفها ضده فوجد ان اختيار والده له وتقديمه على اخوته لم يكن
لكفايته ولا اعتمادا على رأى والده وحزمه ، انما اتباعا لهوى امه . فلما هيئت له
فرصة القدرة والقوة تحول الى نفس كاسر فجزى والده جزءا ام عامر لمجيرها ضاربا بكل
القيم الانسانية والوصايا الالهية عرض الحائط . وقد ارفق الصابي ذكر هذه
الحادثة بما اوصى به القرآن الكريم عن طريقة معاملة الوالدين فبدت النقيض الفاضح
لبشاعة عمل ابي تغلب . لكن هذا ، كما يقول الصابي ، لم يرض ابا تغلب فغدر باخويه .

وهذا تصعيد وتطوير لصفة العقوق والقسوة التي يتميز بها ، انها عظيمة من العظائم ، لكن الاعظم منها اغفال ابي تغلب حفظ الثغور وجهاد الروم ، بل على العكس ، لقد هادنهم وارتكب المحرمات من اهدائهم الخيل والخمر والصلبان . وهذا ما يضع ابا تغلب في خانة عمال صاحب الروم بل وبطارقته اى انه قد تخلى كلياً عن دينه عندما استحل ما حرم الله .

ويرى الصابي ان ما اتهم به الرجل عظيم جدا وخطير فيعمد الى التدليل عليه استنادا الى كتاب الله ، حيث يفصل التهم واحدة واحدة ، ويظهر من القرآن ما يتنافى معها ثم يعود لذكر فعلته مع عز الدولة من التضييق على رجاله وتخريقه لسفنتهم . فيبدو هذا الفعل صغيرا بجانب ما اتهمه به حتى الان . ثم وبعد هذه الادلة الدامغة يصدر الحكم على ابي تغلب . الحكم بالقتل او الرجوع الى الحق . فيبدو الموضوع باسره وكأنه مرافعة قضائية يدلي بها محام قد ير يشرح القضية مبينا ادلة الادانة استنادا الى آيات قرآنية وكأنها مواد قانونية ، وبعد الالتفات على الخصم من جميع الجهات يصدر الحكم عليه .

عدة عوامل استعملها ابواسحاق في الرسالة ادت الى نجاحه في تصوير ما اراد تصويره من هذه الشخصية منها اعتماده المنحى التصعيدى وذلك فحى الارتفاع باعمال ابي تغلب من العظيم الى الاعظم ، واستعمال عبارات توهمى هذا المعنى كقوله : " ولم يرض فضل الله (اى ابو تغلب) بما اتاه حتى . . . " او قوله : " واعظيم من هذا خطيبا واوسر مسلكا ولحبا . . . " ومن هذه العوامل استناده الى القرآن الكريم حيث ان آياته قد دعمت معانيه لكونها النقيض لاعمال ابي تغلب خاصة وانه كان يتبعها باساليب بلاغية كالاستفهام الانكارى واستعمال القسم كقوله : " فباى وجه يلقي الله قاتل والد حذب قد امر الا ينهره ؟ وبأى لسان ينطق يوم يسأل عما استجاره فيه وفعله . . . " تالله لو ان بمكانه

عدوا لهما قد قارضهما الذحول (هنا يتحدث حول ابي تغلب واخيه المشارك في فعلته)

وقارعهما عن النفوس، لقبح بهما ان يلوم ما ذلك اللوم عند الظفر به . . . (١) . او قوله :

" فهل يجتمع في احد المساوي، ما اجتمع في هذا الناد العائد ، والشاذ الشارد ؟ وهل

يطمع من مثله في حق يقضيه او فرض يؤديه ، او عهد يرعاه ، او ذمام يحفظه ، وهو لله عاص ، وللأمانة

مخالف ، ولوالده قاتل ، ولرحمه قاطع ، كلا والله بل هو الحقيق بأن تثنى اليه الأئمة ، وتشرع

نحوه الاسنة ، وتنصب له الارصاد ، وتشحذ له السيوف الحداد . . . (٢) .

ثم ان معرفة الصابي بالاحكام الشرعية قد هيات له اصدار الحكم الشرعي على المجرم

وهو القتل او الافاء الى الحق فيكون حكمه شبيها بحكم الراجع عن الردة ، المحمول على ظاهر

الشريعة (٣) . ونجد ان نجاح ابي اسحاق في تصوير شخصية ابي تغلب بصرف المرتد المارق جعله

(١) رسائل الصابي ، ص ١٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

(٣) قتال اهل الردة : " هو ان يرتد قوم بحكم باسلامهم سواء ولدوا على فطرة الاسلام او اسلموا عن كفر فكلا الفريقين في حكم الردة سواء فاذا ارتدوا عن الاسلام الى اى دين انتقلوا اليه ما يجوز ان يقر اهله عليه كاليهودية والنصرانية ، او لا يجوز ان يقر اهله عليه كالزندقة والوثنية لسم يجوز ان يقر من ارتد اليه لان الاقرار بالحق يوجب التزام احكامه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه فاذا كانوا ممن وجب قتلهم بما ارتدوا عنه من دين الحق الى غيره من الاديان لم يخل حالهم من احد امرين : اما ان يكونوا في دار الاسلام شذاذا وافرادا لم يتحيزوا بدار يتميزون بها عن المسلمين فلا حاجة بنا الى قتالهم لدخولهم تحت القدرة ويكشف عن سبب ردتهم فان ذكروا شبهة في الدين اوضحت لهم بالحجج والادلة حتى يتبين لهم الحق واخذوا بالتوبة ما دخلوا فيه من الباطل فان تابوا قبلت توبتهم من كل ردة وعادوا الى حكم الاسلام كما كانوا ، والحال الثانية ان ينحازوا الى دار ينفردون بها عن المسلمين حتى يصيروا فيها متمعين فيجب قتالهم على الردة بعد مناظرتهم على الاسلام وايضاح دلائله ويجرى على قتالهم بعد الانذار والاعذار حكم قتال اهل الحرب في قتالهم غرة وبياتا ومصافتهم في الحرب جهارا وقتالهم مقبلين ومدبرين ومن اسر منهم جاز قتله صبورا ان لم يتب ولا يجوز ان يسترق . . . (الماوردي ، ص ٥١ - ٥٣) وانظر للمزيد من التفصيل المصدر نفسه (ص ٥٤ - ٥٥) والاحكام السلطانية ، لأبي يعلى (ص ٣٥

وما بعد ها) .

ينجح في الوصول الى هدفه من تغطية السبب الرئيسي في مضي عز الدولة الى الموصول وهو طمعه في اموالها وغلاتها وقصده للتصيد واللهو في طريقه (١) . فاستطاع ان يظهر عز الدولة بمظهر الحاكم العادل الذي دفع الى الحرب لأجل تطبيق احكام الشريعة واعادة الحق الى نصابه .

٤ - الاسلوب القصصي :

غالبا ما استعمل ابو اسحاق هذا الاسلوب في رسائله الديوانية عامة ، وفي ما يتعلق بالفتوح والاخبار عنها والظروف التي ادت اليها كقمع احد العاصين او الكفار خاصة . اذ انسه يستعمل في هذه الحالة الترتيب التاريخي للاحداث فتسير على نسق مع اسلوبه الهادي ، المتزن ، الذي تثير فيه الحيوية براعته في الوصف ، وبعض التقلبات في الاسلوب ، كالانتقال من الخبر الى الانشاء ، او استعمال الاسلوب الخطابي ، والتعابير القوية القصيرة المدى ، فلنقرأ سرده لحادثة قتل توزون للمتقي لله في رسالة كتبها الى الطائع لله يحذره فيها من البقاء مع الاثراك لما سبق لهؤلاه ان فعلوه بالخلفاء قبله : (٢) .

" وهذا المتقي لله رضوان الله عليه بالاس قد اخذت له على توزون بيعة مستأنفة مؤكدة

عند عودته من الشام الى العراق ، واشهد على نفسه الله جل اسمه وانبياءه وملائكته ثم القضاة والشهود ، والشيوخ والوجوه ، بالوفاء له بما ثبت فيها ، فما وقعت عليه عينه ، حتى غدربه ، ونقض ميثاقه ، وفعل في امره ما هو معروف مشهور من حيث لم يمهله فواقا ، ولا ابلعه ريقا ، ولا طلب عليه علة ، ولا

ركب فيما احله به حجة ولا شبهة ، فأتق الله ايها الامير ، وقاك الله في نفسك النفيسة ، ودلتك الهاشمية ، واخرج من قبضة من لا يؤمن ، عليك ، بل هو معتقد ما قدم ذكره فيك " (٣) .

(١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣١٥ - ٣١٦ .

(٢) الرسالة في رسائل الصابي ، ص ٣٤٨ - ٣٥٤ ، وانظر الحادثة في مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٦٩ ، وما بعدها ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٤١٨ ، وما بعدها .

(٣) رسائل الصابي ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

ونجد نماذج من هذا الأسلوب القصصي ويعتمد فيه العبارات القصيرة القوية الوقع في

وصفه للمعارك بشكل خاص، وسنرى أمثلة ذلك في كلامنا حول الوصف الملحمي (١) .

٥ - براءة في الوصف : النفس الملحمي

ما يميز أسلوب أبي اسحاق أيضا براءة في الوصف تتجلى في الدقة المصحوبة بحيوية في

السرد، فلنقرأ كيف يصف أبو اسحاق مثلاً عاقبة الجاهل، الكافر بالنعمة، وندمه حين لا ينفع الندم :

" فلا يلبث أن يصبح مترد يابرداً، بنحبه، مقتنعا (متقنعا) قناع خزيه، مأخوذاً من مأمنه وحرزه،

مستنزلاً عن نخوته وعزه، ماثلاً عرشه بعد السمو، مخفوضاً عماده بعد العلو، مهتوكاً حجابيه وذراه،

مستباحاً حريمه وحماه، مستمراً ما كان استحلاه، مستويماً ما كان استمرأه، كآبياً ليديه وفمه، مفضيماً

الى عواقب حسرتيه وندمه، عاثراً لا يستقيل، سقيماً لا ييل، كسيراً لا ينجبر، مضيقاً لا ينتصر، ... (٢) .

ويعتمد الصابي أحياناً التصعيد في الوصف الذي يقوم على السرد التاريخي والتقطيع المسجوع

كما في وصفه لأحد الفتوح : " حتى استنزلهم عن معقل بعد معقل، واستباحهم في مويل بعد مويل،

وقتل حمايتهم، وافتى كمانهم، وأباد خضراءهم وغراهم، وبغفى معالمهم وآثارهم، والجأهم الى الأذعان

وطلب الأمان، وتسليم الرهائن، والافراج عن الذخائر، والاستقامة على سواه الدين، والدخول فسي

عصمة المسلمين " (٣) .

وللصابي رسالة مهمة في وصف متصيد جمع فيها بين وصف الصيد ووصف الطبيعة، (٤) .

وقد يعتمد أسلوباً هزلياً ساخراً في وصفه، إذ أننا نجد له رسالة كتبها الى بعض أصدقائه وكان أهدي

(١) اقرأ شاهداً آخر على ذلك المقطع رقم (٤) في الملحق .

(٢) رسائل الصابي، ص ٤٥ وانظر شاهداً آخر على ذلك المقطع رقم (٥) في الملحق .

(٣) رسائل الصابي، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٤) انظر نموذجاً منها في الملحق المقطع رقم (٧) .

اليه جديلا لم يكن بالصفة التي كان ينتظرها ابو اسحاق فكتب له الرد واضعا الرسالة في اطوار
من الجديدة حين بدأها بوصف رسالة صديقه بالبلاغة والاصابة وجمال الخط والاسلوب السي
ان يبلغ وصف الجمل الهزيل السقيم فيجد انه لا يصلح لشيء (١) .

وللصابي فقرات في وصف المعارك اجاد فيها كل الاجادة الا ان قصرها وقطعه لسياقها

بذكر امور اخرى كتاريخ الحركة ، قلا من زخم النفس الملحي الذي يسيطر عليها . من ذلك
المعركة التي وصفها في رسالة فتح بغداد ، وسنعرض لها في تحليل الرسالة ، والمعركة التي اسر فيها
الدمستق وقد قدم لها بذكر معركتين صغيرتين سبقتاها (٢) . وتتميز بروح ملحمة من ابرز خصائصها :
اولا : يظهر الصابي ان المسلمين يحاربون من اجل نصره الاسلام ورفع الحق على الباطل ، اي انهم
يظهرون تحت راية عقيدة او مبدأ . فيما الكفار هدفهم السلب والظلم والغزو . وكان الانتصار لاصحاب
العقيدة الصحيحة . فالعنصر الاخلاقي في الملحمة نجد ههنا دينيا وتلاحظ انه كان بين الاسرى
جماعة من اصحاب المراكز الدينية .

ثانيا : تدخل قوة عظيمة في المعركة نصرت الاولياء وهزمت الاعداء ، وهي الله . والنصرة الالهية للاولياء
نجدها في معظم الحروب التي يصفها الصابي .

ثالثا : المشاهد التي تصور المعركة مشاهد ملحمة : اعداد الجيوش ، استعمار المعركة ، ذكر الاسلحة
المستعملة ، ذكر النار التي تنتظر الكافرين والرووس التي ارسلت الى بغداد .

(١) انظر الرسالة رقم (٨) في الملحق .

(٢) انظر رسالة اسر الدمستق (رقم ٢) في الملحق .

اما المقاطع التي تخفف من زخم المعركة فمدها ذكر النعمة في النصر، وانفاذ الكتب من

الخليفة وجز الدولة الى ابي تغلب وغير ذلك، على ان الروح الملحمية وان كانت تسيطر على

وصف الصابي للمبارك الا اننا نجد ان الروح الاسلامية تطفئ عليها وتطبعها بطابعها، يتبين لنا

ذلك اذا قارنا معركة الظفر بروزبها (١) مع معركة بدر الاسلامية كما وردت في السيرة النبوية

لابن هشام وسنجد وجوه شبه كثيرة بين المعركتين وكأن الصابي استوحى فكرة معركته ومشاهد ها

من معركة بدر، ابرز وجوه الشبه بين المعركتين :-

اولا : ان وقعة بدر جرت يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من رمضان (٢) ، والمعركة على روزبها ان

جرت الاثنين انسلاخ شهر رمضان، وفي ذكر الصابي لهذا التاريخ واغفاله ذكر تواريخ اخرى في الرسالة

مثل تاريخ انطلاق معز الدولة وتركيز منه على اهمية هذا الشهر وبركته على المسلمين، ولأن معركة

بدر التي جرت فيه كان النصر فيها حليف المسلمين كما في هذه المعركة التي اعتبر فيها

ان جماعة معز الدولة تمثل المسلمين الحقيقيين فيما جماعة روزبها تمثل المنافقين اعداء المسلمين

الخارجين عن طاعتهم، وليست هذه المرة الوحيدة التي يقرر فيها الصابي ايمان قوم بالاسلام وهم

جماعة الامير الموطد لحكم الخليفة، وكفر قوم آخرين وهم اعداء الامير الخارجين على الحكم، واذا

هجننا من كون الصابي يقرر هذا وهو غير مسلم نجد الجواب في انه دائما كان يتخذ جانب

الامير الذي يعمل له ويتكلم بلسانه وفي انه نتيجة لسيطرة الفكر الاسلامي على كتاباته، كان يعتمد

في رسائله دائما الى اعضاء صفوة الشرعية على حكم البويهيين وذلك في انهم يدعون

الخليفة الذي هو خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسي الحكم واقامة

(١) انظر الرسالة رقم (٣) من الملحق وانظر ايضا رسائل الصابي، ص ٥٩ - ٦٢.

(٢) ابن هشام السيرة، ج ١ ص ٦٢٦.

احكام الدين ورسول الله هو الذي بعثه الله ليخرج الناس من الظلمات الى النور وهذا يربط

بين وجود الخليفة وبين الرسالة الالهية فاذا في وجوده استمرار لها في الحياة والخروج على

الامير الداعم لبقاء هذه الرسالة ومثلها ، الخليفة وخروج عن احكام الدين وبالتالي كفر .

ثانيا : اعتبار جماعة معز الدولة بمثابة الجماعة المسلمة وجماعة روزبهان المناقفة الخارجة

على الدين مشابه لوضع المسلمين في حربهم للمعركين ويدخل ضمن هذا المفهوم اشياء تفصيلية متشابهة :

أ - اعتبار اصحاب معز الدولة في جهاد للمناققين ، يقابله في بدر وعد الرسول عليه السلام لمن

يستشهد من المسلمين في المعركة بالجنة حين قال : " والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم

رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبره الا ادخله الله الجنة " (١) .

ب - اعتبار النصر من عند الله في قول الصاهي " انزل الله نصره على اوليائه ، ويشفع لهم وعد بوفائه " (٢) .

يقابله وعد الله للرسول بمناصرته ، فالرسول بعد ان عدل صفوف اصحابه اخذ يناشد ربه

ما وعد من النصر (٣) ويقابله ايضا تدخل الملائكة في المعركة الى جانب الرسول (٤) ، وفي المعركتين

نلاحظ اسناد افعال القتل والاسر الى الله ، ففي رسالة الصاهي : " فانهزم الخائن هزيمة قوض الله

بهنا ~~فروشه~~ ، وفسد ~~جيوشه~~ ، وضل ~~ساوسه~~ وابطل ~~هواجه~~ " (٥) .

(١) ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ص ٦٢٢ .

(٢) رسائل الصاهي ، ص ٦١ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ص ٦٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٣٣ - ٦٣٤ .

(٥) رسائل الصاهي ، ص ٦١ .

وفي السيرة : " فقتل الله تعالى من قتل ممن صناديد قريش، واسر من اسر من اشرافهم " (١) .

ثالثا : تشابه في التركيب المردي لاحداث المعركتين خاصة في سرعة اعلان هزيمة الاعداء . ففي

الرسالة يذكر الصابي لحة عن المعركة والكسر والقتل ثم لا يلبث ان يعلن نصر الاولياء

وهزيمة الاعداء (٢) . اما في السيرة فتذكر لحات من القتال الفردي (المبارزة) ثم تصرف افراد معينين

في المعركة ثم امر الرسول اصحابه " فقال : شدوا ، فكانت الهزيمة " (٣) . يتبع ذلك استطراد او

تفصيل في ذكر مشاهد الاسر والقتل بعد الهزيمة في الحالتين .

رابعا : تشابه في بعض المشاهد من المعركتين : من ذلك لحاق جماعة معز الدولة بروزبهان والاحاطة

به كاحاطة المسلمين واولهم بلال بامية بن خلف . ففي الرسالة : " واحاطوا به وملكوه وتباكوا

عليه تباك المتنافسين في الاثر المتشاجين على الظفر " (٤) . وفي السيرة : " فاحاطوا بتبا

حتى جعلونا في مثل المسكة " (٥) . ومن ذلك ايضا مشهد الخوسيني في الرسالة صريحا

مجندا لا قضي على اثر جراحة (٦) ، شبيه بمشهد ابي جهل الذي وجد على آخر رمق ثم قضي (٧) .

ونجد بين رسائل ابي اسحاق وصفا للمرأة رأينا ان تشير اليه لانه الوصف النثري الوحيد في

المرأة - فيما لدينا من رسائله - ثم لما يبدو فيه من صناعة في الاعتناء بالسجع والجناس لم يستطع

الصابي اخفاها . يقول :

(١) ابن هشام، السيرة، ج ١ ص ٦٢٨ .

(٢) رسائل الصابي، ص ٦٠ - ٦١ .

(٣) ابن هشام، السيرة، ج ١ ص ٦٢٨ .

(٤) رسائل الصابي، ص ٦٢ .

(٥) ابن هشام، السيرة، ج ١ ص ٦٣٢ .

(٦) رسائل الصابي، ص ٦٢ .

(٧) ابن هشام، السيرة، ج ١ ص ٦٣٥ .

مشوقة ، القد ، أسيلة الخسد ، ساجية اللحظة ، شاجية اللفظ ، صادفة الدعج ، ظاهرة اليننج ،
حوراء الطرف قنوا ، الانف ، مائلة الردف ، جائلة العطف ، راحة الشكل ، بارعة الشكل ، مليحة
النحر ، صحيحة الصدر ، دقيقة الخصر ، مشرقة الثغر ، جمدة الشعر ، مريضة النظر ، كثيرة الخفر ،
شديدة الكحل ، بينة الخجل ، نقيه اللون ، خصانة البطن ، (١) .

٦ - طول العبارات والسجع والازواج والتوازن الموسيقي .

من خصائص نثر الصابي التي تبدو في رسائله والتي تشكل هي او بعضها سببا من اسباب
طول هذه الرسائل ، استعماله العبارات الطويلة ، مما يبعد كلامه عن التوثب والحنة عامة ويسمه بالهدوء
والانسباب الا انه لم يعد العبارات القصيرة المسجوعة كما ذكرنا في حديثنا عن الاسلوب القصي
والوصف ، وهنا يمكن ملاحظة خاصة مهمة في اسلوب ابي اسحاق وهي امكان تأثره باسلوب القرآن الكريم
من ناحية طول العبارات وقصرها ، حيث انه يستعمل العبارات الطويلة لشرح الامور التي تحتاج الى شرح
وايضاح ، وتقرير وافهام ، فيما يستعمل العبارات القصيرة ليعبر عن احداث شديدة الوقع كالمعارك .
ففي القرآن نجد ان الآيات المدنية التي نزلت لتضع اصول الشريعة وتقررها في الازهان تمتد
بطولها وهدوئها ، اما الآيات المكية التي كانت تصدع بالعقيدة التوحيدية وتهدم الكفر وتهدد
اربابه فقد امتازت بالقصر والشدة .

ويقرن الصابي استعماله للعبارات الطويلة باستعماله للسجع والازواج مما يخلق توازنا
موسيقيا متناغما يقصر العبارات الطويلة ، ويغنيها بالحيوية والحركة ، كقوله : " لا اعدم الله
مواليها السادة الامراء الاخذ بنواصي اعدائهم طوعا ممن اطاع وخضع ، وكرها ممن خالف وخلع ، وسلما ممن

(١) ابن جردون ، التذكرة (٧٦٩) ، الورقة ١١٠٥ - ١٠٥ ب ، والرسالة كاملة في المصدر نفسه ، الورقة
١١٠٥ - ١١٠٦ .

سالم وتابع، وحرباً من حرب ونازعاً^(١) وقد يصل شغف الصابي بالازدواج أحياناً حداً يجعله يقرن بين جملتين تتوازن اجزأهما توازناً متمقماً كقوله من رسالة : " . . . فما يلون بجانبنا لا نذ، ولا يعوذ بمقوتنا عاخذ، إلا كانت عليه يد من الله كأنفة واقية وعين كاللثة راعية، وكسانت السلامة له مضمونة، والعاقبة عليه مأمونة، ولا ينجم بمنازعتنا ناجم، ولا يعزم على مباينتنا عازم، إلا قطع الله دابره، وجب غاربه، وكدر شمس، وازهق نفسه، وطمس نوره، وواظم ديجوره، وكانت دعائه مخفوضة، ومراثيه منقوضة، والهلكة عليه مكتوبة، واللعة به معصومة، . . . " (٢) .

٧ - حمل المعنى على نظيره ونقيضه :

استعمال السجع والازدواج، وإن بدا عفويًا غير متكلف عند الصابي، إلا أنه قد جره في أحيان كثيرة إلى تكرار المعاني نفسها بالفاظ جديدة . وقد أخذ عليه ضياء الدين ابن الأثير هذه الخاصة (٣) ، بإعطى عدة أمثلة على ذلك من كلامه . منها من رسالة فتح بغداد قوله : " الحمد لله الذي لا تدركه الأعين بالحافظه، ولا تحده اللسان بالفاظها، ولا تخلقه العصور بمرورها، ولا تهمره الدهور بمرورها " (٤) . وقوله في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : " لم ير للكفر اثراً إلا طمسه ومحاه، ولا رسماً إلا أزاله وغفاه " (٥) . وقال ابن الأثير أنه لا فرق بين مرور العصور

(١) لقاخ الخواطر، الورقة ١٩٤ . وانظر شواهد أخرى المقطعين رقم (١ و ١٠) في الملحق .

(٢) رسائل الصابي، ص ٤٦ وانظر شواهد أخرى المقطع رقم ١١ في الملحق .

(٣) المثل السائر، ج ٥١ ص ٢٨٢ .

(٤) المقطع في رسائل الصابي، ص ١٩ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٢ .

وكروور الدهور كما انه لا فرق بين محو الاثر ومغاء الرسم (١) والقاعدة التي اعتمدها ابن الاثير

في نقده هي اعتقاده بضرورة " ان تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى

الذي اشتملت عليه اختها فان كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه " (٢) لكن

ابن الاثير لا يلبث ان يشير الى ان هذا العيب ليس مقصورا على الصابي بل يجرى على المقلبين ممن

الكتاب امثال ابن العميد وابن عباد حيث ان اكثر المسجوع من كلامهم وكلام الصابي على هذا الشكل (٣)

ويعظم ابن الاثير شواهد اخرى من كلام الصابي كقوله : يسافر رايه وهو دان لم ينزح ويسير تدبيره

وهو تاو لم ييرح " (٤) وكلا هذين سواء (٥) وامثال هذا كثير في كلام ابي اسحاق لكن هذه الخاصة

في النثر والشعر قد لا تكون عيبا كما ذكر ابن الاثير بل انه لا بد للكاتب احيانا في المزوجة

بين الفصلين من استعمال شعبية من الاطناب ولا يعتبر ذلك عيبا (٦) ثم ان اعادة المعنى بكلمات

(١) ابن الاثير المثل السائر ج ١ ص ٢٨٢ ونقل القلقشندي قوله في صبح الاعشى ج ٢ ص ٣١٦

(٢) المثل السائر ج ١ ص ٢٧٨

(٣) المصدر نفسه

(٤) رسائل الصابي ص ٦٩

(٥) المثل السائر ج ١ ص ٢٨٤ وانظر شواهد اخرى من كلام الصابي في المصدر نفسه ص ٢٨٣ - ٢٨٤

(٦) جاء في كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري (مصر مطبعة محمد علي صبيح ، الطبعة الثانية

دون تاريخ) ص ١٨٥ : " ولا بد للكاتب في اكثر انواع مكاتباته من شعبية من الاطناب يستعملها

اذا اراد المزوجة بين الفصلين ولا يعاب ذلك منه وذلك مثل ان يكتب : عظمت نعمنا عليه

وتظاهر احساننا لديه فيكون الفصل الاخير داخلا في معناه في الفصل الاول وهو مستحسن

لا يعيبه احد ولما احيط بمروان قال خادمه باسل : من اغفل القليل حتى يكثر والصغير حتى

يكبر والخفي حتى يظهر اصابه مثل هذا وهذا كلام في غاية الحسن وان كان معنى الفصلين

الاخيرين داخلا في الفصل الاول " ويقول (١٨٦) : " وما هو اجل من هذا كله قول الله

عز وجل * ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر البغي *

فالاحسان داخل في العدل ، وايتاء ذى القربى داخل في الاحسان ، والفحشاء داخل في المنكر

والبغى داخل في الفحش " .

جديدة يستوجب سعة لغوية فائقة لدى الكاتب . وكون الصابي يكثر من استعمال هذا الأسلوب دليل على قدرته اللغوية وتملكه لمنابع الكلام وحسن تصرفه فيه ، إضافة الى ما قد يفيد هذا الأسلوب من تقرير للمعاني في ذهن السامع أو القارئ ، خاصة ان الصوت الموسيقي الذي يحدثه وقعها يزيل الى حد ما ، ما يمكن ان يحدث من املال أو ضجر للقارئ .

يستفاد مما تقدم ان الصابي يملك ناصية الكلام ويتصرف به كيف شاء ، وقد رأينا كيف يزاوج بين الجمل ويوازن ويعيد استعمال المعاني . بالفاظ جديدة ، مما يعني سعة باعه بمعرفة المترادفات ، وسنرى الآن وجهها آخر للتوسع اللغوي لديه بيدو في استعماله المتضادات وذلك بعدة طرق منها ابراز المعنى بقرنه مع نقيضه لتبيان الیون بين الحالين من ذلك قوله :

" والله في ذلك كله ناصرنا وخاذله ، ومظفرنا وقاتله ، ومعلمنا ومسقطه ، ومد يداً لنا وموطنه " (١) .

وقد يستعمل النقيض منفياً لتأكيد المعنى . كقوله : " عاثراً لا يستقيل ، سقيماً لا يبيل ، كسيراً لا ينجبر ، مضياً لا ينتصر " (٢) .

ومن طرق استعمال النقيض لدى الصابي ابراز المعنى برفعه عن المتناقضات ، من ذلك قوله في دعا : " ويجعل رأيتة منصوراً على أعدائه ، صغروا أم كبروا ، وكلمته العليا عليهم ، قلوباً أم كثرها ، ويمكنه من نواصيهم ، سالموا أم حاربوا ، ويقودهم الى التسليم له ، رضوا أم كرهوا ، . . . " (٣) . وقوله : " والله يحرسه ، نبيماً مقترباً ، ونازحاً منترباً ، وحالاً قاطناً ، ومرتحلاً ظاغناً " (٤) .

(١) رسائل الصابي ، ص ٦٠ ، وانظر شاهداً آخر المقطع ١٢ في الملحق .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥ . وانظر شاهدين آخرين على اقتران النفاض لدى الصابي المقطعين ٣ (١) و ١٤ من الملحق

(٣) رسائل الصابي ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

٨ - دقة في اختيار اللفاظ : القوة والرقوة والاعتراب :

لا يمنعنا السياق الواحد الذي يسير فيه كلام الصابي ، والعبارات الهادئة المستزمنة التي تميز أسلوبه ، من ان نلاحظ بعض التلون الاسلوبي تبعاً للموضوع المطروح ، وذلك عائد الى دقته في اختيار الفاظه وتعابيره ، وما سببها للموضوع ، فتختلف احيانا بين القوة في مواضع القوة ، وبين الرقوة واللين في مواضع اللين .

اكثر ما نجد الفاظ الصابي القوية الوقع ، ضمن عبارات قصيرة التقطيع في وصفه للمبارك ، من امثلة ذلك قوله : " بل هو الحقيق بأن تثني اليه الاعنة ، وتشرع نحوه الاسنة ، وتنصب لــــه الارصاد ، وتشهد له السيوف الحداد ، ليقطع الله بها دابره ، ويجب غاربه ، ويصرعه مصرع الاثيم العظيم ، المستحق للعذاب الاليم " (١) .

ومن كلام الصابي الرقيق العذب قوله : " لانك ما زلت مستودع سرنا وجهرتنا ، ومشتكى حزننا وثننا ، والكبير الاثير عندنا ، والخصيص المكين لدينا ، ومن نستضى في ظلم الخطوب برايه ، ونستجن من سهام النوائب باخلاصه وولائه ، ونخرج اليه بخفية الصدر ، وحوجا النفس " (٢) .

على ان الفاظ الصابي لم تكن في معظم الحالات تخلو من الغريب ، من امثلة ذلك قوله : " واظهر لنا غرورا من سعيه في الخدمة وكد حسه ، وسرابا لامعا من وفائه ونصحه ، وهو يدب الضرا ، ويسر حسوا في ارتقاء ، ويوكي عدا . الغش عيابه ، ويحنو على النكت ضلوعه وحجابيه ، ولا يبدى لنسنا بادية رفاق ، الا عن خافية نفاق " (٣) .

(١) رسائل الصابي ، ص ١٣٤ ، وانظر شواهد اخرى المقاطع ١٥ و ١٦ و ١٧ في الملحق .

(٢) رسائل الصابي ، ص ٣٨٥ ، انظر شواهد آخر المقطع ١٨ من الملحق .

(٣) رسائل الصابي ، ص ٤٩ ، وانظر شواهد اخرى المقطعين ١٩ و ٢٠ من الملحق .

٩ - المجاز :

يكثر الصابي من استعمال المجاز ما يحيط أدبه بظلال من الاخيلة والصورة من امتسحها قوله : " وكان الغامط لأنعامنا والجاحد لاحساننا ، المترودي من ذروة طاعتنا ، الهالوي نهي هوة معصيتنا ، الخالع ريقة ذمتنا ، النازع جنة مشايعتنا " (١) ، وقوله : (٢) " ٠٠٠ بأن تعود تلك البقية عنكم ايها ، (٣) عود الانياب الى افواهها ، والاظفار الى برائتها ، والنصول الى اجفانها ، والسهام الى كائنها " .

١٠ - سيطرة المفاهيم الاسلامية : التحديدات ، للتضمين والاقتياس من القرآن والحديث .

ابو اسحاق الصابي هو الكاتب الرسمي للدولة العباسية ذات الطابع الديني في الحكم ، وهذا ما يجعل معرفته بالقرآن والحديث والاحكام الشرعية ضرورية لممارسة عمله كما يجب . ولكن باسحاق لم يكن بالمعرفة السطحية بهذه الامور هلى ما يبدو ، بل نراه قد حفظ القرآن ، واستوعب الثقافة الاسلامية بحيث صارت الآيات القرآنية والمعاني الاسلامية ، تصدر عنه تلقائيا حتى في رسائله الشخصية مع انه لا يدين بالاسلام . كما يلاحظ من خلال رسائله انه جعل الاسلام قاعدة تقاس بها الامور كافة : السياسية والادارية والشخصية . فان وصف حاكما جاء وصفه مطابقا لما يقره الاسلام ، وان ذكر عاصيا ندد به على اساس انه مخالف للاسلام ، وان اراد الاعلاء من شأن قائد جعله حاميا للاسلام ذابا عنه ، معليا للكلمة الحق على الباطل ، وان وصف حربا خاضتها الدولة جعلها جهادا في سبيل الله ، ٠٠٠ وهكذا فالروح

(١) رسائل الصابي ، ص ٤٨ - ٤٩ ، وانظر شواهد اخرى المقطعين ٢١ و ٢٢ من الملحق .

(٢) رسائل الصابي ، ص ٤٠١ واليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .

(٣) في اليتيمة : " عادوا الى الحضرة " .

الاسلامية هي المسيطرة على رسائله التي نجد فيها معاني الثواب والعقاب، وان العقل هو المؤهل لحمل التكليف، وان الشيطان يزين الشر للانسان، بالاضافة الى ذكر صفات الله من الخلق والعلم والمشية والعطاء والقدرة . . . والى ذكر الانبياء والملائكة . اما في رسائل العهود والتقليدات فنجد تنظيماً لأمور الدولة كما تقره النظم والاحكام الاسلامية .

هذا هو المعنى العام لسيطرة المفاهيم الاسلامية، وهي خاصة امتازت بها رسائل ابي اسحاق على رسائل غيره من الكتاب الذين درجوا على ادخال الآيات القرآنية في رسائلهم . ثم اننا نجد اشكالا خاصة لهذه السيطرة تبدو في التحميدات الطويلة التي ترد في مقدمة بعض الرسائل، ثم تضمين الرسائل آيات من القرآن الكريم بشكل كيف احيانا، او احاديث نبوية .

أ - التحميدات : درج ابو اسحاق على ادخال التحميدات الطويلة في الكثير من رسائله الديوانية . هذه التحميدات تتضمن احيانا معاني موافقة لمضمون الرسالة، كمقدمة كتاب انشاء عن الطاع لله سنة ٣٦٤ الى ولاية الاطراف بعد زوال الوحشة بينه وبين الامراء، يسقط فيه اللائمة عنهم ويضعها على العاصية (١) ، وقد وصفه ابن الاثير بالاحسان في هذا الموضع كون التحميدة مناسبة لموضوع الكتاب (٢) .

أما بعد ، فالحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته ، وواصل الجبل بعد بتاته ، وجابى الوهن اذا انتلم ، وكاشف الخطب اذا اظلم ، القاضي للمسلمين بما يضم نشرهم ، ويشد ازهرهم ، ويحفظ الالفه عليهم ، وان شأيت ذلك في الاحيان شوايب من الحداث ، فلن يتجاوز بهم الحد الذي

(٢) رسائل الصابي، ص ٢٣٢ .

(٢) ابن الاثير، المثل السائر، ص ٢٦٣ (المطبعة البهية) .

يوقظ غافلهم ، وينبيه ذاهلهم ، ثم انهم عائدون الى افضل ما اولاهم وعود هم ، ووثق لهم ،
ورقد هم ، من ائتمان سرهم ، واعذاب سرهم ، واعزاز جانبهم ، واذلال جانبهم ، واظهار دينهم على
الدين كله ولو كره المشركون * (١) .

ويمكن ان يدرج في المجال نفسه تحميدة كتاب اسرا المستق سنة ٣٦٢ (٢) هـ وان تميزت ببعض
التطويل كما ان هناك غير شاهد على التحميدة المناسبة لموضوع الكتاب (٣) .

لكن ما اخذ على الصابي هو ايراد بعض التحميدات التي اعتبرت بعيدة عن موضوع الرسالة ولا تمت
اليه بصلة . وابلغ شاهد على ذلك هو التحميدة التي افتتح بها كتاب فتح بغداد (٤) والتي سنعرض لها
لدى تحليل هذا الكتاب . والذي يحدث في هذه التحميدات ان الصابي حين يبدأ بذكر الله سبحانه
ينصرف عن ذكر قدرته واعماله وربطها بما يجري على الارض ما يريد الحديث عنه ، فيغرق في ذكر صفاته
واعماله عامة من ذلك ايضا التحميدة التي قدم بها لرسالة فتح الموصل (٥) .

على ان هذه التحميدات يمكن ان تشكل نوعا من الاستطراد يعود بعده ابو اسحاق
ليربطها بموضوع كتابه ، وقد لاحظنا سابقا انها قد تمثل سياقاً خارجياً يورد الصابي لأجل غاية
فنية يرومها ، كما في رسالة اسرا للمستق او فتح الموصل وغيرها . ثم ان الصابي يحاول ان يضي على
السلطة الحاكمة الطابع الروحي ، وغالباً ما كان يتوصل الى ذلك عن طريق الذكر التدريجي لصفات

(١) رسائل الصابي ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .

(٣) انظر رسالة عن المطيع لله الى بعض ولاة الاطراف عند طاعة عبد الملك بن نوح في القلقشندى ، ص ٤٠٦ .

(٤) رسائل الصابي ، ص ١٧ .

(٥) رسائل الصابي ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، والقلقشندى ، ص ٤٦ ، ٤٨٣ ، وقد اثبتت
في الملحق الرسالة رقم (١) .

الله واعماله ثم لصفات نبيه محمد واعماله ومدح الاسلام ثم لذكر الخليفة الذي يشكل وجوده امتدادا لوجود الرسول اذ يرتبط فيه بالنسب ثم للسلطة البويهية التي تثبت هذا الحكم وتدعمه . وكان ميريد ان يقول ان الخليفة مثل الله على الارض فهو خليفة لرسوله والبويهيون اولياؤه فيما يوضع اعداءهم في الخانة المقابلة ، فهم معادون لله وبالتالي كفار فجاره وقد اشرفنا الى هذه المعادلة لدى الصابي من قبل .

هذا هو الدور الذي تؤديه التحميدات الصابية والتي تعتبر بحد ذاتها على درجة من الجمال الفني ، حيث يدرج المضمون الفلسفي والديني في عبارات جميلة وواضحة وربما هذا دليل على تفقه الصابي بالعلم الالهي ويمكن ان تعتبر تحميدة فتح بغداد من اهم تحميداته اذا اخذت بمعزل عن موضوع الكتاب .

ب - التضمين من القرآن الكريم : وكان هذا معروفا في رسائل عصره الا ان ابا اسحاق استعمله بشكل كيف واتخذ لديه عدة اوجه ، منها الاستشهاد بالآية القرآنية مع الاشارة الى ذلك وهذا عام وشواهد كثيرة في كلامه وخاصة في العهد والتقليدات كقوله في احد العهود (١) : " قال الله جل ثناؤه وتقدس ذكره : * فخلق من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * (٢) وقال عز وجل : * كنتم خيرا مة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر * (٣) . ودم قوما فقال : * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه * (٤) و * الله يقول الحق وهو يهدي السبيل * (٥) .

(١) رسائل الصابي ص ١٩٧ .

(٢) سورة مريم (١٩) : ٥٦ .

(٣) سورة آل عمران (٣) : ١١٠ .

(٤) سورة المائدة (٥) : ٧٩ .

(٥) سورة الاحزاب (٣٣) : ٤ .

ويلاحظ انه قد اورد الآية الاخيرة دون اشارة الى انها آية •

وجه آخر للتضمن القرآني هو حين يذكر الكاتب آية قرآنية في معرض الكلام دون اشارة الى كونها آية • وامثلة ذلك كثيرة عند الصابي ايضا • واحيانا نجده يتصرف في الآيات كأن يجمع بين آيتين مع الحذف منهما كقوله في احدى تحميداته يذكر الله : " بالغ امره بلا مؤازره ومضي حكمه بلا مظاهر * ذلكم الله ريكم فادعوه مخلصين له الدين * (١) • هذه الآية جمعها الصابي من الآيتين ٦٤ و ٦٥ من سورة غافر : * ذلكم الله ريكم فتبارك الله رب العالمين * هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين * • ومن ذلك قوله في ذكر الكافر بالنعمة : " فلا يلبث ان ينزع سراويلها صاغرا ، ويتعمرى منها حاسرا ، ويجعل الله كيداه في تضليله ، (٢) ويورده شر المورد الويل ، * ان الله لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين * (٣) ، وهنا ايضا يجمع بين جزئين من آيتين مختلفتين : الآية ٨١ من سورة يونس * فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحران اللـه سيظلمه ان الله لا يصلح عمل المفسدين * والآية ٥٢ من سورة يوسف * ذلك ليعلم اني لم اخنسه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين * •

الوجه الثالث للاستفادة من القرآن ، والذي يدل على تشبع الصابي من المعاني القرآنية ، يظهر في استعمال التعابير القرآنية في معرض الكلام كقوله (٤) : " ولا ينكصون عن يوم معركة ، ولا يلقون بأيديهم الى التهلكة " • والتعبير من قوله تعالى * اتفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم

(١) رسائل الصابي ، ص ٦٥ - ٦٦ •

(٢) التعبير مستوحى من الآية القرآنية * ألم يجعل كيدهم في تضليل * : سورة الفيل (١٠٥) : ٢ •

(٣) رسائل الصابي ، ص ١٢١ - ١٢٢ •

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ •

الى التهلكة» (١) ومن ذلك ايضا قوله في تحميدة: * وجئنا مجاهل الخواية السائمة من عمام

الى جحيم النار وحصير الكفار * (٢) وفي القرآن * وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا * (٣) وقوله:

* ويجعل كلمتنا عليه العليا ،ويدنا فوقه الطولى * (٤) والله تعالى يقول * وجعل كلمة الذين

كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا * (٥) ومن ذلك قوله : * اجراها على ايدى الاشقياء الذين

تبت ايديهم * (٦) وفي القرآن : * تبت يدا ابي لهب وتب * (٧) ويقول الصابي في رسالة شخصية

يرى نفسه فيها من بعض الاكاذيب : * فلا تقبل على نبا الفاسق ولا تفارق في بصيرة الواثق * (٨)

وفي القرآن : * يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم

نادمين * (٩) وامثال هذا كثير جدا فهو يستفيد من البلاغة القرآنية ،وما قد يحيط بهذه التعابير من معان

ومنا لها من وقع في السمع والذهن ،وما لها من خلفيات متعلقة بمناسبة النزول ، فالذى يقرأ : * لا تقبل على

نبا الفاسق * تعود الى ذهنه تلقائيا صورة الفتنة التي كان يمكن ان تحدث بين المسلمين ،والاذى الذى كان

يمكن ان تتعرض له احدى فئاتهم ظلما لو لم يستدرك الرسول الامر بان يمت من يتبين له النبا الصحيح (١٠)

(١) سورة البقرة (٢) : ١٩٥ .

(٢) رسائل الصابي ، ص ٢٢٩ .

(٣) سورة الاسراء (١٧) : ٨١ .

(٤) رسائل الصابي ، ص ٤٨ .

(٥) سورة التوبة (٩) : ٤٠ .

(٦) رسائل الصابي ، ص ٢٣٣ .

(٧) سورة اللهب (١١١) : ٢ .

(٨) لقاح الخواطر ، الورقة ١٩٤ .

(٩) سورة الحجرات (٤٩) : ٦ .

(١٠) انظر الحادثة في سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٣٤١ .

فيتبين له مقدار خطورة الاقبال على نبي الفاسق للارتباط بين هذا التعبير وتلك الحادثة، ويكون هذا التعبير من الكلام الالهي . وفي قوله " على ايدي الامقياء الذين تبت ايديهم " يتبادر الى الذهن صورة ابي لهب عم الرسول وعدوه والدعاء الذي اطلقه الله عليه بالثياب والبورار (١) . فكيف بنا ان نقرأ جمعه لعدة تعبيرات قرآنية تدل على العذاب الذي يلحق الباغين والكافرين حين يقول في تحييده : " وعصنا من مراكب اهل البغي المنزلة لاقدامهم ، الجالية لحمامهم ، المذلة لآبائهم ، الصاردة لجنوبهم ، الصائرة بهم الى العذاب الاليم ، والحال الذميم ، وسكنى الجحيم ، وشرب الحميم " (٢) .

ج - الحديث النبوي : واستعماله قليل وطريقته في ذلك كما في استعمال الآيات ، اما بالاشارة الى ذلك او اقتباسا دون اشارة من الطريقة الاولى قوله : " ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول : " خالة المؤمن حرق النار " (٣) . او قوله : " وبالاشارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول : " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم " (٤) .

اما الاقتباس دون اشارة الى ذلك كقوليه : فان المستحب في الحدود ان تقام بالبيئات ، وتدرأ

(١) انظر في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٩٩٩ - ٤٠٠٠ .

(٢) رسائل الصابي ص ٤٥ - ٤٦ . وانظر في هذه المحاني من القرآن سورة النازعات (٧٩) : ٣٧ و ٣٨

٣٩ . سورة محمد (٤٧) : ١٥ وسورة النبأ (٧٨) : ٢٤ - ٢٥ وسورة يونس (١٠) : ٤ .

(٣) في من لا يحضره الفقيه لابي جعفر محمد بن علي القمي (تحقيق حسن الموسوي الخراساني ، النجف ، مطبعة النجف ، الطبعة الرابعة ١٣٧٨ هـ) ج ٣ ص ١٨٦ ، يورد الحديث كما يلي : " اياكم والمثقة فانها

خالة المؤمن وهي حريق من حريق جهنم " .

(٤) رسائل الصابي ص ١٠٣ ، وقد ورد الحديث في المصدرين التاليين : ابو داود سليمان بن الاشعث ،

المجستاني في سنن ابي داود (تعليق عزت عبيد الدعاس ، حمص ، نشر محمد علي السيد ، الطبعة الاولى

(١٣٩١ هـ ١٩٧١ م) ج ٣ ص ١٨٣ - ١٨٥ ، و ابو جعفر محمد بن يعقوب الكايني ، الاصول من الكافي

(تعليق علي اكبر الفارسي ، طهران ، مكتبة الصدوق ، ١٣٨١ هـ) ج ١ ص ٤٠٣ .

بالشبهات (١) وفي الحديث النبوي: " ادروا الحدود بالشبهات " (٢) وكذلك قوله عن القرآن: " وهو احد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا " (٣) • وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: " اني تارك فيكم امرين ان اخذتم بهما لن تضلوا : كتاب الله عز وجل واهل بيتي عترتي " (٤) •

١١ - الامثال والشعر ضمن الرسائل :

على ان ثقافة الصابي ، كما تبدو في الرسائل ، لم تكن مقصورة على العلوم الاسلامية كالقرآن والحديث والفقه والتاريخ ، وانما نجد ان القاعدة الثقافية التي كان يركز عليها اوسع من ذلك يعود في بعض جوانبها الى ما قبل الاسلام ، ربما ، وتبدو في استعماله لبعض الامثال القديمة والشعر مع الاحاطة بثقافة العصر وآداب . • وربما امكنا القول ان وعي الصابي لثقافة العصر رده الى هذه الاصول القديمة حيث كان استعمال الشعر والامثال في اثناء الرسائل شائعاً ، بل كان مدعاة للدلال بسعة الرواية كما كان عند ابن العميد مثلاً (٥) •

(١) رسائل الصابي ، ص ١٥٤ •

(٢) مسند الامام ابي حنيفة (تحقيق صفوة السقا ، حلب ، مكتبة ربيع ، الطبعة الاولى ١٣٨٢ / ١٩٦٢)

ص ١٤٩ • وقد جاء في سنن الحافظ ابن ماجه (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مصر دار احياء

الكتب العربية ، ١٣٧٣ / ١٩٥٣) ج ٢ ص ٨٥٠ الحديث كما يلي : " ادفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعا " وقد ضعف •

(٣) رسائل الصابي ، ص ١٧٣ •

(٤) الكليني ، الاصول من الكافي ، ج ١ ص ٢٩٤ وقد ورد الحديث مع بعض الاختلاف في صحيح مسلم

لمسلم بن الحجاج (مصر ، مطبعة محمد علي صبيح ، ١٣٣٤ هـ) ج ٧ ص ١٢٢ - ١٢٣ •

(٥) خليل مردم ، ابن العميد (دمشق : مكتبة عرفة ، مطبعة الاعتدال ، ١٣٥٠ / ١٩٣١) ص ٤٥ •

الشواهد على استعماله للامثال كثيرة منها قوله في رسالة يذكر فيها نهاية بختيار وانـه

جنى علو. نفسه : " فلم يلبث ان دارت عليه الدائرة ، وصلي بالناثرة ، التي يداها اوكتاها ، وفوه نفخ

لها ، . . . " (١) . واصل هذا المثل : " يداك اوكتا وفوك نفخ " (٢) ويقال لمن يجني علسي

نفسه الموت . ومن ذلك ايضا قوله عن عز الدولة الى الفتكين التركي يبين مكانته عنده : " ونخرج اليه

بخفية الصدر ، وحوجاء النفس ، والعجر والبجر التي يحتشم فيها الاخ الشقيق ، والوالد الشفيق " (٣) .

واصل المثل : " اخبرته بعجري وعجري " يضرب لمن تخبره بجميع عيوبك ثقة به (٤) .

وسنرى كيف يجمع الصابي احيانا بين غير مثل ويقرنهما بمعان متشابهة ليخرج لنا صورة

غنية وافية بما يريد ، ، وذلك في تصويره لشخصية المناق : " واظهر لنا غرورا من سعيه في الخدمة

وكدحه ، وسرابا لامعا من وفائه ونصحده ، وهو يدب الضراء (٥) ويسر حسوا في ارتغاء (٦) ،

(١) رسائل الصابي ، ص ٢٢٥ .

(٢) المفضل الضبي ، امثال العرب (تعليق احسان عباس ، بيروت ، دار الرائد العربي ، الطبعة الاولى ،

١٩٨١ / ١٤٠١) ص ١١٧ ، و ابو الفضل احمد بن محمد الميداني ، مجمع الامثال (تحقيق محمد محيي

الدين عبد الحميد ، مصر ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٤ / ١٩٥٥) ج ٢ ، ص ٤١ ، وحكاية هذا المثل

ان رجلا كان في جزيرة من جزائر البحر ، فاراد ان يعبر على زق نفخ فيه فلم يحسن احكامه ، حتى اذا توسط البحر

خرجت منه الريح ففرق ، فلما غشيه الموت استغاث برجل ، فقال له : يداك اوكتا وفوك نفخ " مجمع الامثال

ج ٢ ، ص ٤١٤ .

(٣) رسائل الصابي ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٤) الميداني ، مجمع الامثال ، ج ١ ، ص ٢٣٧ . معنى المثل : " اصل العجر العروق المتعقدة ، والبحر : ان

تكون تلك العروق في البطن " المصدر نفسه .

(٥) اصل المثل : " يدب له الضراء ، ويمشي له الخمر ، والضراء : الشجر الملتف في الوادي ، والخمر : ما وراك من

جرف او جبل رمل . يضرب للرجل يختل صاحبه " (الميداني ، مجمع الامثال ، ج ٢ ، ص ٤١٧) .

(٦) اصل المثل : " يسر حسوا في ارتغاء ، ويرمي بامثال القطا فؤاده ، الارتغاء : شرب الرغوة . قال ابو زيد

والاصمعي : اصله الرجل يؤتى باللبن ، فيظهر انه يريد الرغوة خاصة ، ولا يريد غيرها ، فيشرها ، وهو

في ذلك ينال من اللبن . يضرب لمن يريك انه يعينك ، وانما يجر النفع الى نفسه " (الميداني ، مجمع الامثال ،

ج ٢ ، ص ٤١٧) .

ويوكي على الغش عيابه (١) ويخون على النكث ضلوعه وحجابيه * (٢) .

هكذا استفاد ابو اسحاق من استعمال الامثال التي هي جمل او عبارات تختصر حادثة تروى
وبذلك تعبر عن المعنى بأفضل مما تفعله الجملة العادية ، اذ ان الامثال اكتناز للحادثة
والمعنى بمختصر من اللفظ الذي غالبا ما يكسون غريبا لقدم هذه الامثال .

اما بالنسبة لتضمين الرسالة من الشعر فقد كان ذلك على وجهين : الاول منهما تضمين
الرسالة ابياتاً شعرية كاملة للصابي او لسواه من الشعراء . كقوله في رسالة كتبها عن
نفسه الى عضد الدولة : " واما ما ارتآه وامضاه مولانا اطال الله بقاءه ، وتمتم
علاءه . من اتمام السير الى تلك الديار للزيادة في الاستظهار ، فقد كان اغناءه عن كل شئ
بأثره ، البيت الذي هو احق به من قيل فيه :

" قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا تصنع اليهم " (٣)
وقوله في رسالة يذكر الفتنة بين الاتراك والديلم : " وانا كان الفريقان كلاهما . الا كما قال
البحترى : (٤) " وقرسان هيجا تجير صردورها باحقادها حتى تضيق ذروعها (٥)

(١) العمية وعاء من ادم ، يكون فيها المتح ، والجمع عياب ، والعرب تكفي عن الصدر والقلوب التي تحتوى على
الضماير بالعياب (اللسان مادة : عيب) .

(٢) رسائل الصابي ، ص ٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٥ والبيت للمتنبى من قصيدة في سيف الدولة الحمداني ، ديوان ابي الطيب المتنبى ،
يشرح ابي البقاء العكبري ، (ضبط وتصحيح ، مصطفى السقا و ابراهيم الابيارى ، عبد الحافظ شلبي ، مصر ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٥ / ١٩٣٦) ج ٣ ، ص ٣٦٥ .

(٤) رسائل الصابي ، ص ٤٠٠ وديوان البحترى (القسطنطينية ، مطبعة الجوائب ، الطبعة الاولى ، ١٣٠٠ هـ)
ص ٣ .

(٥) في الديوان : دروعها .

تقتل من وتر اعز نفوسها
عليها بأيد ما تكاد تطيعها
إذا احترت يوماً ففاضت دماؤها
تذكرت القرى ففاضت دموعها *

وتكثر ظاهرة استعمال الشعر ضمن الرسائل الشخصية لدى الصابي ، فنراه يضمن إحدى رسائله إلى

عضد الدولة سبعة أبيات شعرية (١) يمدحه فيها ويهنئه بالنصر ، وأمثلة ذلك كثيرة (٢) .

أما الوجه الآخر لاستعمال الشعر فهو في ما يمكن أن يسمى بحل المنظوم حيث إن الكاتب

يستعمل بعض البيت الشعري في معرض النثر ، من ذلك قوله يصف النعم في كتاب : * فان أحسق

النعم بأن يلقي ضيفها العصا ، وتستقر به النوى ، * (٣)

وهذا الكلام حل للبيت الشعري :

* فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قرعينا بالأياب المسافر * (٤)

أو قوله يصف الحرب : * وترميمهم بكلماتها وإبطالها ، وتمركهم عرك الرحي بثقالها * (٥) وهو من قول

زهير بن أبي سلمى :

* فتمركم عرك الرحي بثقالها
وتلقح كشافا ثم تنتج فتثم * (٦)

(١) الرسالة في رسائل الصابي ، ص ١١٠ - ١١٣ والأياب ص ١١٢ .

(٢) انظر نماذج من ذلك بالتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ وج ٣ ، ص ١١٦ - ١١٧ والحصري زهر الآداب ، ج ٤ ،

ص ٣٧ و لقاح الخواطر ، الورقة ٨٩ ب والعباسي معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٣) رسائل الصابي ، ص ٤٣ .

(٤) البيت لمعمر بن حمار البارقى . الاغانى ، ج ١٠ ، ص ٤٧ (طبعة بولاق) .

(٥) رسائل الصابي ، ص ٦١ .

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى (تحقيق كرم البستاني ، بيروت ، دار صادر ودار بيروت ، ١٣٧٩ / ١٩٦٠) ،

ص ٨٢ .

وقد اورد الثعالبي في اليتيمة (١) امثلة من اقتباس الصابي من شعر ابي الطيب المتبسي

والبحررى .

١٢ - المقاطع الحكمية :

تتضمن بعض رسائل ابي اسحاق مقاطع حكمية تتخذ احيانا شكل المثل السائر باستقلاليتها

وقصرها وايجازها ، وقد رأينا امثلة ذلك في الحديث حول آرائه وقد لا تكون هذه المقاطع قصيرة وانما

تتميز بالغنى في المضمون الحكمي . من ذلك قوله : " فان احق من قمع سلطان الشهوة ، واولسى

من اضرع خذ الحمية ، من ملك ازمة الامور ، واقتدر على سياسة الجمهور " (٢) .

وقوله : (٣) " ولولا فضل الرعاية على الرعايا في بعد مطرح النظرة (٤) واستشفاف (٥) غيب العاقبة ، لاستوت

الاقدام ، وتقاربت الافهام ، واستغنى المأموم عن الامام " . وقوله : " ربما استظهر العريض (٦) المبطل

بفعل بيانه على الفاجر (٧) المحق لحي لسانه " (٨) .

(١) اليتيمة ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) رسائل الصابي ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ ولفاح الخواطر ، الورقة ١٨٦ .

(٤) في لفاح الخواطر : " النظر " .

(٥) في المصدر نفسه : " استنسا " .

(٦) عرض الرجل : صار ذا عارضة ، والعارضة : قوة الكلام وتنقيحه والرأى الجيد . اللسان مادة : عرض .

(٧) لعلها : " العاجز " .

(٨) لفاح الخواطر ، الورقة ٨٦ ب .

وقوله : ليس بالظاهر عند الله من افاض الماء على اطرافه ، وجعل النجاسة حشو شفافه (١)

لكنه الجامع بين الامرين ، الفائز بكتنا الحسينيين * (٢) .

وقوله : * رب حاضر لم تحضر نيته ، وغائب لم تغيب مشاركته * (٣) .

١٣ - القيمة التاريخية :

في رسائل الصابي (الديوانية خاصة) ذكر لمجموعة كبيرة من الاحداث التاريخية ابتداءً من عهد معز الدولة وحتى عهد صمصامها مروراً بعهود عز الدولة وعضدها . فلا يسد اذا ان يكون لهذه الرسائل قيمة تاريخية كبيرة كونها تغطي فترة زمنية طويلة . ثم لانها صادرة عن مراجع عليا في الدولة ، لكن هذا السبب بالذات يجعلنا نتساءل الى اي مدى يمكن ان تكون هذه الرسائل صادقة في اثباتها الحقائق . فلدى استقراءنا لمجموعة من رسائل الصابي تبين لنا عدة امور :

(١) الشفاف : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب وسويداؤه . اللسان ، مادة : شفاف .

(٢) لقاح الخواطر ، الورقة ٨٦ ب .

(٣) الثعالبى ، لظائف اللطف (تحقيق عمرا الاسعد ، بيروت ، دار المسيرة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠ /

١٩٨٠) ص ١٧١ ولقاح الخواطر ، الورقة ٨٦ ب .

اولا : كون الصابي يكتب عن السلطة يحتره عليه الا يكتب ما يسيء اليها وبالتالي فقد يعمد على تمويه القرائن او اغفالها او التلاعب بها وفق ما يتناسب مع مهمته التي هي اعلاء شأن الدولة ونسبة المحامد لها . ففي رسالة فتح الموصل مثلا التي تحدث عن دخول عز الدولة الى الموصل وانهزام ابي تغلب الحمداني عنها ، عمد الصابي الى اخفاء حقيقة الاسباب التي دفعت بعز الدولة الى غزو الموصل سنة ٣٦٣ وهي الطمع بأموالها واللهو والتصيد في طريقه يشجعه على ذلك وزيره ابن ببيعة الذي كان يحصل الحقد لأبي تغلب (١) ولجأ بالمقابل الى ذكر اسباب اخرى منها منع ابي تغلب الاموال ونقضه العهد ومهادنته الروم ومن المرجح ان تكون هذه الاخبار غير صحيحة بدليل تصدى ابي تغلب في السنة التي سبقتها لقتال الروم واسره لقائدهم الدمستق (٢) . ثم يعول ابو اسحاق زيادة في التمويه ودعا لموقف بختيار على ذكر مساوي ابي تغلب من قتله والده ومحاربتة لاختوته . لكن قتل ابي تغلب لوالده غير مؤكد . اذ ان مسكويه يذكر ان ابا تغلب واخاه ابا البركات اعتقلا والدهما وانه مات في سجنه سنة ٣٥٨ هـ (٣) . كما يقول الصابي في هذه الرسالة انه لما دخل عز الدولة الموصل سكنت نفوس اهلها وانسوا به ، (٤) فيما يقول مسكويه ان ابا تغلب كان الاظهر في المعركة لكثرة عدده ولتعصب اهل الموصل له ، وانه لما انحدر عز الدولة عن الموصل تبعه اهلها باللعن والدعاء عليه واخذوا يتبعون اصحابه ويستوثقون عليهم (٥) . هذا نوع من

(١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٤٢ ص ٣١٥ - ٣١٦ .

(٢) انظر لحادثة في رسائل الصابي ، ص ٦٤ - ٧٥ وتجارب الامم ، ج ٤٢ ص ٣١٢ - ٣١٣ وابن الجوزي ،

المنتظم ، ج ٤٧ ص ٥٩ - ٦٠ وابن الاثير ، الكامل ، ج ٤٨ ص ٦٢٢ .

(٣) تجارب الامم ، ج ٤٢ ص ٢٥٥ .

(٤) رسائل الصابي ، ص ١٢٧ .

(٥) تجارب الامم ، ج ٤٢ ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

تمويه الحقائق في رسائل ابي اسحاق والسدي اتبعه ليستر حقيقة فعل بختيار المشين .

ونجد شاهدا آخر على تمويه الحقائق او اغفالها في رسالة اسر الدمستق وحكاية

هذه الحادثة ان عظيم الروم غزا في عدد ضخم من جيشه المسلمين فأوقع بهم (١) ، فورد المسلمون

من هذه المناطق الى بغداد مستنفرين واحاطوا بدار الخليفة واستنفروا المسلمين في المساجد

والاسواق (٢) . فخرجت جماعة من وجوه بغداد الى بختيار الذي كان في الكوفة منصورا

الى اللهو ، مستنكرة اهماله امر المسلمين فوعدهم بالنزول (٣) . فبعث بختيار يطالب المطيع

لله بالاموال ليخرجها في طريق الغزو فأجاب المطيع ان تدبير الاموال والرجال ليس له ليكون الغزو واجبا

عليه وان ليس بين يديه اى شيء . ما تنظر به الائمة ولهم منه الاسم الذي يخطب به فان شاءوا ان

يعتزل اعتزل . فترددت بينهما المراسلات ووصل الامر ببختيار الى تهديد فاضطر المطيع الى التزام اربعمائة

الف درهم باع به ابياه وبعض انقاض داره (٤) . كما ارسل بختيار الى ابي تغلب صاحب الموصل يعلمه

عزمه على الغزو ويلزمه اعداد العلوقة والزاد فسارع الى ما سألته (٥) . ثم تذكر كتب التاريخ ان

المعركة جرت بين الدمستق وهبة الله ^{بن} أناصر الدولة اخي ابي تغلب (٦) .

(١) مسكويه تجارب الامم ، ج ٢ ص ٣٠٣ وابن الجوزي المنتظم ، ج ٧ ص ٥٩ - ٦٠ وابن الاثير الكامل ،

ج ٨ ص ٦١٨ .

(٢) المصادر نفسها .

(٣) تجارب الامم ، ج ٢ ص ٣٠٤ و المنتظم ، ج ٧ ص ٦٠ و الكامل ، ج ٨ ص ٦١٨ وانظر في الامتاع (ج ٣ ،

ص ١٥٣ - ١٥٩) شرحا وافيا لتفصيل ما دار بين الجماعة وبختيار .

(٤) تجارب الامم ، ج ٢ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ و الكامل ، ج ٨ ص ٦١٩ .

(٥) تجارب الامم ، ج ٢ ص ٣٠٤ و الكامل ، ج ٨ ص ٦١٩ .

(٦) تجارب الامم ، ج ٢ ص ٣١٢ و الكامل ، ج ٨ ص ٦٢٧ .

لنقارن الآن هذه الحقائق برواية الصابي للحادثة، فبعد ان ذكر غزو الروم للمسلمين اغفل ذكر ورود المسلمين من تلك النواحي مستنفرين واحاطتهم بدار الخليفة، لأن في ذلك اساءة الى الخليفة والى عز الدولة بختيار فيذكر بالمقابل ورود كتب ابي تغلب مستنجدا مما دفع بالخليفة الى استخدام عز الدولة والجيوث التي برسمه فامتثل بختيار امير المؤمنين وانجد ابا تغلب بالرجال الاشداء والابطال الاقوياء. اذا ابو اسحاق يحتال على التاريخ هنا لعدة اسباب : اولها انه يريد ان يغطي الشرح القائم بين الامراء (عز الدولة) وبين الخلافة وذلك لان طاعة البويهيين للخليفة اساس في ثبات دولتهم وكما ذكر على لسان المطيع : " وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم تمسكون به رعايكم " (١) . فعندما يتعرض الصابي لذكر هذه العلاقة يغفل الواقع ويذكر المثال : فتصرف بختيار الفعلي ليس التصرف الذي كان يجب ان يحدث بل انه التصرف الصحيح الذي يحفظ للدولة مهابتها وللخليفة سلطته هو ما جاء في رسالة الصابي من ان المطيع استقدم بختيار وبختيار امتثل لأمره . ورأينا ان الصابي قد اغفل ذكر خبر جماعة علماء بغداد ووجوهها الذين خرجوا للقضاء عز الدولة في الكوفة وحثه على الدفاع عن المسلمين لما في ذلك ايضا من اساءة الى عز الدولة (٢) . وعلى العكس نجد ان الصابي قد استغل هذا الانتصار وسيلة دعائية

(١) مسكويه، تجارب الامم : ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) هذا الخبر اغفله الصابي ايضا في كتابه التاجي . فقد جاء في الامتاع (ج ٣ ص ١٥٩) ان الوزير ابن سعدان قال للتوحيد انه قرأ ما كتبه الصابي في التاجي فما وجد هذا الخبر فأجاب التوحيد : " لعلمه لم يقع اليه ، اولعله لم ير التطويل به ، اولعله لم يستخف ذكر عز الدولة على هذا الوجه . " فاما عدم وقوع الخبر اليه مع وجوده في بغداد واتصاله بالسلطة فيمكن . واما عدم التطويل به فغير وارد ايضا ان كان يمكن ذكره عرضا فلم يبق الا الاحتمال الثالث وهو ما ينطبق على هذه الرسالة بشكل اخص لان التاجي كتب بعد وفاة عز الدولة فيما كتبت هذه الرسالة حوله .

للسلطة البويهية ولعز الدولة خاصة بعد الفتن التي جرت في بغداد وبعد توغل الروم في ديار المسلمين فقد نسب الى عز الدولة حسن الخدمة للخلافة وبذل الجهد في سبيل ضبط الثغور والامور ومجاهدة الكفار واصلاح البلاد .

ثم ان سياسة القول حتمت على الصابي ان يمدح الخليفة بالقول ان الفتوح في ايامه متصلة والغنائم متواليمة على المسلمين والرعية آمنة ساكنة بعد له . وهنا نجد ان الفسحة بين الواقع والمثال الذي حوته الرسالة تثير السخرية ، اذ ان هذا الكلام يقال فيمن لا حول له ولا طول . وكان الصابي قد تنبه الى هذا الامر فعزا ذلك الى سياسته وبركته ورعايته : " فالدعوى بصياسته ساكنة والرعية برعايته آمنة والفتوح في ايامه متصلة متقاطرة ، الغنائم على المسلمين ببركته داره متواترة " (١) . ثم ان هذا الكلام يقال في وقت حدث فيه اكبر الفتن في بغداد والتي ادت الى حريق الكرخ والس القتل والنهب واستباحة الحرمات وظهور جماعة العياريين الذين عاشوا في الارض فسادا (٢) .

كما نرى انه بالرغم من ان هذا الانتصار كان فعليا مسن صنع الحمدانيين ، لا ابراز فعلي لشخصيتهما في الرسالة الامن حيث كونهما الاداة المنفذة لتدابير عز الدولة . فالصابي يريد ان يبرز ان الدور الفعلي في تحقيق الانتصار هو لعز الدولة ولما كان عدم اشتراك عز الدولة فعليا في المعركة

(١) رسائل الصابي ، ص ٦٢ .

(٢) انظر مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٦ والامناع ، ج ٣ ، ص ١٥٠ - ١٦١ وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ، ص ٦٠ وابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٦١٨ - ٦١٩ .

يقابل من نجاح الصابي في هذا المجال ، فتمدد عهد الى التركيز على دور عمل
الدولة كقائد او مسؤول يدبر الامور يناقش حزمه ، فحتى لو حورت بعبئته
عنه فانما تجرى بتدبيره : " يناصر رأيه وهو دان لم يبرح ، ويسير تدبيره وهو
شاو لم ينزح ، يتناول المعالي يناقش حزمته ويفتخر الهضاب بعبئته ٥٥٥ (١) .
وهكذا نجد ان للصابي من خلال رسالته هدفا يريد تحقيقه ، وقالها ما يكون
اعلاء شأن الدولة والعباسيين فنجد ، يتلاعب بالاحداث ويطوعها كي تصبح مناسبة
للوصول الى هدفه ، وهو ، كما رأينا في المثل السابق ، يحكم تركيبة الحدث ، حتى
يصحب على القارئ ان يجد خرقا في الرسالة ينفذ منه الى مناقضة ما جاء فيها
او مخالفته ، ولهذا السبب كانت الحقائق في رسائل الصابي تتغير وفقا لاحوال السياسة
فنجد ، مثلا في رسالة تكملة بختيار سنة ٤٦٦ (٢) قد اعلى من شأن عزالدولة
وزييره ابن بقيقة فرفع عزالدولة الى مرتبة لا يدانيه فيها مدان فقال فيه :
" فجدد امير المؤمنين هذه الساعى السوابق ، والمعالي السوامق التي يلزم كل
دان وقاص ، وعام وخاص ان يعرف حق ما كرم له منها ويتزحزح عن سرير المعاشلة له فيها " (٣)
وعن ابن بقيقة قال : " وان عسرف لنصير الدولة الناصح ابي طاهر حتى تقدمه في

(١) رسائل الصابي ، ص ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢٢٥ .

الكفاية والحناء ، وابرازه في الاستقلال والوفاء ، وقيامه بكل مهمم طرق ، ودفاعه لكل ملم ارهق ، وسد ، من هذه الحضرة التي هي قبلة الاسلام وواسطته ، وسنامه وغارسه ، مكانا لم يسد ، مثله ، ولم يصلأ ، غيره " (١) .

ثم نراه بعد ان غلب عضد الدرلة على الامور سنة ٣٦٧ يصف بختيار وابن بقيقة بالفساد وسوء التدبير : " فما زال بختيار يسي الاختيار ، ويتنكب الصواب ، ويتجنب الصلاح ، ويمسزق الاموال ، ويعرض الدولسة للزوال ، ويهجر الاولياء ، اشد الاهراج ، ويحملهم على اعوج المنهاج ، ويخرب الاوطان ، ويشتت الاقران ، ويقتل الكفاة ويستكفي الغواة ، الى ان بلغ من فاسد سيرته ، وضال طريقته ، الى ان استكثب محمد بن بقيقة المحيط بكل خلة دنية ، وهو صغير حقير ، ناتس مغرور ، وليس له نصيب من صناعة ، ولا كفاية ، ولا حظ من فهم ودراية ، ف جذب بضبعه من اخس مطارح الاتباع ، واخفض منال الرعا ، الى معالي الامور التي ليس كفوؤها لها ، ولا حقيقا بشي ، منها ، فما تم لعمر الله لبختيار ان يرفعه ، لكن تم عليه ان يتضع معه ، فكانت آثاره كآثار صاحبه ، في اخراب البلاد ، وظلم العباد ، واجتثاث الفروع ، واقتلاع الاصول ، وانشاء الملاحم بين الديلم والاتراك من عساكر امير المؤمنين ، واستثارة العيارين والافغان ، ، ، ، ، " (٢) .

ولا يكتفي الصابي احيانا بقلب الحقائق حتى يقلب القوانين الشرعية والنظم المعروفة والمتبعة ارضا ، لمن يكتب له ، فيقول عن البويهيين في احدى الرسائل : " الذين لا تصح الامامة لمن اتخذه حريا ، وصاروا دونه حزبا ، لكنها انما تخلص من الاسباب المعلة لها ، والموارض القادة فيها ،

(١) مسائل الصابي ، ص ٢٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ - ٢٧١ وانظر ايضا : ص ٢٨٢ .

بدخولهم في البيعة، وانقياد من ورائهم من الكافة* (١) . والذي تشير اليه كتب الاحكام السلطانية، وما هو معروف، ان الخليفة هو الذي يولي الامراء بواسطة عقد او تقليد، (٢) وليس الامير هو من يولي الخليفة . اما تولية الخليفة او الامام، او انعقاد الامامة فهناك شروط معتبرة في الامام كما في اهل الاختيار لا بد من تحققها كي تصح الامامة (٣) . ثم انه لا يخرج الامام من الامامة الا شيان : جرح في عدالته او نقص في بدنه (٤) .

لكن هذا لا يعني خلو رسائل الصابي من ذكر الاحداث الصحيحة لان التلاعب انما حصل في الاسباب المهيثة او الظروف المحيطة بها، في حين ان ابا اسحاق يذكر احيانا اخبارا تنطبق تماما مع ما يذكره المؤرخون، كما ينفرد احيانا اخرى بذكر احداث لا نجد لها ذكرا في كتب التاريخ، او يفصل احداثا اشير اليها في كتب التاريخ اشارة عابرة . ففي رسالة عن الطامع الى ولاية الاطراف بعد فتنة الاتراك وعوده الى داره سنة ٣٦٤ هـ (٥) يذكر ابو اسحاق ان المطيع اراد المضي الى عز الدولة وعضد ها فتبعه المتمردون الاتراك . وردوه وحبسوه فلما علموا انكاره لفعلهم " نالوه بالهزيمة، واستحلوا فيه العظيمة* (٦) . فيما يذكر مسكويه الحدث نفسه من رد المطيع وحبسه في الدار ولكن " وكل به فيها توكيلا جميلا* (٧) . كما يذكر الصابي في الرسالة نفسها ان الاتراك

-
- (١) رسائل الصابي، ص ٢٣٦ .
(٢) المأوردى، ص ٢٨ .
(٣) المصدر نفسه، ص ٤ — ٥ .
(٤) المصدر نفسه، ص ١٦ .
(٥) رسائل الصابي، ص ٢٣٢ .
(٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٦ .
(٧) مسكويه، تجارب الامم، ج ٢، ص ٣٢٢ .

اكرهوا المطيع على خلع نفسه لانه * لا يستقل بالنهضة ان طالبوه بها ، ولا بالهزيمة ان عرضوه لها * واضطروا الطائع للانتصاب موضعه (١) . فيما يذكر مسكويه ان المطيع كان يعاني من علة الفالج ويحاول ستر ذلك ثم ثقل لسانه وتعذرت عليه الحركة فانكشف حاله لسبكتكين فدعي الى تسليم الامر لابنه الطائع * (٢) . وهكذا فالخبر صحيح ، لكن الصابي يخضع ظروفه او اسبابه لما يناسب السياسة التي يريد ارضاها .

ونجد ان الصابي يتفرد بذكر بعض الاحداث كما في رسالة اسر الدمستق ، بالتفصيل الذي عرضت فيه الحادثة جعله يتطرق لذكر احداث لم تذكر في كتب التاريخ كحادثة غزو المسلمين بعض النواحي وتخليبهم على اهلها وتملكهم الكثير من الاموال والسيبي وذاك قبل المعركة مع الدمستق . كما انفرد بذكر رد المسلمين للروم عن بعض الحصون التي حاولوا تملكها ، كما انفرد بذكر ابن البلنطس الاسير الثاني بعد الدمستق وهو طريده في الرطاسة ، وذكره ان جماعة الاسرى ضمت عددا من كبار الروم واصحاب المراكز فيهم .

ونجد شواهد اخرى على ذلك في رسالة الظفر بروزبهان حيث انفرد الصابي بذكر احداث كثيرة منها ان روزهان قد كتب لاخيه اسفار بالاهاواز ليخرج معتقلين كانوا في القلعة ، ثم يذكر ما جرى لهؤلاء بعد المعركة من استئمانهم لمعز الدولة . كما تفرد بذكر تفاصيل ما حدث فسي

(١) رسائل الصابي ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٢) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ . ونظن هذا عدوا شرعيا لقول الماوردي (الاحكام السلطانية ،

ص ١٨) : " ما يمنع من عقد الامامة ومن استدامتها وهو ما يمنع من العمل كذهاب اليمين او من النهوض كذهاب الرجلين فلا تصح معه الامامة في عقد ولا استدامة لعجزه عما يلزمه من حقوق الامامة من عمل او نهضة " .

الاهواز مما سبق المواجهة كـ بعض التدابير المتخذة منها تعيين السهملي لابي العباس
ليلي بن موسى زعيما على الرجال وانه اقفر الاهواز من كل خير وقد هالرجال والاموال الك البصرة
وكيف انحاز الخوميني عامل البويهيين على الاهواز الى روزبهان وان روزبهان استوزره وفوض اليه
وما الى ذلك من تفصيلات سبقت المعركة .

ومهما يكن من امره تبقى رسائل الصابي وثائق تاريخية مهمة فحتى لو وجدنا بعض
التلاعب في التفصيلات التاريخية الا ان الرسائل اثباتات لدينا على الحقائق التاريخية
الكبيرة او العامة لذلك العصر . فرسالة الظفر ~~بـ~~ روزبهان مثلا وان بنيت على وضع اللائحة
على روزبهان وتبيان نفاقه وتزلفه ومكاشفته العداء ، تؤيد لنا عدة حقائق منها :

- ١ - وجود الثورات الدائمة داخل الدولة البويهية : روزبهان واهوه اسفار ، وعمران بن شاهين .
- ٢ - اهمية المال في استمالة الجنود والرجال واهمية المراكز في استمالة الكبار منهم . اى ان ايا من
الثورات كما يبدو لم يكن مبنيا على اهداف او مبادئ . يراد تحقيقها انما مجرد صراع على السلطة
وطمع فيها يقوم به الكبار ويتبعهم فيه الرجال لكسب المال .
- ٣ - سياسة معز الدولة في تقديم الاتراك على الديلم .

كما ان الرسالة من الطابع لله الى ولاية الاطراف (١) والرسالة منه ايضا عند غلبة عضد الدولة

على الامور (٢) وغيرهما تشكل ادلة قاطعة على تلاعب الحكام والقواد بالخلفاء محاولة كل طرف

(١) رسائل الصابي ص ٢٣٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٥ .

ان يكسب الخليفة الى جانبه طوعا او كرها ليكتسب به الشرعية لوجوده وحكمه . اما رسالة
عز الدولة الى سبكتكين العاصي سنة ٣٦٤ (١) فهي حجة واضحة على اضطراب الامور في عهد عز
الدولة بختيار وتحكم القادة الاتراك بالامور حتى اصبح كالدمية بين ايديهم ، يتلاعبون به
ويوزرونه كيف شاؤوا . ومثل ذلك رسالته الى الفتكين (٢) الذي تولى قيادة الاتراك العصاة
بعد وفاة سبكتكين . هذه ايضا رسالة مهمة تذكر جوانب لم تذكر في كتب التاريخ حول مسألة العصيان
كما تكشف حالة عز الدولة القلقة والضعيفة والتي دفعت به بالاضافة الى طلب مساعدة
ركن الدولة وعضدها وعدة الدولة ابي تغلب وعمران بن شاهين وغيرهم ، الى ارسال الكتب الى العصاة
مستميلا لهم . فكتب الى الفتكين كتابا ارسله مع الشريف الحسين بن موسى فلما تاخر جواب الفتكين
شفعه بكتاب ثان هو المقصود هنا يذكر فيه مقام الفتكين واهميته ويخبره بانء سيحل له محل
سبكتكين وسيكون متفردا بمنزلة كبيرة ، الى غير ذلك من العود ، ثم يسالء ان كان لديه شرط
آخر عما ذكر فليرسل من يتكلم عنه بذلك فلن يجد عنده خلافا في كل ما يعود بالصلاح والاستقامة
والسلامة .

من هنا يتبين لنا ان قيمة رسائل ابي اسحاق الصابي التاريخية كبيرة ، ان في دلالتها

على الاحداث والشخصيات او على النظم والرسوم الشائعة من التلقيب والتكنية والخلع والتي تبدو في

كتب العهود والخلع والتلقيب .

(١) رسائل الصابي ، ص ٣٣١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨٤ .

نماذج من نثر ابي اسحاق الصابي :

اخترنا لتحليل نماذج من نثر الصابي رسالتين : رسالة فتح بغداد وعهد التطفيل ، وذلك ان رسالة فتح بغداد تجمع الكثير من خصائص الرسالة " الصابية " ان من حيث المعاني او من حيث الاسلوب فتؤلف نموذجاً عالياً للرسالة عنده . اما رسالة عهد التطفيل فهي فريدة بين رسائل ابي اسحاق في موضوعها (١) واسلوبها وشخصياتها ولغتها ، اي انها تمثل جانباً آخر من فن الصابي النثري جديراً بالاهتمام خاصة انه ابدى فيه براعة الاديب الاجتماعي الساخر وقد عهدناه كاتب الديوان الرسمي الجدي .

" نسخة كتاب انشاء ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي
عند فتح بغداد وانتهزام الماليك عنها في جمادى الاولى
سنة اربع وستين وثلاثمائة بشرح الحال ووصف الخلال
الى الامير ركن الدولة " (٢)

" اما بعد فان لله قضايا نافذة ، واقدارا ماضية ، فمبين النعم ، السوابغ والنقم الدوام ،
فاما النعم فيوتيتها عبادة ، اجمعين بادية ، ثم يجتذبها الشاكرين منهم عائدة ، واما النقم
فلا تقح سلفا وابتداء ، لكن قصاصا وجزاء ، بعد اسهال وانظار ، وتحذير وانذار ، فاذا حلت بالقوم الظالمين

(١) للصابي رسالة هزلية ثانية كتبها عن الوزير ابن بقية الس القاضي ابي بكر بن قريعة يعزيبه
عن شور جلس للمراء عليه تراقعا وتحامقا : الحصرى ، زهر الآداب ، ج ٤ ، ص ١٠١ - ١٠٣ .
(٢) رسائل الصابي ، ص ١٧ - ٤٢ وانظر الحادثة في مسكوية ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ - ٣٤١ وابن
الجوزى ، المنتظم ، ج ٥٧ ، ص ٦٨ وابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٦٣٤ وما بعد ها .

فقد طوى في انائها صنع لآخرين معتبرين ، فلا يخلو اهل الطاعة من الثبات والاستبصار ، واهل المعصية من الارتداد والازدجار ، ومن هناك شهدت العقول الراجحة ، ودلت المناهج الواضحة ، على ان اولى ما فخر به الناطق فمه وانفتح به كلمه ، حمد الله الذى هو الجالب لرحمته ورضاه ، والذائد لسخطه وسطاه ، والذريعة الموصلة الى الخيرات ، والذخيرة النافعة في الملهمات ، والميراث المانع من لجأ اليه ، والمعقل العاصم من عول عليه ، والحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين ، الوحيد الفريد العلي المجيد ، الذى لا يوصف الا بسلب الصفات ، ولا ينعت الا برفع النعوت ، الازلي بلا ابتداء ، الابدى بلا انتهاء ، القديم لا منذ امد محدود ، الدائم لا الى اجل معلوم معدود ، الفاعل لا عن مادة استمدها ، الصانع لا بالآلة استعملها ، الذى لا تدركه الاعين بالحاظها ، ولا تحده الالسن بالفاظها ، ولا تخلقه العصور بمرورها ، ولا تهزبه الدهور بمرورها ، ولا تضارعه الاجسام باقطارها ، ولا تجانسه الدهور باعراضها ، ولا تجارسه اقدام النظراء ، والاشكال ، ولا تزاحمه مسنكب القرواء ، والامثال ، بل هو الصمد الذى لا كفو له ، والفنالى لا توأم معه ، والحي الذى لا تخترمه المنون ، والقيوم الذى لا تشغله الشؤون ، والقدير الذى لا تؤوده المعضلات ، والخبير الذى لا تعيبه المشكلات ، خلق فاحسن واسم فائق ، ونطق ففصل ، وحكم فعدل ، وبراً البرايا صنوفاً وضرورياً وقسمها فرقا وشعورياً واختص منها الناس بالاسباب والائتمام وفضلهم على الجمادات والانعام ، واعد لمحسنهم جنه وثواباً ولمسيئهم ناراً وعقاباً ، وبعث اليهم رسلاً منهم يهدونهم الى الصراط المستقيم والفوز العظيم ، ويعدون بهم عن المسلك الذميم والمورد الوجيم ، فكان آخرهم في الدنيا عصراً ، واولهم يوم الدين ذكراً ، وارجحهم عند الله ميزاناً ، ووضحهم حجة وبرهاناً ، وابعدهم في الفضل غاية ، وابهرهم معجزة ، وآية ، محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً ، الذى اتخذ الله صفياً وحبیباً وارسله الى عباد ، بشيراً ونذيراً على حين نهاب منهم مع الشيطان وصدف عن الرحمن ،

وتقطيع للارحام وسفك للدماء الحرام، واقتراف للجرائم واستحلال للمآثم، انوفهم في المعاصي حمية ونفوسهم في غير ذات الله ابية، يدعون معه الشركاء، ويضيفون اليه الكفا، ويعبدون من دونه ما لا يسمع ولا يبصر ولا يخفي عنهم شيئاً، فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقذف في اسمعهم فضائل الايمان، ويقرأ على قلوبهم قوارع القرآن، ويدعوهم الى عبادة الله باللطف لما كان وحيداً، وبالعرف لما وجد ائصاراً وجنوداً، لا يبري للكفر اثر الا يطيسه ويجاهه، ولا رسماً الا ازاله وعفاه، ولا حجة موهمة الا كشفها ودحضها، ولا دعامة مرفوعة الا حطها ووضعها، حتى ضرب الحق بجبرانه، وصدع ببيانسه، وسطع بمصباحه، ونصح باوضاحه، واستنبط اللذ، هذه الامة من حضيض النار، وعلاها الى ذروة الصلحاء والابرار، واتصل جبلها بعد البتات، والتأم شملها بعد الشتات، واجتمعت بسعد الفرقة، وتواعدت بعد الفتنة، وفي ذلك يقول له ربه تباركت اسماؤه، وجلت كبرياؤه: * ولو انفقت ما في الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم * (١) . فصلى اللسه عليه وعلى آله الاخيار الطيبين، والابرار الطاهرين، صلاة زاكية نامية، راححة غادية، منجزة عدته، رافعة درجته، قاضية حقه، مؤدية فرضه، والحمد لله تالية بعد ماضيه، ولا حقة بعد سابقة، على ان احل مولانا الامير السيد ركن الدولة وسيدنا الملك الجليل عضد الدولة اطلال الله بقاءهما بالمحل الذي قصرت عنه الهمة العالية، ووقفت دونه الاقدام الساعية، وانضت على فضيلته العيون الرامقة، واقرت بمزيتة الافواه الناطقة، وجعل اشياهما العالين المنصورين، واعداهما الساقلين المدحورين، فما

تتمتع عنق من لائق بهما الى شرف مرتبة يحتليها ، وغارب مرقبة يمتايبها ، الانال ذلك ، في
ظلمها ، وبلانته بطولهما ، واحرزه بمتابعتها ، وحازره بالاعتما ، ولا تمتد اخرى من عاند عنهما الى
ماثره يترشح لادعائها ، ومفخرة يتوشح برادعها ، الا عاد تقديره محكوسا ، وتدبيره منكوسا ، ورائسه
خائبا ، وحسابه كاذبا ، فهما ادام الله عزهما السيدان اللذان من تذلل لهما عز ، ومن تعزز عليهما
ذل ، ومن دخل في ذمتهما سلم ونجسا ، ومن خرج عنهما علك وهوى ، موهبة من الله لهما ولنا فيهما ، وهو
بكرمه يربها ويحفظها ، ويكلاها ، ويدعظها ، والحمد لله تعززا بثلاثة تبلغ الحق وتفضيه وتمتري المزيد وتقتضيه ،
على نعمه المطيفة بي ، وعوارفه الخاعة لي ، وآلائه الضافية علي ، واياديه الراضية لدي ، ان
انشاني من دوحه مولانا الامير السيد ركن الدولة اطال الله بقاءه النجيبه ، ويراني من
اعوادها الصليبة ، ووقف بي على سيرها الحميدة وسلك بي طرائقها الرشيدة ، في حاية البيضة وحياطة
الحوزة وذب العداة وتمنع الطغاة ، وكبح الجاسح ، وبعث الجانح ، وتوهم الزانح ، وتسديد
الرائح والتادب بالآداب اللامعة بأولى الالباب التي من اشهرها عن مولانا ادام الله عزه وعنا ، واخلقها
به وبنا على اثره رب الايادي اذا اوليناها والعوارف اذا اسديناها تصديا لان يقرها الله عندنا
باقرارنا اياها عند من تجرى له على ايدينا ، فمن ارتبطها بالشكر واستدامها بالفضل وصاحبها
بالمعروف والحسن ، وجاورها بالعفاف والتقوى ، ووطأت له اكنافها ، وادرت عليه اخلاقها ، واسكنته
في ذراها ، وصانته في حماها ، ومن نفوها بالانكار والجحد ، واوحشها بالكفران والغمطه ،
سلبه الله جمال سريالها ، وعراه من برد ظلالها ، وافضى به الى ندم لا ينفعه منه ان يقرع سنه ولو
هتمها ، ولا ينزيه ان يعض ابهامه ولو كتمها ، والله نستعيد من مصارع اليئسي ،
ومواقح الخزي ، وايساه نساء ان يتولانا يهدايتيه

ويتوخانا بكفايته ، ويوقننا في مجاري الفاظنا ، وهو جسر افكارنا ، لكل ما اقربنا
اليه ، واحظانا ، لديه ، وواجب لنا عفو ، وحجب عنا سطوه ، بمنه ، وقد رتبته ، وجود ،
ورافتته .

وقد عرف مولانا الامير السيد ركن الدولة اطل الله بقاءه ، حال اللعين سيكتين فيما
كان مولاه الامير المعيد معز الدولة نصر الله وجهه ، ازله اليه من النعم الجسم واهله له من
الرتب العظام ، وانه ، ادام الله تاييده ، وسيدنا الملك الجليل عضد الدولة ، ادام الله عزه ، وانني
بعد هما امرنا ذلك له وزدناه عليه ، واشركه في دولة كان هو الرابع في اكلاتها ونحن المعنيون .
بكلاتها ، وقد مناه على نظرائه ، وآثرناه على قرنائهم ، فأوطانا عقبه طوائف من الرجال ، وذلكنا
له ابا ، هم وعطفنا عليه ازوارهم والتواهم ، حتى صار واحد هذه العساكر في اتساع الحال وجيوم الاموال
وعلو شان وسمو السلطان ، وانه لم يزل رايضا لوثية يشها ، ومرصدا لخرة يهتبلها ، ومتحليا بموالاته ومواقفه ،
قد لبسها على مداجاة ومناقاة ، ومتجلببا جلباب شاكرا طائع ، وقد افاضه على جثمان كافر خالع ،
ومفسدا لنيات غلماننا ، وساعيا لا يحاشهم منا ، ومضريا لهم على الاشتطاط في المطالبات المجحفة ، والتماس
المحاولات المسرفة ، ارتكاب الهفوات المنكرات ، واحداث الاحداث المحظورات ، ومقررا في نفوسهم انا لهم
كارهون ، وعلى الايقاع بهم عازمون ، الى ان كمن ذلك في ضمايرهم ، وقدح في بصائرهم ، ونفرهم بعد
السكون ، واخافهم بعد الركون ، فصاروا علينا الباء ، ومعهم حزبا ، يستخدمهم باموالنا ، ويعددهم للعيث في
ديارنا وفنائنا ، ويراعى بهم فرصة النكاية في الدولة التي اليها ينتسب ويعتزى ، والقدح في
النعمة التي منها يرتضخ ويفتدي ، واستحق جميعهم ما كانوا يحذرون ، واستوجبوا ما كانوا يمتشعرون ،
ونحن على هذه الهنات منه صابرون ، ولما يشيره من غيظ وامتعاظ كاظمون ، لزومنا لمد هيننا فسي

طاعة المحافظة ، وعصيان الحفيظة ، الا عند الضرورة الداعية ، والمعذرة الواضحة ، حيث
يكون الحلم شبيها بالضميم وحريرا بالوهن ، فلما ازي شخصنا الى الاهواز لاستدرا ما تأخر من اموالها ،
واستقراء ما اختل من اعمالها ، والنظر في اشياء من مصالحها وتوفر عماراتها اقررنا ، فسي الخضرة ،
ورفناها عن ضحاه السفر ، واتمناه على ما غبنا عنه من خدمة السرير وتدبير الامور ونحن لا نظن
بلخ حيك بلخ في استيطاء المركب المردى ، واستمراء المطعم الموي ، ولا تجاوز حدود الدالة المحتملة ،
والمنغائر المغتفرة ، ولم ندع ان استظهرنا بتجديد عهد بيننا وبينه احكامنا وعقد وكدنا ، فما هو الا ان
خلا ذرعه وامتد باعه ، حتى نزلت به نوازي البطنة وهدرت على يده شقائق الفتنة ، واستنفر من
العلماء من كان حاضرا معه ، واستجر وكاتب من كان غائبا عنه ، واستجاش بطوائف من العوام بسطهم
واهرجهم واباحهم وامرجهم ففاظت على يده وايد يهيم نفوس المسلمين ، وانتزعت محارم المستورين ، وسفكت
الدماء ، ونظم البلاء ، واتتنا الاخبار بقبيح ما ارتكب ، وعظيم ما احتجب ، وانه اكب على نهب المنازل
والمحال ، وتناول الامتعة بالاموال ، فاشتمل على الخزائن واستثار من ودائعنا كل ما من ، واقلقني
هذا وامضني ، وازعجني وارمضني ، وكسبت الى الامير السيد ركن الدولة والامير الجليل عضد الدولة ،
اطال الله بقاءهما ، الكتب التي سبقت بالانها له ، والاستصراخ فيه والاستنجاد فسي
استدراكه وتلاقيه ان كان الامر الذي ندبره منسوبا اليهما وكنا فيه تالين لهما ، وكانت الفروق مرتفعة
بيننا اهل البيت في النعم اذا تمت والملمات اذا المست .

فمولى الامير السيد ركن الدولة ، اطال الله بقاءه ، وفي دفع ما ناب وحدثه ، وكشف ما اظلم وكرك
على الامير الجليل عضد الدولة ابي شجاع ، اطال الله بقاءه ، لما عرف من كرم ضرائفه وبين نقائمه
وكمال ادواته وتام آلاته ، وسداد آرائه ونجاح انحاءه ، وانه الطود الرفيع والكهف المنيع ، والسيد الدافع
للمعظيمة والقرم الذائد للمهزيمة ، ومن لم تردد له قط راية ولا فاتته من مطالبه غاية ، ولا قارسه
مبار ولا قارنه مجار ، وتنزاح الظلم بغرته وتنفرج الكرب بتجدته ، وتنصاع الحوادث عن كل محلة يحلها وجنية

يحميها ويكفلها ، فوردت كتبه ، ايدى الله ، بأنه مبادر لا يتوقف ومسارع لا يتلبث في جيوشه العميمة
الموفورة وعساكره العزيزة المنصورة ، وسرت من الاهواز الى واسط وشثنا كتبنا الى اهل طاعة مولانا
الامير السيد ركن الدولة ، اطال الله بقاءه ، ومولاته والمتحقيقين به وبأيامه فانثالوا ، منذ بن نحوى
وتوافقوا معددين الي ، وعرف اللعين سبكتكين ذلك ، فانحدر عن بغداد فيمن جمع من قضاة وقضاة والف
من حشده وعديده قد استلموا بأسلحتنا وركبوا خيلنا وتظاهرت عليهم كسانا وآلاتنا وخفت على رؤوسهم
بنودنا وراياتنا ، وليس منه ولا منهم الا من نملك رقبته وولاه ، وكل مال وصل اليه وخير تظاهر عليه ،
وظن الخائن ان تم له شيء من مأمول اباطيله ومرجواضه قبل ورود الامير الجليل عضد الدولة ،
اطال الله بقاءه ، ان كان عالما الا قبل له بقاءه ولا تثبت قدمه بازائه ، فلما صار يدبر العاقول عقلته
فيها جرأته ونقضت فيها مرائر وقصر الحين من خطوه وجثم الحتف على صدره ، وحجرت المنية بينه وبين
الامنية ، واعترض صادق المقدور فيه دون كاذب التقدير منه ، واعتل اربعة ايام علة اتت على نفسه
ووسدته في رسمه ، واصارته الى سي ، اعماله والعقوبة المعدة لا مثاله ، وكان ذلك من الآسار
الدالة على حسن صنيع الله لمولانا الامير السيد ركن الدولة ولنا وقضائه بثبات دولتنا وتناول ايماننا ،
وانه عز وجل لا ينصر عدوا يئينا بالسوء ولا يمهله ، ولا يسلم وليا يحفظنا بالغييب ولا يخذله ، اتامنا للنعم
التي البسناها ، والمنح التي سوغناها وتببها لنا على شكرها والاستدامة لها ، وتحذيرا للناس
من تطرقها والطمع فيها ان كانوا جميعا لا يقدرون على ان يرتجعوا ما اعطى ووهب ، ولا ان يقرؤا ما
انتزع وسلب ، ولم نشكك في ان من بعده من تلك الطوائف يتأمل ويعتبر ويتعظ ، ويزدجر ، وانهم
يفيئون الى التغييؤ بظلمنا ويعودون الى اماكنهم من جملتنا فما راعنا الا انتصاب الفتكين الشرايبي
مولى معز الدولة بموضعه ومنابه في شب النار عنه عن وصية وصاه بها ودلاه بالخرور فيها ، ورأى الغلمان انهم
قد قدموا الينا ذنوبا ربما اخذناهم بها وجزيناها عنها ، فأحجموا عن الطاعة التي تؤمن وتنجي
واستمروا على المعصية التي توبق وتردى على يقين من سوء مغبتها ، ويعت الجماعة بيننا

فكانت الحرب بيننا وبينها في ظاهر الخري من واسط ثمانية واربعين يوما لا يمضي يوم منها الا عن نكايه تغذي عيونهم وغصة تشجي حلوقهم وقتل ما حق لهم ونكال نازل بهم ، الى ان تناهسى فسلمهم واستحكم وهلمهم واتاهم خير مولانا الملك الجليل عضد الدولة ، ادام الله عزه ، بتجاوز الاهواز مغذا اليهم ومنصبا عليهم ولما رأوا ان منتهم ضعفت غني علموا ان لا قوام لهم به ، ايد الله ، وبى وايقنوا ان البلاء سريح اليهم وان الدائرة تكون عليهم ، فانهمزبوا عن واسط ناكسين على الاقدام راجعين الى مدينة السلام ، مقدرين للتحصن بمشاربها وانهارها والاعتصام بأواباشها واوغادها ، واقرا الله عينى بمورد سيدنا الملك الجليل عضد الدولة ، ايد الله ، الذى حل منى محل الغيث عند اللزبة والغوث عند النربة ، فلما جمع الله شملنا ووصل جبلنا اتفق رأيه ورأى المتبع له على ان سار ، ايد الله ، من واسط في الجانب الشرقي ، وسرت في الغربي قاصدين بغداد على تدان في المسايرة وتحاذى فى المسابقة ، واتانا عند انتهائنا الى المدائن خبر اولئك الكافرين للنعم المستنزلين للنقم المارقين عن عصمة الدين وذمته المستخفين بحقه وحرمة ، في بروزهم الى النهر المعروف بديالسي ، وتقدمهم جسورا عليه ما ظننتهم يجسرون على عبورها ولا يقدمون على تجاوزها ، وانهم جعلوا سوادهم من ورائه وعملوا على المسير جريده للقاء سيدنا الملك الجليل عضد الدولة ، اطال الله بقاءه ، ونجزا للحين المكتوب عليهم والخذلان المجلوب اليهم ، فتوجه ، ايد الله ، نحوهم غداة يوم السبت لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى معبى الجيش رابط الجأش ، اصيل الرأى والحزم ، ملتئم التدبير والعزم ورتب اخي ابا الفتح عيسى بن محمد ، ادام الله عزه ، ومن برسمه من الجيش في يمينته التي يقارنها اليمن والنجاح ، وعبد ، وسيد ، وعمدة الدولة ابا اسحق بن معز الدولة ، ادام الله عزه ، وخادمه الناصح ابا ظاهر ايد الله ، ومن برسمها من الرجال في ميسرته التي يخاصبها اليسر والفلاح وصار هو ، اطال الله بقاءه ، وقواده ، وخاصته وحاشيته ورجاله قلبا قابلا لما قابله ، عاكسا لما واجبه ، ولقيه اعداء الله ، وقد اطرحوا الوفاء

واقبلوا الحياء واتخذوا القجة شعارا ، وكاشفوا بها جهارا ، واعتمدوا معارضته ، ادام اللـ
تمكينه ، في فضاء من الارض ظنوا ان سيد ركون فيه المأمول ، وينالون بالجولان في ارجائه السول ، ولم
يعلموا انه مع اتساع خرقه ، وانفساح طرقه ، ضيق عن مساكره المنصورة ، غاص بجيوشه الموفورة ،
فشبت الحرب بين الميسرة وبينهم منذ الضحى الى العصر ، واكبوا باجمعهم عليها ، وصمدوا بجد هم
اليها ، لانها دلفت نحوهم مفارقه نظام مصافها ، مطيعة دواعي احقادها ، وافضى ذلك ان انجدها
سيدنا الملك الجليل عضد الدولة ، اطل الله بقاءه ، بطائفة من رجاله شدت منها وزادت فسي
استظهارها ، وخيبت طمع الطامعين فيها ، ثم انه ، ادام الله عزه ، جلى النعمة ، وكشف الكربة ، وحقق
الحملة ، ونصر الدولة ، وزحف اليهم زحفا ملائوسهم رجفا ، واحشاهم رعبا ، فأجفلوا اجفال النعام ،
واقشعوا اقشاع الخمام ، فأوغل الاولياء المتضورون في طلبهم يستلحمون ويقتلون ويفرون ويقدون حتى
الجاؤهم الى عبور تلك الجسرر وصادفوا عليها بقية وافرة منهم وخلفا كثيرا من سفلة العوام المضافرين
لهم ، فقتلوا وغرقوا وملك عليهم ما وراء ديايى ، واحرق ونهب جميع سوادهم وسفنتهم وآلاتهم ،
وحجز الليل عن استقصاء الطالب ، والاتباع لمن هرب ، فنزل سيدنا الملك الجليل عضد الدولة ، اطل
الله بقاءه ، الموضع الذي كانوا نزولا فيه ، وطوى القوم بغداد دليا ، ولم يلبثوا فيها الا فواقا آخذيين
على سمت الموصل على اختلاف من اهوائهم ، وانتكث من لوائهم ، قد ادرعوا بالحار والشنار ، واشتملوا
على المذلة والصغار ، وانجز الله فيهم وعده ، ونصر عليهم جنده ، واداقهم وبال المغيبة فيما اجترموا ،
وسوء العاقبة فيما اتسبوا ، ودخل سيدنا الملك الجليل عضد الدولة ، ادام الله عزه ، بغداد وتجاوزناها ،
وعسكرنا من الجتانبين في اعلاها ، وعطفنا على سفها الرعية بأحلامنا ، وعسناهم بعفونا ، وصفحننا
عن الدعار شفيح لالبرار ، واشفاق من دخول البرى مع السقيم ، واختلاط البر بالاشيم لانهم لما وجدناهم

قد خالفوا موعظة الله اذ يقول : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ (١) لم يخالف نحن اذ به في قوله : ﴿ ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ﴾ (٢) .

وكتبت كتابي هذا ، ادام الله تأييد مولانا الامير السيد ، عن تمام الفتح ، وكمال المنح ،

وسكون الدهماء ، وشمول النعماء ، وشفاء الصدر ، وادراك الوتر ، واخذ الثأر المنيم ، والظفر بشيطان

الفتنة الرجيم ، وتلك عاقبة من ظلم وكفر ، وطنى واستكبر ونغى وتجبر ، والله يقول فيهم وفي امثالهم :

﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله

فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (٣) . فالحمد لله العزيز القهار المتعالي الجبار ،

القاضي للحق بالادالة ، وللباطل بالاذالة ، المتكفل باظهار اوليائه ، وكتب اعدائه ، الذى جعل

مولانا الامير السيد ، ركن الدولة ، اطال الله بقاءه ، محفوظا فيما حضره ، وغاب عنه ، محوطا فيما شهد به ، وبعد

منه ، محتوما له بنصرة الراية وعلو الكلمة ، وعز الجانب ، وذل الجانب ، فهناك الله بهذا الصنع

العظيم قدره ، والجليل خطره ، العامة بركته ، الشاملة عائدته ، ولا اخلاء من اجراء مثله للمسلمين

على يده ، وايدى اولاده ، ايدى الله ببقائه ، وعبيده ، وانصاره ، وجنوده ، وضاعف له المواهب مضاعفة يوفى

مستقبلها على الماضي ، ويقصر سابقها عن التالي ، بمنه وطوله وقوته وحولته ، ولو تعاطيت ، اطال

الله بقاء مولانا ، وشكر انعام سيدنا الملك الجليل عهد الدولة ، ادام الله علوه ، والاعتداد بمننه ،

لتعاطيت معجزا وطلبت معوزا ، لانه ذلل الصعب بعد ايائه ، وهون الخطب بعد اعيائه ، ونظّم

(١) سورة الانفال (٨) : ٢٥ .

(٢) سورة الانعام (٦) : ١٦٤ .

(٣) سورة النحل (١٦) : ١١٢ .

الامر بعد اختلاله ، وشد الازر بعد انحلاله ، وبذل النفس النفيسة التي لو امكن عوض من غيرها
لتعذر فكيف منها مع شرفها ، وكيف لا يفعل ذلك من خصه الله بكرم ضرائبه ، و يمن نقائمه ، وسداد
آرائه ، و يمن انحائه ، وانفراجه ، عن المساجلين ، وامتناعه على المطاولين ، فمنا تحل قدمه
في موضع الا كان على النوائب محرما ، ومن المحاذير محصنا ، وللفضل الباهر معدنا ، وللخير الطاهر موطنا ،
فأحسن الله جزاءه عن ملك صانعه ووقاه ، وحرريم حاطه وحماه ، وواخ لهيف انجده ، وحر صريح استعبده ،
ومد علينا اجمعين خصوصا ، وعلى عباد المؤمنين عموما ، ظل مولانا الامير السيد ركن الدولة الذي
لانزال بخير ما كان رواقه مدودا ، وسرادقه مضروبا ، ووهب لنا المزيد في بقاءه وعلائه ، واعادنا من سوء
يلم بساحته وفنائته ، انه على ذلك قدير ، وبه جدير ، واقول في شكر اخي ابي الفتح علي بن محمد ، ادام
الله عزه ، انه لو حسن ان النية ، وامتنع من الافاضة فيه ، مع بلائه الجميل ، وفعله الجليل ، واجتهاده الشديد ،
وتدبيره السديد ، لألغيتنه لانه انما نب عن دولة هي له ، وقضى في نصرتها واجبا لمولانا الامير السيد
ركن الدولة ، اطال الله بقاءه عليه ، ولكني لا استجيز ترك الصدق عن تجرده ، وغناؤه ونصحه ، ووفائته ، وبلوغه
اقصى مبالغ المحامى ، وانتهائه الى ابعد غايات المرامي ، واخذه من هذا الفتح باوفر السهم ، واستحقاقه
من الاحقاد عليه اجزل القسم ، فان رأى مولانا الامير السيد ركن الدولة اطال الله بقاءه ، ان يعرف
ذلك له ويعتقده ، فيه وينعم بالامر بمكاتبتني بوقع صنع الله في النعمة التي به بدأت ، وعليه سبغت
والنايبة التي عنده انحرفت ، وببده ، انصرفت ، ويعتمدني في شكر سيدنا الملك الجليل عضد الدولة ،
ادام الله تأييده ، بمعونة تتم تقصيري عن حده ، وتلافي وتوفني دون فرضه فعل ان شاء الله .

رسالة فتح بغداد ، كما يبدو فيها ، كتبت عن عز الدولة بختيار الى ركن الدولة
يصف له الانتصار على الاتراك ، وكان بختيار الذي ضعف عن ملك الامور والسيطرة على الوضع ، قد

استجده في الحرب، كما استجد بخيره لاستعادة ملكه الذي كاد يفقده بسبب حماقاته
وسياسته الخاطئة • فانجده ركن الدولة بأن طلب من عضد الدولة السير اليه على رأس جيشه،
كما ارسل وزيره ابا الفتح ابن العميد على رأس جيش آخر • فكتبت هذه الرسالة الى ركن الدولة
تعلمه بما استجد من امر الانتصار والفتح •

يستنتج من سياق الرسالة ومن معرفة الاحداث التاريخية المرافقة، ان الصابي

عمل على ابراز اربعة امور رئيسية جعلها اهدافا للرسالة :

١ - الهدف الاول : اظهار بختيار بصورة الحاكم المهتم بأمور المملكة واظهار بطلان خروج سبكتكين

عليه • وقد عمل الصابي على ابراز هذا الهدف بعدة وسائل :

أ - البديء بذكر انعام بختيار وابيه معز الدولة وعمه ركن الدولة وعضد ها كذلك، على سبكتكين وتفضيله

على نظرائه، * حتى صار واحد هذه العساكر في اتساع الحال وجموم الاموال وعلو الشان وسمو

السلطان * • ثم يقارن ذلك بحال سبكتكين الذي كان ينتظر فرصة ليثور ويحتولي على الامور، ثم

يحملة مسؤلية ثورة الغلمان هذه فهو الذي افسد نواياهم على الدولة •

ب - تصوير بختيار بصورة الحكيم الصابر الذي يحاول حل الامور بالسلم ولا يلجأ للقوة الا عند

الضرورة الداعية * حيث يكون الحلم شبيها بالوهن * •

ج - ستر السبب الحقيقي الذي ادى ببختيار الى الاهواز، وتعليل ترك سبكتكين في الحضرة بأنه

ترفيه له • ثم تصريح سبكتكين بصورة المستغل للامور بخياب سيد •

د - وصف الجيش الذي اعتمده سبكتكين بأنه من الغلمان وطوائف العوام، وانه قتل المسلمين وانتهك

المحارم، وسفك الدماء، ونهب المنازل والمحلات، فهم كفار واياشرواوغاد وسبكتكين لعين خائن •

هـ - التركيز على ان سبكتكين يحارب بسلاح بختيار وانعامه وامواله .

٢ - الهدف الثاني للرسالة : تبين اهمية النجدة التي ارسلها ركن الدولة :

أ - طلب النجدة من ركن الدولة وعضدها سببه ان بختيار يعتبر ان الامر منسوب لهما وانه تال لهما فيه .

ب - الافاضة بذكر اوصاف عضد الدولة ووصف عساكره : فهو صاحب الرأي السديد والقوة والثبات ،

يرافقه الانتصار حيثما حل بعساكره " العميمة الموفورة " و " العزيزة المنصورة " .

ج - ظن الاعداء بأنهم سينتصرون قبل ورود الامير عضد الدولة ، فلما علموا بقدومه علموا ان الهزيمة

ستكون من نصيبهم .

د - وصول عضد الدولة كان مهما جدا لبختيار حيث حل مني محل الغيث عند اللزومة والغوث عند

الكرسة ، "

هـ - وصف اقدام عضد الدولة وجيوشه في المعركة ، يقابله اندجار الاعداء وانهزامهم .

و - الافاضة في شكر عضد الدولة وذكر مناقبه وصفاته والدعاء له وكذلك الدعاء لركن الدولة وشكر

وزيره ابي الفتح ابن العميد .

٣ - الهدف الثالث : تبين ان الحق الى جانب بختيار وعضد الدولة في المعركة بربط الانتصار

بأقدار الله ، فبعد وصف من بختيار وعضد الدولة على سبكتكين ووصف عضد الدولة بأفضل الصفات ،

وسبكتكين بأرذلها يبين الصابي ان الانتصار انما تم بقدره الله الذي ينصر الحق :

أ - يتحدث عن موت سبكتكين فيقول : " وكان ذلك من الآثار الدالة على حسن صنيع الله لمولانا

الامير السيد ركن الدولة ولنا وقضائه بثبات دولتنا وتطاول ايامنا ، وانه عز وجل لا ينصر عدوا بينينا

بالسوء ولا يمهله ولا يسلّم ولنا يحفظنا بالغيب ولا يخذله ، "

- ب - ويتحدث عن انهزام الاثراك فيقول : " وتلك عاقبة من ظلم وكفر ، وطمس واستكبر ، ونفس وتجبير ، والله يقول فيهم وفي امثالهم ، * وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * (النحل ١١٢) .
- ج - حمد الله على الفتح : " فالحمد لله العزيز القهار المتعالي الجبار ، القاضي للحق بالانالة ، وللباطل بالانالة ، المتكفل باظهار اوليائه ، وكبت اعدائه ، * * * * * كما انه يحمد الله على ان احل الامراء ركن الدولة وعضدها بالمحل الذي تقصر عنه الهمة " . وجعل اشياعهما العالين المنصورين ، واعداءهما السافلين المدحوريين ، * * * * *

٤ - الهدف الرابع : ذكر اهمية الفتح والتحول الذي جرى بعده في بغداد :

- أ - ذكر استنفار سبكتكين للخلمان واستجاشتهم وكيف بسطهم واهرجهم وامرجهم ، فانتهكت على ايديهم المحارم وفاضت نفوس المسلمين وسفكت الدماء ونهبت المنازل والمحال .
- ب - دخول عضد الدولة الى بغداد كان مخالفا فصيح عن الرعية كي لا يدخل البرى مع المجرم ، فكانت الرعية ساكنة والنعمة شاملة .
- وهكذا استطاع الصابي الوصول الى اهدافه من الرسالة متجاوزا الدقة في سرد الحوادث . وسنحاول مقارنة احداث الرسالة بما جاء في تجارب الامم لسكويه الذي كان حينذاك مع جيش ابي الفتح ابن العميد (١) يسجل الاحداث عن كتب ، لنلاحظ كيف يطوع الصابي الوقائع التاريخية ليرضي سياسة امرائه .

(١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٣٨ .

- ١ - ذكر الصابي ان شخص يختار الى الاهواز كان " لاستدرا ما تأخر من اموالها واستقرا ما
اختل من اعمالها " . فيما يقول مسكويه ان الضائقة المالية التي اصابته باختيار وتعذر استخراج
الاموال من اى وجه، جعل يختار ووزيره ابن بقيه يخرجان الى الاهواز ليستقصيا علس واليهما
ويصرفاه عن البلد ويطلباه بالمال وينكبا (١) .
- ٢ - ذكر ابو اسحاق ان يختار اقر سبكتكين بالحضرة ترفيها له عن متاع السفر، مؤتمنا اياه على ما غاب
عنه من خدمة السرير وتدبير الامور، فيما جاء في تجارب الامم ان يختار ووزيره كانا ينويان ان
يفرقا الاتراك عن سبكتكين ويحتالا عليه من البعد للاستراحة منه وتحصيل امواله واقطاعه (٢) .
- ٣ - يفهم من رسالة الصابي ان سبكتكين كان المبادىء بالعداوة والثورة ومن مسكويه ان يختار كان
الاول في التدبير على سبكتكين .
- ٤ - يقول الصابي في الرسالة : ان " الحرب بيننا وبينها (جماعة الاتراك) في ظاهر النهرى من
واسط ثمانية واربعين يوما لا يمضي يوم منها الا عن نكاية تقذى عيونهم وغصة تشجي حلوقهم وقتل
ما حق لهم ونكال نازل بهم الى ان تناهى فشلهم واستحكم وهلمهم واتاهم خبر مولانا الملك الجليل
عضد الدولة . وفي تجارب الامم ان الحرب اتصلت نحو خمسين يوما بواسطة وكان الاستظهار فيهما
للأتراك " واشرف الديلم على الانكسار والمهرب دفعات وقتل من الديلم خلق كثير لنقصان جنهم واستظهار
الاتراك عليهم بالاسلحة واشتد علك باختيار الحصار واحدى به وصار في مثل كفه الحابل واحاط به

(١) مسكويه تجارب الامم ج ٥ ص ٣٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

الاتراك من كل وجه * (١) . فأرسل الى ابي تغلب يطلب نجدة والى عضد الدولة يعلمه ان مملكته قد خرجت من يده وكتب اليه في بعض كتبه البيت الذي كتب به عثمان الى امير المؤمنين علي :

فان كنت ماكولا فكمن خير آكل والا فأدركني ولما امزق * (٢) .

اما الاحداث التي لا تتناقض مع اهداف الكاتب فقد ذكرها ابو اسحاق وهي التي تشكل الفائدة التاريخية من الرسالة من هذه الاحداث : شخوص يختار الى الاهواز وقيام الفتن قهقوة سبكتكين وانتصاب الفتنين مكانه ، تعويل ركن الدولة على عضد الدولة في الدفاع ، استمرار الحرب بين الاتراك والذيلم بواسطة ثمانية واربعين يوما ، مسير بختيار وعضد الدولة وتدريبهم في المعركة وتاريخ المعركة ، تنظيم جيش عضد الدولة

هذه اهم موضوعات الرسالة والاحداث التاريخية فيها ، اما اذا تناولنا الرسالة من

حيث التركيب فنجد انها مؤلفة من ثلاث وحدات : المقدمة والعرض والموضوع والخاتمة . المقدمة طريفة تتضمن ثلاث تحميدات :

١ - التحميدة الاولى : يتحدث فيها عن صفات الله تعالى فيستطرد في موضوعه ويطيل القول ، ودنا اية اشارة الى موضوع الرسالة . ولهذا السبب رأى ابن الاثير ان هذه التحميدة لا تناسب الكتاب الذي افتتح بها ولكنها تصلح ان توضع في صدر مصنف من مصنفات اصول الدين (٣) . قول ابن الاثير هذا يدل على اعترافه بقيمتها من حيث المعنى والاسلوب . وهي بالفعل يمكن ان تعتبر قطعة فنية جميلة حيث انها قد تناولت موضوعا من ادق الموضوعات واجلها وهو صفات الله

(١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ .

(٢) المصدر نفسه . والبيت من قصيدة اصمعية مشهورة للمزق العبدى .

(٣) ابن الاثير ، النبل السائر ، ص ٢٦٣ . (المطبعة البهية) .

سبحانه ، فالنصر قد استوعب تسعة أسماء من اسمائه الحسنى ، ثم انه نجح في استعمال الاساليب الجمالية كالسجع والتوازن الموسيقي ، اما بالنسبة لعدم مناسبة التحميد لموضوع الكتاب فهذا صحيح وان كان يقلل من البعد بين الموضوعين وجود تحميدتين اخريين كانت كل منهما تمهد للموضوع وتدل عليه .

٢ - التحميد الثانية : تبدأ بقوله : " والحمد لله تالية بعد ماضية ، ولاحقة بعد سابقة "
يحمد فيها الله على المحل الذي احل فيه ركن الدولة وعضدها ، وعلى انه نصر اولياهما ودحر اعداهما ، ويشير الى موضوع الفتح اشارة مباشرة حين يقول ان من يعتصم بطاعة هذين السيدين ينجو وينال مآوله ومن عاتدهما لقي وبالاً وخاب ظنه .

٣ - التحميد الثالثة : اولها " والحمد لله تعزيزاً بثلاثة تبلغ الحق وتفضيه ، " ويتابع الحمد على نعم الله له انه ينتسب الى ركن الدولة ويتبعه في مسالكه الرشيدة في " حياية البيضة وحياطة الحوزة وذب العداة وقمع الطغاة " . ويتحدث عن النعمة التي ان ربطها الانسان بالشكر والمعروف رتبع في حماها وان كفرها وغمطها سلبه الله اياها ويختمها بالدعاء . وفي هذا اشارة واضحة الى الفتح .

الترابط بين اجزاء الرسالة واضح في حديثه في المقدمة عن النعم التي تأتي والنقم التي تحل جزاءً بالظالمين وكافرى النعمة . وهذه الفكرة هي المستنتجة من احداث الرسالة ومن المعركة والتي يحاول تأكيدها بذكر الآيات القرآنية * وضرب الله مثلاً قريظة كانت آمنة) فالخط العام للرسالة انطلاقاً من المقدمة هو ذكر صفات الله وحكمته وعدله والقاعدة التي يعامل الناس عليها من نعمة او نقمة ثم محاولة ربط الوقائع بهذه الحكمة لتأكيد كونها مرتبطة بإرادة الله ووفق مشيئته . ولا يبرز ذلك بصورة افضل واعمق جعل

الرسالة تدير في اتجاهين متوازيين :

١ - الاتجاه الاول هو حالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

٢ - الاتجاه الثاني هو حالة عضد الدولة .

فالشخصيتان موازية احدهما للآخرى مع فروقات هي نبوة محمد وكونه

آخر الرسل في الدنيا اما في الاعمال في الحياة الدنيا فالشخصيتان تتوازيان في محاربتهم

للظلم والكفر ودعوتهم الى الافاءة للدين والركون في كنف الاسلام . فالجماعة التي ظهر

فيها محمد توازي الجماعة التي خرجت على الدولة والتي حاربها عضد الدولة : جماعة كافرة

ابتعدت عن الدين واشركت بالله واستحلت المحارم وسفكت الدماء .

الاسلوب الذي اتبعه الرسول في تبليغ رسالته ورد الجماعة الى الحق مواز للاسلوب

الذي اتبعه بختيار ، ثم عضد الدولة . الرسول كان يدعوهم باللطف اولا الى ان رأى ضرورة استخدام

العنف ، ووجد حوله الانصار والجنود ، بختيار كان ينتظر من سبكتين الافاءة الى الحق والطاعة

ولم يحاول استعمال القوة الا عندما اخفق في استمالتهم وصار اللطف ضعفا فجاء عضد الدولة ، رمز

القوة والحق في الرسالة .

الرسول عليه السلام كان قويا على الكفار حيث انه حتى كل اثر للكفر فارتفع الحسب

وانتصر ، وصيبت الامة بانتقالها من حضيض النار ، ومن الفرقة والغرض والمذاب الى الالتئام والبر والامن

والدعة . كذلك عضد الدولة كان قويا على الكفار المارقين ففضى على آثامهم ونشر الامن

والسلام حيث حل بعد الفتح .

الله الذي نصر محمدا والف بين القلوب بعد الشتات، هو الذي نصر عضد الدولة
واظهر حقه . الا ان الفارق بين الحاليين، بالاضافة الى نبوة محمد والتي يقابلها
الى حد ما الدعم والنصرة الالهيين لعضد الدولة، هو ان عمل الرسول كان مع جماعة مشرقة
كافرة اساسا . اما في حالة عضد الدولة فالجماعة الكافرة وسبكتكين على رأسها كانت مطيعة راضية
هانئة ، فنفضت عنها ثوب الطاعة واظهرت العصيان والكفر .

عرض الصابي للخطين المتوازيين والذي التزم فيه البدء بحالة الرسول واتباعها بالثانية،

والاختصار في الاولى والتفصيل في الثانية كان الهدف منه :

- ١ - جعل حالة الرسول عليه السلام قاعدة او اساسا نضعه في قرارة نفوسنا حتى اذا جاءت حالة
عضد الدولة تبادر الى اذهاننا التشابه بين الحالتين ما يعطي ابعادا اخلاقية ودينية للفتح .
- ٢ - ابراز الفتح بصورة العمل الديني الواجب شرعا ، وتكون شخصية البطل فيه ، شخصية المجاهد
من اجل نصره الدين وطمس الكفر . فالصابي قد اعطى الصبغة الدينية لكل ما في الرسالة للوقائع
والشخصيات . فالتائر اصبح كافرا لعينا وجماعته خارجة عن الدين ، فيأتي الفتح في ذروة الاحداث عملا
واجبا شرعا لاعادة الحق الى نصابه والقضاء على الكفر والفساد ونشر العدل والرحمة . ويأتي بطول
بصورة المدافع عن الدين الحامل في سبيل الله .

٣ - الاختصار في الحالة الاولى والتفصيل في الثانية متعلق بهدف الكاتب من الرسالة ، فلا

ضرورة للتفصيل في الحالة الاولى ، لان الفرد (او الجماعة) الذي سيقرا عليه الكتاب مسلم مقرب
بهذه الوقائع ، مؤمن بها . فعمله هنا تذكيري فقط . اما في ذكر الفتح فربما هنالك اختلاف
حوله ، بين من يؤيده ومن يناهضه فيصبح التفصيل ضروريا والصبغة الدينية وسيلة اقناعية ، اذ لا
خلاف حول هذا الاساس الديني .

هذا هو خط الرسالة بشكل عام ، أما الخاتمة فتتضمن حمد الله على النصر

وشكر ركن الدولة على النجدة التي ارسلها وشكر عضد الدولة وابي الفتح .

من اهم ما يبرز من معاني الرسالة : شخصية عضد الدولة ووصف المعركة .

عضد الدولة :

يهي الكاتب ويمهد لبروز عضد الدولة البطل في ارض المعركة وتحكمه بالاحداث ،

لذا نجد لدينا مراحل في بروز شخصية عضد الدولة يمكن ان تجعل ثلاثا :

١- عضد الدولة قبل المعركة : تبرز براعة الكاتب في ادخال شخصية عضد الدولة على

المساحة ففي حين تكون المحنة في اوجها وجماعة سبكتين من الرعاع والعموم تسفك الدماء ، ويختار في قلق

وانزعاج شديد ، يستجد بركن الدولة وعضدها . وهنا تظهر صورة عضد الدولة لأول مرة في

الرسالة حيث يصف منه " كرم ضرائبه ، ويمن نقائمه ، وكمال ادواته وتعام آلاته وانه الطود الرفيع

والكهف المنيع ، . . . الخ " يرافق ظهور عضد الدولة هنا انتقال من الفوضى والقلق والخوف والقتل

والفساد الى ذكر القوة والثبات والنصر وانفراج الكرب والاحداث .

الاشارة الثانية الى عضد الدولة تبين تأثيره في الاحداث بمجرد ذكره . فهو من

القوة والبأس حتى ان ذكره يصبح مخيفا مخيبا امل الامل بالانتصار عليه . فسبكتين الذي جمع

الجيصوش حول له ظن انه قد يحقق امنياته قبل ورود عضد الدولة " اذ كان عالما الا قبل له بلاقته

ولا تثبت قدمه بازائه "

الاشارة الثالثة اليه قبل دخوله الفعلي في سياق احداث الرسالة تؤكد الفكرة

السابقة ولكن هنا مع الفتكين خليفة سبكتين ، والذي استمر في الحرب مع بختيار مدة ثمانية واربعين

يوما حتى اذا ضعفوا اتاهم خبر قدوم عضد الدولة متجاوزا الاهواز " مغذا اليهم ومنصبا عليهم " " علموا ان لا قوام لهم به وبني وايقنوا ان البلاء سريع اليهم وان الدائرة تكون عليهم " فانهم هزموا عن واسط عائد بين الى بغداد . فكان ان انهزامهم بعد معركة مع بختيار لم يحققوا النصر فيها
ثم بعد سماعهم بـ ورود عضد الدولة .

يظهر الكاتب في عضد الدولة هنا صفات البطل المسارع الى الحرب، فقد وصفه وهو في الطريق الى المعركة بانه " مبادر لا يتوقف ومسارع لا يتلبث " فالبطل مسارع الى ارض المعركة التي تنتظر قدومه للبت فيها والفصل .

٢ - عضد الدولة في المعركة :

يفصل الكاتب في ذكر المعركة التي خاضها عضد الدولة والتي لم تستمر فترة طويلة ، في حين انه اوجز في ذكر المعركة التي جرت قبل وصوله مع انها استمرت فترة ثمانية واربعين يوما ، فيذكر ترتيب عضد الدولة للجيش واتفاقه مع بختيار على خطة في المعركة ثم يذكر خطة الاعداء . هذا التفصيل يقصد منه عرض احداث الفتح الذي هو موضوع الرسالة وابرار شخصية البطل عضد الدولة . ويلاحظ ان الصابي يركز على شخصية البطل الخير فيما عودنا في رسائل اخرى على تصوير شخصية المنافق او العاصي .

يذكر الصابي من صفات عضد الدولة ما يجعله يمثل القائد العسكري والسياسي ، فالقيادة تستلزم القوة والرأى الاصيل والحزم والعزم والتدبير وهذا ما يجمعه عضد الدولة في شخصه . وكما تدرج ابو اسحاق في ادخال شخصيته الى الساحة ، يتدرج هنا ايضا في ذكر صفاته وتأثيره في المعركة .

— مجرد وصول البطل وقبل قيامه باى فعل كان مؤثرا حيث انه " محل الغيث عند اللزومة والغيث عند الكربة " . وهذا طبيعي ان يحدث بعد الانتظار الطويل لوصوله والازمة التسي يعيشها بختيار حين انهزم الاعداء الى بغداد وتحصنوا بها جامعين حولهم عوامها واواشها ما زادهم قوة .

— قبل بدء الحرب الفعلية بدأ عضد الدولة بالتدبير فاصبح بختيار متبعا له " اتفق رأيه ورأى المتبع له " وبذلك تنتقل القيادة كليا اليه . فهو يحارب بالرأى قبل القوة وها هو يعد الخطة لدخول بغداد ويعمل على ترتيب جيشه وتنظيمه .

— يظهر عمل عضد الدولة المسكوى في النهاية حيث انجد الميسرة التي فارقت نزالها ودلفت نحو الاعداء لتسفي غليلها . وهكذا نلاحظ التدرج في ذكر اعمال عضد الدولة الى ان يظهر فعليا في ارض المعركة حيث " جلى الغمة ، وكشف الكربة ، وحقق الحملة ، ونصر الدولة ، وزحف اليهم زحفا مألوفهم رجفا ، واحشاهم رعبا ، فاجفلوا اجفال النعام ، واقشعوا اقشاع الغمام ، " . فعله الفعلي في المعركة لم يظهر الا مرتبطا بالانتصار الكبير وبهزيمة الاعداء .

٣ - عضد الدولة بعد الفتح :

القوي في المعركة صفوح حلیم بعدها ، حيث انه عفا عن جميع الرعية ، كي لا يظلم بريثا بمعاقبة العصاة ، ولا برا بمحاربة الظالمين ولأنه " لا تنزر وازرة وزر اخرى " (الانعام ١٦٤) .

اذا شخصية عضد الدولة هي شخصية البطل الحقيقي الخير ، التي قلما نجدها في رسائل الصابي حيث انه يركز في رسائله اجمالا على شرح حال العاصي . وقد عرض الصابي لملاح هذه الشخصية ببراعة فكانت العنصر الذي يخفف من رتابة الاحداث فيها ويبعث الحيوية ، حيث ان ظهوره

في الرسالة كان يرافقه دائما تحول في سير الاحداث . يبلغ احيانا حد
الانقلاب .

المعركة :

جاء وصف الصابي للمعركة التي دارت بين عضد الدولة واتباعه من جهة

وسبكتكين والأتراك من جهة اخرى ، منتظم لسياق ، وافي التفاصيل ، ملحي المشاهد .

يبدأ الصابي بذكر موقع كل من الفريقين المتقاتلين ، ثم زمان المعركة ، وكيفية تنظيم

عضد الدولة لجيشه ، والمكان الذي دارت فيه المعارك ، ويصف حال الاعداء من القحة وقلعة الحياء ،

وجيوش عضد الدولة الموقورة والعميمة المنصورة .

تبدأ المعركة بشكل تدريجي ، حيث تشب بين مسيرة جيش عضد الدولة والاعداء

الذين اجتمعوا عليها حتى كادوا ينتصرون ، في هذه النقطة الحرجة ، يتدخل عضد الدولة

لانجاد هذه الفرقة ، وهنا تبدأ المشاهد الملحمية والصورة الحقيقية للمعركة : " وزحف اليهم

زحفا ، ملاقوسهم رجفا ، واحشا هم رعبا ، فاجفلوا اجفال النعام ، واقشعوا اقشاع الغمام " ثم يبدأ الاولياء

باتباعهم وتقتيلهم " يستلحمون ويقتلون ويفرون ويقدون " ولم يقد الاعداء هربهم لان الاولياء

تبعوهم واغرقوا وقتلوا منهم وذهبوا آلتهم .

بعد هذه الحركية في افعال الحرب من الزحف والرعب والقتل والغرق والهرب . . .

نصل الى هدوء ما بعد العاصفة بدخول عضد الدولة بغداد وصفحه عن الرعيمة " وعطفنا على

سفها الرعيمة باحلامنا ، وعمناهم بعفونا ، وصفحتنا عن الدعار شفيح للابرار واشفاق من دخول البرء

مع السقيم واختلاط البر بالاثيم "

مميزات أسلوبية

١ - براءة في الوصف : تبدو في الرسالة براءة الصابي في الوصف، وذلك من خلال بعض الفقرات الوصفية، ومن ذلك :

أ - وصف جماعة سيكتكين ، حيث افلح في تصويرهم كمجموعة من الرعاع تشير الفوضى والفتن . " واستجاء بطوائف من العوام بسطهم واهرجهم واباحهم وامرجهم ، ففاظت على يد ، وايد يهيم نفوس المسلمين ، وانتهكت محارم المستورين ، وسفكت الدماء ، وعظم البلاء " .

ب - وصف عضد الدولة على انه بطل قوى تحل المشكلات بمجيئه : " وانه الطود الرفيع ، والكهف المنيع ، والسيد الدافع للعظيمة ، والقوم الذائق للهزيمة ، ومن لم تردد له قط رايه ولا فاته من مطالبه غاية . . . تنزاح الظلم بخرته ، وتنفرج السكر بوجدته ، . . . فتوجه . . . معبى الجيش ، رابط الجأش ، اصيل الرأي والحزم ، ملتئم التدبير والعزم . . . " .

ج - وصف الجيوش : " جيوشه العميمة الموفورة وساكوه العزيزة المنصورة ، . . . فانثالوا منذرين نحوى وتوافقوا معددين السي . . . " .

د - وصف انهزام الاعداء : " وزحف عليهم زحفا مألوفهم رجفا ، واحشاهم رعبا ، فأجفلوا اجفال النعام واقشعوا اقشاع النعام . . . " .

٢ - اعتماد على التناقضات كعنصر اساسي في تهيئة افكاره وابرازها : ففي تفاصيل الرسالة وعباراتها نجد الكثير من الطباقات والمقابلات لقوله : " من تدلل لهما عزه ومن تعزز عليهما ذل ، ومن دخل في ذمتها سلم ونجا ، ومن خرج عنهما هلك وهوى " . لا يقدر ان يرتجوا ما

اعطى ووهب، ولا ان يقرروا ما انتزع وسلب . . . " فأحجموا عن الطاعة التي تؤمن وتنجي واستمروا على المعصية التي توبق وتردى " . . . اما في المعنى العام فلدينا الكثير من التناقضات التي حاول ابرازها احيانا بتعاقب الاشياء المتناقضة كالنعم والنقم في المقدمة، اشياء الدولسة واعداءها، فضل الامراء على سبكتكين وجحد، جيش سبكتكين يشير البلاء بين الناس، وجيوش الامراء تعامل بالصفح والعفو، عضد الدولسة وجيشه مقابل سبكتكين وجيشه، جيش منظم مقابل اوباش واوغاد . كل هذه التناقضات تتيح او تهيب لوجود معركة ينتصر فيها احد الطرفين، اما القارى فلا بد له من اتخاذ موقف اذ لا يمكن الجمع بين متناقضين : الجماعة الفاتحة المنتصرة والجماعة المنكسرة .

٣ - السجع ظاهرة عامة في الرسالة : ونجد من ذلك الاسجاع المتوازنة وتلك التي تطول فيها المفاصلة الاولى وتقصر الثانية، والتوازن هو الاعم الاغلب . من السجع المتوازن قوله : " لانه نذل الصعب بعد ابائه، وهون الخطب بعد اعيائه، ونظم الامر بعد اختلاله، وشد الازر بعد انحلاله " . وقوله : " لما عرف الله من كرم ضرائبه ويمن نقائمه وكمال ادواته وتمام آلاته، وسداد آرائه، ونجاح انحائه، وانسه الطود الرفيع والكهف المنيع، والسيد الدافع للعظيمة والقوم الفدائك للهزيمة، ومن لم تردد له قط راية، ولا فاتته من مطالبه غاية، ولا قاربه مبار ولا تارنه مجاره، تنزاح الظلم بغرته وتنفرج الكرب بنجدته، . . . " وغيرها كثير . اما الاسجاع التي تطول فيها العبارة الاولى وتقصر الثانية فمنسها قوله : " وبالله نستعيد من مصارع البني، ومواقع الخزي، واياء نسال ان يتولانا بهدايته، ويتوخانا بكفايته، ويوقنا في مجارى الفاظنا، وهو اجس افكارنا " لكل ما قربنا اليه، واحظانا لديه، . . . " .

- ٤ - المجاز : من خصائص أسلوب الصابي التي تضمني الجمال على معانيه والفاظه ، غنى كلامه بالمجازات وبالتالي بالصور والخيال . شواهد ذلك كثيرة في الرسالة منها قوله : " انــــه لم يزل رابضا لوثيمة يشبها ، " وقوله " متجلببا جلباب شاكرو طاشع ، قد افاضه على جثمان كافر خالص ، " " " " قصر الحين من خطوه ، وجثم الختف على صدره " " " " .
- ٥ - استعمال تعبيرات والفاظ غريبة . كقوله : " غارب مرقبة يمتطبها " والمرقبة هي الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب (١) . وقد احسن هنا في تشبيه المرقبة بالبعير لارتفاعها عما حولها ، ووجود الرجل عليها كوجود الراكب على ظهر بعيره . ومن تعبيراته والفاظه الغريبة قوله : " استيطا " المركب المردى ، واستمرا " المطعم الموي " وقوله " نزت به نوازي البطننة ، وهدرت على يسده شقاشق (٢) الفتنة " . وقوله : " عقلته فيها جرائره ، ونقضت فيها مرائره (٣) " وقوله : " حل مني محل الذئب عند اللزبة (٤) ، والغوث عند الكربة " وغير ذلك .
- ٦ - استعمال بعض الآيات القرآنية .

-
- (١) اللسان ، مادة : رقب . والغارب هو ما بين السنام والعنق . وقيل : غارب كل شيء اعلاه ، والغارب : اعلى مقدم السنام . المصدر نفسه ، مادة : غرب .
- (٢) الشقاشق : لهاة البعير ولا تكون الا للعربي من الابل ، وقيل : هو شيء كالرمة يخرجها البعير من فيه اذا هاج ، والجمع : الشقاشق . وفي خطبة للامام علي رضي الله عنه : " تلك شقاشق هدرت ثم قرت " . اللسان ، مادة : شقق .
- (٢) المرير من الحبال ما لطف وظال واشتد قتله ، والجمع المرائر . اللسان ، مادة : مرر .
- (٣) اللزبة : الشدة وجمعها لزب . اللسان ، مادة : لزب .

عهد التطفيل (١)

" هذا ما عهد علي بن احمد المعروف بعليكا الى علي بن عرس الموصلي ، حين استخلفه
على احياء سننه (٢) ، واستنابيه في حفظ رسومه ، من التطفل (٣) على اهل مدينة
السلام وما يتصل بها من ارباضها واكتافها (٤) ، ويجرى معها من سوادها واظرافها ، لما توسمه
فيه من قلة الحياء ، وشدة اللقا ، وكثرة اللقم ، وجودة الهضم ، وراه اهلاله من سد مكانه ، والرفاهية (٥)
المهمله التي فطن لها ، والرفاعة (٦) المطرحة التي اهتدى اليها ، والنعم العائدة على
لايسها بملاد الطعوم ، وخصب (٧) الجشوم ، ووردا (٨) على من اتسمت حاله (٩) ،

(١) التتوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٧ ص ١٥٥ - ١٦١ والبغدادى ، التطفيل ، ص ١١٢ - ١١٧ او
القلقشندى ، صبح الاعشى ، ج ١٤ ص ٣٦٠ - ٣٦٥ . وقد جاء في المصدرين الاولين انه " كان من

نقبا الامير بختيار ، المعروف بعز الدولة ، رجل يسمى عليكا ، وكان كثير التطفيل على جميع اهل
المسكن من الحجاب والقواد والكتاب ، ووجه الخاصة والغلمان . وشاع له ذلك عند بختيار ، فرسم له ان
يستخلف على التطفيل خليفة ، وتقدم الى ابي اسحاق ، ابراهيم بن هلال الصابي الكاتب ، ان يكتب
بذلك عهدا ، لابن عرس الموصلي ، عن عليكا ، وان يجعله خليفته على التطفيل ، فكتب له على طريق الهزل ،
عهدا . . . " (نشوار المحاضرة ، ج ٧ ص ١٥٥ والتطفيل ، ص ١١٢) . يقول القلقشندى في حديثه فسي

المهزليات " وربما اعتنت الملوك ببعضه ، فاقترحت على كتابها انشاء شي من الامور المهزلية ، فيحتاجون الى
الاتيان بها وفق غرض ذلك الملك . كما وقع لمعين الدولة (؟) بن بويه الديلمي في اقتراحه على ابي اسحاق
الصابي كتابه عهد التطفل ، لرجل كان عنده اسمه عليكا ، ينسب الى التطفل ، ويسخر منه السلطان بسبب
ذلك . " (صبح الاعشى ، ج ١٤ ص ٣٦٠) .

(٢) في نشوار المحاضرة ، ج ٧ ص ١٥٥ والتطفيل ، ص ١١٢ : " سنته " .

(٣) في المصدرين السابقين : " التطفيل " .

(٤) في المصدرين نفسيهما : " وما يتصل بها من اكتافها " .

(٥) في المصدرين نفسيهما : " في هذه الرفاهية المهمله " .

(٦) في المصدرين نفسيهما : " الرفاعية " .

(٧) في المصدرين نفسيهما : " مناعم " .

(٨) في المصدرين نفسيهما : " متوردا " .

(٩) في نشوار المحاضرة ، ج ٧ ص ١٥٥ - ١٥٦ والتطفيل ، ص ١١٢ : " من اتسمت مواد ماله وتفرغت شعب
حاله " .

واقدره الله على غرائب المأكولات، واطفوه ببدايع الطيبات، آخذاً من ذلك كله (١)
بنصيب الشريك المناصف، وضارياً فيه بسهم الخليط المقاض، ومستعملاً للمدخل
اللطيف عليه، والمتولج العجيب اليه، والاسباب التي ستشرح في مواضعها من
وامر (٢) هذا الكتاب، وتستوفى (٣) الدلالة على ما فيها من رشاد وصواب،
وبالله التوفيق وعليه التعويل، وهو حسناً ونعم الوكيل .

" امره بتقوى الله هي التي الجانب العزيز، والحرز الحريز، والركن المنيع، والظود
الرفيع، والعصمة الكاثمة، والجنة الواقية، والزاد النافع يوم المعاد، وحيث الامثلة
من الأزواد (٤) ، وان يستشعر خيفته، في سره وجهره، ويراقبه (٥) في قوله وفعله،
ويجعل رضاه مطلبه، وثوابه مكسبه (٦) ، والقربة (٧) منه أربه، والزلفى لديه غرضه،
ولا يخالفه في مسعاة قدم، ولا يتعرض عنده لعاقبة (٨) ندم، (ولا يقدم على ما كره وانكره
ولا يتقاعس عما احب وامر) (٩) .

(١) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٦ و التطفيل، ص ١١٢ : " من كل ذلك " .

(٢) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٦ و التطفيل، ص ١١٣ : " من هذا الكتاب " .

(٣) في التطفيل، ص ١١٣ : " نستوفى " .

(٤) نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٦ : " حيث لا ينفع الا مثله من الأزواد " وفي التطفيل، ص ١١٣ : حين

لا تنفع حيلة الا مثله من الأزواد " .

(٥) في المصدرين السابقين : " مراقبته " .

(٦) في المصدرين نفسيهما : " ملبسه " .

(٧) في المصدرين نفسيهما : " القرب " .

(٨) في التطفيل، ص ١١٣ : لعاقبته " .

(٩) ما بين قوسين غير موجود في نشوار المحاضرة و التطفيل .

" وامره ان يتأدب بأدبه فيما يأتي ويذر ، ويقف على حدوده فيما اباح وحذر ، فانه اذا كان ذلك هجيرا ، وديدنه ، وجرى عليه منها جه وسننه ، تكفل الله له بالنجاح والصلاح ، وافضى به الى الرشاد والفلاح ، وواظفه بكل بنوية ، وواصله الى كل مشية ، ولم يخلصه من الفوز بما يرصد ، والحوز بما يقصد ، بذاك وعد ، وكذاك يفعل ، وما توفيقنا الا بالله ، ولا مرجعنا الا اليه " (١) .

" وامره ان يتأمل اسم " التطفيل " ومعناه ، ويعرف منزاه ونحاه ، ويتصفح تصفح الباحث عن حظه بمحمود ، (٢) ، غير القائل فيه بتسليمه وتقليده ، فان كثيرا من الناس قد استبحه ممن فعله ، وكرهه لمن استعمله ، ونسبه فيه الى الشره والنهم ، (وحمله منه على التفة والقوم) (٣) ، فمنهم من غلظ في استدلاله ، فأساء في مقاله ، ومنهم من شح على ماله ، فقد افسح عنه يا حتياله ، وكل (٤) الفريقين مذموم ، (وجميعهما ملوم ، لا يتعلقان بعذر واضح) (٥) ، ولا يعترسان (٦) من لباس فاضح ، ومنهم الطائفة التي ترى فيها (٧) شركة العنان : فهي تتدله (٨) اذا كان لها ، وتتدلى عليه اذا كان لغيرها ، وترى ان المنية في المطعم للهاجم الآكل ، وفي المشرب للوارد الواغل ، وهي احق بالحريه ، واخلى بالخيريه ،

-
- (١) هذه الفقرة غير موجودة في نشوار المحاضرة والتطفيل .
 - (٢) في المصدرين السابقين : " بمجهود " .
 - (٣) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين .
 - (٤) في التطفيل ، ص ١١٣ : " وكلا " .
 - (٥) ما بين قوسين غير موجود في نشوار المحاضرة والتطفيل .
 - (٦) في نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٥٦ و التطفيل ، ص ١١٣ : " يعترسان " .
 - (٧) في المصدرين السابقين : " التي لا ترى شركة " .
 - (٨) في المصدرين نفسهما : " تبذله " .

واحرى بالمرور، واولى بالفتوة وقد عرفت بالتطفيل، ولا عار فيه عند ذوي التحصيل،
لانه مشتق من الطفل وهو وقت المساء، واولان العشاء، فلما كثر استعمال (١) في صدر النهار
وعجزه، واوله وآخره، كما قيل للشمس والقمر : قمران (٢) واحدهما القمر، ولا يبي بكر وعمر :
ال عمران واحدهما عمر، (وقد سبق امامنا " بيان " رحمة الله عليه، الى هذا الامر سيقا اوجب له
خلود الذكر، فهو باق بقاء الدهر، ومتجدد في كل عصر، وما نعرف احدا نال من الدنيا حظا من حظوظها
فبقي له منه اثر يخلفه، وصيت يستبد به الا هو وحده، فبيان، رضوان الله عليه، يذكر
بتطفيله كما تذكر الملوك بسيرها، فمن بلغ الى نهايته، او جرى الى غايته سعد بنخضارة عيشه
في يومه، ونباهة ذكره في غده، جعلنا الله جميعا من السابقين الى مده، والمذكورين كذكراء (٣) .
" وامره ان يعتمد (٤) موائد الكبراء والعظام بنزاياء (٥) ، فسمط الامراء والوزراء بسرايا،
فانه يظفر منها بالنسيمة الباردة، ويصل عليها الى الغريبة النادرة، واذا استقرأها وجد فيها
من طرائف الالوان، الملذدة للسان، وودائع الطعوم، السائغة في الحلقوم، مما لا يجد عند غيرهم، ولا

(١) في نشوار المحاضرة، ج ٧، ص ١٥٦ : " وان كثر استعماله . . . " .

(٢) في المصدر نفسه، ص ١٥٧ : " القمران " .

(٣) ما بين قوسين غير موجود في نشوار المحاضرة، والتطفيل .

(٤) في المصدرين نفسيهما : " يتمهد " .

(٥) في المصدرين نفسيهما : " بقرايساء " .

يناله الا لديهم ، (لحدق صناعتهم ، وجود ادواتهم ، وانزاح عليهم وكثرة ذات بينهم ،

والله يوفر من ذلك حظنا ويسد نحوه لحظنا ، ويوضح عليه دليلنا ، ويسهل اليه سبيلنا) (١) .

وامره ان يتتبع ما يعرض لموسرى التجار ، ومجهزى الامصار ، من وكيرة الدار ، والعرس

والاعذار ، فانهم يوسعون على نفوسهم (٢) في النوائب بحسب تضييقهم عليها في الراتب ، (وربما

صبروا على تطفيل المتطفلين ، وانحسوا على تهجم الواغليين ، ليتحدثوا بذلك في محافلهم الرذيلة ،

ويعدوه في مكارم اخلاقهم النذلة ، ويقول قائلهم الباج باتساع طعامه ، الباهي بكثرة

حطامه : اني كنت ارى الوجوه الخريصة فاطعمها ، والايدي الممتدة فاملؤها . وهذه طائفة

لم ترد بما فعلته الكرم والسعة ، وانما ارادت المن والسعة ، فاذا اهتدى الارباب الى

طرائقها وصل الى بنيتها من اعلان قضيتها ، وفاز بمرادها من ذخائر حسنتها ، ان شاء الله (٣) .

وامره ان يصادق قهارمة الدور ومدبريها (٤) ، ويرافق وكلاء المطابع وحماليتها ، فانهم

يملكون من اصحابهم ازمة مطاعهم ومشاربهم ، ويضعونها بحيث يجبون من اهل موداتهم

ومعارفهم ، واذا عدت هذه الطائفة احدا من الناس خليلا (٥) ، واتخذته اذا من

اخوانها ، سعد بمرافقتها (٦) ، ووصل الى محابه من جهاتها ، وسأربه في جنباتها .

(١) ما بين قوسين غير موجود في نشوار المحاضرة والتطفيل .

(٢) في المصدرين نفيهما : " انفسهم " .

(٣) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين .

(٤) في التطفيل ، ص ١١٤ : " مدبريها " .

(٥) في نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٥٧ و التطفيل ، ص ١١٤ : " احدا من الناس من خلائها " .

(٦) في المصدرين السابقين : " سعد بمرافقتها ، وحظي بمصادقتها " .

وامره ان يتعهد اسواق السوقين، ومواسم المتابعين، فاذا رأى وظيفة قد زيد فيها،
واطعمة قد احتشد مشتريها، اتبعها الى المقصد بها، وشيئها الى المنزل الحاوي (١)
لها، واستعلم ميقات الدعوة، ومن يحضرها من اهل النسيان والمروة (٢)، فانه لا يخلو فيهم من
عارف به يراعي وقت مصيرة اليها ليتبعه، ويكمن له ليصحبه ويدخل معه، وان خلا من ذلك
اختلط بزمسرا الداخلين، (وعصب الراجلين) (٣)، فما هو الا ان يتجاوز عتب الابواب، ويخرج من
سلطان الروابين والحجاب، حتى يحصل حصولا (٤) قل ما حصل عليه (٥) احد قبله فانصرف
عنه الا ضليعا (٦) من الطعام، بريقا (٧) من الدمام، (ان شاء الله) (٨).
وامره ان ينصب الارصاد على منازل المغنيات والمغنين، ومواطن الابليات والمخنثين،
فاذا اتاه خبر لجمع (٩) يضمهم، وما ديسه تعهم، ضرب اليها اعناق (١٠) ابله، وانضى نحوها

-
- (١) في نشوار المحاضرة والتطفيل للمنازل الحاوية *
(٢) في المصدرين نفسيهما : " اهل اليسار والمروة *
(٣) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين *
(٤) في نشوار المحاضرة ج ٧ ص ١٥٨ والتطفيل ص ١١٥ : " محصلا *
(٥) في التطفيل ص ١١٥ : " حصله احد *
(٦) في نشوار المحاضرة ج ٧ ص ١٥٨ والتطفيل ص ١١٥ : " الا ضلعا من الطعام *
(٧) في المصدرين نفسيهما : " نزيفا *
(٨) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين *
(٩) في نشوار المحاضرة ج ٧ ص ١٥٨ والتطفيل ص ١١٥ : " لجمع *
(١٠) في المصدرين نفسيهما : " اعقاب *

مطايا خيليه ، وحمل عليها حملة الحوت الملتقم ، والشعبان الملتهم ، والليث الهاصر ، والمعقاب الكاسر ، (ان شاء الله) (١) .

* وامره ان يتجنب مجامع العوام القليين ، ومحافل الرعاع المقتربين (٢) ، وان لا ينقل اليها قدما ، ولا يعقر (٣) لماكلها فما ، ولا يلقي في عتب دورها كيسانا ، ولا يعد الرجل منها انسانا ، فانها عصابة يجتمع لها ضيق النفوس والاحلام ، وقلبة الاحكام (٤) والاموال ، وفي التطفيل عليهما اجحاف بها يوسم (٥) ، وازراء (٦) بمرودة المتطفل (٧) (يوصم) (٨) ، والتجنب لها اخرى (٩) ، والازرار عنها ارجى (١٠) (ان شاء الله) (١١) .

* وامره ان يحزر الخوان اذا وضع ، والطعام اذا نقل ، حتى يعرف بالحدس (١٢) والتقريب ،

والبحت والتنقيب ، عدد الالوان في الكثرة وانقله ، وافتنانها في الطيب واللذة ، فيقدر لنفسه ان يشبع مع آخرها ، وينتهي منها عند انتهانها ، ولا يفوتسه النصيب من كثيرها وقليلها ، ولا يخطئه الحظ

(١) ما بين قوسين غير موجود في نشوار المحاضرة والتطفيل .

(٢) في التطفيل ، ص ١١٥ : " المعتبرين " .

(٣) في نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٥٨ و التطفيل ، ص ١١٥ : " يفضى " .

(٤) في المصدرين نفسيهما : " ضيق النفوس والاحوال ، وقلبة الاحلام والاموال " .

(٥) في المصدرين نفسيهما : " يؤشم " .

(٦) في المصدرين نفسيهما : " وازراء " .

(٧) في المصدرين نفسيهما : " المتطفل " .

(٨) الكلمة غير موجودة في المصدرين السابقين .

(٩) في المصدرين نفسيهما : " اجدى " .

(١٠) في المصدرين نفسيهما : " ارجى " .

(١١) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين .

(١٢) في التطفيل ، ص ١١٥ : " بالحدس " .

من دقيقتها و جليلها • ومتى احس قلة الطعام ، وعجزه عن الاقوام (١) ، امعن في اوله
امعان الكيس في سعته (٢) ، الرشيد في امره ، المالى * لبطنه ، من كل حار وبارد ، (وخبث
وطيب) (٣) ، فانه اذا فعل ذلك سلم من عواقب الاعمار الذين يتفنون تطرفا (٤) ، ويقلون
تأديبا ، ويظنون ان المادة تبلغهم في آخر امرهم ، وتنتهي بهم الى غاية سعيهم (٥) ، فلا
يلبثون ان يخجلوا خجلة الواثق (٦) ، وينقلبوا بحسرة الخائب ، اعاننا الله من مثل مقامهم ،
وعصمنا من شقاء جدودهم ، (ان شاء الله) (٧) .

" وامره ان يروض نفسه ، وينالط حسه ، ويضرب عن كثير مما يلحقه صفحا ، ويطوي دونه
كشحا ، ويستحسن الصم عن الفحشاء (٨) ، وان اتته اللكزة في حلقه ، صبر عليها فسي
الوصول الى حقه ، وان وقعت به الصفة في رأسه ، صبر عليها لموقع اضراسه (٩) ، وان
لقيه لاق (١٠) بالجناف ، قابله باللطف والصفاء ، ان كان قد ولج الابواب ، وخالط الاسباب ،
وجلس مع الخضور ، وامتنع بالجمهور ، فلا بد ان يلقيه المنكر لامره ، ويمر به المستغرب لوجهه ،

-
- (١) في نشوار المحاضرة ج ٧ ، ص ١٥٩ والتطفيل ، ص ١١٥ : " الاقدام " .
(٢) في المصدرين نفسيهما : " سعيه " .
(٣) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين .
(٤) في المصدرين نفسيهما : " تطرفا " .
(٥) في نشوار المحاضرة ج ٧ ، ص ١٥٩ والتطفيل ، ص ١١٦ : " شبعهم " .
(٦) في المصدرين نفسيهما : " الواثق " .
(٧) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين .
(٨) في المصدرين نفسيهما : " ويستحسن الصم عن الفحشاء ، وينهض عن اللفظة الخشنة " .
(٩) في المصدرين نفسيهما : " اغضى عنها لمراتع اضراسه " .
(١٠) في المصدرين نفسيهما : " ملاق " .

فان كان حرا حيا امسك وتدمم، وان كان فظا غليظا همهم وتكلم، وتجنب (١) عند ذلك
المخاشنة، واستعمل (٢) مع المخاطب له الملاينة، ليبرد (٣) غيظه، ويقل (٤) حده، ويكف
غريسه، ويأمن شغبه، ثم اذا طال المدى تكررت الالفاظ عليه فعرفه وانست النفوس بسسه
فألفه ونال من الحال (٥) المجتمع عليها، منال من حشم وسئل الذهاب اليها (٦) .
" ولقد بلغنا ان رجلا من (٧) العصاية كان ذافهم ودرايبة، وعقل وحصافة،
طقل على وليمة، لرجل ذي حال عظيمة، فمرقتة فيها من القوم العيون، وصرفت (٨) بهم فيه
الظنون، فقال له قائل منهم : من تكون اعزك الله ؟ فقال : انا اول من دعي الى هذا الحق، قيل
له : وكيف ذاك ونحن لا نعرفك ؟ فقال : اذا رأيت صاحب الدار عرفني وعرفته بنفسي . فجيء
به (اليه) (٩) فلما رآه بدأه (١٠) بأن قال له : هل قلت لطباخك (١١) : ان يصنع
طعامك زائدا على عدد الحاضرين، ومقدار حاجة المدعوين، قال : نعم قال : فانما تلك الزيادة لسي

(١) في نشوار المحاضرة، ج ٧ ص ١٥٩ والتطفيل، ص ١١٦ : " وان يجتنب " .

(٢) في المصدرين نفسيهما : " ويستعمل " .

(٣) في التطفيل، ص ١١٦ : " ليرد " .

(٤) في المصدر نفسه : " يقل " .

(٥) في نشوار المحاضرة، ج ٧ ص ١٥٩ و التطفيل، ص ١١٦ : " ونال في الحال المجتمع عليها " .

(٦) في المصدرين نفسيهما : " منال من حشم وسئل العنا اليها " .

(٧) في نشوار المحاضرة، ج ٧ ص ١٥٩ : " من هذه العصاية " .

(٨) في المصدر نفسه و التطفيل، ص ١١٦ : " تصرفت " .

(٩) الكلمة غير موجودة في المصدرين السابقين .

(١٠) في نشوار المحاضرة، ج ٧ ص ١٦٠ و التطفيل، ص ١١٦ : " بدأه بالسلام بأن قال له . . . " .

(١١) في المصدرين السابقين : " هل قلت، ايدك الله، لطباخك . . . " .

ولامثالي ، وبها يستظهر (١) لمن جرى مجراى ، وهي رزق (لنا) (٢) انزله الله على يدك (وبك) (٣) ، فقال له : كرامة ورحبا (٤) ، واهلا وقربا ، والله لاجلست الا مع عليه الناس ووجوه الجلسة ، اذ اطرفت (٥) في قولك ، وتففت في فعلك . فليكن ذلك الرجل اماما يقتدى به (٦) ، (ويقتفى طريقه) (٧) ، ان شاء الله .

" وامره بأن يكثر من تعاهد الجوارشونات المنفذة للسدد (٨) ، المقوية للمعد ، المشهية للطعام ، المسهلة لسبل (٩) الانهضام ، فانها عماد امره ، وبها انتظامه والتتامه ، اذ كانت (١٠) تعين على عمل الدعوتين ، وتمخر في اليوم الواحد بالاكثين ، وهو يتناولهما كذا (١١) كالكتاب الذى يقط اقسامه ، والجندي الذى يحقل حسامه ، والصانع الذى يحدد آتله (١٢) والمهاجر

-
- (١) في نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٦٠ ، والتطفيل ، ص ١١٧ : " تستظهر " .
(٢) الكلمة غير موجودة في المصدرين السابقين .
(٣) في المصدرين نفسيهما : " انزله الله على يدك وسببه من جهتك ، فقال له . . . " .
(٤) في المصدرين نفسيهما : " مرحبا بك " .
(٥) في المصدرين نفسيهما : " اذ قد ظرفت " .
(٦) في المصدرين نفسيهما : " فليكن ذلك الرجل لنا اماما يقتدى به وحاذيا نحذو على مثاله " . وفي التطفيل : " حاذيا نحذو على مثاله " .
(٧) ما بين قوسين غير موجود في المصدرين السابقين .
(٨) في نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٦٠ : " المنفذة للسدة " وفي التطفيل ، ص ١١٧ : " المنفذة للسدة المقوية للمعد " .
(٩) في المصدرين السابقين : " لسبيل " .
(١٠) في المصدرين نفسيهما : " لانها تعين " .
(١١) في المصدرين نفسيهما : " وهو في تناولها كالكتاب " .
(١٢) في المصدرين نفسيهما : " يحدد آتله " .

الذى يملح ادواته ، (ان شاء الله) (١) .

* هذا عهد عليك بن احمد (٢) اليك ، وحثته لك وعليك (٣) ، لم يالك فيه (٤)

ارشادا وتوقيفا (٥) ، وتهذيبا وثقيفا ، وبعثا (٦) وتبصيرا ، وحقا وتذكيرا ، فكان باوامره

مؤتمرا ، وبزواجره مزدجرا ، ولرسومه متبعما ، وحفظها مضطلعا (٧) ، ان شاء الله

تعالى (٨) ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . *

(١) ما بين قوسين غير موجود في نشوار المحاضرة والتفصيل .
(٢) في المصدرين نفسيهما : " هذا عهد علي بن احمد ، المعروف بعليكا اليك " ، واليك غير موجودة في التفصيل .

(٣) في المصدرين نفسيهما : " وحثته عليك " .

(٤) في المصدرين نفسيهما : " لم يالك في ذلك " .

(٥) في المصدرين نفسيهما : " توقيفا " .

(٦) في نشوار المحاضرة ، ج ٧ ، ص ١٦١ : " نعتا " .

(٧) في التفصيل ، ص ١١٢ : " مطالعا " .

(٨) الكلمة غير موجودة في نشوار المحاضرة والتفصيل .

"عهد التطفيل" رسالة من النوع الهزلي ، يعطي فيها الصابي نموذجاً عن جماعة
وضيعة في المجتمع تعرف بالطفيليين (١) ، كثر وجودهم في القرن الرابع الهجري ، ومن طبيعة
الفن الهزلي انه يصور الجانب المضحك من الفعل القبيح للادنيا ، من الناس (٢) ، فيصوّر
هؤلاء الناس ادنى ما هم في الواقع (٣) ، فالعنصر الاول من عناصر الاضحاك او السخرية
في الرسالة ، هو التركيز على هذا الجانب الناقص في فئة من الناس غير قليلة اتخذت من هذا النقص
او العيب الذي هو التطفيل حرفة لها اصول وقواعد ، ولها ائمة معترف لهم بالسبق الى هذا
"الفضل" ، وكان الطفيلي الشهير عليك يخاف على مهنته من ان تزول اصولها وطرقها فيكتب
عهداً الى طفيلي آخر لخلافته وحفظ سننه ور مومته ، ففكرة العهد الى من يستخلف
في التطفل على مدينة السلام وما يحيط بها هي فكرة هزلية مضحكة .

الاطار الذي وضعت فيه الرسالة اطار جدى ، وهو مطابق للمنهج المتبع في كتابة العهود
من البدء بذكر الاسباب التي دعت الى العهد لأحد الاشخاص لصفات جيدة فيه تؤهله للمنصب
المعتمد ، ثم التوصية بتقوى الله والتأديب بادابيه ، وهنا نجد ان السخرية في مقدمة الرسالة
تعتمد على المفارقات ، فالذى دفع بعليكا الى العهد لابن عرس هو ما توسمه فيه من اخلاق

(١) "طفيل الاعراس ، وطفيل العرائس : رجل من اهل الكوفة من بني عبد الله بن عطفان كان يأتي
الولائم دون ان يدعى اليها ، وكان يقول : وددت ان الكوفة كلها بركة مصهرجة فلا يخفى علي
منها شيء ، ثم سمي كل راثن طفيلياً وصرقوا منه فعلا فقال : طفّل ، ورجل طفليل : يدخل مع القوم
فياًكل من طعامهم من غير ان يدعى ، ابن السكيت ، في قولهم فلان طفيلي للذى يدخل الوليمة والمادب
ولم يدع اليها ، وقد تطفّل ، وهو منسوب الى طفيل المذكور ، والعرب تسمي الطفيلي الراثن والوارث . قال
الاصمعي : هو الذى يدخل على القوم من غير ان يدعوه ، مأخوذ من الطفل وهو اقبال الليل ، الى النهار
بظلمته" ، عن اللسان ، مادة : طفّل .

(٢) ارسطوطاليس ، فن الشعر (ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٣) ص ١٢

(٣) فن الشعر ، ص ٩٠

حميدة • لكن الاخلاق الحميدة التي تؤهل المتطفل للخلافة هي " قلعة الحياء " وسمدة اللقضاء ، وكثرة اللقم ، وجودة الهضم ، " واتباع الحيل الغريبة اللطيفة للوصول الى الموائيد الغنية والشهية •

ثم ان كاتب العهد السى الحاكم او القاضي ، يذكره بالله تعالى ويأمره بتقواه والتأديب بأدابسه وهذا طبيعي بل ضرورى للحاكم (او الوالي او القاضي) الذى تناطبه مهمة رعاية امور الناس والحفاظ على حقوقهم ، وفقا لاحكام الشريعة • ومن هنا تأتي المفارقة في العهد الهزلي حيث انه يجب على المتطفل تقوى الله ومراقبته وخشيته والسعي في طلب رضاه وثوابه ، والوقوف على حدوده ، لان هذه الطريق تكفل للمتطفل النجاح والصلاح •

والصابي جعل من " التطفيل " فنا او مهنة امتهنت بسبب عدم فهم الناس لها على حقيقتها ولاعتادهم في ذلك التقليد والتسليم بما يقال دون البحث والتنقيب عن معنى هذا الاسم • فنسب المتطفل خطأ الى الشره والنهم ، او الى المخمل ، ما يجعله يلجأ الى الاحتيال للعيش مع المحافظة على امواله • لكن المسألة ليست بذاك ، انها نوع من الشركة تعطي الحرية للشركاء بحيث يبذل المتطفل اذا كان المطعم له ويأتي عليه اذا كان لغيره • والفضيلة في الطعام " للمهاجم الآكل " وفي الشراب " للوارد الواغل " • هذا النوع من الشركة عرف بالتطفيل ، والامام فيه الذى وضع لهذا الفن قواعد واصوله هو بيان (١) الذى اتى في هذا الامر ما خلد على الزمان ، وجعله اماما يقتدى •

(١) ذكره الخطيب البغدادي في كتاب التطفيل باسم بنان ، والاختلاف في الاسم عائد ربما الى التصحيف يقول البندادى : " كان بنان من اشهر الطفيليين ذكرا وابعدهم صيتا ، وله في التطفيل وحدوده ورسومه وسننه ما ليس لغيره واخباره كثيرة • • • • • اختلف في اسم بنان فقيل عبد الله بن عثمان ، وقيل علي بن محمد ولقبه بنان ويكنى ابا الحسن وكان اصله مروزيا وهو بغدادى الدار ، وقد روى اخبارا استندها عن جماعة من اهل العلم " (المصدر نفسه ص ٨٤) ثم يقول : " وكان بنان حدود سنة ثلاثمائة • " (المصدر نفسه ص ٨٨) وللمزيد من التفصيل راجع اخباره في المصدر نفسه ص ٨٣ - ١١١ •

إذا عنصر الهزل أو الاضحاك يعتمد بالدرجة الأولى على المفارقة في صيغة
الحمد . حيث تنقلب المقاييس فيصبح التطفل المرذول من الناس نوعاً من الصناعة لها فنون
وطرائق وأصول جديدة بأن تحترم وتقدر وتتبع . كما أن لها أماً تذكر أخبار تطفيله كما تذكر سير
الملوك ، ويصبح التأديب في تناول الطعام من عمل الأغمار الذين يستعان بالله منهم ، والأغصان عن
اللذات أو الصفة أو الفحشاء مرغوباً في سبيل الحصول على وجبة شهية ، واعتقاد ما يقوي
المعدة على الهضم ويسهل عليها سبيله ، ضروري في تأهيل الطفيلي لاغتنام دعوتين في اليوم الواحد .
أما الأجزاء الذي يمكن أن يوسم به المتطفل فهو أحياناً مواعيد العوام لضيق نفوسها وقلّة أموالها . أما
ذكر الله دائماً في الرسالة ، واستعمال عبارات من أمثال : أن شاء الله ، وبالله التوفيق ، وعليه التعويل ، وما
شابه وأمر الطفيلي بتقوى الله إنما القصد منها المفارقة والاضحاك ، إذ أنه ليس لدى الطفيلي أي
فعل مما يمكن أن ينسب إلى التأديب بآداب الله .
وقد تعتمد السخرية بعض العبارات أيضاً كشبيهه حضور الطفيلي إلى الموائد
بالنزوات والسرايا : " وأمره أن يعتسد مواعيد الكبراء والعظماء بخزاياه ، وسقط الأمراء والوزراء
بسراياه " وأما استخباره عن الحفلات التي يحضرها المنون والمغنيات فقد عبر عنه بنصب
الإصايد : وأمره أن ينصب الإصايد على منازل المغنيات والمغنيين
ومن عباراته الساخرة أيضاً تصويره قصد الطفيلي للمآذب : " ضرب إليها اعناق إبليس ، وافضى
نحوها مظايا خيلسه ، . . . " وكأنه في طريقه إلى رحلة بعيدة وغنيمة كبيرة تشد لها الرحال .
ثم وصف حملته على الطعام " حملة الحوت الملتقم ، والشعبان الملتهم ، والليث الهاصر ، والعقاب الكاسر " .
ووصف صبره على الإهانة بالقول " وإن اتته اللذات في حلقه ، صبر عليها في الوصول إلى حقه ، وإن

وقعت به الصفة على رأسه، صبر عليها لموقع اضراسه، وان لقيه لاق بالجفاء، قابله باللفظ والصفاء * وفي الحديث حول بيان امام الطفيليين يقول انه يذكر بتفيليه كما تذكر الملوك بسيرها * وغير ذلك *

الاسلوب :

يطالعنا الصابي في هذه الرسالة باسلوب مختلف عن كتابته، فنرى ان الفاظه وتعابيره الفخمة الجزلة التي عهدناها في رسائله الديوانية، تختفي ليظهر لنا اسلوب يقرب من اسلوب القص الشعبي من حيث البساطة والسهولة مع المحافظة على السجع عامسة * والجديد في الاسلوب ايضا ادخال الحوار الى النص من خلال سرد له حادثتين : الاولى، حديث التاجر الموسر في احد المحافل حول كرمه واتساع طعامه، والثانية : طريقة دخول متطفل الى احدى العادب وحيلته اللطيفة في الجلوس مع علية القوم والظفر بالطعام اللذيذ * والذنى الفعلي الذي نجده في هذا العهد هو في تصوير الشخصيات والوقائع *

الشخصيات :

في الرسالة شخصية رئيسة هي شخصية البطل النذل : الطفيلسي * ومن الشخصيات الثانوية التي بدت في النص : التاجر الباهي بسعة طعامه، وكلاء المطابخ وحماليهما، العوام المقلين، المتأدبين في المآكل، صاحب الدار الحي والآخر الفظ، صاحب الدار الذي اكرم الطفيلي * لدى تحليلنا لشخصية البطل نلاحظ ان الصابي لا يمرر طفيليا معينا وانما يعطي المثل الاعلى للطفيلسي * وهذا ما يعنيه تصوير الناس في المهزلة ادنى ما هم في الواقع * فالذى نراه في الرسالة هو الطفيلي المثالي في التطفل، والذي نجد بعض خصائصه في شخصية

عليك العاهد ، وشخصية ابن عرس المعهود اليه ، وشخصية بيان امام هذا الفن ، وشخصية الطفيلي الذي طلب مقابلة صاحب الدار . من كل هؤلاء نستنتج شخصية الطفيلي المثالي . ونجاح السابي في تصوير هذه الشخصية ، عمائد اولاً : الى اعطاء الصورة المثالية وعدم تصوير طفيلي بعينه . ثانياً : الى تنوع المواقف التي نرى الطفيلي فيها : على مواثد الكبراء ، في مآدب التجار ، مسج قهارمة الدور ووكلاء المطابخ ، في السوق يستطلع ويراقب ويستعلم ، يستكشف اخبار المنهكين والمغنيات ، على المائدة يتلقى الكلمة الخشنة والصفحة على الرحب والسعة . . . ثم ان وجود الشخصيات الاخرى المتعددة ، وان كان وجودها ثانوياً ، يبرز ملامح هذه الشخصية ويغني النص بالحياة والحركة ، فيصبح وكأنه مسرحية هزلية متعددة الفصول متنوعة يجتمعها وينتظمها وجود البطل الواحد .

من اولى صفات هذا البطل والتي تؤهله لأن يكون طفيلياً : " قلعة الحياة " ، ومدة

اللقاء ، وكثرة اللقم ، وجودة الهضم . . . وهذه على ما يبدو صفات طبع الرجل عليها او تعودها حتى اصبحت كالطبع ، فليس كل من ينبغي ان يكون طفيلياً يصل الى مبتغاه ، انما يجب ان تتوفر فيه هذه الصفات اولاً ، ثم يعمل على اكتساب غيرها مما اثر عن الطفيليين المشهورين .

هدف الطفيلي الاول اكتساب طعام وانقر لذينة دون ان يكلف اي شيء بالمقابل ، سوى عنا جيلة لطيفة تمكنه من الوصول الى المأدبة . فأولى غاياته وانبل اهدافه مواثد الكبراء والوزراء حيث يجد عليها الالوان اللذيذة والطعوم البديعة السائسة في الحلقوم ، ان ان غنى هؤلاء يجعلهم يتفننون في طعامهم ويحسنون صنعه . ثم يأتي في الدرجة الثانية

التجار الموسرون ، وهو لاء لا يتفقون عادة الا في المناسبات كالوكيرة (١) والعرس والاعذار (٢) .
ومن عادة هؤلاء الصبر على المتطفلين ليكسبوا بذلك الذكر الحسن ، فالمتطفل الذكي هو
الذي يوصل هذه الفئة الى غايتها من المباهاة بكرمها بأن يحضر مآدبها . هذه الموائد
هي التي يليق بالمتطفل قصد ها لا مآدب الفقراء ذوي النفوس الضيقة والاموال القليلة .

اما الحيلة في الدخول الى المآدب فتعدده ، فاذا علم الطفيلي مثلاً ان فلاناً من
الناس سيحضر احدى المآدب ، كمن له وتبعه اليها ، حتى اذا وصل الى المكان ، سعى اليه وصحبه
ودخل معه . اما اذا لم يكن على معرفة بالمدعوين فينتظر امام مكان الاحتفال ويدخل
مختلطاً بالداخليين فلا يميز بانه غريب ، فالمرحلة الصعبة في القضية هي تجاوز الابواب ، فلا
يكاد الطفيلي يخرج من سلطان البوابين والحجاب حتى يحصل حصولاً قدامه عليه احد قبله .
الآن دخل الطفيلي الى المآدب ، ومن الطبيعي ان يستنرب وخاصة من صاحب الدار ، لكنه ذكي
يعرف كيف يتصرف للوصول الى هدفه او الى "حقه" . فان كان صاحب الدار فظاً غليظاً سيتعرض له
بالمخاشفة ، لكن حفيظته لن تثار ، بل يبقى رابط الجأش مؤمناً بحقه فيرد على المخاشنة
بالملاينة والصفاء حتى يخفف من حدة صاحب الدار فيكف عنه ، ثم لا يلبث ان يؤولف ويعرفه ، وقد
يصل به الامر الى ان يصبح في منزلة من يسأل الذهاب الى المآدب ، وقد يصل الى هذه الرتبة
منذ الغزوة الاولى ، اذا كان ذا فهم ودراية واحسن التصرف . فهو ريف النفس لا يرد على الفحشاء .

(١) الوكيرة : الطعام يتخذه الرجل عند فراغه من بئانه ، فيدعو اليه . اللسان : مادة : وكر .

(٢) الاعذار : طعام الختان . اللسان : مادة : عذر .

وتفاضل عن اللكزة والصفحة والجفاء ويقابل ذلك كله باللفظ والتسامح .

ثم ان للطفيلي طريقة خاصة في تناول الطعام ، فهو منذ النظرة الاولى الى الخوان يقدر الطعام في الكثرة والقلة والطيب واللذة ، ويقدر لنفسه مقدار ماأكله بحيث لا يشبع الا بانتهاها ، الطعام بعد ان يكون قد مر على جميع الاصناف ، اما اذا احس بقلّة الطعام فلا يتصرف تصرف المتأدبين في طعامهم ، الانبياء ، لان هؤلاء لا يربحون الا الحسرة والخيبة ، بل يمعن فيه مالئاً بطنه من كل صنف .

والطفيلي لا يغزو المآدب ليشبع جوعه فقط ، بل ان الطعام صار لديه هدفاً يحد ذاته يستجشم الكثير من المشقات في سبيل الوصول اليه . وعندما يكون الطعام هدفاً اولاً وجب تقوية المعدة لاستقباله كالصانع الذي يحدد آلاته ويقويها ، او كالجندى الذي يصقل حسامه ، ويكون ذلك بتناول الادوية المشهية للطعام ، المسهلة للهضم ، المقوية للمعدة ، فقد يستطيع تصيد دعوتين في اليوم الواحد ولا بد ان يكون قادراً على القيام بمستلزماتها .

اذا ، اهم صفات الطفيلي ، الذكاء والانتباه في معرفة اماكن الدعوات ، ثم الاحتيال في الوصول اليها ، وحسن التصرف والاغضاء عن القواصي ، وما يلزم ذلك من الجرأة في مواجهة ما قد يلقاه داخل البيوت من العيون المستنيرة لامره ، المنكرة لوجوده ، كما ان الجرأة هي من صفاته في الاقدام على الطعام فلا يشبع الا مع آخره ، متعهداً معدته بالمقويات والمشهيات .

الشخصيات الاخرى في الرسالة تساهم في تكوين المشاهد او المواقف التي قد يتعرض لها الطفيلي ، فالرسالة غنية بالشخصيات والمشاهد المختلفة . منها مشهد التناجر يفخر امام ضيوفه بكثرة ماله واتساع حاله وبكرمه واحسانه الى الوجوه الثرية والايدي الممتدة . مشهد آخر : الطفيلي مع اصدقائه اصحاب المطايع وهم يحملون اليه الطعام الوفير ، ثم الطفيلي في السوق ينظر ويبحث حتى يرى ما يلفت انتباهه من شراء احد الاشخاص للكثير من الامعة فيتبعه يخفة الى منزله . وهناك قد يسأل الخدم وعمال الدار عن هذه الدعوة ، زمانها والمدعوين اليها . ثم يجيئه في الموعد المحدد الى المسكن ، فان رأى من يعرفه تقدم اليه ودخل بصحبته ، والا دخل مختلطا بجماعة من الداخلين ، وها هو يمك انفاسه حتى يتجاوز عتبة الدار خوفا من ان يلحظه البوابون ويرموه خارجا ، حتى اذا وصل الى الداخل تنفس الصعداء ان يرى امامه الخير الوفي من الطعام والشراب .

مشاهد اخرى : وضع الارصاد على ابواب المغنين والمننيات وترقب اخبارهم ، حتى اذا اتاه خبر عن مأدبة تجمعهم مضى اليها سريعا وحمل على اطعمتها * كالحوت الملتقم ، والشعبان الملتهم ، والليث الماصر ، والعقاب الكاسر * . ثم مشهد الطفيلي اذا وضع الخوان ، اذ يجيل فيه طرفه ويلحظ اصنافه ، ثم يبدأ بتناول الطعام بشراهة ونهم ، حتى اذا انتهت الاطعمة توقف ، ممتلىء البطن ، سعيدا بالظفر . وبالتقابل نرى الذين يخجلون من الاقدام على الطعام لقلته تأدبا منهم وتعففا .

هذه المشاهد والاشخاص ساعدت في تبيان ملامح شخصية الطفيلي ، واغنت الرسالة بالحياة

والحركة والتنوع .

القيمة الاجتماعية :

هذه الرسالة الفريدة بين ما لدينا من رسائل الصابي تحمل مسد لولات اجتماعية

وادية عديدة :

أ- الادب ينزل الى الواقع : تتناول الرسالة مسألة من المسائل الشائعة في اوساط العامة

وتتخذ من الطفيلي المحتقر في المجالس والمآدب بطلالها في اطار هزلي . وهذه الظاهرة

عرفت في ادب القرن الرابع الهجري بشكل مميز ، فظهرت اخبار المكدين والمتصوفة والقضاء بين

والمطفلين على صفحات كتب الادب ، كتاب الامتع والموانسة للتوحيدى ، ومنها ما احتل كتباً

بتأملها كالمقامات لبيد يع الزمان الهمذاني ، والتطفيل للخطيب البندادى ، وبعض هذه

الكتب حمل الفاظ العامة البذيئة كالمقامات خاصة ، لكن رسالة الصابي كونها كتبت بشكل عهد بأمر

من الملك ، فقد خلت من الالفاظ النابية ، الا ان اسلوبها كما ذكر من قبل بسيط وسهل .

ب- الفقر : الفقر والتفاوت في المستوى المعيشي في القرن الرابع مشكلة عاناها المجتمع بسبب

تعاقب الايدى على الحكم ، واختلال الامور ، من سيطرة القواد على الملوك البويهيين ، وسيطرة

علاء بدورهم على الخلفاء العباسيين . . . ثم كثرة الحروب والفتن وما يستلزم ذلك من اموال طائلة

اعتمد في تحصيلها على كثرة الضرائب ، والمصادرات والنكبات . . . حالة الفقر هذه ادت الى

ظهور طوائف متعددة في المجتمع تحتال على المعيشة ، منها المكدون والقصاص والصوفية

والعيارون والمتطفلون . جميع هؤلاء متسولون ولكل طريقته الخاصة في ذلك . والتطفيل هو

اتيان المآدب دون دعوة من اصحابها ، ولا بد ان يكون اساسه وسيلة يمد بها الفقير جوعه ، ويتناول

ما حرمه من انواع المآكل الشهية . ثم ما لبث التطفيل ان صار ظاهرة لها ميزات واساليب خاصة ،

كما رأينا في الرسالة، وصار للمتطفل حيل في اقتناص الدعوات وجرأة في الوصول إلى ما يريد من مآكل وكأنها حق له، أو كما قال الصابي : هي شركة العنان (١) . ولم يعد التطفل وسيلة لسد جوع المتطفل الفقير إنما صار صنعة مرشوبة بحد ذاتها، يحار المتطفل في التفنن بأساليبها وحيلها، ويتخذ لنفسه أئمة يكسب من أخبارهم ما يعينه على الاحتيال للوصول إلى غايته . ويبدو من رسالة الصابي وكأن التطفل صار ردا سلبيا متعمدا على الاغنياء الموسرين الذين يتمتعون بالاموال والملاذ، فيعتبر الصابي ان التطفل هو اكتساب الرفاهة المهمة، يعود على اصحابه بالاطعمة اللذيذة والاجسام القوية، واعتبره " رداً على من اتسعت حاله واقدره الله على غرائب المأكولات، واظفروه ببدايع الطيبات، آخذاً من ذلك كله بنصيب الشريك المناصف، وضارياً فيه بهمم الخليط المفاوض " . فالمتطفل لا يرضى بسد الرمق إنما يريد المشاركة والمناصفة . ثم ان شيوع هذه الظاهرة في المجتمع، جعل الكبراء يوصون بوابيهم وحجابهم بمنع دخول الغرباء . وهكذا تصبح العقبة في وجه المتطفل اجتياز باب الدار .

ج - الطبقات الاجتماعية : ظهر في الرسالة ذكر لعدة طبقات اجتماعية هي باستثناء المتخالفين

الذين هم من العامة :

١ = الكبراء والوزراء والامراء، ويتميزون بالثنى والكثرة، فتجد على مرآة هم دائما افضل المأكسل الحذق صناعتهم وجودة ادواتهم وانزياح علمهم، وكثرة ذات بينهم .

(١) شركة العنان : " هو ان يخرج كل واحد من الشركيين دينار او دراهم مثل ما يخرج صاحبه ويخبطها ويأذن كل واحد منهما لصاحبه بأن يتجر فيها، ولم تختلف النقصان في جوازها، وانهما ان ربحا في المالين فبينهما وان وضعاً فعلى رأس مال كل واحد منهما " اللسان، مادة : عنن .

٢- التجار الموسرون : لا يندخون دائما كالكبراء ، انما فقط في المناسبات والمآدب كالوكيرة والعرس والاعذار . ويبدو ان هذه الفئة حديثة النشوء او الغنى لانها تقتصر على نفسها ولا تبذل الا في

المناسبات ، ولا تصبر على المتطفلين الا ابتغاء الذكر الحسن .

٣- مدبرو المنازل والبوايون والحجاب : يكسب هؤلاء العيش من اعمالهم في القصور ، ولهم سلطة على

العامة ، فيتودد الفقراء الى مدبري المنازل ليكسبوا الاطعمة ، والمتطفلون الى الحجاب ليجتازوا

الابواب .

٤- المغنون والمغنيات : ولهم دور خاصة للذخاء معروفة كما يبدو ، وقد يدعون الى المآدب والمجامع .

٥- العامة من الفقراء : هؤلاء اخس طبقات المجتمع ، فقراء ، مقلين ، والمتطفلون منهم الا انهم

اذكيا ، يحتالون على الفقر فيخلصون منه بالتطفيل .

٦- كثرة الدعوات التي تقيسها الفئات المترفة : حتى ان المتافل يكسب دعوتين في اليوم الواحد ، وهذا يدل على اتساع الشقة بين الاغنياء والفقراء وعيش الفئة الاولى في البذخ والاحتفالات والدعوات ، والثانية في الحرمان والقلّة . وهناك دعوات معروفة ومعتادة كالوكيرة والاعذار والعرس تقيسها عادة الفئة المتوسطة ، فئة التجار الموسرين ، وقد يجتمع في المآدب المغنيات والمغنون .

هـ- البعد عن الروح الدينية : اعتماد الصابي ذكر مقطعين في اول العهد : احدهما عن تقسوى الله والثاني عن التأدب بأدابه ، ربما هو سخرية منه على الحال الدينية في ذلك العصر ، حيث اصبح التمسك بالآداب الدينية والشرعية ليس الا كلاما يقال في مقدمة الرسائل والعهود ، يقال للحاكم والوالي والقاضي كما يقال للتفيلي . والا فما العلاقة بين التقوى والتأدب بآداب الله والتقوى على حدوده ، وبين التطفيل ، حتى يتكفل الله للمتطفل " التقى " بالنجاح ؟ وهل التطفيل

اساسا من المستحبات في الدين ؟ فقد روي ان رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يسمح لأحد
الاشخاص الذي تبعه الى مأدبة دعي اليها بالدخول الا بعد ان استأذن صاحب الدار فقال
له لما بلغ الباب : " ان هذا تبعنا ، فان شئت ان تأذن له ، وان شئت رجع " . قال : " بل آذن
له يا رسول الله " (١) وهذا دليل استكراه الدخول الى مأدبه دون دعوة او اذن .

(١) الامام النووي ، رياض الصالحين (تحقيق شعيب الارنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة

الخامسة ، ١٤٠٦ / ١٩٨٦) ص ٣٤١ .

كتاب التاجي

وضع ابو اسحاق الصابي كتاب التاجي في تاريخ الدولة الديلمية تلبية لأمر عضد الدولة الذي جعل وضع هذا المؤلف شرطا لاطلاق الصابي من سجنه (١) . وقد عالجتنا خلال دراسة حياة ابي اسحاق ظروف وضع هذا الكتاب بالتفصيل ، و خلاصة الامر ان عضد الدولة كان امر باعتقال الصابي وسجنه سنة ٣٦٢ هـ مع ولديه سنان والمحسن ثم امر سنة ٣٦٩ هـ باطلاق ولديه وباعطائه ثيابا ونفقة نتيجة لشفاعسة وزيره المظهر بن عبد الله . و أصدر اليه حينذاك امره بعمل كتاب في مفاخر الديلم . فامثل الصابي طائعا واخذ يعمل في الكتاب " ويتألق في تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تفريلظه وتثنيغسه " (٢) .

لكن كتاب التاجي لم يصلنا كاملا ، وانما بقيت منه قطعة قصيرة مجتزأة تحت اسم " المنتزع من كتاب التاجي لابي اسحاق الصابي " (٣) ، وتتضمن اربعة فصول : الاول منها يؤلف آخر احد فصول الكتاب الاصل ويبدو انه مقصور على ذكر اخلاق الديلم بمناقبتهم اذ ترد في المنتزع فقرة في ذكر مناقبتهم وصفاتهم يتبعها قوله : " ولا بأس في ان نورد في آخر هذا الفصل خبرا او خبرين مما نرى الينا عنهم في المعنى الذي ذكرناه آنفا ثم يورد الخبرين وهما في معنى الشجاعة وحسن

(١) ياقوت ، معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٢ ، والقفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٧٥ .

(٢) الثعالبي ، البتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٣) نشر مع قطعة من كتاب الام لابي القاسم الجيلاني - وجدا في مخطوط واحد - بتحقيق وشرح

محمد حسن الزبيدي ، بنداد ، دار الحرية ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

النيافة (١) . أما الفصل الثاني فيبدو انه ذكر كاملاً لقوليه في اوله : " فصل
في مساكن الديلم والجيل ومغآخرهم " (٢) . وأما الفصل الذي يليه فهو كامل ايضاً
ويقول في اوله : " فصل في ذكر اسلام الديلم والجيل على ايدى من صار اليهم من العلويين ،
وتسمية هؤلاء العلويين ، واحداً بعد آخر ، ونبد من اخبارهم ، " (٣) يليه فصل في
خبر ابي جعفر ليلى بن نعمان الديلمي الماهي (٤) ، هو تابع للفصل الذي سبقه لقوله
في آخره : " قال في الاصل وهذا آخر ما انتهى اليه ذكر من خرج من اهل البيت عليهم السلام
في هذه الجهة في هذا الكتاب " (٥) .

فالمنتزعة عينه من كتاب التاجي سنجمله مع قصره . عمدت في دراسة الناحية الادبية

في هذا الكتاب مع الاستعانة بما جاء حوله في المصادر .

الوجه الادبي للكتاب :

من ميزات كتاب التاجي الفريدة جمعه بين التاريخ والادب ما يتيح لنا دراسته مع نتاج
الصابي النثرى تاركين المجال في دراسة الناحية التاريخية في الكتاب لاهل الاختصاص بهذا العلم .
يتميز التاجي بالبلاغة في الاسلوب مما عهد في اسلوب الصابي وفي ذلك قال الثعالبي حين احال
المتطلع الى اخبار عهد الدولة الى الكتاب : " لتجتمع له مع الاحاطة بها بلاغة من قد تسهل

(١) المنتزعة ص ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٨ .

(٤) المصدر نفسه ص ٧٣ .

(٥) المصدر نفسه ص ٨٢ .

له حزنونها ، ولا ينته متونها ، وإطاعته عيونها (١) * ووصف ابو شجاع الروذراورى الكتاب بالقول : * كتاب بديع التصريف حسن التصنيف ، فان ابا اسحاق كان من فرسان البلاغة الذين لا تكبو مراكبهم ولا تنبو مضاربهم * (٢) . لكن الملاحظ ان الذى اجمعت عليه المصادر من بلاغة الكتاب يفوق ما نراه عند معاينته . فهل هذا النشر المرسل - مع بلاغته - هو مما يعمد ابو اسحاق الذى سوند الصفحات الكثيرة بالرسائل الفخمة البليغة ، الى تنميقه وترصيفه كما جاء في احد المصادر (٣) ؟ وهل هو مما يستحق ان يقول عنه التوحيدى ، احد ائمة البلاغة في القرن الرابع الهجرى : * يزيد على كل من تقدم بالكتاب التاجي ، فانه ابان عن امور وكفى في مواضع ، وشن النارة في الصبح المنير مع الرعيل الاول ، ودل على التفلسف ، وعلى الاطلاع على حقائق السياسة ولو لم يكن له غيره لكان به اعرق الناس في الخطابة ، واعرق الكتاب في الكتابة * (٤)

فاذا تركنا جانبا ما يقول التوحيدى حول معاني الكتاب وركزنا على حد يشه حول بلاغته لوجدنا ان التوحيدى يرى ان بلاغة الصابي في هذا الكتاب توازى بلاغته في الرسائل او توفي عليها اذ انه وحده كاف ليشهد على ان الصابي من اعرق الكتاب في الكتابة ، وهنا تبرز لدينا عدة تساؤلات : هل صنعة الصابي الغنية تظهر في انحاء متفرقة من الكتاب تبعا للموضوع وما قد يتيح من مجال للتنميق الكلامي لذا هي لم تظهر في المنتزع الذى يعالج امورا علمية بحث كالحديث عن المساكن والاحداث العسكرية المتلاحقة وما الى ذلك ؟ ام هل ان التصريف

(١) اليتيمة ج ٢ ص ٢١٧ .

(٢) ابو شجاع ذيل التجارب ص ٢٣ .

(٣) اليتيمة ج ٢ ص ٢٤٤ .

(٤) الامتاع ج ١ ص ٦٨ .

في الكتاب قد اتى على ما فيه من صنعة فنية ؟

كما قد اشرنا فيما سبق من هذا البحث (١) الى وجود مقطوعات نثرية بليغة للصايفي قيلت في عهد الدولة، يعتمد فيها صيغة الغائب واصفا سلوكه واخلاقه وحزمه وحكماته، ومجالسه وعطاياه، وقد وجدنا هذه المقطوعات في مخطوط لقاح الخواطر، ورجحنا ان تكون منتزعة من كتاب التاجي، يدفعا الى ذلك كونها بصيغة الغائب بعيدة عن ان تكون رسالة موجهة، ثم انها قيلت في مدح عهد الدولة والكتاب التاجي هو اساسا في ذكر محاسنه ومآثره، وفي اننا لم نجد مجالا يمكن ان تكتب فيه مثل هذه الاوصاف التي تتناول كل ما يخص الملوك بهذه الطريقة، الا ان تكون في كتاب او رسالة تتحدث عن سيرة هذا الرجل، خاصة انها تشمل فهما سياسية عميقة ووعيا دقيقا لما يجب ان تكون عليه اخلاق الملوك في الحزم والعدل وضبط النفس وقبض ازمسة الهوى، وهذا ما يوافق وصف التوحيد للكتاب، فاذا كان كذلك فيرجح ان يكون في كتاب التاجي، وسنذكر هنا نماذج من هذه المقاطع :

يقول في لقاح الخواطر : * (ومن) (٢) كلامه في ذكر مطاعم عهد الدولة :

* فان دعاه داعي الشهوة الى ما ينهاه عنه ناهي الحمية. لم يقتصر على الاحتساء منه

والانتهاء عنه دون ان يأمر باتخاذها واحضاره ما تدته، فلا يزال يحوم عليه ولا يرد، ويلاحظه ولا

تمتد اليه يد، فاذا قضى وطراً من هذه الرياضة امر برفعه تهوينا لسلاطان الهوى وتحصينا لجانب

(١) راجع ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) كلمة غير موجودة في الاصل.

الرأى وتعويدا للنفس ان تكون حرة غير مستعبدة ومحلقة غير مسفحة ، وهنالك يجد المطلق
والانسف من حلاوة النزوع اضعاف ما يجد ، القرم والنهم من حلاوة الرتوع " (١) .

" وفي وصفه ايضا : " واما مجالس انسه فمعمودة بمحاضرة الخواصر المستخلصين والندماء
التأديبين ، وزمانه مقسوم فيما بين امر ونهى يعقدان على التيقظ ، وبين ارتياح وجذل لا يخلوان من
التحفظ " (٢) .

وقال في صفته عامة : " ولو هتكت حنايا الصدور وشمق عن خبايا القلوب لم يوجد الراضي عين
سيرته الا برا تقيا ، والمتسخط عليها الا فاجرا غويا ، اذ هو لطيف الحس ، صدوق الحدس ، ذكي الالحاظ ،
مسدد الالفاظ ، عفيف الجوارح ، نظيف (الجوانح) (٣) ، قابض يداه عن مفارقة الامام ، مقيّد
لسانه عن هجر الكلام ، ناظر الى العواقب من بعد ، متناول للنسايات عن قرب ، غليظ على اهل
العناد ، متعطف لاهل الوداد ، حلیم اذا غضب ، (رعين) (٤) اذا طرب ، متعاصر على التعنف ، منقاد
مع التلطف ، له من مروه عین علی خلوته ومن دينه رقيب على نفسه ، ولعل ظانا يظن ان التقرب
اليه دعا الى ان مدحه المادحون بأكثر مما عرفوا فادعوا الزيادة على ما وجدوا وهيئات ما ابعد غايته
في الفضائل عن ان يدركها من طلبها واعظم هيئته في الصدور عن ان تهدي له الالمن كذبيها ، وانا مع

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٨ ب .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) بياض في الاصل بمقدار كلمتين وقد وضعت الكلمة المناسبة للمعنى .

(٤) بياض في الاصل بمقدار كلمة وقد وضعت الكلمة المناسبة للمعنى .

الاطناب فرطنا وتبلدنا وما بالنا " (١) .

فاذا ترجح لدينا كون هذه المقطوعات من التاجي ، نكون قد عاينا عن كتب بلاغة

الصابي في الكتاب ، والا فلا نستطيع الا ان نصدق المصادر التي اجمعت على الاشادة ببلاغة الكتاب

وحسن تأليفه . اما اذا ظالمنا ما لدينا من هذا الكتاب اى المنتزع فنلاحظ انه مع ميله فيه الى النشر المرسل لا

يخلو من بلاغة في التعبير معنوية سلسة ، فلنقرأ هذه الفقرة حول اخلاق الديلم :

" وما قهرهم عبد ، ولا غلبتهم الامم التي كانت محادتهم ، ولا افتتحت بلادهم في اول

الاسلام عنوة ، ولا صلحا ، وانما كان اسلامهم منذ عهد قريب ، اختيارا وايارا ، وصيرة وتقيا ، والاحاديث

حسنه عنهم في شدة البأس ، وغرة الحوادث ، وبذل الزاد ، وصور العرض ، كثيرة وشهيرة ، حتى انهم

يسمعون ان يكون في بلدانهم الخبازون والقصابون . فلا تجد الثريا ، والزوار معدلا عن النزول عليهم ،

والتضييف لديهم ، وذلك من اشرف الخلائق واجملها ، وافضل الشيم وانبلها " (٢) .

ثم يذكر الصابي روايتين تشهد على اخلاق الديلم وموضوعهما ، حسن الضيافة وحسب البطولة

والدجاعة . سننقل منهما الرواية الاولى :

" حدثني ، احمد بن علي الطبري المعروف بالعلوي ، قال : كنت ماشيا مع صديق لي ببلد

الديلم في يوم مات فأرخت السماء غرابيلها ، فلما اشتد السيل وتجاوز مقدار احتمالنا ، قال لي

عيا بنا الى منزل رجل من الديلم ، بيني وبينه معرفة ضعيفة لكن الضرورة قائمة لنا ، السى

(١) لقاح الخواطر ، الورقة ١٩٨ .

(٢) المنتزع ، ص ٢٥ - ٢٦ .

ان نستكن عنده ، فملت معه اليه ، فلم يكن في منزله ، فخرجت اليها غرمته ، فلما علمت اننا نريد النزول ، رحبت بنا وادخلتنا الى الدار ، وجاءتنا بالنار ، وخذمتنا وسهدت لنا ، وبادرت الى دجاج كان عندها ، فأسوته في اقرب مدة ، وخبزت لنا خبزا من دقيق ارز ابيض نقي ، وجاءت ببقل من مبقلة لها ، وغير ذلك ، مما يكون في منازل امثالها ، وقدمت اليها الطعام ، واتبعتة بالنعول ، جميع ذلك بطلاقة ونشاط وبشر وابتهاج ، ودخل اليها ابن لها ، حسن الوجه والقلب والشباب ، فجلس بنحوه منها وهي مشغولة عنه بنا ، فسمعناه يقول لها : يا ام لم لا تفعلين لي ، وبعن اسضيفه من اخواني مثلما فعلت بهذين الحضريين ، وتطعميني مثل ما اطعمتهما . فحذفته بخشبة من خشب الوقود ، وقالت له : قم الى لعنة الله ، فان الخبز الاسود والملح كثيران لك ولأمالك . يا ليت شعروا اي اثر اثرت او اي ذكر جميل اكسبت ، او اي قرن قتلت ، او اي يوم بانك منك فيه نجابة او نجدة حتى تخاطبيني بهذا الخطاب . فخرج من عندها باكيا كثيرا ، ووافى رب البيت فخدمنا كما يخدم العبد اربابه . فلما كان الغد ، وقعت صيحة واستنفار ، وتبادر القوم بأعدادهم ، قد صبحوهم للحرب ، وثار الرجال اليهم من كل وجه ، وخرج ذلك الفتى معهم وتقدم في اول الناس ، فلف كساءه على يديه ، وان لم يكن له ترس ، ولم يزل يحمل ويعاود ، ويرمي ويوتر ، حتى قتل ثلاثة من اولئك وعاد الى امه بثلاث زوينات مدماة ، فما خاطبته . وكان من عاداتهم اذا قتل الرجل رجلا ان يحتفظ بالزوين الذي قتله به ودمه جامد عليه ، ويجعله في داره ولا يستعمله بعد ذلك ، بل يستعمل غيره ، لكي يجمع هذه الزوينات ، ويعد ، فيكون له بها فخر ، وتلك سنة لهم ماضية وعادة جارية ، واذا سئل عن الرجل ليعرف اي الرجال هو ، قيل كم زوينات في داره ، اي كم قتل من اقاربه . فكلما كثر كانت ادل على فضله " (١) .

يلاحظ هنا وكأن هذه الرواية قد انتزعت من كتاب في الادب والاخبار، فهي تحتوي على عدة خصائص القصة كالتمهيد للحدث الرئيس بذكر المناسبة وهي هنا المظنر المنزير والسيول التي دفعت بالرجلين الى منزل احد الديلم . ثم ان الاحداث مترابطة بعضها ببعض، فآكرام الام للضيفين جعل الفتى يقارن بين ذلك وبين استقبالها لضيوفه، وتأنيب الام لفتاها دفعه الى المصير الى الحرب بعزم اشد . . . ثم تبدو في الرواية عدة شخصيات ابرزها شخصية المرأة والتي ارادها ان تمثل نساء الديلم كافة، فهي امرأة تجمع الى البشاشة وحسن الضيافة والكرم الحزم والاعتدال والصلابة . وقد مهد لابراز صفة الكرم لديها بالقول ان العلاقة بين الضيفين وصاحب الدار تقتصر على المعرفة الضعيفة اذ ان الضرورة وحدها دفعت بهذين الرجلين الى الالتجاء لهذا المنزل ، وبالتالي فالمرأة لا تفعل هذا اكراما لاصدقاء زوجها ، بل لان من عاداتهم اكرام الغرباء والضيوف كائنين من كانوا . ثم شخصية الابن الذي يبكي اذا انبته والدته ، ولكنه يبدى كل اندفاع وبطولة اذا واجه الاعداء في معركة .

من الملاح الادبية ايضا استعمال بعض الالفاظ والتعبيرات، كقوله : ارخت السماء غرابيلها ، الى ان نستكف عنده ، . . . ونلاحظ استعمال السجع احيانا كقوله على لسان المرأة : " يا ليست شعري اى اثر اثرت ، او اى ذكر جميل اكسبت ، او اى قرن قتلت . . . وقوله : " وتلك سنة لهم ماضية وعادة جارية ، . . . " كما انه اجاد الوصف في بعض الحالات مقربا القارى من الحالة التي يصفها كقوله يصف بشاشة المرأة في تقديمها الطعام لهم : " جميع ذلك بطلاقة ونشاط وبشر وابتهاج " وفي وصف ابنها يقول : " حسن الوجه والقلب والشباب " وفي الحرب : " وقعت صيحة واستنقار ، وتبادر القوم باعدائهم ، وقد صبحوهم للحرب ، وثارت الرجال اليهم من كل وجه ، . . . " .

إذا يتميز الكتاب ببلاغة في الأسلوب وصنعة فنية دقيقة ، لا نستطيع الحكم عليها

بالقول مثلاً أنها عامة تشمل الكتاب بكامله ، كما لا يمكننا أن نقول أنها متفاوتة بين موضع

وآخر تبعاً للموضوع المطروح ، وذلك لكون الكتاب ليس بين أيدينا ، ولكون الأيدي ربما عبثت بالمنتزع

منه ، وإنما أجماع المصادر على بلاغته ، وقرب ما قرأناه منه من النثر الفني ، بالإضافة إلى بلاغته ما

نرجح نسبته إليه . من مقاطع حول عضد الدولة ، كل ذلك يؤكد لدينا أن أسلوب الكتاب

ليس علمياً مرسلاً كما قد يبدو وإنما على مقدار من التفنن والصنعة والتمحيق .

أما الناحية الثانية التي تظهر الوجه الأدبي للكتاب ، فهي إيراد الشعر والأخبار

الأدبية ، من ذلك قصيدة لابي الحسن علي بن الناصر في رثاء محمد بن زيد (١) ، وقصيدة محمد

بن أحمد الوراق في رثاء ليلي بن النعمان الديلمي . إن كان الصابي هو الذي أضافها (٢) ، أما الأخبار

الأدبية فنسبها ذكره خير ابي الحسن علي بن الناصر مع أبيه في أنه أقصاه وآثر أخوته عليه لسلكه

مسالك المترفين من الشرب والسماع واتخاذ الندماء ولعب النرد والشطرنج فمضى أبو الحسن

إلى آذربيجان وكتب إلى أبيه مقطوعة شعرية يعاتبه ، فرد عليه والده بالدعوة إلى

التوبة ، ثم كان أن تاب بعد مدة وكتب شعراً في ذلك إلى والده ، وعودته فيما بعد (٣) . ومن

ذلك أيضاً ما نقله الثعالبي في اليتيمة :

(١) المنتزع ، ص ٥٥ - ٥٦ ومحمد بن زيد بن محمد الحسن بن محمد العلويين الذين ثاروا على السلطان

تلقب بالداعي ودعا الديلم إلى الإسلام فأسلم على يده جماعة منهم . ظهر من أفعال جلييلة ورحابة

صدر وكرم أخلاق . أخباره في المصدر نفسه ، ص ٤٥ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٦ - ٨٢ - ويلي بن النعمان الديلمي كان صاحب جيش الناصر أحد الدعاة العلويين

في بلاد الديلم . انظر أخباره في المصدر نفسه ، ص ٧٣ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦ - ٥٨ .

" وحكى ابو اسحاق الصابي في الكتاب التاجي قال : كان لمعز الدولة ابي الحسين

غلام تركي يدعى تكين الجامدار امرء ، وضيء الوجه ، منهمك في الشرب لا يعرف الصحو ، ولا يفارق اللعب واللهو ، ولفرط ميل معز الدولة اليه وشدة اعجاب به ، جعله رئيس سرية جرد ها لحرب بعض بني حمدان ، وكان المهلبى يستظرفه ويستحسن صورته ، ويرى انه من عدد الهوى ، لا من عدد الوغى ، فمن قوله فيه :

وحنائيه ، ويرق عوده ،	" ظبى يرق الماء في
رى فيه ان تبدو ونهود ،	ويكاد من شبه العنذا
سيفا ، ومنطقة تؤود ،	ناظوا بمعقد خصره
ضباع الرعييل ومن يقود ،	جعلوه قائد عسكر

فما كان بأسرع من ان كانت الدائرة على هذا القائد ، وخرج الامر على ما اشار به المهلبى وذكر الصابى ان ابا عيينة المهلبى ، الذى استفرغ نسييه في صاحبته دنيا ، من عمومة الوزير ، وكان المهلبى يحفظ اكثر اشعاره ويتأسف على ما فاتته من زمانه فمن قوله :

حاز الفخار وطاول العلييا	" انى وصلت مفاخرى باب
وحديشه فكأنما يحييا	واجاب داعيه وخلفنى
وشربت ريبا من هوى ريبا	وتلوت عمى في ثغزله
وكأنها فى حسنها دنيا	فكأننى هو فى صبايتـه

وقوله لما تقلد الوزارة :

" لقد ظفرت والحمد لله منيتى
بما كنت اهوى فى الجهارة والنجوى

وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته
وعانيت من شعر العينني حلة
فحركني عرق الوشيجة والهوى
فيا حسرتي ان فات وقتي وقتسه
ويا فوز نفسي لو بلدنت زمانسه
فمكنته من اهل دنيا وارضهـا

من الارض واستقررت في الرتبة العليا
تعاون فيها الطبع والمهجة الحرا
لعمي واطت بي الى الرحم القري
ويا حسرة تضي وتتبعها اخرى
وبغيتة دنيا وفي يدى الدنيا
فماز بما يهوى وفوق الذى يهوى * (١) .

هذا ما لم نعتد قراءته في كتب التاريخ فابن الاثير في الكامل قد ذكر خلاف ابي الحسن
مع والده وذكر انه شاعر دون ان يورد ايا من شعره (٢) ، ومسكويه ذكر مقتل ليلى بن النعمان (٣)
دون ذكر اى كلمة قيلت في رثائه ، وان يكن مسكويه قد اورد الحادثة باختصار شديد فان ابن
الاثير قد ذكرها مفصلة ولم يذكر اى شعر فيه ايضا (٤) . من هنا يمكننا ان نستنتج ان كتاب التاجي
ليس كتابا تاريخيا عاديا وانما هو تسجيل لماثر هذه الدولة وهذا ما يجعله يشمل الاحداث والوقائع
التاريخية بالاضافة الى غيرها من النواحي والآثار الاخلاقية والاجتماعية والادبية والغنية .
لذا نجد في التاجي خبرا روائيا يدل على الكرم وقصيدة تقال في الرثاء ، وحادثة بين قائد وابنه

(١) اليتيمة ج ٢ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) الكامل ج ٨ ص ٨٣ .

(٣) تجارب الامم ج ١ ص ٧٦ .

(٤) الكامل ج ٨ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

كان يمكن ان تختصر بوضع كلمات لو كان المقصود ذكر الحادث فقط . ثم ان ما نقل في اليتيمة حول هذا الغلام القائد وما ذكر من شعر المهلب قد يعني ان الصابي كان يعمد الى نوع من الترجمة لمن يمر الحديث حوله في السياق التاريخي فيعرف بادبسه ويورد نماذج منه . كما انه لما مر في السياق التاريخي ذكر ابي الحسن بن الناصر ذكر انه شاعر واورد الخبر الذي دار بينه وبين والده معطيا نماذج من شعره . ولد ينسا شاهد آخر على ذلك هو ما نقله الثعالبي في اليتيمة (١) : " وذكر ابو اسحاق الصابي في الكتاب التاجي ان رسائل ابي عبد الله (الحسين بن محمد والد ابي الفضل بن العميد) لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه ابي الفضل " . وهنا الصابي يصدر حكما ادبيا بين كاتيبين مما لا يعني به المؤرخون عادة .

خلاصة الامر ان الصابي لم يستطع ان يخلع عنه الصبغة الادبية حتى عندما كان مؤرخا وهكذا جمع كتابه بين العمل التاريخي والروح الادبية فكان اسلوبه على ما يبدو هو اسلوب الصابي المعهود في التمييز والتزيين الكلامي والبلاغة المشهورة وهذا اسلوب جديد في الكتابة التاريخية لم يعهد من قبل ، لذا عزا بعض الباحثين (٢) الى الصابي البدء بهذه الحركة التي تبعتها فيها العتبي في كتابه " اليمني " (٣) فكان الاثنان مبيعا لشيوخ السجع والتصنيع في الكتابة التاريخية فيما بعد عند العماد الاصفهاني وامثالهم مشيرين

(١) اليتيمة ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٢) " وقتي صيف في الفن ومذاهبه في النثر العربي " ، ص ٢٢٨ .

(٣) الكتاب مطبوع على هامش شرح اليميني المسمى بالفتح الوهبي على تاريخ ابي نصر العتبي . للشيخ احمد المنيني ، (دون مكان وتاريخ) .

الى اثر الثعالبي ايضا في هذا الجانب بتقدمه للكتاب والشعراء في البيتمة بمقدمات
مسجوعة (١) • لكن لا نمك في ان الصابي هو واضح حجر الاساس لهذه الظاهرة الجديدة
في الكتابة التاريخية التي عمت واتسع نطاقها مع تزايد الانتباه نحو التمنيع الكلامي •

(١) الفن ومذاهبه ص ٢٢٨ •

الفصل الثالث

الصياحي الشعاع

الشعر عند العاصبي

موقف العاصبي من الشعر :

العاصبي شاعر اتفقت المصادر القديمة على جودة شعره (١) وقد ترك ديوانا شعريا (٢)
بيدوانه ضاع (٣) فلم يبق من نتاجه الشعري الا بضع قصائد ومقطوعات حفظتها
المصادر خاصة بتيمية الدهر للشعالي و معجم الادباء لياقوت، سنجعلها عمدتنا في دراسة
شعره وتقييمه . ولا بأس من التوقف هنا عند رأى العاصبي في الشعر والذي يبدو في رسالته
كتبها في الفرق بين المترسل والشاعر (٤) ، يعرض فيها لوجوه الاختلاف بين الفهمن
محددا طريق الجودة في كل منهما مفضلا النثر على الشعر .

يعالج العاصبي في هذه الرسالة مشكلة شغلت الكثيرين من مفكرى القرن الرابع ، وهي مشكلة

العلاقة بين النظم والنثر وا مكان المفاضلة بينهما (٥) . وقد كان منشأ

(١) وصفت بعض المصادر شعر العاصبي بالنظم الرائق (الذهبي ، اعلام النبلاء ، ج ١٦ ص ٢٣٣ والصفدي ،
الوافي بالوفيات ج ٥٦ ص ١٥٨) وبالجيد القوى (ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١١ ص ٣١٣)
وبعد مصدران آخران موازيا لنثره بالبلافة والجودة (القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٧٥ وابن خلكان ،
وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٢) .

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٤٩ و معجم الادباء ، ج ٥٢ ص ٩٤ والبغدادي ، هدية العارفين ، ج ١
ص ٧٠ .

(٣) لم تذكر كتب الفهارس كتاريخ الادب العربي لبروكلمان و تاريخ التراث العربي لسزكين هذا الديوان .

(٤) اشار التوحيدى الى هذه الرسالة في المقاييس (ص ٢٧٢) وجاء نصها في ابن حمدون ، التذكرة (٧٧٠
من الورقة ٢٧٦ الى ٢٧٨) وقد اختصر ضياء الدين ابن الاثير بعضها جاء فيها في معرض الرد عليها
في المثل السائر ، (نسخة المطبعة البهية ، ص ٣٢٢ - ٣٢٤) .

(٥) احسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب (بيروت ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ /

١٩٧٨ م) ص ٢٣٢ .

هذه المشكلة كما يرى الدكتور احسان عباس فلسفي الطابع بعد ان عرف هؤلاء المفكرون ما حسام
حواله الفكر الفلسفي من امر التفاوت بين الخطابة والشعر في حظهما من الصدق والكذب .
ثم تعدى الامر الحد الفلسفي الى المناظرات الجدلية التي يذهب كل فريق من المتجادلين
فيها الى الاستعانة في تفضيل الشعر او النثر بأمر خارجة عن طبيعتهما احيانا (١) . والذي
كان يزيد في الخصومة هو تعصب كل فئة لما تحسنه (٢) ، وربما هذا ما يفسر اساسا وقوف الصابي
الى جانب النثر .

يجيب ابو اسحاق في هذه الرسالة سائلا سأله عن السبب في ان " اكثر المرسلين البلغاء لا
يفلقون في الشعر وان اكثر الشعراء الفحول لا يجيدون في التمرسل " ، فيقول : " ان طريق الاحسان
في منشور الكلام مخالف طريق الاحسان في منظومه لأن افخر التمرسل هو ما وضح معناه واعطاك
غرضه في اول وهلة سماعه ، وافخر الشعر ما غرض فلم يعطك^{غرضه} الا بعد ما طلته منه لك وعرض منك عليه ،
فلما صارت الاصابتان في الامرين متراميتين على طريقين متباينين ، بعد على القرائح ان تجمعهما
فشرقت الى هذا فرقة وغرقت الى ذاك اخرى ومال كل من الجميع الى الجانب الموافق
لطبعه ، . . . فليس يكاد يوجد الجامع بين الاحسانيين الاعلى شرط يزيد به الامر تعذرا والمذر
تنزرا وهو ان يكون طابعا له متدا معه فاذا دعاه الى التطرف معه الى احد
الجانبين اجابه وانقاد اليه ، . . . " (٣) .

(١) عباس ، تاريخ النقد ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ .

(٣) ابن حمدون ، التذكرة (٧٧٠) ، الورقة ١٧٦ - ب .

ثم يذكر ابو اسحاق السبب الذي جعل الاحسن في معاني الشعر الغموض وفي معاني
الرسائل الوضوح، فيرى ان الشعر قائم على حدود واوزان وانه مفصل الى ابيات كل منها قائم بذاته غير محتاج
الى غيره، اما ما يتفق ان يكون مضمنا بأخيه فهو عيب فيه " فلما كان النفس لا يمكنه ان يمتد في
البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضه وضره وكلاهما قليل احتيج الى ان يكون الغزل في المعنى
واعتمد ان يلطف ويدق ليصير المفضي اليه والمطل عليه بمنزلة الفائز بذخيرة خافية
استثارها والظافر بخبيبة دفينه استخراجها واستنبطها " (٢) . ثم يشير
الى ان وقفه القارىء على اعجاز الابيات " وضعت لادراك المعنى والفظنة والمغزى وفي مثل ذلك
يحسن خفايا الاثر وبعد المرى " (٢) . ثم يحدد الصابي رأيه في مشكلة كثر
الغموض فيها في عصره وهي السرقات فيقول انه " متى خرج الشعر عن سنن الابتداء
والاختراع فكان ساذجا مغسولا فقائله معيب غير مصيب فالتترك له ادل على العقل
واولى بذوى الغزل " (٣) . وما يؤكد لنا هذه النظرة لدى الصابي الى الشعر قوله
في مجال آخر شعرا :

واكره منه مبتذلا مشاعا	" احسب الشعر يتدع ابتداءعا
فما آتسي بها الا افتراءعا	ولسي رأى غيبور في المعانسي
من العون التي انتهبت شعاعا (٤)	وقد ما كانت الا بكسار احظسي

(١) ابن حمدون، التذكرة، الورقة ٧٦ ب - ١٧٧ .

(٢) المصدر نفسه، الورقة ١٧٧ .

(٣) المصدر نفسه، الورقة ٧٧ ب .

(٤) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٨٨ .

اما الترسل فهو كلام واحد * لا يتجزأ ولا يتفصل الا فصولا طويلا وهو موضوع وضع ما يهذ هذا ويقرأ متصلا، ويمر على اسماع شتى الاحوال من خاصة ورعية وذوى افهام ذكية ونخبية فاذا كان متمهلا متسلما ساغ فيها وقرب ادنسه (١) في افهامها وساقمت الالمن في تلاوته والالباب في درايتته * (٢) * وهكذا يرى الصابي ان ما يحتجب في الشعر يستكره في النثر والعكس صحيح من ذلك ان ما حسن من الرسائل * ما كان متعلقا بعبءه ببعض مقتضيات تعطفها من الهوادى على التوالي وردا من الاواخر على سبب الهادي * * * ومتى خرج الترسل عن ان يكون جليا سلما، تعشرت الاسماع في حزوننته وتحجرت الافهام في مسالكه، فاظلم شرقه وتكدر رونقه، وكان صاحبه مستكره الطريقة مستهجن الصناعة * (٣) *

اخيرا يجيب الصابي على مسألة الثالثة بالنسبة لهذا الموضوع وهي سبب قلة المترسلين ونباهتهم وكثرة الشعراء، وخمولهم، فيتطرق هنا الى العملية الشعرية ويرى ان الشاعر انما يصوغ قصيدته بيتا بيتا جامعا قدرته على كل بيت منها * وله من الوزن والقافية قائد وسائق يقومان له بأكثر حدود الشعر فكانه انما يحذوه على مثال او يفرغه في

(١) لعلها ادنساء *

(٢) التذكيرة (٧٧٠)، الورقة ١٧٧ *

(٣) المصدر نفسه، الورقة ١٧٧ - ٧٧ ب *

قال جمال * (١) • اما في الكتابة الثرية فان المترسل * يصوغ رسالته متحدة
متجمعة ويضمها من اقطار متراخية متسعة، وربما اسهب حتى يستغرق بالواحدة من رسائله
اقدار القصائد الطوال الكثيرة، هذا الى ما يتعاطاه من فخامة الالفاظ اللاتقياً ان يصدر
مثلها عن السلطان واليه * (٢) • ينتج عن هذا بنظر ابي اسحاق قللة المضطلعين بجودة
النثر • اما سبب ارتفاع طبقة المترسلين على الشعراء بنظره فعائد الى الموضوعات التي يتعاطاها
اصحاب كل فن فالمترسل يكتب في * جباية خراج اوسد ثمر او عمارة بلاد او اصلاح فساد
او تحريض على جهاد او احتجاج على فئة او مجادلة لملة او دعاء الى الفة او نهى عن
فرقة او تهنئة بعطية او تعزية برزية، او ما شاكل ذلك من جلائل الخطوب ومعاظم
الشؤون ••• (٣) • هذه الموضوعات الجليلة تحتاج الى ادوات كثيرة ومعرفة واسعة
فعلو منزلة الكتاب عائد الى خطر ما يفيضون فيه ويذهبون اليه (٤) • اما اغراض الشعر
فهي * وصف الديار والآثار والحنين الى الالهواء والاطار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء
والمدح والهجاء، فليس يجرون مع اولئك في مضمار ولا يقارونهم في مقدار * (٥) •

(١) ابن حمدون، التذكرة (٧٧٠)، الورقة ٧٧ ب.

(٢) المصدر نفسه •

(٣) المصدر نفسه، الورقة ١٧٨ •

(٤) المصدر نفسه •

(٥) المصدر نفسه •

يفهم من رسالة الصابي هذه انه يركز على الطبع ، فالطبع هو الاساس وهو الذي يحدد اتجاه الاديب الى احد الفئتين الكتابيين النشر او الشعر، ويمكننا اختصار الفروق بين النشر والشعر عند ابي اسحاق بشكل آخر .

اولا : الفضل في الشعر للمعنى ومن اهم ضروراته الابتداع والاختراع، وفي الترميل للاسلوب واهم خصائصه الالفاظ الفخمة .

ثانيا : موضوعات الشعر شخصية وعادية وموضوعات النشر جلييلة خطيرة .

ثالثا : الوحدة في الشعر هي وحدة البيت لا القصيدة وفي النشر هي وحدة الرسالة كاملة .

رابعا : الفرق في النظم وهو فرق اساسي كما يبدو في رأى الصابي فالشاعر يكتب البيت الشعري متهددا

بالوزن والقافية وللقارئ وقفة على اعجاز الابيات لتأمل المغزى الذي تحمله وقد جعل هذا

سببا يحتم غموض المعنى . اما في الترميل فالرسالة تكتب متحدة وقد تكون طويلة بمقدار قصائد

كثيرة وتكون قراءتها متصلة وهذا يستدعي انكشاف معانيها ووضوحها .

لا تؤول آراء الصابي هذه نظرية متكاملة في النقد انما هي مجرد آراء ساقها في معرض

تفضيل النشر على الشعر فهو لم يتطرق للنواحي التفصيلية في هذين الفئتين ، فلم يتحدث عن غايتيهما

او تأثيرهما ، وقد اغفل بالنسبة للشعر الخوض في الفاظه وبعض معانيه كحظه من الصدق والكذب

او علاقته بالاخلاق ، كما انه لم يلتفت الى الشاعر وحالته النفسية والى اثر الخيال والعاطفة

في الشعر ، فبدأ العمل الشعري لديه عملا عقليا : معان تماغ في الفاظ وتفرغ في قوالب ثابتة .

اما في النشر فقد اقتصر على الاشارة الى الموضوعات التي يعالجها كاتب الديوان

بشكل خاص مغفلا سواها كالاخوانيات والوصف والغزل والوجدانيات والتي تقترب
بمعانيها من المعاني الشعرية . لكن ما يمكن قوله حول آرائه هذه انها مستمدة
من طبيعة الادب بنشره وشعره وبذلك اختلفت عن آراء معاصريه من المفكرين
التي كانت بجملها ذات طابع فلسفي (١) .

بالاضافة الى ذلك يمكن ان يسجل حول هذه الآراء الملاحظات التالية :

اولا : احسن الصابي الربط بين الشكل الادبي ، نظما او نثرا من جهة ، والمعنى من جهة ثانية ،
فالشكل يحدد المعنى ، والوقفات على اعجاز الابيات وضعت لادراك المعنى او المنزى
وهذا ما يحتم الغموض ، اما القراءة المتصلة في النثر فتستوجب السهولة وقرب المأخذ .
ثانيا : تفضيله الابهام والغموض في الشعر ربما يعود الى الثقافة الفلسفية المتأصلة في نفسه
التي من خصائصها التعمق وبعد النظر والانشغال بالماورائيات وهو في ذلك معاكس لمعاصره
الأمدي (ت ٣٢٠) صاحب كتاب الموازنة الذي حمل نقده صفات " اهل الظاهر " ، على حد
تعبير الدكتور عباس ، بميله الى المعنى القريب الذي يعلم نفسه الى القارئ ، اسلاما
مباشرا (٢) .

ثالثا : رجح الصابي كفة الصياغة في التشريع اهتمامه بشرف المعاني ، اما في الشعر
فلم يأت على ذكر الصياغة وانما كان تركيزه على المعنى وكيفية تأديته بوضوح ام بغموض وكان

(١) انظر عباس ، تاريخ النقد ، ص ٢٣٢ - ٢٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

الالفاظ والاوزان والصبغة ادوات ايصال لا غير، وربما كان قصد الصابي في حديثه
حول الابتكار والاختراع ان ذلك يكون في تأدية هذا المعنى لا في المعنى نفسه
الذي يمكن ان يكون مطروقا من قبل او جديدا لم يسبق اليه .

والذي يهمننا الاشارة اليه في هذا المجال اخيرا ، هو مدى تطبيق ابي اسحاق لآرائه
هذه على نشره وشعره . قارى رسائل الصابي يجد ان حديثه حول التوسل هنا تابع من تجربته
فيه لان رسائله تتسم عامة بالجلالة والسلاسة والوحدة ، وبالترايط والتسلسل المنطقيين مع
فخامة الالفاظ . اما نتاجه الشعري فيختلف عما وصف في الرسالة اذ اننا سنرى خلال دراستنا
لاتواع شعره وبعض خصائص كل نوع ، ان هذا الشعر بعيد عن الغموض بل انسه على العكس —
ذلك يقرب من النثر في وضوحه وانكشاف معانيه التي لم تكن بمجملها مبتكرة او مخترعة ،
حيث كان ابو اسحاق يقتبس في بعض الاحيان من سبقه او عاصره من شعراء كآبي نواس والمتنبى
وغيرهما وسرى فيما بعد شواهد ذلك ، على ان الابتكار او الاختراع الذي جعله اساسا للشعر الجيد
لم يكن ليحي شعره من الوقوع في البرودة في احيان كثيرة . اما حديثه حول وحدة البيت
واستقلاليتها فهو ما لم يعتمد دائما بل بدا في الكثير من قصائده اتصال البيت الواحد بما يليه
وعدم اكتمال معناه الا به والشواهد على ذلك كثيرة منها :

وعلم يقين بالرعاية والهد

" فلولا رجاء ملء ارجاء اضلعي

هبوب نسيم الترجس الغفر والسورد

وان نسيم الانعطاف تهب لسي

ولو كان لي قلب من الحجر الصلد

قضيت باحداه من حبي حسرة

اطاقة صلب العمود مصطبر جلد

وهبني قد حملتها فأطقتها

إذا شيم ما بين الساطين من بعد* (١)

فمن لي بصبر عن جبينك لا معا

يلاحظ ان جواب لولا في البيت الاول يأتي في البيت الثالث وان معنى البيت الرابع لا يكتمل

الا بما يليه . ومن ذلك ايضا قوله في قصيدة كتبها للشريف الرضي :

وما كف من خطوى ويطش بناني

* واني على عيب الردي في جوانبي

به نهر باق من الخفقان

وان لم يدع الا فؤادا مودعا

الى اذن تصني لنطق لسان

تلوم تحت الحجب ينفث حكمة

ذمما قليل في غد هو فان* (٢)

لاعلم اني ميت عاق دفنـه

موضوعات شعره

عالج العابي في شعره مختلف الموضوعات كالغزل والخمر والوصف والرثاء والحكمة والشكوى

والاستعطاف والتهنئة والاهداء والمديح والهجاء والفخر .

الغزل : للصابي مقطوعات قصيرة عدة في الغزل يمكن ان تجعل في نوعين :

الاول : الغزل الذاتي ويشمل في عدة مقطوعات في غلام له اسود اسمه رشد (او يمن) (٣)

(١) اليتيمة ج ٢ ص ٢١٦ .

(٢) رسائل العابي والرضي ص ١٦ .

(٣) تذكر بعض المصادر هذا الغلام باسم رشد كاليتيمة (ج ٢ ص ٢٦٥) و معجم الادباء (ج ٢ ص ٣٣)

والمباضي معاهد التنصيص (ج ٢ ص ٦١) و الخوانساري روضات الجنات (ج ٢ ص ١٦٦) وبعضها الآخر

يذكره باسم يمن كابن خلكان وفيات الاعيان (ج ١ ص ٥٢) و الصفدي الوافي بالوفيات (ج ٦ ص ١٦٣)

و الحنبلي شذرات الذهب (ج ٣ ص ١٠٧) .

بالاضافة الى ابيات تتخلل بعض قصائد الخمر في هذا الموضوع . من ذلك قوله في
رشد هذا (١) :

" لك وجه كأن يملك (٢) خطه
به بلفظ تملأه آمالي
فيه معنى من البدر ولكن
نفضت صبغها عليه الليلي (٣) .
لم يمشك السواد بل زدك حسنا (٤)
انما يلبس السواد الموالي
فبمالي اقديك ان لم تكن لي
وبروح اقديك ان كنت مالي "

وقد نجح الصابي في وصف الجمال الاسود هنا فالغلام يشبه اشراقه البدر لكن لا يمكن
تشبيهه به لسواد لونه ، فاحتمال الصابي في الجمع بين المتناقضين السواد والاشراق فاذا بفتاه
بدر مشرق صبغته الليلي بسوادها .

النوع الثاني : مقطوعات غزلية تتميز بمعظمها بالاباحية والحديث عن اللقاء ، نجد فيها
الكثير من الاوصاف القديمة والمعهودة ، كتشبيه وجه انجبية بالبدر ، وجسمها بالفصن ،
وقد تكرر هذان التشبيهان كثيرا في المقطوعات التي لدينا ، وكذلك تشبيه الاسنان بالبرد
او الدر ، والريق بالخمرا والشهد . . . من ذلك قوله : (٥)

-
- (١) الابيات في اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٦٦ وابن حمدون ، التذكرة (٧٦٩) ، الورقة ١١١ ومعجم الاديب ،
ج ٢ ص ٧٤ ووفيات الاعيان ، ج ١ ص ٥٣ والوفائي بالوفيات ، ج ٦ ص ١٦٣ وشذرات الذهب ، ج ٣
ص ١٠٧ وروضات الجنات ، ج ٢ ص ١٦٦ .
(٢) في معجم الاديب ، والتذكرة الحمدونية ووفيات الاعيان والوفائي بالوفيات وشذرات الذهب : " يملأه " .
(٣) لم يذكر في التذكرة الحمدونية سوى هذين البيتين .
(٤) في معجم الاديب : " زاد " والبيت الرابع لم يرد في المصدر نفسه .
(٥) اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٥٨ ومعجم الاديب ، ج ٢ ص ٧١ ووفيات الاعيان ، ج ١ ص ٣٩٢ والصفدي ، الوفاي
بالوفيات ، ج ٦ ص ١٦١ .

وعانقتها كالبدن في ليلة التسم
لقد جبرت قلبي وان اوهنت (٢) عظمي *
من خيفة الناس بتسليمته
وغاظها ذلك من شيمته
فردت البدن الى قيمته *
فتلثت من شدة استحيائها
وبحلة صبغت بلون سائها
متخفرا في لازورد رداؤها *
قد جمشته الرياح
عليه مسسك وراح
كل لكل وشساح
لي من حماها صباح
في الدهر الا الصباح *

* اقول وقد جردتها من ثيابها
لئن (١) آلت صدرى لشدة ضمها
وقوله: (٢) فديت من لاحظني طرفها (٤)
لما رأيت بدرا الدجى ثائها
ازاحت البرقع (٥) عن وجهها
وقوله: (٦) احشمتها بالعتب عند لقاءها
واستكملت عفة البدور بظلمة
فبهت انظر من لجين جبينها
وقوله: (٧) هيفا تحكي قضيبا
تفتت عن سم طدر
جردتها واعتقننا
باتت وكل مصون
في ليلة لسم يعيها

ومن الواضح ضعف العاطفة الصادقة في هذه الابيات واجمل ما فيها الابيات التي يصف

(١) في معجم الادباء ووفيات الاعيان والوفاسي بالوفيات : " وقد *"

(٢) في الوافي بالوفيات : " وهنت *"

(٣) البيهية ج ٢ ص ٢٥٨ والتتوخي ونشوار المحاضرة ج ٨ ص ٢٣٢ ومعجم الادباء ج ٢ ص ٢٢
والوافي بالوفيات ج ٦ ص ٦١ *

(٤) في نشوار المحاضرة : " سارقني لحظها *"

(٥) في المصدر نفسه : " سلت له البرقع * وفي معجم الادباء : " سرت له البرقع من وجهها *"

(٦) البيهية ج ٢ ص ٢٥٢ *

(٧) المصدر نفسه ص ٢٥٢ - ٢٥٨ *

فيها تحركات الحبيبة من تسليمتها باستراق النظر اليه ، او تلثمها حياءً وهذه مرات قليلة
يصف فيها تحرك الحبيبة بعفوية وطبعية في مقطوعاته ، كما يلاحظ انه يشغل الاحاسيس
المختلفة في الوصف كوصفه فم الحبيبة كما يحسه بواسطة العين والانف واللسان فاسنانها
سمط در راءحه المسك ومذاقه الخمر ، وقد احسن الصابي في اعتماد المفاجأة وذلك عندما
عد الصباح عينا شوه جمال الليلة .

ومن ابياته الغزلية ايضا بعض المقطوعات التي يحاول فيها التعبير عن عاطفته واشجانه ،

يقول (١) : " تورد (٢) دمعي اذ جرى (٣) ومدامتي فم من مثل ما في الكأس عيني تسكب
فوالله ما ادري ابا لخمير اسبلت جفوني ام من عبرتي كنت (٤) اشرب "

ومن ذلك ايضا وصفه للحب الذي يربطه باحدى النساء ومحاولته اضافة معنى روحي على العلاقة
بينهما فيرتفع بذلك عن الاوصاف والتشبيهات السادية :

" الى الله اشكو ما لقيت من الهوى بجارية امسى بها القلب يلهج
اذا امتزجت انفاسنا بالتزامنا توهمت ان الروح بالروح تنزع
كأنى وقد قبلتها بعد هجمعة ووجدى ما بين الجوانح يلعب
اضفت الى النفس التي بين اضلعي بانفاسها نفسا الى الصدر تولج
فان قيل لي اخترايها شئت منهما فاني الى النفس الجديدة احوج " (٥)

(١) اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٥٦ والتنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٨ ص ٢٣٢ ووفيات الاعيان ، ج ١ ص ٣٩٢ .

والعباس ، معاهد التنصيص ، ج ٢ ص ٥٩ .

(٢) في معاهد التنصيص : " تشابه " .

(٣) في نشوار المحاضرة : " فاستوى ومدامتي " .

(٤) في المصدر نفسه : " من دمعي عيني اشرب " .

(٥) اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٥٧ و معجم الادب ، ج ٢ ص ٧٠ - ٧١ .

يبدو لنا في هذين المقطعين ظاهرة كثيرا ما تلمح في معاني الصابي الشعرية وهي الشعور بالوحدة . ففي المقطع الاول يلاحظ ان التشابه بين الدمع والخمر وحدهما حتى اختلط الامر على الشاعر فلم يعد يدري ان كان ينهمر الخمر من جفونه ام انه كان يشرب دموعه . اما في المقطع الثاني فالظاهرة اكثر وضوحا وتميزا فالوحدة هنا بين المادة والروح وبين الروح والروح فهي وحدة روح وعاطفة وجسد وانفاس ، نلمح فيها ما يمكن ان يعد اثرا صوفيا انه يذكر بقول الحلاج :

" انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا " (١)

وربما هذا ايضا اثر صابئي ، وهو الأرجح ، اذ ان فرقة الصابئة الحرنائية التي ينتمي اليها ابو اسحاق ، تؤمن بالحلول وتعتبر ان الله واحد ومتعدد لانه يظهر بالاشخاص ويتشخص بها (٢) .

ومن الغزل ايضا قول الصابي : (٣) .

" هيفاء كالغصن في رشاقتيه لفاء (٤) كالدعص (٥) في كثافته

تبخترت والعثان يكتنفهما (٦) فكانت البدر وسط هالتيه "

وبلاحظ ان الصابي هنا يجمع في وصفه بين ضدتي الرشاقة والكثافة ، اما تشبيه المرأة بالبدر

فهو مما يسترعي الاهتمام لانه يتكرر كثيرا في غزله وربما كان عائدا الى الاثر الصابئي

(١) الحسين بن منصور الحلاج ، ديوان الحلاج (تحقيق كامل مصطفى الشبيبي ، بغداد ، دار آفاق عربية للصحافة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ / ١٩٨٤) ص ٧٧ .

(٢) راجع ص ٩ من مقدمة هذا البحث .

(٣) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .

(٤) امرأة لفاء : ملتفة الفخذين ، وقيل ضخمة الفخذين مكتنزة . اللسان : مادة : لفف .

(٥) الدعص : قور من الرمل مجتمع . اللسان : مادة : دعص .

(٦) العثان والعثن : الدخان . ويقال : عثنت المرأة بدخنتها اذا استجمرت وعثنت الثوب بالطيب اذا دخنته عليه حتى عبق به . اللسان : مادة : عثن .

في نفسه والى علمه بالنجوم ، حتى نجده . . . يستمد تشبيهاته من الفلك .

ثم ان غزل الصابي كان يتم احيانا بالعقلانية وضعف العمق الشعوري حين يصبح معرضا لثقافته الواسعة ولما كان يشتمل عليه عصره من تعدد فكري وديني كما ولتسه وصف حبيبه بان من يراه من اي دين كان ، يرى فيه ما يثبت على دينه . يقول : (١)

للدين منه فيك اعدل شاهدا	" كل الوري من مسلم ومعاهد (٢)
حور الجنان لذي النعيم الخالد	فاذا رآك المسلمون تيقنوا
تعطو بيدي ر فوق غصن مائدا	واذا رأى منك النصارى ظبيبة
بك اذ جمعت ثلاثة في واحد	اثنوا على تثليثهم واستشهدوا
قالوا لدافع دينهم والجاحد	واذا اليهود رأوا جبينك لامعا
لكليمه موسى النبي العابد	هذا سنا الرحمن حين ابانه (٣)
مسود فرع (٤) كالظلام الراكد	وترى المجوس ضيما وجهك فوقه
حجسج اعد وهما (٥) لكل معاند	فتقوم بين ظلام ذاك و نور ذا
من راعع عند الظلام وسا جد	اصبحت شمسهم فكم لك فيهم

(١) اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٥٩ ومعجم الادبا ، ج ٢ ص ٨٦ - ٨٨ والخوانساري ، روضات الجنات ،

ج ١ ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) في روضات الجنات ، ج ١ ص ١٦٤ : " معانده " .

(٣) في المصدر نفسه : " اتى به " .

(٤) في المصدر نفسه : " شعر " .

(٥) في روضات الجنات ، ج ١ ص ١٦٤ : " تعددها " .

والصابئون يرون انك مفرد (١) في الحدين اقرارا لفرد (٢) ماجد
كالزهرة الزهراء انت لديهم مسعودة بالمشتري وعطارد
فعلى يدك جميعهم مستبصر في الدين من غاوى السبيل وراشد
اصلحتهم وفتنتني (٣) وتركتني من بينهم اسعى بدى فاسد*

فالصابي قد تجاوز في غزله في هذا الغلام ما حظرت منه الاديان ورأى ان جماله
يدعو الى تثبيت الدين لا الى الفتنة فهو لدى المسلمين دليل على الحور العيمن،
ولدى النصارى دليل على التليث، ولدى اليهود دليل على صحة التبلي، ولدى المجنوس
دليل على وجود عنصرى النور والظلمة، ولدى الصابئة دليل على التوحيد وعلى
اثر الفلك على الناس *

الخمير :

للصابي قصيدتان يصف فيهما مجلس الخمر * احدهما الى صديق له يستدعيه
ويصف ما عنده من رؤوس الحملان والشراب والفتق والمطرب الممتع، والثانية يشبهه
فيها مجلس الانس بالمعركة * وله اربع مقاطع اخرى في وصف الخمر والماقسي
تشتمل على المعاني الخمرية المعروفة كتشبيهه الراح بالعدرا، ووصف الجباب الناتج

(١) في معجم الادباء، ج ٢ ص ٨٢ وروضات الجنات، ج ١ ص ١٦٥ : "فردة" *

(٢) في روضات الجنات، ج ١ ص ١٦٥ : "لرب" *

(٣) في معجم الادباء، ج ٢ ص ٨٨ : "وقتلتني" *

عن تمكأبها أو مزاجها وذكر أثرها في النفس من السعادة والراحة وطرد الهم ٦ نذكر من
قصيدته الأولى :

طبأخنا صانع رؤوسنا	يسقط في طيها الخلال
مبيضة كاللجين لونا	شبهة كلها نظاف
واخذها في الرقاق يحكي	صريع حمى له لحاف
نسقى على ذاك روح دن	ارق اسمائها السلال
عروس دن صفت وطابت	لونا وطعما فما تعاف
كأن ابريقها لدينا	ناكس رأسه رعان
والنقل من فستق جنبي	رطب حديث به القطاف
ومسمع مطرب ملهح	يحرم عن مثله العفاف
فصر الينا غدا بليلى	افديك من كل ما يخاف
فانت اصل السرور عندي	وكل ما بعده مضاف (١)

أما قوله "سيدته في تشبيهه مجلس الانس بالمعركة" فقد سبقه الى ذلك أبو نواس في قصيدة

(١) التيبة ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

مطلعها : " اذا عبا ابو الهيجا " للهيجا " فرسانا " (١)

فالفكرة مقتبسة من ابي نواس وان كانت الاوصاف التي يستعملها في القصيدة مختلفة بحيث لا تشابه الا في تشبيه السكارى بقتلى الحرب وجرحاها . والفرق الاساسي بين القصيدتين بالاضافة الى كون النواصي مبتدعا والصابي مقلدا هو ان ابا نواس لم يصف المجلس بمجرد الوصف وانما ليتخذ موقفا من الحرب التي تعم الناس بالدمار مفضلا عليها حرب المدام التي يسقط فيها الضحايا ثم لا يلبثون ان ينشروا .

بالاضافة الى ذلك نجد عدة معان نواسية في قصائد الصابي منها مثلا حديثك

الصابي حول اللاديمين في مقطع غزلي حيث يقول :

" ايها اللائم المشيق صدرى لا تلمني فكثرة اللوم تنورى " (٢)

المأخوذ من قول النواصي الشهير :

" دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء " (٣)

لكن شهرة هذا البيت لابي نواس تجعلنا نعتقد ان الصابي ربما كان يعتمد الاشارة اليه والتذكير به . ومن اقتباسه عن ابي نواس قوله :

" كوكب الاصباح لا حيا طالعا والديك ما حيا

فاسقنيها قهوة تبا سو من الهم جراحا " (٤)

(١) ديوان ابي نواس (تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٣٧٢/١٩٥٣)

ص ١٩٨ .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ ومعجم الاديب ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

(٣) ديوان ابي نواس ، ص ٦ .

(٤) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .

ويقول ابو نواس في ذلك :

" هات من الراح فاسقني الراحا
واما ترى الديك كيف قد صاحنا
وادبير الليل في معسكره
منصرفا والصباح قد لاحنا " (١)

ومن خمريات الصابي القليلة التي لدينا قوله :

" صفراء كالتبر جامها (٢) يقف (٣)
شعاعها كالذبال يأتلق
كان في كف من اتاك بها
ضحى نهار في وسطه شفق " (٤)

فالظاهر الحسي الذي تمثل في الالوان التي اجتمعت في الجام والخمرة والكف لتؤلف وحدة
جمالية تجاوزت الجزئيات، ذكر الشاعر بهذا الوجود الكوني الواحد وقد تمثل بالزمن
في مفهومه الابدى الذي يتجاوز التابع الحسي لمختلف الاوقات .

ومن قصيدته في تشبيه مجلس الانس بالمعركة قوله :

" ومجلسنا حومة ارهجت
لحرف الندامى اليها بدار
كان فكاهاتهم اذ علت
غناغم للحرب فيها شعار
كان الكؤوس بأيدي السقا
ة سيوف لها بالدماء احمرار
كان مناديل اكتافهم
حائلها اذ عليهم تدار
كان المجامر خيل جرت
وقد شار للنس منها غبار

(١) ديوان ابي نواس، ص ٦٨٤ .

(٢) الجام : اناء من نضة . اللسان : مادة : جوم .

(٣) يقف : ابيض شديد البياض ناصعه . اللسان : مادة : يقف .

(٤) اليتيمة : ج ٢ ص ٢٦٠ .

كأن السكاري رجال الوغس وقد عقرتهم هناك العقار
وقد جدلتهم جسروح بهم وجرح العدامة فيها جبار* (١)
وإذا قورنت هذه الابيات بابيات ابي نواس في الموضوع نفسه يتبين لنا الركاكتي صياغة
الفكرة لدى الصابي بحيث انه لم يتوصل الى تشل المشهد وكأنه معركة حقيقية، فاستمر
في ربط كل حركة او مشهد من معركة العدام بما يشبهه في المعركة الحقيقية، مقربا
بين الحالتين باستعمال اداة التشبيه " كأن " . وليلاحظ الفرق في ابيات ابسي نواس :

" اذا عبا ابو الهيجا	" للهيجا فرسانا
وسارت راية المسوت	امام الشيخ اعلانا
جعلنا القوس ايدينا	ونسل القوس سوسانا
وقدمنا مكان النب	ل والمطررد ريجانا
فعدات حربنا انسا	وعدنا نحن خملانا
بفتيان يرون القت	ل في اللذة قربانا
اذا ما ضربوا الطبل	ضربنا نحن عيدانا
وانشأنا كراديسا	من الخيسري الوانسا
واحجار المجانيسق	لنا تفاح لبنانا

(١) اليتيمة، ج ٢، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

سبا خمرا فمقانا	ومنشأ حرينا ساق
وذا ينجر سكرانا	تري هذاك مصروعا
نعم الناس عدوانا	فهذي المحرب لا حرب
بها نثشر قتلائنا * (١)	بها نقتلهم ثم

ونلاحظ ان التشابيه لدى ابي نواس خفية المأخذ، يعتمد في الكثير منها على استعمال الفاظ الحرب " كالكراديس " و " سبا " و " مصروعا " و " القتل " كما انه لا يستعمل ادوات تشبيهه مما يدل على شدة الشبه بين الحاليين حتى كأنه لا يشبهه، كتشبيه التفاح باعجاز المجانيق، والسكران بالصريع، والايدي بالقوس والريحان بالنبل والرمح

الوصف :

المقاطع التي يخصصها الصابي للوصف تعالج في معظمها موضوعات معينة درج الشعراء في عصره على وصفها وتنافسوا في ذلك، اما في عصرنا فلم تعد تعيننا بشيء، كما ان وصفها جاف لا قيمة له طالما انه لا ارتباط لها بنفسية الشاعر ووجدانه، فالوصف هنا نوع من النقل التصويري لهذه الموضوعات من حيز الوجود في الواقع الى الورق والتفنن في تشبيهها بأشياء معينة . وذلك بخلاف وصفه الذي يخرج عن شعور صادق وتعلق اصيل حميم كوصفه للخمرة في الجام في الكف . . . وهكذا نرى لدى الصابي شعرا في النرجس

(١) ديوان ابي نواس، ص ١٩٨ .

والورد ، وفي شامة كافور (١) ، وعتيذة الطيب ، وفي الغالية (٢) ، والنافجة (٣) ،
وفي المدخنة والشمعة ، والقبيج والببغاء والخطاطيف ٠٠٠ وسنثبت نماذج من هذه الاوصاف
دون التوقف عند احدها لان ما ذكرنا من خصائص الوصف التصويري لدى الصابي ينطبق
عليها جميعها ، قال في عتيذة الطيب :

تبعث اليك امامها ببشيرها	* وعتيذة للطيب ان تستدعها
فكأنه مستأذن لحضورها	يلقاك قبل عيانها ارج لها
تأتيك ام من مسكها وعبيرها	نفحاتها لم تدر من كافورها
عن ان تقاسم بشكلها ونظيرها	مزجت ببعض بعضها فتوحدت
مثل اللسان يشيع سر ضميرها * (٤)	لا عيب فيها غير ان نسيمها
ن لم تكن من ظهر فحلل	وقال في النافجة : * ومشيمة من نسل بط
من غير تطريق بحمل	اهدت اليك جنينها
بشت لها وبرشق نبل	بل باقتناص جبال
لا تشتري الا ببسمل	فندت بضاعة تاجر
لكن بشم لا بأكل	فيها لنفس قوتها

(١) العمائم : ما يتشم من الارواح الطيبة . اسم كالجبانة . (اللسان مادة : شم) والكافور

اخلاط تجمع من الطيب تركب من كافور الطلع وكافور الطلعة وعاؤها الذي ينشق عنها والكافور نبت
طيب الريح يشبه بالكافور من النخل . (اللسان مادة : كفر) .

(٢) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن . (اللسان مادة : غلا) .

(٣) النافجة : هي سره الطيبة التي يجتمع اليها فضل دموى من جسمها فيقع فيها الورم ويشد وجعها حتى
تمسك عن الرعي وورود المياه فتسقط عنها ، او ان الطباء تصاد وتذبح وتؤخذ سررها والمسك فيها ما زال

دما حتى اذا جف اشددت رائحتها ثم توضع النوافج في مزاول وتخالط القلقمدي ، صبيح الاعشى ، ج ٢ ، ص ١١٤
(٤) البيهقي ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

حلت محللا تسمى الا لذى الخطر الاجل * (١)

وقال عن لسان مدخنة محلاة وامر بنقشها فيها :

* جمعت من حلتي وعرفي ما بين حسن وبين طيب
ادخل في الذيل من محاسب طورا وفي الكم من حبيب
فكم ترددت بين هذا وذا سرغم من الرقيب * (٢)

وقال في الورد : * اما ترى الورد قد حياك زائره
كل ان انفاسه انفاس غائبة بنفحة فرجت عن كل مصدور
تفتحت وجنسات في جوانبه معشوقة خالطت انفاس مخمور
كل انفسا انتزعت من اوجها الحور * (٣)

الرثاء :

للصابي قصيدتان في الرثاء ، احدهما في رثاء ابنه سنان ، والثانية في

رثاء ابي الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة . قال في رثاء سنان :

* اسعداني بالدمعة الحمراء جل ما حل بي عن البيضاء
يولم القلب كل فقد ولا مث ل افتقاد الآباء للإبناء
هد ركني مشوى سنان وقد كان يهد الاركان من اعدائي
عكست فيك دعوتي اذا فسدي فك برغمي فصرت انت فدائي

(١) البيهقي ج ٤ ص ٢٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦٢ .

انما كتبت فلذة من فؤادي
كنت مني وكنيت منك اتفاقا
وكنيت في اليتيم في اجمل مني
ولئن كان نسب اخيك واولا
فلعمري لربما هيجوا الشر
خطفتها المنون من احشائي
والتثام ما مثل العصا واللحسا*
نيك للشكل في اوان فنائي*
دكما ما ينغر من برحائي*
ق فزادوا في لوعتي وبكائي* (١)

تبدأ القصيدة بلفظ " اسعداني " ويتبع ذلك ذكر جلال الرزء ، وكان ذرف العين للدمع هو مما يسعد الثاكل المفجوع الذي لم تعد عيناه تسعدانه على الهكاء ، بعد ان تركت وفاة ابنه الما في قلبه وضعفا في قواه . وقد خرج الشاعر عن المألوف في الرثاء في زمنه من تأيين الميت وذكر صفاته ومدحه فتركزت معانيه على ذكر اثر وفاة ابنه عليه ، والتي آلمت قلبه وهدت ركنه ، وعلى وصف العلاقة التي كانت قائمة بين الاثنين : علاقة وثيقة وحميمة الى حد الوحدة . فالميت فلذة من فؤاد الشاعر وكانا متحدين كاتحاد العصا واللحاه بروابط طبيعية - اتفاقا - واخرى رمما فكرية واخلاقية - التثامما .

المقطع الاخير هو الاكثر تأثيرا في القصيدة ، ففيه تعبير عن الم الشاعر الذي كان ينتظر الموت لنفسه في شيخوخته فاذا به يلقاه في فلذة كيد . وفي البيتين الاخيرين يندلب الالم والتفجع على الشاعر فيعجز عن السلوة بعد ان كان يظن انه سيلقاها بوجود ابنه الآخر واحفاده .
وفكرة هذين البيتين مأخوذة من قول ابن الرومي في رثاء ابنه الاوسط :

(١) القيمة ج ٢ ، ص ٢٧٠ والابيات التي تحمل علامة النجمة موجودة في الديباجي معاهد التنصير

* ارى اخويك الباقيسين كليهما

يكونان للاحرزان اورى من الزند

فما فيهما لي سلوة بل حرارة

يهيجانها دوني واشقى بها وحدي* (١)

نجح الشاعر في هذه القصيدة بالانتقال من ضمير الغائب الى المخاطب

وكأن الحديث حول هذا الف قيد جعله يستعيد ، اليه فيتصوره امامه ويخاطبه مخاطبة الحي للحي . ويلاحظ ان معاني القصيدة تدور بين الشاعر والقيد فقط ولا دخول لاشخاص آخرين باستثناء ابنه الثاني واحفاده . وكأن المصيبة قد حولت نظر الشاعر عن العالم من حوله وحصرته في هذا الذي ضمنه التراب ، فاذا التفت الى من سواه فالى اقرب الناس اليه واخصهم به : اخيه وابنا وبهما ، والا لتفات الى هؤلاء لا يلبث ان يعيد الشاعر الى تذكر الميت والبكاء عليه . لكننا اذا قارنا بين تعبير الصابي عن المة لفقد ابنه في هذه القصيدة من جهة ، وفي رسالة كتبها الى الشريف الرضي ردا على تعزية وصلته منه من جهة اخرى ، نجد ان النثر اداة اكثر طواعية في يد الصابي حتى للتعبير عن خلجات نفسه : " فصادفت مني قلبا عليلا وخاطبرا كليلا ونفسا قد اثختها الرزية وولتها المصيبة ، واحالتها المحنة عما كانت عليه من جسد وقوة ونساء سك ومعرفة " (٢) ويمكن القول اخيرا ان قصيدة الصابي في رثاء ابنه

(١) يقول الثعالبي في اليتيمة (ج ٢ ص ٤٩) ويتابعه صاحب معاهد التنصير (ج ٢ ص ٧١ - ٧٢) ان

الصابي الم بهذا الشعر بقول ابن الرومي ولم يحسن بعض احسانه :

لذاكره ما حنت النيب في جسد

" واني وان متعت بابني بعدد

فقد نساءه كان الفاجع اليمين الفقيد

واولادنا مثل الجوارح ايها

مكان اخيه من جزوع ومن جسد

لكل مكان لا يسد اختلاله

ام السمع بعد العين يهدى كما تهدي* .

هل العين بعد السمع تكفي مكانه

(٢) رسائل للصابي والرضي ، ص ٧١ .

نفثة شعورية عفوية املاها خاطر كليل وقلب كليم ، اما قصيدته في
رثاء خاله (٢) ثابت بن سنان فقد تسنى له ان يتأنق في صنعها على ما جرت
عليه الشعراء في المراثي ، فعبر عن عاطفته بالبكاء والتلف والزفرات ، مستعملا
في تبيان ذلك التنويع في الاسلوب كالانتقال من الخبر الى الانشاء وبالعكس واستعمال
النداء والاستفهام ، ثم انه اعمل عقله في استذكار اخلاق الميت ومدحه . من
هذه القصيدة :

نشيج باك حزين دمعته يكف	* اماح انت يا من ضمما الجدى
يكاد منها حجاب الصدر ينكشف	وزفرة من صميم القلب مبعثها
لربها انه ذو غلة أسف	اثابت بن سنان دعوة شهدت
تشفي العليل اذا ما شفه الدنف	ما بال عليك ما يشفي وكنت به
وكنت ذائدا والروح تختطف	غالتك غول المنايا فاستكنت لها
الدين والعقل والعلياء والشرف	شوى بمغناك لحد ^{في} سكنت به
مهذا جسمه من نعمة ترف	لهفي عليك كريما في عشيرته
فيها التراب فمنها الفرش واللحف ^(١)	قد اسلموه الى غرباء يشمله

الحكمة :

للصابي بعض الابيات في الحكمة مستقلة على شكل مقطوعات ، او متفرقة داخل
قصائد اخرى . ويمكن تسمية هذه الابيات بالخواطر وذلك انها تهيأت للشاعر

(١) معجم الادباء ، ج ٧ ، ص ١٤٣ - ١٤٥ .

نتيجة تجاربه وتأملاته في الحياة، ينقصها العمق الانساني والشمولية، فهي وان كانت تأملات عامة، انما صاغها واقع عانى منه الشاعر . من ذلك نظرته الى ان افضل الموت اسرعه لان الانسان كلما طال عمره اتيح له التعرض للمزيد من الروعات، لذا يجب الا يفتبط بالعيش الذي يصاحبه الخوف ثم ينتهي بالوفاة .

يقول : (١)

فأروحه الاوحى الذى هو اسرع	" اذا لم يكن بد من الموت للقتى
بصاحبه روعات ما يتوقع	وما طال عمر قط الا تطاولت
فحصوله خوف وعقباه مصرع "	فكن عرضا بالعيش لا تفتبط به
	ومن حكمه قوله في احدى المقطوعات :
وليس يرجى النقاء اللب والذهب " (٣)	" الضب والنون (٢) قد يرجى التقاؤهما
او قوله ان الدهر يقدم الخير والشر والانسان معرض للحاليتين : لكسب ما يرجوه او ما يخشاه	فيجب الا يياس من صفاء الدهر وهنائه :
من الدهر ان تصفو عليك مشاربه	" الا ايها الانسان لا تك آيسا
وحتما من الخير الهني عواقبسه	فان له حتما من الشر واجبسا
فأولى بك الحتم الذى انت طالبه	وان تلق من حتميه ما كنت تبتغي
لكسبك ما تخشى وانت مجانبه " (٤)	ستكسب ما ترجوه ولو كنت كارها

(١) اليتيمة، ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٢) النون : الحوت . والجمع انواع ونينان . واصله نونان قلبت الواو يا . لكسرة النون . (اللسان ، مادة : نون) .

(٣) اليتيمة، ج ٢ ص ٢٩١ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

هذه الحكم جميعها شديدة الالتصاق بحياة الصابي الذي كان يتمنى الموت السريع
لنفسه فلا يعيش اكثر ويرى المزيد من النوائب ، وكان هو الذي يشكو الفقر فيما هو غني
بالادب والعلم ، وهو الذي قدم الدهر له الخير والشر وتقلبت به الايام بين سعادة وشقاء .
من هنا نفسر صبغة التشاؤم التي تسيطر على حكمه المكتوبة في السجن ويتحدث فيها
عن الموت والفقر ، فيما قد تخلو حكمه الاخرى من هذه الصبغة ان تجده يدعو الى
الامل بالناحية الايجابية في الحياة ، والى عدم الخوف من الاقدام والسعي والاجتهاد :

رما وقيت عنه	" اتهاب في العزمات ظنا
ايقتان لا بد منه	وامامك الموت الذي
كابى الزناد فلا تكنه	هذى سبيل الخائب ال
كن كم سعيد لم يخنه	الدهر خوان ولـ
ز بالتصون لم يمنه	وشقى جيد قد تحرر
ون ومرة لك فأتنه	فاحذر مرارا ان يخـ
ب نسي المطالب وامتنه	واستبسر حظك بالتقلـ
ت وشقى برىك واستعنه (١)	وابسط رجاء قد قبض

اذا ، خبرة الصابي بالايام جعلته يؤمن بعدم الاغتيال بالخيمر خوفا من الشر
الذي سيعقبه وعدم اليأس امام النوائب فالفرج لا بد آت . اما خبرته بالناس فقد
جعلته يبحث فيهم عما وراء الاقوال والكلمات والاوجه :

" لا تراعى المقال من السن الناس وراع القلوب ما اذا تقول " (١)

الشكوى :

الظروف الصعبة التي مر بها الصابي من نكبة وسجن خلقت لديه ميلا الى
الشكوى يعبر بها عن شعوره بالظلم والخبث فنشرت المقطوعات الشعرية التي يشكو
بها مما اصابه ان اجتمع عليه ظلم الحكام وتمثل في سجنه وتكبته وفقره وظلم الايام وظهر
في مرضه وعجزه . وقد افادتنا شكاوى الصابي كثيرا في دراسة حياته وتقلب الايام
به ومعرفة شخصيته وتطلعاته . على ان الميل الى الشكوى لم يكن فقط في مقطوعاته الشعرية
وانما في الكثير من المقطوعات الثرية التي حفظتها المصادر والتي طبعت كتاباته
الشخصية من نشر وشعر بطابع من الحزن وعدم الاستقرار . مترجحا بين اليأس والامل .
فكانت مقطوعاته التي تحمل شكواه من اصدق شعره واقربه الى نفسه .

من شعره ما يشكو به النكبات وليلاحظ التارجح بين اليأس والامل في المقطوعتين الاوليين

يقول (٢) :

" اخرج من نكبة وادخل في

اخري فنحسي بهن متصل

كانها سنة مؤكدة

لا يد من ان قيمها الدول

فالعشر مر كأنه صبر

والموت حلو كأنه غسل "

(١) هلال بن المحسن ، غرر البلاغة ، ص ٣٤١ .

(٢) اليثيمة ، ج ٢ ، ص ٢١٢ والعباسي ، معاهد التنصير ، ج ٢ ، ص ٧٥ - ٧٦ .

ويقول في مقطوعة اخرى (١):

" تلوح نواجذى والكأس شربي

ف فوق السرلي جهر ضحوك

سأثبت اذ يصادمني زمانسي

وارقب ما تجي* به الليالسي

واشربها كأنني مستطيب

وتحت الجهر لي سر كئيب

بركنيه كما ثبت النجيب

ففي اثنائه الفرج القريب" (٢)

ويقول في الحظ الذي خانته في مشييه (٣):

" عجباً لحظي اذ اراه مصالحسي

امن الغواني كان حتى ملنسي (٤)

امع التضضع ملني متجنبسا

يا ليت صوته السي تأخرت

عصر الشباب، وفي المشيب مغاضبي

شيخا وكان على صباي مصاحبسي؟ (٥)

ومع الترعرع كان غير مجانبسي

حتى تكون ذخيرة لعواقبي "

ويقول شاكيا المرض والعجز في اواخر ايامه (٦):

" قد كنت اخطو فصرت امطو

خاننت عهدى يدي ورجلسي

وزاد ضعفي فصرت اعطو

فليس خطو وليس خط

(١) اليتيمة، ج ٤٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٢ ومعاهد التنصيص، ج ٤٢ ص ٧٣.

(٢) في معاهد التنصيص: " فرج قريب ".

(٣) اليتيمة، ج ٤٢ ص ٢٤٣ ومعجم الادباء، ج ٤٢ ص ٢٨ - ٢٩ ومعاهد التنصيص، ج ٤٢ ص ٦٢.

(٤) في معجم الادباء، ج ٤٢ ص ٢٨ ومعاهد التنصيص: " خانسي ".

(٥) في معاهد التنصيص: " لدى الشبيبة صاحبي ".

(٦) رسائل الصابي والرضي، ص ٩٦ - ٩٧.

كل على كل من يليني
وسوف افضسي السى اوان
فللمنايا السى قـرب
اشال كالثقل او احط
على منه الحمام يسطو
وللأماني نوى تشط*

الاستعطاف :

ويلحق بشعر الصابي في الشكوى شعره في الاستعطاف والعتاب من حيث ذكر همومه
واشجانته لآحد اصدقائه او ثقائه ، او لآحد اولياء الامور ، طلبيا للمساعدة او عتابا
لمن لم يلتفت اليه ابا ن محتته ، ويتميز هذا النوع غالبيا بغلبة الشعور بالانسحاق
خاصة امام ولي الامر الذى ينتظر منه المساعدة او الصفح والغفران . فقد كتب
عندما سجنه عضد الدولة السى عبد العزيز بن يوسف وزيره قصيدة مطلعها :

" كفاني علاء حين افخر انسي
ومنها : " عمتم جميع الناس حسنا لمحسن
فما يبال ابراهيم اذ ليس قبله
مجليهم فسى حلبة حين ارسلا
وما لك يا عيني البصيرة غمضت
وكيف استطببت العيش في ظل نعمة
اضاف السى عبد العزيز وانسب
وعفوا لذى جرم فنيشوا واخصبوا
ولسى عراقي غدا وهو مجذب
وسكيتهم في رتبة حين رتبوا
جفونك عني حين ابكي وانسب
غلامك عنها بالعراء يمسذب؟" (١)

(١) اليتيمة ج ٢ ص ٢١٠ .

وكتب الي عضد الدولة من السجن مستعظفا من قصيدة :

" وجسك لي جاء عريض ورفعة
وقيدك في ساقى تاج لفرقى
وما موثق لم تطرحه بموثق
ولا مطلق لم تصطنعه بمطلق
خلا ان اعواما كلن ثلاثة
تعرفت (١) البقيا اشد تعرق
خدمتك مذ عشرون عاما موقفا
فهب لسي يوما واحدا لم اوفق
فان يك ذنب ضاق عندي عذره
فعندك عفو واسع غير ضيق" (٢)

وكتب اليه ايضا من السجن وقد خرج الى الزيارة بالكوفة قصيدة مطلعها :

" توجهت نحو المشهد العلم الفرد
على اليمن والتوفيق والطائر السعد
ومنها : " اذا ابصرت عيناي خدا معفرا
لديك نقلت التراب منه الى خدي
واذا سمعت اذناى عنك محدثا
لهجست بتكرير الحديث الذي بيدي
فذكراك جهري حين يطرق زائري
ونجواك سرى حين اخلو بها وحدي
فلا تبعد نبي عنك من اجل عشرة
فان جياذ الخيل تعشر ان تخدي
ومن زل يوما زللة فاستقالها
فذاك حقيق بالهداية والرشد" (٣)

هذه الشواهد تظهر الصابي في حلة من الذل والمسكنة امام اوليائه، وكان كل

ما يريد، هو الخلاص من سجنه بأية طريقة كانت، ولو بالتعلق وارقة ماء الوجه، فالشكوى

عنده مصحوبة بالمدح دائما كما يلاحظ، فهو لا يجروء على الشكوى الا بعد ان يمدح، مستمدا

معاني المدح من المهانة التي هو فيها، كما في عد سجن عضد الدولة له رفعة وجاها، وقيد، في

(١) عرق العظم يعرقه عرقا وتعرقه واعترقه : اكل ما عليه . اللسان، مادة : عرق .

(٢) معجم الادبا، ج ٤٢ ص ٤٦ - ٤٢ .

(٣) التنبية، ج ٢ ص ٢٩٥ .

قدمه تاجا يزين رأسه .

التهنئة والاهداة :

يقرب هذا النوع من المديح لتضمنه اياه، وللصابي عدة قصائد قصيرة ومقطوعات في التهنئة والاهداة، اذ ان مركزه في الدولة وقربه من الملوك والامراء، جعله ينتهز الفرص التي تهيء له الحظوة لديهم، وكانت الاعياد خير موسم لذلك يهدي فيها الصابي اولياءه، الاشعار والمدائح مرفقة احيانا بشيء من تاجه كاصطرلاب او زيج او رسالة في احد العلوم كالهندسة وعلم النجوم، وغير ذلك . وقد تميز شعره هذا وشعر المديح عن بقية شعره بحسن الاخراج وفخامة اللفظ، وذلك انه سواجه بسه الامراء والكبراء وان كانت لا تخلو، كعامية شعره، من التبسط والسهولة التي تقر بها من النثر، يقول الصابي مهنثا المهلبى بعيد الفطر :

ووقيت ما تخشاه من نوب الدهر	" اسيدنا هنتت نعماك بالفطر
ووفاك مكتوب المثوبة والاجر	مضى الصوم قد وفيتته حق نسيه
من الله فيما ترتجيه على ذكر	كلفت بذكر الله فيه فلا تنزل
وصبرا على طول القراءة للفجر	هجرت هجود الليل فيه تهجدا
لناجتك لفظا بالدعاء والشكر (١)	فلو نطقت ايامنا باعتقادها

وقوله (١): " يا سيدا اضحى الزما
ن بأسره (٢) منه ربيعا
ايام دهرك لم تنزل
لناس اعيادا جميعا
حتى لاوشك بينها
عند (٣) الحقيقة ان يضيحا
فأسلم لنا ما اشرفت
شمس على افسق طلوعا
واسعد بعيسد ما يزا
ل اليك معتقدا رجسوعا "

وكتب الى صمصام الدولة مع اصطرلاب اهداء (٤)

" بعز علي ان اهدى نحاسا
الى من فيغز راحتته نضار
ولكن الزمان اجتاح حالي
وانت عليه لي ان جار جار "

ويلاحظ في هذا المقطع انه يستدل بالاهداء والمدح وسيلة للسؤال .

وكتب الى عضد الدولة (٥) في يوم مهرجان مع اصطرلاب اهداء اليه (٦):

(١) اليتيمة ج ٤٢ ص ٢٧٨ وابن حمدون، التذكرة (مخطوط برلين، ١١٨٨) الورقة ١٤٧ ب
ومعجم الادب ج ٤٢ ص ٨٢ .

(٢) في ابن حمدون، التذكرة (برلين) : " بانسه " .

(٣) في المصدر نفسه ومعجم الادب : " عيد " .

(٤) اليتيمة ج ٤٢ ص ٢٨٢ .

(٥) بنقل ياقوت (معجم الادب ج ٤٢ ص ٣٤) عن المحسن بن ابي اسحاق ان الابيات قبلت

في عضد الدولة وعن كتاب الوزراء لهلال بن المحسن انها في المظهر .

(٦) اليتيمة ج ٤٢ ص ٢٧٩ و الحصري زهرة الآداب ج ٤٢ ص ٩٣ وابن عبد البر بهجة المجالس (تحقيق

محمد مرسي الخولي، القاهرة، دار الكاتب العربي ١٩٦٧ - ١٩٦٦) ج ٥١ ص ٢٧٨ - ٢٨٨ والرغب
الاصفهاني محاضرات الادب ج ٥١ ص ١١٧ (البيت الاخير فقط) و معجم الادب ج ٤٢ ص ٣٤

و وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٩٣ و معاهد التنصير ج ٤٢ ص ٧٣ - ٧٤ .

" اهدى اليك بنمو الآمال^(١) واحتفلوا (٢) في مهرجان جديد (٣) أنت مبلية (٤)

لكن عبدك ابراهيم حيم — رأى علو (٥) قدرك عن شي يدانيه (٦)

لم يرضى بالارض مهداة (٧) اليك فقد اهدى لك الفلك الاعلى بما فيه (٨)

تتميز هذه المقطوعة بطرافة المعنى حين عبر عن الاضطراب بالفلك لانه يمثلعه ، كما ان فيها اثرا للفكر اليوناني في دلالة الجزئيات على الكليات والصابي من المتكئين بالفلسفة اليونانية .

المدح :

مدح الصابي بشعره كما مدح بنثره ، ومدحوه كثر منهم : الملوك البويهيون كعضد

الدولة وصمامها ، والوزراء كالمهلبى والماحب والمطهر ، والكبراء كالشريف الرضي ، والاصدقاء من الشعراء والكتاب كابى الفرغ البغدادى وغيره .

ويتبين مما لدينا من شعر للصابي في المدح انه لم يكن لمدوح معين اثر على شعره ، بمعنى

انه لم يقصر مدحه على شخص معين وجد فيه المناقب العظيمة التي تستحوذ على تفكيره

(١) في الحصرى ، زهر الآداب و ابن عبد البر ، بهجة المجالس ومعجم الادباء : " الحاجات " . وفي

العباسى ، معاهد التنصيص : " الاموال " .

(٢) في زهر الآداب وبهجة المجالس : " احتشدا " وفي معجم الادباء و معاهد التنصيص : " اختلفوا " .

(٣) في بهجة المجالس ومعجم الادباء : " عظيم " .

(٤) في زهر الآداب وبهجة المجالس : " تعليه " وفي وقيات الاعيان : " معلبه " .

(٥) في زهر الآداب وبهجة المجالس : " سمو " .

(٦) في زهر الآداب وبهجة المجالس : " بساميه " وفي معجم الادباء : " لاشي بساميه " .

(٧) في بهجة المجالس والراغب الاصفهاني ، محاضرات الادباء و معجم الادباء : " يهديها " .

(٨) في محاضرات الادباء : " وما فيه " .

وتجذب شخصيته اليه ، كما اجتذب سيف الدولة المتنبى مثلاً . ومن هنا افتقدت قصائده المدحية قوة العاطفة وجيشانها ، فكان يمدح كلاباً يتصف به عامة وما كان ينبغي منه ويريد التركيز عليه ، كتركيزه على مدح الصاحب بالكرام لأنه عرف بعظائمه للادبائه وكان رافده الأول بالمال ، ومدح عضد الدولة واصفاً اياه بالحزم والعدل في السياسة لأنه كان بالفعل حازماً وكان يرجو منه العفو عنه في الوقت ذاته ، ومدح الشريف الرضي بشرف النسب وحسن المناقب ، لأن هذه صفاته الفعلية ثم ليعزز لديه الحق في الخلافة الذي كان يؤمن به ويسعى اليه . ونقدم بعض النماذج من مدائحه :

قال من قصيدة في عضد الدولة عند مقدمه من الزيارة

في الكوفة (١) :

لأجل ذي قدم يلاذ بنعلها	" اهلاً بأشرف أوبة وأجلها
زيدت به في قدرها ومحلها	شاهان شاه تاج ملتته التي
في دولة علقته بداه بحبلها	يا خير من زهت المنابر باسمه
هيهات لا تأتي الملوك بمثلها	واقمت فينا سيرة عضدية
ويعيش بر صالح في فضلها	يردى غوى فاجر في بأسها
تعيها مناكب يذبل عن حملها	مولاي عبدك خالف لك حلفة
لا استطيع أقلها من ثقلها	لقد انتهى شوقني اليك الس التي

(١) معجم الادبائه ، ج ٢ ، ص ٤٢ - ٤٤ .

طوى لعيّن ابصرتك ومن لها

بنفسار دارك جازيا عن كحلها

لو بعثني بجميع عمري لفظة

او لحظة بالطرف لم استنلها *

وكتب الى الشريف الرضي قبل وفاته باثني عشر يوما (١):

* ابا كل شي * قيل في وصفه حسن

الى ذاك بنحو من كناك ابا الحسن

فوجدها للاختصار اشارة

الى جملة تفصيلها لك مرتها

وما هي الا كنية لك ارثها

وان مسها من غير اربابها السدرن

الست لها بعد الوصي وآله

وانتم اناس فيكم المجد قد قطن

يجاذبكم عليها كل حاسد

به مرض بين الحيازم (٢) قد كمن

فيجري الى غاياتكم طالبا لها

على غير منهاج وانتم على السنن

توقلتم في كل دضية سود

فاوفيت واستعليت منها على القنن

غدوا لك كالايعاضا ان انت كلهم

كمالا عجيبا مثله قط لم يكن

وان غبت عنهم ظاعنا بان فقرهم

الى الواحد الفذ الذي عنهم ظعن

واما يياريك المباري بهيشة

وزى وملبوس على جسمه حسن

ففي درعك الانسان تمت صفاته

وجمت معاليه وفي درعه الوثمن *

(١) رسائل العائبي والرضي، ص ٢٧ - ٣٠ والبتيمة، ج ٢، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٢) في رسائل العائبي والرضي، ص ٢٨ : " فوق الحيازيم " .

الهجاء :

للصابي بعض المقطوعات في الهجاء ، منها ما هو هجاء مقذع يشتمل على الفاظ نابية قبيحة ، (١) ومنها ما هو منسرق في الفحش والاذاع بما فيه من الفاظ المجون والمقادر (٢) ، ومنها عادي يطال النقائص الخفية . من امثلته :

يا جامعا لخلال	قبيحة ليس تحصي
نقصت من كل فضل	فقد تكاملت نقصا
لو ان للجهل شخصا	لكنت للجهل شخصا * (٣)

وقال في انسان شريف الاصل وضيع النفس :

قل للشريف المنتمي	للنمر من سرواته
وهو الوضيع بنفسه	وعيوبه وهناته
والظاهر السوءات في	اخلاقه وصفاته
لا تجري من الفخا	ر الى مدى لم تأته
ان الشريف النفس لبيد	ست تلك من فعالاته
واحق من كسوته	بالصنع من درجاته

(١) انظر شواهد على ذلك في البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ و ٢٨٨ .

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٨ و الزمخشري ، ربيع الابرار (تحقيق سليم النعيمي ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٨٠) ج ٣ ، ص ٦٠١ - ٦٠٣ و معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٨٤ و ٨٥ .

و ٨٨ و ٨٩ .
(٣) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

من مجده من غيره وسفاله من ذاته * (١)

ومن الغريب ان نجد للمصابي ثلاثة ابيات في ذم الدولة وهو المعروف بالحدرد لشدة
ما اصابه من نكبات على ايدي رجالها ، ولا ندرى في اي زمن او مناسبة قيلت :

* الا اقل لأهل الدولة السندلة التي ثوى دارها فينا وأعيادها هيا

لقد كبست الدنيا على ام وجهها فنحن لها ارض واتم سماؤها
فلا تفرحوا بالحظ منها فانه قليل على هذا الحال بقاؤها * (٢)

الفخر :

للمصابي في هذا النوع قصيدتان ومقطعان قصيران . يرد في احدى القصائد
على من يعيره بالحبس وفي الثانية يبين مقامه من السلطان وبالتالي مقام كل كاتب
ماحب ديوان . وتتميز هذه القصيدة بقوة المعاني وجمالها وحسن التأليف . يقول (٣) :

* وقد علم السلطان اني لسانه (٤) وكاتبه الكافي السديد الموفق

اوازره فيما عرى وامسده برأني يربه الشمس والليل اغسق

يجدد بي نهج الهدى (٥) وهو دارس ويفتح بي باب النهى (٦) وهو مغلق

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ والعباسي ، معاهد التنصيص ، ج ٢ ، ص ٧٢ والابيات الثلاثة الاخيرة

في ابن حمدون ، التذكرة (٧٦٩) ، الورقة ١٤٨ أ .

(٤) في معاهد التنصيص : " امينه " .

(٥) في المصدر نفسه : " الملا " .

(٦) في المصدر نفسه : " الهدى " .

فيمنأى يمنأه ولفظي لفظه
ولي فقر تضحى الملوك فقيرة
ارد بها رأس الجموع فينثني
فان حاولت لطفاً فمأء مروق (١)

وعيني له عمن بها الدهر يروق
اليها لدى احداها حين تطرق
واجملها سوط الحرون فيعنتق
وان حاولت عنفا فنسارتألق

(١) في ابن حمدون، التذكرة (٧٦٩)، الورقة ١١٤٨ : "مروق".

قيمة شعر العاببي

أ - القيمة الفنية :

اعطينا خلال عرضنا لموضوعات شعر العاببي بعض مميزات كل نوع ويبقى ان نشير

الى بعض الخصائص العامة التي تميز شعره :

١ - الاسلوب النثري التقريرى : العاببي هو كاتب بالدرجة الاولى لا شاعر ، لذا كان الاسلوب النثري التقريرى المتصف بالوضوح والانكشاف هو الصفة الاساسية الغالبة على شعره ، مما يفقده الخيال الشعري الموحى ، وقوة الالفاظ وغزارتها المتمثلة بوجود المعنى الكثير في اللفظ القليل ، وهو نفسه ما عابيه الصابي على بعض الشعراء حين يقول :

* رب شعر اطاله طول معنا و وان قل لفظه حين يروى

وطويل فيه الكلام كثير فاذا ما استعدته كان لغوا

عرض البحر وهو ماء اجاج وقليل المياء تلقاه حلوا* (١)

فالصابي عندما يطرح فكرة معينة او معنى معيناً قلما يتترك لخيال القارىء او السامع مجالاً للانطلاق مع هذه الفكرة وتفهمها وتحليلها ، وانما يتبعها بالتوضيح والتبسيط حتى لا يبقى فيها معنى فيصبح شعره كلاماً عادياً يفقد صبغة الشعر ، وسنعطى بعض الشواهد على ذلك ، فقد كتب الى احد هم مع فنجان صفر :

(١) البتيمة ج ٢ ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

* نهدي النحاس الى مولى انامله
وكان يلزمننا لولا التعذر ان
لكن بعدى عن جدواه اصفرني
وسوف اظفر من اخلاط نائله
فليسط الآن عذرا لست اسأله
فقد جرى الماء في عودى بدولته
واقبلت نحوى الآمال آتية
تهدى النضار الى العافين متهبيا
يكون اهدا لنا من عينها وهبا
من كل خير فصار الصرلي نشبا
بالكيمياء فيضحى صفرنا ذهبيا
في قابل ان نل من خدمة سببا
وكان من قبله مستيما حطبا
من بعد ما ازمنت من ساحتى هربا * (١)

فاشارته الى ان بعده عن عطايه افقره كان يغنيه عن ذكر البيت من الذين يليان هذه
الاشارة كما ان ذكر اتعاشه بدولته كان كافيا دون البيت الاخير . ومن ذلك ايضا
ما كتبه لعهد الدولة مهنيا بعيد الفطر :

* لم اطول في دعوتى لمليك
بل تلفت باختصار محيط
فهى مثل الحروف من عدد الهند
د قليل قد انطوت فيه كثره * (٢)

وهنا يقول انه لم يطول ثم يقول انه يختصر ثم يشبه هذه الدعوة بالهند في قلعة
عدد الاحرف والكثرة في معناه .

(١) البيهية ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٦ .

٢ - التكلف في المعاني • وذلك حين يقصد الاتيان بمعان جديدة لم يسبق اليها ،
فيقع في التكلف والبعد عن العفوية ، وقد رأينا شاهدا على ذلك في قصيدة غزلية
جمع فيها اسماء بعض الفرق الدينية الموجودة في عصره كالمسلمين والنصارى واليهود
والمجوس والصابئة • ونجد شاهدا آخر في محاولته تهنئة المطهرين عبد الله باليوم
الاجود :

ستنجحا بالطالع الاسعد	* نل المنى في يومك الاجود
الذي المعالي اشرف المصعد	وارق كمرقى زحل صاعدا
اذا اعتلى في برجه الابعد	وفخر كفيض المشتري بالندي
عاداك من ذي نخوة اميد	وزد على المريخ سطوا بمن
كاسفة للحدس الاسود	واطلع كما تطلع شمس الضحى
في عيشك المقتبل الارغد	وخذ من الزهرة افعالها
عطارد الكاتب ذا السود	وضاه بالاقلام في جريها
وافضله في بهجته وازدد (١) *	وباه بالمنظر بدر الدجى

ويلاحظ التكلف في تقريب كل فعل يفعله من افعال الافلاك والبروج وصفاتها •

٣ - اثر الفكر الصابي في المعاني : لقد كان لمعتقد الصابي الديني اثره في معاني شعره
من ناحيتين : الفكر الفلسفي الصابي وعلم النجوم • اما الناحية الاولى فتبدو
في تصويره الواضعا من الوحدة بين الاشياء او الاشخاص كما لاحظنا في

(١) اليتيمة هج ٢٤ ص ٢٨٣ •

غزله وخاصة المقطع الذي يصور اتحادها بالحببية ويقول فيه :

" اذا امتزجت انفاسنا بالتزامننا
توهمت ان الروح بالروح تمزج
كأنني وقد قبلتها بعد هجمة
ووجدى ما بين الجوانح يلعب
اضفت الى النفس التي بين اضلعي
بانفاسها نفسا الى الصدر تولج "

وقد تبين التفكير في الوحدة في كثير من المقاطع وقد اشرنا الى ذلك في حينه (١) .
واما الناحية الثانية وهي علم النجوم فقد برزت في استمداده الاضاف من الافلاك فاكثرت
من تشبيه وجه الحببية بالبدر ثم رأينا في تهنته للوزير المطهر باليوم الاجود في
الفقرة السابقة وقد وصفه بصفات الكواكب .

٤ - الاقتباس : لم يتورع ابو اسحاق عن اقتباس معان كثيرة سبقه اليها الشعراء البداءون
كأبي نواس والمنتبي وابن الرومي . وقد رأينا بعض الشواهد على اقتباسه من ابي نواس
في الخمر وابن الرومي في الرثاء ونعطي شاهدا على الاخذ من معاني المنتبي وذلك
حين يقول مادحا الشريف الرضي :

" وقد تستوى الاشخاص في عين من رأى
وتفترق الاعيان في فهم من فطن
ويبين وسيمات الوجوه تشابهه
فكن فاصلا بين التهيج والسمن " (٢)

وهي من قول المنتبي :

" اعيد لها نظرات منك صادقة
ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

(١) راجع ص ٢٩٩ .

(٢) رسائل الصابي والرضي ، ص ٢٨ والبيضة ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم * (١)
وقد تنبه بعض اصحاب المصادر القديمة كالشعالبي وياقوت وابن خلكان الى
اقتباس الصابي فكانوا يثيرون اليه في موضعه * من ذلك اشارة الشعالبي (٢)
الى ان بيت الصابي :

* وعاد اليك العيد حتى تله بأقصر يوم طاب في اطيب العمر *
مأخوذ من قول ابن الرومي :

* وليطل عمرك مسرو را بأيام قصار * (٣)
كما نبه ايضا (٤) وتبعه ياقوت (٥) ان قول الصابي في الشيب :

* ولولا انه ذل وهون لما احتكم المزين فيه تنفا *
مأخوذ من قول ابن الرومي (٦) :

* فكفك من ذلتي للشيب حين بدا (٧) اني توليت تنفي (٨) لحيثي بيدي *
ويرى ابن خلكان (٩) ان بيت الصابي عن غلامه رشد الاسود مكلما الابيض المستعلي

(١) ديوان المتنبي ٥ ج ٤٣ ص ٣٦٦ .

(٢) اليتيمة ٥ ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٩٨ .

(٥) معجم الادباء ٥ ج ٤٢ ص ٩٣ .

(٦) يقول الشعالبي انه من قول الاول دون تسمية .

(٧) في معجم الادباء ٥ ج ٤٢ ص ٩٣ .

(٨) في المصدر نفسه : " تنفا " .

(٩) وفيات الاعيان ٥ ج ٤١ ص ٥٣ .

عليه :

" ولوان مني فيه خالا زانه " ولوان منه في خالا شائني "

ينظر الى قول ابن الرومي من جملة ابيات في جاريته السوداء :

" وبعضها فضل السواد به " والحق ذو سلم وذو نفع

ان لا يعيب السواد حلكته " وقد يعاب البياض بالبهق " (١)

اذا ، كان العابي يستفيد مما جاء به الشعراء قبله وحتى انه كان يستفيد من بعض معاني

القرآن الكريم ، ان نراه ينقل معنى سورة الكوثر في بيت شعر ان يقول :

" صل يا ذا الملا لريك وانحر " كل ضد وشائني لك ابتسر " (٢)

وفي السورة * انا اعطيتك الكوثر * فصل لريك وانحر * ان شائك هو الابتسر * ويكون

الاقْتِباسُ لِدَيْهِ مَعْلَنَا اَحْيَانًا وَهُوَ مَا يَعْرِفُ بِالتَّضْمِينِ ، كقولهِ في عبد العزيز بن

يوسف :

" ابو القاسم عبد العزيز بن يوسف " عليه من العليا عين تراقبه

روي ورعى لما روى قول قائل " وشبح الفتى لؤم اذا جاع صاحبه " (٣)

او قوله في الفخر :

" معال لو الاعشى رآه ن لم يقل " ويات على النار الندى والمخلق " (٤)

(١) وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٣

(٢) اليتيمة ج ٢ ص ٢٧٩ ومعجم الادب ج ٢ ص ٨٢ والصفدي ، الوافي بالوفيات ج ٦ ص ١٦٢

(٣) اليتيمة ج ٢ ص ٢٧٥ ومعجم الادب ج ٢ ص ٨١

(٤) اليتيمة ج ٢ ص ٢٧٢ وابن حمدون ، التذكرة (٧٦١) ، الورقة ١١٤٨ والعباسي ، معاهد التنصيص ،

ج ٢ ص ٧٢ وفيه : " الندى والمخلق " .

٥ - الموقف الوصفي من الموضوع : ربما لان الصابي لم يكن شاعرا يعيثر في شعره ، لم يتحد بالموضوع الذي يكتب عنه او يقترن به . من هنا خلت قصائد ، اجمالا من التجربة الشعرية الصادقة ، ومن العاطفة والخيال العفويين ، وبدا الشعر لديه مناعة تفترضها المناسبات كمدح فلان او هجو غيره ، او وصف هذا الشيء ، او ذاك ، فيكتب بما اصطلح على الكتابة به في الموضوع الواحد . كتشبيه الحبية بالبدر والاسنان بالبرد والخمر بالعدرا ، ومجلس الاسر بالمعركة وغير ذلك .

ولا بد من التذكير بان الصابي كان يعد الشعراء نبي موضوعا واسلوبا من الغنم (١) ، ولم يعتبره تجربة حية تعاش ، وهذا يفسر لنا بعض الشيء غرته عن موضوعاته في كثير من الاحيان ووصفها بما السف وعرف ، او محاولة تشبيهها بما يقرب منها من اوصاف حية .

٦ - الالفاظ : يتميز شعر الصابي عامة بالرقعة في اللفظ والعدوية وهذا من مييزات لغة العصر ، والصابي الذي عاش في بغداد المركز الحضاري الاول في البلاد الاسلامية آنذاك ، بما عرف فيها من الترف المادي والفكرى ، كان رقيق الطبع ، رقيق اللفظ وخاصة في انواع شعره التي تعبر عن مظاهر حضارية كالوصف والنزل والخمر والتهنئة والاهداء . فنحن قلما نقف في شعر الصابي على الفاظ بدوية او معان بدوية لذا يمكن القول ان شعر الصابي ابن عصره معنى واسلوبا ، اذ عبر عما فيه من موضوعات ومعان بروح عصرية مثقفة ورقيقة .

(١) انظر رسالته في الفرق بين المترسل والشاعر ابن حمدون ، التذكرة (٧٧٠) ، الورقة ٧٧ ب -

ب - قيمة شعره في الدلالة على حياته وشخصيته :

الكثير من شعر الصابي في مختلف الموضوعات ذات أهمية كبيرة في دراسة حياته وشخصيته فقد رأينا خلال دراسة حياته في الفصل الاول وجود نواح عديدة اغفلت المصادر ذكرها او التفصيل فيها فكانت مقطوعاته الشعرية كما الثرية خير مساعد لنا في تميم هذا النقص ان لم يكن بشكك كامل فالى الحد الذي يزيل الغموض وتوضح معه المعالم الرئيسية . وما يفيد الشعر وتعجز عنه المصادر الادبية او التاريخية هو صدقه اولا ، ان الشاعر يكتب عن نفسه بنفسه ثم انه يبين لنا الاحداث وانعكاسها على نفسيته في الوقت ذاته مما يساعد على معرفة المزيد من ملامح شخصيته .

ج - القيمة الادبية والاجتماعية :

في شعر الصابي ظواهر ادبية واجتماعية شاعت في القرن الرابع الهجري

منها :

١ - اكيار البلاغة واصحابها : يبرز من ضمن المناقب التي يوصف بها الوزراء والشعراء الفصاحة والبيان وتفصل مواطن الجمال فيها . ويبدو هذا في شعر الصابي خاصة في مدحه للوزير المهلبى والشريف الرضى وابي الفرج البيناء وغيرهم . وكذلك في قصيدته التي يفخر فيها بكونه كاتباً

للسلطان يقول الصابي في المهلبى (١) :

" واذا استنطق الانامل جادت

ببيان كالجواهر المنضود

في سطورك انما نشرت يد

ناه منها عما ثابا من برود

فقر لم ينزل فقيرا اليها (٢)

كل مبدى بلاغة (٣) ومعيد

ببيان شاف ولفظ مصيب

واختصار كاف ومعنى سيد

ويقول فيه ايضا (٤) :

" لك في المحافل (٥) منطق يشفي الجوى

ويسوغ في اذن الاديب سلاقه

فكان لفظك لؤلؤ (٦) متنخل

وكأنا آذاننا اصدافه "

وقال في الشريف الرضى :

" تدافع عن احسابهم بمهندى

لسان وسيف ذهبها عنهم الفتن (٧)

وكتب الى ابي الفرج البهاء :

" ابا الفرج استحققت نعتا لأجله

تسميت من بين الخلائق ببها

بياننا منيرا كاللجين مضمنا

نضارا من المعنى اذ يبا وانرغا

(١) اليتيمة، ج ٢ ص ٢٧٣ والبيتان الاخيران في ابن حمدون التذكرة (٧٦٩)، الورقة ١١٤٨ .

(٢) في التذكرة الحمدونية : " اليها فقيرا " .

(٣) في المصدر نفسه : " فصاحة " .

(٤) اليتيمة، ج ٢ ص ٢٧٣ والحصرى زهرا الآداب، ج ١ ص ٢٥ او العباسي معاهد التنصيص،

ج ٢ ص ٧٣ .

(٥) في زهرا الآداب : " المجالس " .

(٦) في المصدر نفسه : " جواهر " .

(٧) رسائل الصابي والرضي، ص ٢٩ .

اليك فأى الناس خالفني طغى" (١)

إذا أنا سلمت البلاغة طامعا

٢ - التواضع والتزلف للوزراء والكبراء : ان اعتماد الكتاب والادباء على الوزراء والكبراء في

عيشهم وخوفهم الدائم من النكبات يجعلهم يتزلفون ويتواضعون أهولا ويعفرون

امامهم الجباه ارضا لهم واكتسابا لعظائمهم وابعادا لمخطئهم وغضبهم • ويبدو

هذا التذلل في الكثير مما كتبه العاصي للكبراء • كقوله للمهلبسي :

ت رئيسا منذ ندني في العبيد" (٢)

"وتعلقت بالرئيس الذي صر

وقوله لعضد الدولة :

لاجل ذى قدم يلاذ ينعلها

"اهلا باشرف اوية واجلها

يشفاها من كهلها او طفلها

فرشت لك الترب التي باشرتها

وضعت لرجلك قبلة من قبلها

لم تخط منها خطوة الا وقد

منها اليك فعزها في ذلها" (٣)

واذا تذلت الرقاب تقريبا

وقوله للوزير سابور بن اردشير في جواب على كتاب وصله منه متضمنا صلة :

وعفرت قدام الرسول به خدى

فقبلت اجلالا له الارض ساجدا

بما في من شكر عليه ومن حمد" (٤)

وقابلت ما فيه من الطول والندى

(١) البيهقي ج ١ ص ٢٥٥ •

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٧٣ •

(٣) المصدر نفسه ص ٢٧٤ • والبيت الاول في معجم الادباء ج ٢ ص ٤٢ •

(٤) معجم الادباء ج ٢ ص ٧٢ - ٧٣ •

ثم ان من محاولات كسب رضا الكبراء اهداءهم الهدايا في المناسبات مرفقة بالمدائح والتهاني .
هذه الهدايا رمزية علمية ، اذ ان الامير او الوزير بغنى عن القيمة المادية للهدية
فالهدايا المادية هي ما ينتظره الاديب منه ، اما هدية الاديب او العالم فشيء من
نتاجه الادبي او العلمي .

٣ - وضع كتاب الدواوين في هذا العصر : شعر الصابي حول سجنه ونكبته وفقره ،
واستعطافه الامراء للعفو عنه او مساعدته يصور حالة فردية تعكس ظاهرة عامة
يتعرض لها الكتاب في القرن الرابع الهجري حيث ان حياة الكاتب على شيء كثير من
عدم الاستقرار والتعرض للكبتات والمعادرات والسجون .

٤ - استقصاء الموضوعات الوصفية : برز لدى شعراء هذا العصر ميل الى الوصف حيث
كانوا يبحثون عن الموضوعات الوصفية لبتاروا في وصفها ويشحنوا ذهنهم في الكتابة عنها
وتنميق الكلام . من هنا اخذت بعض الموضوعات تشكل اغراضا لقصائد او مقطوعات
وصفية . من ذلك : الشمعة والورد وحق الطيب والمدخنة والنافجة وتفيد مقطوعات
الصابي الوصفية هذه ، في تبيين صفة هذه الادوات التي كان بعضها يستعمل في المجالس
والتي كانت على قدر من الزينة والجمال بحيث يكون وصفها موضوعا للكتابة الشعرية .
من ذلك قوله في الغالية :

قد استعارت لباس قمار

* غالبية تنتمي لحمام

من سنة البدر مستعار

في قدح ينتمي لسام

قد اولج الليل في النهار * (١)

جامع ما بين ذا وهذا

وقوله في الشمعة :

تهدى الركاب وجنح الليل معتكر

* ولا دليل سوى هيفاء مخطفة

اعلاه يا قوتة صفراء تستمـر * (٢)

غصن من الذهب الابرز اثمر في

٥ - استعمال الالفاظ النابية : وخاصة في الهجاء ، فحتى الصابي مع ما كان عليه من

مركز اجتماعي وادبي كبير ، وما عرف به من التحرج وحسن الاخلاق لم يتسورع من استعمال

اقبح الالفاظ الماجنة في هجائه .

٦ - شعور الغزل الغلmani : وهذه ظاهرة ادبية واجتماعية اخرى حيث يعلن الغزل الغلmani

دون تحرج او استحياء ، فالصابي قد تنزل بخلام له اسمه رشد وكتب فيه " المعاني البديعة "

على حد قول ابن خلكان (٣) .

٧ - الاحتفالات والاعياد : قصائد الصابي في وصف مجالس الخمر تدل على ما كان يسدور

في هذه المجالس من وجود الندامى والمخمين ، واصناف المآكل والمشارب والنقل .

ويبدو ان امثال هذه المجالس كانت تعقد حتى في الاعياد الدينية . ففي قصيدة للصابي

في تهنئة المهلبى بعيد الفطر يقول :

ومثلك من احيا لنا سنة الفطر

" وللفطر رسم للسرور وسنة

(١) البيتية ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ وابن حمدون ، التذكرة (٧٦٩) ، الورقة ١١٥٥ .

(٣) وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٢ .

ولا يبد فيه من سماع وقهوة
نواصل قصفا بين يوم وليلة
ويقول مثل هذا في المطهر بن عبد الله :
" قضيت شهر الصوم بالنسك الذي
هو منك معروف له معهود
اكثرت فيه من تهجد خاشع
ما يطمئن بمقلتيه هجود
فاشرب واسق عصاية قد مسها
عطش وجهد في الصيام جهيد
ارويتها جودا فرو حشا شها
راحا فمك الجود والناجود " (٢)

فيبدو بالفعل ان شهر رمضان كان ثقيلاً لدى كتاب القرن الرابع الهجري (٣) فلا يكاد يمضي حتى يعودون الى ما الفوه من مجون وخمر .

ولم تكن الاعياد الدينية وحدها المعتبرة ، وانما لاحظنا من قضا قد التهنئة ان الامراء جروا على الاحتفال بالاعياد الفارسية ايضا كالنيسروز والمهرجان .
انما شعر الصابي غني بالدلالة على الحياة الادبية والاجتماعية في عصره وخاصة على الطبقة المترفة منه التي تحتفل بالاعياد ، وهو يقربنا من فئة الكتاب الذين يعانون الكثير ويتقلبون بين سعادة وشقاء ، وغنى وفقير . اما من الناحية الادبية ، فهو نموذج من

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٨ .

(٣) مبارك ، النثر الفني ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

ادب هذا العصر، حيث كثر الجامعون بين الكتابة والشعر، فهو لا يثقل ناحية
ابداعية معينة إنما هو بمجمله شعر وصفي خير ما فيسه تمثيله
للحياة العباسية في عصره، فهو لا يخرج عن صفات العصر
ان بمعانيه او بالفاظه واساليبه .

خاتمة

يبدو لنا أخيراً ان دراسة حياة ابي اسحاق الصابي لم تكن بالمهمة السهلة ،
فمع بذل الجهد في البحث في المصادر بقيت بضع نقاط غامضة فيها وعدة علامات استفهام
حولها ، والمشير للمصوف والشاك هو الناحية السياسية من حياته فلا نعلم حقاً ان كان
ابو اسحاق بربطاً مثالوما فيما تعرض له من محن ام انه كان ضالعا في مؤامرات سياسية
وقد عرضنا لهذه السألة في حينه من عدة نواح واشرنا الى عدة احتمالات ممكنة . وقد
تظهر هذه الحقائق يوماً ما مع انتشار مادة جديدة من المعلومات المختزنة في
رسائل الصابي المخطوطة او سواها من المصادر .

اما ابو اسحاق الكاتب ، فأبرز ما يميز كتابته ، بالإضافة الى البلاغة العالية والصناعة
الليقة ، هو هذا الفكر المنطقي الدقيق والثقافة الواسعة اللذان يجعلانه متحكماً في
مادته رابطاً بين اجزاء رسالته ، التي غالباً ما تكون طويلة ، ربطاً محكماً فلا يمكن
للقارئ ان يجد ثغرة ينفذ منها الى نقض ما يقوله او الاشارة الى نقص فيها . يلاحظ
ايضاً حسن تمثيل الصابي للفكر الاسلامي حيث يظهر في رسالته التصور الاسلامي الصحيح
لنظام الحكم وللحاكم العادل ويبدو الارتباط الوثيق بين الدين والسياسة في الاسلام حيث
تصبح الامارة ركيزة للخلافة والخلافة استمرار الرسالة النبوية الالهية المصدر .

اما اثر الفكر العائشي القريب من الفلسفة اليونانية فهو موجود وان كان بعيد
الملصح ، فقد اشرنا من قبل الى ان الثنائية في الرسائل هي احدى دلالاته ، نضيف هنا
التقية التي هي من اصول الفكر العائشي واليوناني الافلاطوني ايضاً ، وربما هي التي

مكتابا اسحاق من طمس معتقد الصابئة في نفسه ظاهرا والنطق بما يقوله
الاسلام بطلاقة وكأنه يعتقد .

اما الصابي الشاعر فهو بغدادى رقيق الطبع واللفظ له آراء في الشعر لم
ينتهيأ له التزامها ، يكون شعره احيانا مرآة لنفسه معبرا عن خلجاتها وسكناتها ثم يتعد
احيانا اخرى ليكون غريبا عليها لا علاقة له بها .

هذا باختصار ما ظهر لنا حول ابي اسحاق الصابي الانسان والكاتب والشاعر وهذا
نرى تمييزه عن معاصريه في نكباته المتصلة ويؤسسه وشكواه وفي تمسكه
بالدين والخلق ، يضيف اليهما المجون والغزل الغلماصي في وقت واحد وفي
قدرته على الجمع بين معتقد يهطنه ودانة يدعو لها ظاهرا ويؤدنها ويتكلم باحكامها
فابو اسحاق شخصية متميزة وكاتب مبدع وشاعر رقيق عسى الايام ان تظهر
لنا المزيد حوله .

ثبت باسماء المصادر والمراجع التي ترجمت للعابسي او ذكرت اخباره:

المصادر

ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٠٦ ،

بيروت : دار صادر ودار بيروت ، ١٣٨٦ / ١٩٦٦ .

ابن تغري بردى الاتابكي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك

مصر والقاهرة ج ٤ ص ١٦٧ ، القاهرة : طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ،

١٩٢٩ - ١٩٥٦ .

ابن خلكان ، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد ، وفيات الاعيان وانباء ابناء

الزمان ج ١ ص ٥٢ (تحقيق احسان عباس) ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٨ - ١٩٧٢ /

١٣٨٨ - ١٣٩٢ .

ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي بن احمد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،

ج ٣ ص ١٠٦ ، مصر : مكتبة القدسي ، ١٣٥٠ .

ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي ، البداية والنهاية في

التاريخ ج ١١ ص ٣١٣ ، مصر : مطبعة الممادة ، ١٣٤٨ - ١٣٥٨ / ١٩٢٩ - ١٩٣٩ .

ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب الوراق ، الفهرست ص ١٤٩ (تحقيق رضا تجدد) ،

طهران : ١٩٧١ .

ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل ، المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٢٩ ،

القاهرة : المطبعة الحسينية المصرية ، ١٣٢٥ .

التوحيدى ، ابو حيان علي بن محمد ، الامتاع والمؤانسة ، ج ١ ص ٦٨ (تحقيق

احمد امين واحمد الزين) ، بيروت وصيدا : نسخة مصورة عن طبعة

لجنة التأليف والترجمة والنشر ، منشورات المكتبة العصرية ، ١٣٧٣ / ١٩٥٣ .

الشعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، يتيمة الدهر في محاسن اهل

المصر ، ج ٢ ص ٢٤١ ، مكتبة المكرمة : دار الكتب العلمية ودار الباز للنشر ، الطبعة

الاولى ، ١٩٧٩ / ١٣٩٩ .

الخوانسارى ، محمد باقر الموسوى الاصهبائى ، روضات الجنات في احوال العلماء والسادات

ج ١ ص ١٦٣ (تحقيق اسد الله اسما عيليان) ، طهران وبيروت : مكتبة اسماعيليان

و دار المعرفة ، ١٣٩٠ - ١٣٩٢ هـ .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ، سير اعلام النبلاء ، ج ١٦ هـ

ص ٥٢٣ (تحقيق اكرم البوشي واشرف شعيب الارتؤوط) ، بيروت : مؤسسة الرسالة ،

١٩٨٣ / ١٤٠٣ .

_____ ، العبر في خبر من غير ، ج ٣ ص ٢٤ (تحقيق فؤاد سيد) ، الكويت : ١٩٦١ .

السرور داروى ، ابو شجاع محمد بن الحسين ، الذيل على تجارب الامم ، ص ٢١ - ٢٤ و ٥٢ (تحقيق

هـ . ف . آمدروز) ، مصر : مطبعة شركة التمدن الصناعية ، ١٣٣٤ / ١٩١٦ .

الصابي ، ابو الحسين هلال بن المحسن ، غرر البلاغة ، مقدمة المحقق ص ١٨ (تحقيق اسعد

ذبيان) ، بيروت : دار الكلمة ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣ / ١٤٠٣ .

- الصابي ، غرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال ، الهفتوات النادرة ، مقدمة
المحقق ص ١٢ ، (تحقيق وتعليق صالح الاشر) ، دمشق : مطبوعات مجمع
اللغة العربية ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٧ / ١٩٦٧ .
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ابيك ، الوافي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ١٥٨ (باعتناء) .
ديدرينغ) ، فسادن : فرانز شتاينر ، ١٣٩٢ / ١٩٧٢ .
- العباسي ، عبد الرحيم بن احمد ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، ج ٢ ، ص ٦١
(تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) ، بيروت : عالم الكتب ، مصر : المطبعة التجارية
الكبرى ، ١٣٦٧ / ١٩٤٧ .
- القطبي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف ، تاريخ الحكماء ، ص ٧٥ (تحقيق جوليس
ليبرت) ، ليسان : ١٣٢٠ / ١٩٠٣ .
- القلقي ، ابو العباس احمد بن علي ، صباح الاعشى في صناعة الانشا ، ج ١ ، ص ٤١ ،
القاهرة : المطبعة الاميرية ، ١٩١٣ - ١٩١٩ / ١٣٣١ - ١٣٣٨ .
- ياقوت الرومي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم الاديب ، ج ٢ ، ص ٢٠ (بعناية
احمد فريد رفاعي) ، مصر : مطبوعات دار المأمون ، ١٩٣٦ / ١٣٥٥ .
- المراجع
بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، ج ٢ ، ص ١١٩ (ترجمة عبد الحليم النجار) ، القاهرة :
دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، (١٩٧٧) .

البندادي، اسماعيل، هدية العارفين، ج ١، ص ١٥٧، تانبول : طبعة وكالة المعارف، ١٩٥١.

الخاقاني، علي، شعراء بغداد، ج ١، ص ١٤٨، بغداد : مطبعة أسعد، ١٣٨٢/٧.

١٩٦٢.

الزركلي، خير الدين، الاعلام، ج ١، ص ٧٨، بيروت : دار العلم للملايين، الطبعة

الخامسة، ١٩٨٠.

كرنكوه، ف. "الصابي ابو اسحاق ابراهيم بن هلال"، دائرة المعارف الاسلامية، ج ١٤، ص ٨٣،

(ترجمة احمد الشنتناوي).

مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، ج ٢، ص ٢٩٠، القاهرة : دار الكتب المصرية،

الطبعة الاولى، ١٣٥٢/١٩٣٤.

المقدسي، انيس، تطور الاساليب النثرية في الادب العربي، ج ١، ص ٢٢٥، بيروت :

منشورات الدائرة العربية في جامعة بيروت الاميركية، مطبعة

سركيس، ١٩٣٥.

Sezgin, Fuat, Geschichte des arabischen Schrifttums

vol.2. P.592, Leiden : E.J. Brill, 1975.

ملاحظة : لم يثبت من هذه اللائحة في قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث الا
المصادر والمراجع المستعملة فيه .

لاحة باسماء المصادر والمراجع الممتدة في هذا البحث :

المصادر

ابن ابي اميعة ، موفق الدين ابو القاسم احمد بن القاسم عميون الانبياء في طبقات الاطباء ،

(تحقيق نزار رضا) ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥ .

ابن ابي سلمى ، زهير ، ديوان زهير بن ابي سلمى (تحقيق كرم البعثاني) ، بيروت :

دار صادر ودار بيروت ، ١٣٧٩ / ١٩٦٠ .

ابن ابي عمير ، ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم ، المثل المائر في ادب الكاتب والشاعر ،

ج ١ (تحقيق احمد الحوفي وندوى طبانة) ، القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٣٧٩ / ١٩٥٩ ،

القاهرة : المطبعة البهية ، ١٣١٢ هـ .

ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ و ٩ ، بيروت : دار

صادر ودار بيروت ، ١٣٨٦ / ١٩٦٦ .

ابن تغري بردي ، الاتابكي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر

والقاهرة ، ج ٤ ، القاهرة : طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩ - ١٩٥٦ .

ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن احمد ، رحلة ابن جبير (تحقيق حسين نصار) ، مصر : مكتبة

دار مصر ، دون تاريخ .

ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج ٧ ، حيدر

آباد الدكن : دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الاولى ، ١٣٥٨ هـ .

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، الذم في الملل والأهواء والنحل، ج ١، مصر:

المطبعة الادبية، الطبعة الاولى، ١٣١٧ هـ.

ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونية، ج ١ (تحقيق

احسان عباس)، بيروت: معهد الانماء العربي، الطبعة الاولى، ١٩٨٣.

— التذكرة الحمدونية، مخطوط برلين ١١٨٨.

— التذكرة الحمدونية، مخطوط رئيس الكتاب ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١.

ابن حوقل النصيبي، أبو القاسم محمد، صورة الارض، ليدن: بريل، الطبعة الثانية، ١٩٦٧.

ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان،

ج ١ - ٦ (تحقيق احسان عباس)، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٨ - ١٩٧٢ / ١٣٨٨ - ١٣٩٢.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، بهجة المجالس وأنس المجالس، ج ١ - ٢

(تحقيق محمد مرسي الخولي ومراجعة عبد القادر القط)، القاهرة: دار الكتاب العربي،

١٩٦٧ - ١٩٦٩.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج ٣، مصر:

مكتبة القدسي، ١٣٥٠ هـ.

ابن القيم، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، كتاب البلدان، ليدن: بريل، ١٩٦٧.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد، احكام اهل الذمة، ج ١ (تحقيق صبحي

الصالح)، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، الطبعة الاولى، ١٣٨١ / ١٩٦١.

ابن كثيره عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر دمشقي ، البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١١ ،

مصر : مطبعة السعادة ، ١٣٤٨ - ١٣٥٨ / ١٩٢٩ - ١٩٣٩ .

— تتمير الحافظ ابن كثيره ، مصر : مطبعة المنار ، ١٣٤٣ هـ ، نسخة مصورة عن

نسخة المطبعة الاميرية بمصر سنة ١٣٠٠ هـ .

ابن ماجه ، ابو عبيد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن الحافظ ابن ماجه ، ج ٢ (تحقيق

محمد فؤاد عبد الباقي ، مصر : دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٣ / ١٩٥٣ .

ابن العمير ، علي بن يحيى بن علي بن محمد بن المعمر ، لقاح الخواطر وجلاء البصائر ، مخطوطة

جامعة كهردج رقم ١٣٩ ٥٩٩ .

ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين الافريقي ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ .

ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب الوراق ، الفهرست (تحقيق رضا تجدد) ،

طهران : ١٩٢١ .

ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك المعافري ، السيرة النبوية ، ج ١ - ٢ (تحقيق مصطفى

السقا و ابراهيم الابيارى و عبد الحفيظ شلبي) ، مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،

الطبعة الثانية ، ١٣٢٥ / ١٩٥٥ .

ابو حنيفة ، الامام النعمان بن ثابت ، مسند الامام ابي حنيفة (تحقيق صفوت المقالي) ،

حلب : مكتبة ربيع ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٢ / ١٩٦٢ .

ابو داود ، سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي ، سنن ابي داود ، ج ٣ (اعداد وتعليق

عزت عبيد الدعاس) ، حمص : نشر وتوزيع محمد علي السيد ، ١٣٩١ / ١٩٧١ .

ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، القاهرة : المطبعة

الحسينية المصرية ، ١٣٢٥ .

ابو نوار ، الحسن بن هاني ، ديوان ابي نوار . (تحقيق احمد عبد الحميد الخزالي) ،

بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٧٢ / ١٩٥٣ .

ابو يعلى الفراء ، محمد بن الحسين ، الاحكام السلطانية (تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي) ،

القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٧ .

اخوان الصفاء ، رسائل اخوان الصفاء ، وخلان الوفاء ، ج ٤ ، بيروت : دار صادر ، دون تاريخ .

ارسطوطاليس ، فن الشعر (ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي) ، القاهرة : مكتبة النهضة

المصرية ، ١٩٥٣ .

الاصطخرى ، ابراهيم بن محمد الفارسي ، المسالك والممالك (تحقيق محمد جابر عبد الهال الحيني) ،

القاهرة : ١٣٨١ / ١٩٦١ .

الاعشيباني ، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد ، الاناني ، ج ١٥ (تحقيق عبد السلام هارون) ،

القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٧٩ / ١٩٥٩ .

البحترى ، ابو عبادة الوليد بن عبيد ، ديوان البحترى ، القسطنطينية : مطبعة

الجواذب ، الطبعة الاولى ، ١٣٠٠ .

البلدي ، عبد الرحمن بن محمد ، الكافي في البيزرة (تحقيق احسان عباس وعبد الحميد .

منصور) ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الاولى ،

١٩٨٣ / ١٩٠٣

التوحيد ، ابو حيان علي بن محمد ، الختاع والمؤانسة ، ج ٣ (تحقيق احمد امين واحمد

الزين) ، بيروت وصيدا : نسخة مصورة عن طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،

منشورات المكتبة العصرية ، ١٣٧٣ / ١٩٥٣

_____ ، مثالب الوزيرين (تحقيق ابراهيم الكيلاني) ، دمشق : دار الفكر ، ١٩٦١

_____ ، المقابس (تحقيق محمد توفيق حسين) ، بغداد : مطبعة الارشاد ، ١٩٧٠

الشعالي ، ابو منصور عميد الطلبيين محمد بن اسماعيل ، لطائف اللطف ، (تحقيق عمر الاسعد)

بيروت : دار السيرة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٠ / ١٩٨٠

_____ ، يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، ج ١ - ٣ مكة المكرمة : دار الكتب

العلمية ودار الباز للنشر ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٩ / ١٣٩٩

الحصري ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم القيرواني ، زهرة الآداب وثمر الألباب ، ج ١ و ٢ و ٤

(تحقيق زكي مبارك) ، مصر : المطبعة التجارية الكبرى والمطبعة الرحمانية ، ١٩٢٥

الحلاج ، ابو المنيث الحسين بن منصور ، ديوان الحلاج (تحقيق كامل مصطفى الشبيبي) ، بغداد :

دار آفاق عربية للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ / ١٩٨٤

الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار (تحقيق احسان عباس) ،

بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٥

الخطيب الهندادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد، ج ١، بيروت: دار الكتب

العلمية، دون تاريخ.

_____، التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادير كلامهم وأشعارهم (تعليق كامل)

المطهر) والنجف: المكتبة الحيدريّة، ١٣٨٦ / ١٩٦٦.

الخوانساري، محمد باقر الموسوي الاصبهاني، روضات الجنات في احوال العلماء والسادات

ج ١ و ٢ و ٦ (تحقيق اسد الله اسماعيليان) طهران وبيروت: مكتبة اسماعيليان ودار

المعرفة، ١٣٩٠ / ١٣٩٢.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، ج ١٣ (تحقيق علي أبو زيد)

وج ١٦ (تحقيق أكرم البوشي) وج ١٧ (تحقيق شعيب الأرنؤوط) بيروت: مؤسسة

الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ / ١٩٨٣.

_____، العبر في خبر من غير، ج ٣ (تحقيق فؤاد سيد) الكويت: ١٩٦١.

الراغب الاصفهاني، حسين بن محمد، محاضرات الادب والمجاهورات الشعراء والبلغاء، ج ١ و ٣ و ٤،

بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦١.

الروذراوري، أبو شجاع محمد بن الحسين، الذيل علي تجارب الامم (تحقيق هـ. ف. آمدروز)

مصر: مطبعة شركة التمدن الصناعية، ١٣٣٤ / ١٩١٦.

الزبيدي، محب الدين أبو الفيز محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس،

ج ١، مصر: الطبعة الأولى، ١٣٠٦ هـ.

الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج ٣ (تحقيق سليم النعيمي)،

بنداد: مطبعة العائلي، ١٩٨٠.

_____، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ١ - ٢، القاهرة، بولاق، ١٢٨١ هـ.

السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢،

مصر: المطبعة الحسينية، الطبعة الأولى، دون تاريخ.

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين، ديوان الشريف الرضي، ج ١ و ٢،

بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٠ / ١٩٦١.

_____، ديوان الشريف الرضي (بشرح وتعليق كامل سليمان)، ج ١، بيروت:

دار الفكر ومكتبة العرفان، ١٩٥٦ / ١٣٧٥.

_____، رسائل الصابي والشريف الرضي (تحقيق محمد يوسف نجم)، الكويت: ١٣٨٠ / ١٩٦٠.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الممل والنحل، ج ١ - ٢ (تحقيق محمد سيد

كيلاني)، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢ / ١٩٨٢.

الصابي، أبو اسحاق إبراهيم بن هلال، المختار من رسائل أبي اسحاق الصابي (تحقيق الأمير

شكيب أرسلان)، بيروت: دار النهضة الحديثة، دون تاريخ.

_____، المنتزع من كتاب التاجي (تحقيق محمد حسين الزبيدي)، بغداد، دار الحرية

للطباعة ١٣٩٢ / ١٩٧٢ .

الصابي ، فرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال ، المفردات النادرة (تحقيق صالح

الاشتر) ، دمشق : مجمع اللغة العربية ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٧ / ١٩٦٧ .

الصابي ، ابو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم ، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، بيروت :

مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٤ .

_____ كتاب التاريخ ، نشر ملحقا بكتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء .

_____ رسوم دار الخلافة (تحقيق سيخايل عواد) ، بغداد : مطبعة العاني ، ١٣٨٣ / ١٩٦٤ .

_____ غرر البلاغة (تحقيق اسعد زبيان) ، بيروت : دار الكلمة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣ /

١٩٨٣ .

الصاحب بن عباد ، ابو القاسم اسماعيل بن عباد ، الروز نامجة (تحقيق محمد حسن آل ياسين) ،

ملحق بكتاب الامثال السائرة من شعر المتنبي للصاحب ، بغداد : مكتبة النهضة

الطبعة الثانية ، ١٣٨٥ / ١٩٦٥ .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ابيك ، الوافي بالوفيات ، ج ٥ - ٦ (باعتناء س . ديدرلينغ) ،

فسبادن : فرانز شتاينر ، ١٣٨٩ / ١٩٧٠ - ١٣٩٢ / ١٩٧٢ .

الذهبي ، والمفضل بن محمد ، امثال العرب (تعليق احسان عباس) ، بيروت : دار الرائد

العربي ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١ / ١٩٨١ .

العباسي ، عبد الرحيم بن احمد ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، ج ٢ (تحقيق

محمد محيي الدين عبد الحميد) ، بيروت ومصر : عالم الكتب والمكتبة التجارية

الكبرى ، ١٣٦٧ / ١٩٤٧ .

العتبي ، ابو النصر محمد بن عبد الجبار ، كتاب اليمينى ، مطبوع على هامش

كتاب مرح اليمينى المسمى بالفتح الروهبي على تاريخ ابي نصر العتبي للشيبخ

• احمد المنيني ، دون مكان وتاريخ .

العسكرى ، ابو هلال الحسن بن عبد الله ، الصناعتين الكتابة والشعر ، مصر : مطبعة

• محمد علي صبيح ، الطبعة الثانية ، دون تاريخ .

القيومى ، احمد بن محمد بن علي المقرئ ، المصباح المنير في غريب المرح الكبير

ج ١ ، مصر : المطبعة البهية ، ١٣٠٢ هـ .

القاضي التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، ج ١ و ٣ و ٥ و ٧ و ٨

(تحقيق عبود المشالجي المحامي) ، بيروت : دار صادر ، ١٣٩١ / ١٩٧١ -

١٣٩٣ / ١٩٧٣ .

القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف ، تاريخ الحكماء (تحقيق جوليس ليرت) ،

ليسان : ١٩٠٣ / ١٣٢٠ .

القلقيندي، أبو العباس أحمد بن علي، مبج الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ١ و ٢

٦ و ٧ و ١٣ و ١٤، القاهرة : المطبعة الأميرية، ١٩١٣/١٣٢١ - ١٩١٩/١٣٣٨

القيسي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، ج ٣ (أهماف

حسن الموسوي الخراساني)، النجف : مطبعة النجف، الطبعة الرابعة، ١٣٧٨ هـ

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي، الأصول من الكافي، ج ١ (تعليق علي أكبر

النفاري)، طهران : مكتبة الصدوق، ١٣٨١ هـ

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية، مصر : مطبعة الوطن، ١٢٩٨ هـ

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري،

ج ٣ (تصحيح مصطفى السقا وأبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ ثلبي)، مصر : مطبعة

مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٦/١٣٥٥

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١ و ٢ و ٤ (تحقيق

محمد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة : مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة،

١٩٦٤/١٣٨٤

المنذسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الشامي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،

لیدن : بريسل، الطبعة الثانية، ١٩٦٢

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، تجارب الأمم، ج ١ و ٢ (تحقيق هـ. ف. آمدروز)

مصر : مطبعة شركة التمدن الصناعية، ١٩١٤/١٣٣٢ - ١٩١٦/١٣٣٤

مسلم بن الحجاج ، أبو الحسين ، الجامع الصحيح ، ج ٧ ، مصر : مطبعة محمد

علي صبيح ، ١٣٣٤ هـ .

الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ، مجمع الامثال ، ج ١ - ٢ (تحقيق محمد

محيي الدين عبد الحميد) ، مصر : مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٤ / ١٩٥٥ .

النسوي ، الامام أبي زكريا يحيى بن عمر النسوي دمشقي ، رياض الصالحين (تحقيق شعيب

الارناؤوط) ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٦ / ١٩٨٦ .

النيسري ، مهتاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الارب في فنون الادب ، ج ١ ، القاهرة :

دار الكتب المعرسة ، الطبعة الثانية ، ١٣٤٧ / ١٩٢٩ .

ياقوت الرومي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم الادبا ، ج ٢ و ٤ و ٦ و ٧ و ٩

و ١١ و ١٢ و ١٤ و ١٧ و ١٩ (بعناية احمد فريد رفاعي) ، مصر : مطبوعات دار

الأمون ، ١٣٥٥ / ١٩٣٦ .

_____ معجم البلدان ، ج ٢ ، بيروت : دار صادر و دار بيروت ، ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .

آل ياسين ، محمد حسن ، العالم بن عماد حياته وادبه ، بغداد : دار المعارف ، الطبعة

الاولى ، ١٣٧٦ / ١٩٥٢ .

المراجع
بروكلمان ، كارل ، تاريخ الادب العربي ، ج ٢ (ترجمة عبد الحليم النجار) ، القاهرة :

دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، (١٩٧٧) .

البغدادي، اسماعيل، هدية العارفين، ج ١، استانبول : طبعة وكالة المعارف، ١٩٥١.

الحسني، السيد عبد الرزاق، الصائبون في حاضرهم وماضيهم، دون مكان، الطبعة

الخامسة، ١٣٩٨/١٩٧٨.

الحلي، عبد الحسين، حياة الشريف الرضي، بغداد : مطبعة الحرية، ١٣٨٨/١٩٦٨.

دراوير، الليدي ايشل ستيفان، الصائبة المندائيون (ترجمة نعيم بدوي و غنبا ن روسي)،

بغداد : مكتبة الاندلس، ١٩٦٩.

الزركلي، خير الدين، الاعلام، ج ١، بيروت : دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠.

ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، القاهرة : دار المعارف، الطبعة الثانية،

(١٩٧٧).

طبانة، بدوي، الصاحب بن عباد الوزير الاديب العالم، مصر : المؤسسة المصرية العامة،

١٣٨٣ / ١٩٦٣.

عباس، احسان، تاريخ النقد الادبي عند العرب، بيروت : دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨/١٩٧٨.

_____، الشريف الرضي، بيروت : دار بيروت ودار صادر، ١٣٧٩/١٩٥٩.

عليان، رشدي، الصائبون جرائبين ومندائيين، بغداد : مطبعة دار السلام، ١٩٧٦.

فضل الله، السيد محمد حسين، " تأملات حول شخصية الشريف الرضي "، الثقافة الاسلامية، ٢ (٢٤٠٦هـ).

ص ١٢ - ٢٤.

قطب، سيد، فني ظلال القرآن، ج ١-٢ و ٦، بيروت : دار الشروق، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢/١٩٨٢.

مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع هـ، القاهرة : دار الكتب المصرية،

الطبعة الأولى، ١٩٣٤/١٣٥٢.

متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري هـ ١ و ٢ (تعريب محمد عبيد

الهادي أبو ريدة)، القاهرة وبيروت : مكتبة الخانجي ودار الكتاب العربي،

الطبعة الرابعة، ١٩٦٧/ ١٣٧٨.

مراني، ناجية، مفاهيم صابئية مندائية، بغداد، مطبعة شركة التأسيس، ١٩٨١.

مردم، خليل، ابن العميد، دمشق : مكتبة عرفة، مطبعة الاعتدال، ١٩٣١/١٣٥٠.

_____، الصاحب بن عباد، دمشق : مطبعة الترقى، ١٩٣٢/١٣٥١.

داعمة، المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية : محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتاوي

وأبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، ج ١٤، دون مكان، (١٩٣٣؟).

Sezgin, Faut, Geschichte des arabischen Schrifttums, vol . 2

Leiden : E. J. Brill, 1975.

Encyclopaedia of Religion and Ethics, James

Hastings, 13vol. New York : Scribner, 1955- 56 .

ملحق

الشهادة الشرعية

" نسخة كتاب السى المطيع لله "

- ١

عن عز الدولة ابي منصور عند دخوله الموصل

وانهم زام ابي تغلب بن حمدان عنها (١)

" لعبد الله الفضل الامام المطيع لله امير المؤمنين، من عبده،

وصنيعته عز الدولة بن معز الدولة مولى امير المؤمنين، سلام على امير

المؤمنين ورحمة الله، فاني احمد السى امير المؤمنين الله الذى لا اله الا هو،

واسأله ان يصلي على محمد عبده، ورسوله صلى الله عليه وسلم، اما بعد، اظال الله بقاء

مولانا امير المؤمنين وادام له العز والتأييد والتوفيق والتמיד، والعلو والقدرة، والظهور

والنصرة، فالحمد لله العلي العظيم، الأزلي القديم، المتفرد بالكبرياء، والملكوت، المتوحد

بالعظمة والجبروت، الذى لا تحده الصفات، ولا تحوزه الجهات، ولا تحصره قرارة

مكان، ولا يغيره مرور زمان، ولا تتمثله العيون بنواظرها، ولا تتخيله القلوب

بخواظرها، فاطر السموات وما تظلم، وخالق الارض وما تقل، الذى دل بلطف صنيعته، على جليل

حكيمته، وبين بجلي برهانه، عن خفي وجدانه، واستنسى بالقدرة عن الاعوان، واستعلى

بالعزة عن الاقران، والبعيد عن كل معادل ومضارع، المتنع على كل مطاول ومقارع،

الدائم الذى لا يزول ولا يحول، العادل الذى لا يظلم ولا يجور، الكريم الذى لا يخن

ولا ييخل، الحليم الذى لا يعجل ولا يجهل * ذلكم الله ربكم فادعوه مخلصين له

(١) رسائل الصابي، ص ١١٩ - ١٣٥، وانظر الحادثة في مسكويه، تجارب الامم، ج ٢، ص ٣١٥ - ٣٢٠

وابن الاثير، الكامل، ج ٨، ص ٦٣١ - ٦٣٤.

السديق ﴿ (١) منزل الرحمة على كل ولي توكل عليه، وفوض اليه،
وأتمر لأوامره، وازدجر بزواجره، ومحل النعمة بكل عدو صد عن سبيله وسنته،
وصدق عن فرائضه وسنته وحادته في مكسب يده، ومسعاة قدمه، وخائنة عينه،
وخافية صدره، وهو راتع رتعة النعم السائمة، في اكلاء النعم السابغة، وجاهل جهلها
بشكر آلائها، ذاهل ذهلها عن طرق استبقائها، فلا يلبث ان ينزع سراويلها صاغرا،
ويتعري منها حاسرا، ويجعل الله كيداً في تضليله، ويورد شر المورد الوبيل ﴿ ان الله
لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين ﴿ (٣) والحمد لله الذي اصطفى للنسوة
احق عباده بحمل اعبائها وارتداء رداءها . محمداً صلى الله عليه وسلم، وعظم خطره
وكرم فصدع بالرسالة، وبالغ في الدلالة، ودعا الى الهداية، وتجلس من الخواصة، ونقل
الناس عن طاعة الشيطان الرجيم، الى طاعة الرحمن الرحيم، واعلقهم بحبال خالقهم ورازقهم،
وعصمة محبيهم ومميتهم، بعد انتحال الاكاذيب والباطيل، واستشمار المحاسنات
والاضاليل، والتهور في الاعتقادات الذائفة عن النعيم، السائفة الى العذاب الاليم، فصلى
الله عليه من ناطق بالحق، ومنقذ للخلق، وناصح للرب، ومؤد للفرض، علاة زاكية نامية، راتحة
غادية، تزيد على اختلاف الليل والنهار، وتعاقب الاعوام والادوار،

(١) سورة غافر (٤٠) : ٦٤ و ٦٥ .

(٢) سورة يونس (١٠) : ٨١ .

(٣) سورة يوسف (١٢) : ٥٢ .

والحمد لله الذي انتخب امير المؤمنين ، اطال الله بقاءه ، من ذلك المنوخ

الشريف ، والعنصر المنيف ، والعترة الثابت اصلها ، المتمد ظلها ، الطيب جناها ،

المنوع حماها ، وحاز له مواريث آباءه الظاهرين صلوات الله عليهم اجمعين ،

واختصه من بينهم بتناول امد الخلافة واستحصال جملها في يده ، ووقفه لاصابة

الغرض من كل مرمى يرميه ، ومقصد ينتحيه ، وهو جل ثناؤه الحقيق . باتمام ذلك عليه ،

والزيادة فيه لديه ، واحمد ، سبحانه حمدا ابتدئه ثم اعيد ، واكرره واستزیده ، على ان اهل

ركن الدول قبا علي ، وعضد الدولة ابا شجاع مولى امير المؤمنين ، واهلني للاثرة

عنده ، ايد الله ، التي بذنا بها الأكفاء ، وقتنا فيها القرناء ، وتقطع

دونها انفاس المنافسين ، وتضرمت عليها احشاء الحاسدين ، وان اولاني في كل مغزى

في خدمة امير المؤمنين اغزوه ، ومنحى انحواه ، وشأى ارايه ، وشعث المء وعد وارغمه ،

وزائغ اقومه ، افضل ما اولاه عباد ، السلية غيرهم ، النقية جيورهم ، المأمونة ضمائرهم ،

المشحونذ قبضائرهم ، من تمكين يد ، وتشبيت قسيد ، ونصرة راية ، واعلاء كلمة ، وتقريب

بنية ، وانالة امنية ، وكذلك يكون من الى ولاه امير المؤمنين اعتزاز ، وشعاره اعتزاز ،

وعن زناد ، قد حه ، وفي طاعته كد حه ، والله ولي بادامة ما خولنيه من هذه المثبته ،

وسوغنيه من هذه الموهبة ، وان يتوجه امير المؤمنين في جميع خدمه ، والذابين عن

حوزته ، المهيبين الى دعوته بيمين الطائر ، وسعادة الطالع ، ونجاح المطلب ، وادراك الارب

وفي اعدائه الغامطين لنعمته ، الناقيين موثيق ببعثه ، باغراع الخد ، واتعسا من

الجد ، واخفاق الال ، واحباط العمل ، بقدرته .

ولم يزل مولانا امير المؤمنين، اطال الله بقاءه، ينكر قد يما من
فضل الله بن ناصر الدولة احوالا حقيقا مثلها بالانكار مستحقا من ارتكبتها الاعراض،
وانما اذهب في حفظ غيبه، واجمال محضه، وتمحل حججه وتلفيقها، وتاليف معاذيره
وتتميقها، مذهبي الذي اعم به كل من جرى مجراه، من ناشى، في دولته، ومنتد بنعمته،
ومنتسب الى ولايته، ومشتهر بصنيعته، واقدر ان استلحه لامير المؤمنين، اطال
الله بقاءه، واصلحه لنفسه بالتوقيق على مسالك الرشاد، وسناهج السداد، وهو يريني
ان قد قبل وارعى، وابصر واهتدى، حتى رغبت الى امير المؤمنين، ادام الله عزه
فيما شفعتي متفضلا فيه من تقليد، اعمال ابيه والقناعة منه في الغمان بميسور
بذله، واشارة به على من هو فوقه من كبراء اخوته واهله، فلما بلغ هذا الحال
الط بالمال، وخاس بالعهد، وطرق لفسخ العقد، واجرى الي امورا كرهتها،
ونفذ العبر مني عليها، وخفت ان استمر على الاغصاء عنها، والسامحة فيها، فيطلب
الله مني على اضعاف الاحتياط في امر قلدي امير المؤمنين، اطال الله بقاءه،
زمامه، وضمنني دركته، وارخاء لبب رجل فيل في الاعتماد عليه رأي، وعول في
اخذه بما يلزمه على نظري واستيفائي، فتناولته بأطراف العذل ملوحا، ثم بأشججه
منححا مصرحا، ورسمت لعبيد امير المؤمنين الناصح ابي ظاهر ان يجسد بسه
وبوسطائه وسفرائه في حال، ويدخل عليه من طريق المشورة والرفق في اخرى،
وينتقل معه بين الخشونة التي يقفو فيها اخرى، واللين الذي لا يجوز ان يحسسه
مني، تقديرًا لاثناؤه، وزوال التوائه، ففعل ذلك على رسمه في التأنسي لكل

فاسد حتى يصلح ، ولكل آب حتى يسمح ، ولم يدع التناهي في وعظه ، والتمادي في نصحه ، وتعريفه سوء عاقبة اللجاج ، ومغبطة الاحراج ، وهو يزيد طمعا في الاموال وشرها ، وعمى في الرأي وعمها ، الى ان كاد امرنا معه يخرج عن حد الانتظار الى حد الرضى بالاصرار ، فاستأنفت اذ راع الحزم ، وامتطأ العزم ، ونهضت الى اعمال الموصل ، وعندي انسه يغنيني عن الاتمام ويلقاني بالاعتاب ، وينقاد الى المراد ويتجنب طرق العناد ، فحين عرف خيبر مسيرى وجدى فيسه وتشميرى ، يبرز بمرور المخالف المكاشف ، وتجرد تجرد المواقع الواقف ، وهو مع ذلك اذا ازدادت منه تقربا ، ازداد مني رعبا ، واذا دلفت اليه ذراعا ، نكص عني باعا ، وتوافت الى حضرتي وجوه القبائل من عقيل وشيبان وغيرهما في الجمع الكثيف من صالحيكهما ، والعدد الكثير من صناديدهما ، وداخيلين في الطاعة ، متصرفين في عوارض الخدمة ، فلما شارفت الحديشة انتفضت عزائم صبره ، وتقوضت دعائم امره ، وبطلت امانته ووساوسه ، واضمحلت خواطره ، وهو جسمه ، واضطرب عليه من ثقافته ، وغلمانة من كان بهم يعتمد ، وعليهم يعتمد ، وبدأوا بخذلانه والاخذ لنفوسهم ، ومفارقتة والطلب بحظوظهم ، وحصل بحضرتي منهم الى هذه الغاية زهاء خمس مئة رجل ذوي خيل مختارة ، واسلحة شاكية ، فصادفوا عندى ما املوا من فائض الاحسان ، وغامر الائتنان ، فذكروا عمى وراهم من نظرائهم التنزي الى الانجذاب والحرص على الاستئمان ، وانهم يردون ولا يتأخرون ، ويبادرون ولا يتلوهم ، ولما رأى ذلك لم يملك نفسه ان مضى هاربا على طريق سنجاره ، منكشفا عن هذه الديار ، قانعا من تلك الآمال الخائبة ، والظنون الكاذبة ، بمسألة

حشاشة هي رهينة غيرها ، وصريعة بنيتها ، وكان انهزامه بعد ان فعل فعل
السخيف ، وكاننا الكيد الضعيف ، بان اغرق سفن الموصل وغروبها ، واحرق جسر
واستندم الى اهلها ، وتزود منهم اللعن المطيف به اين يم ، الكائن معه حيث خيم ،
ودخلتها يومي هذا ، ايد الله امير المؤمنين ، دخول الغانم الظافر ، المستعلي الظاهر ،
فسكنت نفوس سكانها ، وشرحت صدور قاطناتها ، واعلمتهم ما امرني به امير المؤمنين ،
ادام الله عزه ، واعلى امره ، من تانيس وحشتهم ، ونظم الفتهم ، وضم نشرهم ، ولم
شعثهم ، واجمال السيرة فيهم ، في غروب معالم الاتهم وعلقهم ، وصنوف متصرفاتهم
ومعاشهم ، فكسر منهم الثناء ، والدعاء ، والله سامع ما رفعوا ومجيب ما سألوا .

واجلت حال هذا الجاهل ، ايد الله امير المؤمنين ، عن اقبح هزيمة ،
واندل هزيمة ، واسوأ رأى ، وانكسر اختيار ، لانه لم يلقني لقاء الباخع بالطاعة ، المعتذر
من سالف التفريط والاضاعة ، ولا لقاء المصدق لدعواه في الاستقلال بالمقارعة ، المحقق
لزعمه في الثبات للمدافعة ، ولا كان في هذين الامرين بالبر التقي ، ولا الفاجر
القوى ، بل جمع بين نقيصة شقاؤه وغدوره ، وفضيحة جبنه وخبوره ، متنكبا للصلاح ،
عادلا عن الصواب ، قد ذهب عنه الرشاد ، وضررت بينه وبينه الاسداد ، وانزله
الله منزلة مثله من اساء حفظ الوديعه ، وجوار الصنيعة ، واستوجب نزعهما منه ،
وتحويلهما عنه ، وتأملت ايد الله مولانا امير المؤمنين امره بالتجريب ، وتصفتته على
التقليب ، فاذا هو الرجل الذي اطاع ابوه فيه هوى امه ، وعصى دواعي رأيه وحزمه ،
وقدمه من ولده على من هو آنس رشدا ، واكبر سنا ، واثبت جاشا ، واجرى جنانا ، واشجع

قلبا ، واوسع صدرا ، واجدر بمخايل النجابة ، وشماثل اللبابة ، فلما اجتمعت
له اسباب القدرة والثروة ، وامكنته مناهز الذرة والفرصة ، وشب عليه وثبة السرحان
في ثلثة الضان ، وجزاه جزاء ، ام عامر لمجيرها ، ان فرت به بأنيابها واظا فيرهما ، واجتمع
واخوه من الام ، المرتضع معه لبان الاثم ، المكنى ابا البركات ، على ان نشزا عنه
وعقاه ، وقبضا عليه ، واوثقاه ، واقراه من قلعتهما بحيث يقر العتاة ، وتماقب
الجناة ، ثم اتبعنا ذلك باستحلال دمه ، وافاضة مهجته ، غير راعيين فيه حق الابوة ،
ولا حانئين عليه حنوا البنوة ، ولا متدسين من الاقدام على مثله ممن تقدمت عند
سلطانة قدمه ، وتوكدت اواصره وعصمه ، ولا راحيين له من ضعف شيخوخته ، ووهل
كبرته ، ولا مصغيين الى وصية الله اياهما به ، التي نصها في محكم كتابه ، وكسررها
في آية وبيناته ، ان يقول : * اشكر لي ولوالديك الي المصير * (١) . وان يقول :
* وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * (٢) . فبأى وجه يلقي الله قاتل والد حدب

(١) سورة لقمان (٣١) : ١٤ .

(٢) سورة الاسراء (١٧) : ٢٣ و ٢٤ .

قد امر الا ينهره ؟ وبأى لسان ينطق يوم يسأل عما استجازته فيه وفعله ؟
تالله لو ان بمكانه .. عدوا لهما قد قارعهما الذحول وقارعهما عن النفوس
لقبح بهما ان يلوما ذلك اللوم عند الظفر به ، وان يركبا تلك الخطاة الشنعاء
في الاخذ بناصيته .

ولم يرض فضل الله بما اتاه حتى استوفى حدود قطع الرحم ، بان يتبع
اكابر اخوته السالكين خلاف سبيله ، المتبرئين الى الله من عظيم ما اكسب ، ووخيم
ما احتقب ، لما غضبوا لأبيهم ، وامتعضوا من المستحل فيه وفيهم ، فقبض على محمد
بن ناصر الدولة حيلة وغيلة ، وغندرا ومكيدة ، ونابذ حمدان بن ناصر الدولة منابذة خار
الله له فيها بأن اصاره من فناء امير المؤمنين ايده الله الى الجانب العزيز ، والحرز
العزيز ، وان اجرى الله عز وجل على يده الحرب الواقعة بينه وبين المعروف بكنيته ابي
البركات ، التي لقا الله فيها نحمه ، واتلف نفسه ، وصرعه بعقوقه ونخيه ، وقنعه
بعاره وخزيه ، وهو مع ذلك لا يتعظ ولا يتنزع ، ولا يقلع ولا يزدجر ، اصرارا على الجرائم
التي الله عنها حميه ، وبها ظلمه ، والدنيا والآخرة . مرصدتان له بالجزء المحقوق
عليه ، والعقاب السوق اليه .

واعظم من هذا ، ايد الله امير المؤمنين ، خطبا ، واعمر مملكا ولجبا ،
ان من شرائط العهد الذي كان قد عهد اليه ، والعقد الذي عقد له ، والضمان المخفف
مبلغه عنه ، المأخوذ عفوه منه ، ان يتناهى في ضبط الثغور ، وجهاد الروم ، وحفظ
الاطراف ، ورم الاكصاف ، فما وفى بشي من ذلك ، بل عدل عنه الى الاستئثار بالاموال
واقطاعها ، واحرازها في مكامنها وقلاعها ، والظن بها دون الاخراج في وجوهها ،

والوضع لها في حقوقها ، وان تراخى في امر عظيم الروم مهملاً ، واطرح الفكر فيه منغفلاً ،
حتى هجم في الديار ، واثار الآثار ، ونكى القلوب ، وابكى العيون ، وصعد الاكباد ،
واحر الصدور ، فما كان عنده فيه ما يكون عند المسلم القارىء لكتاب الله اذ يقول :
* ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل
الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى
بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم * (١) .
يسل صدق عن ذكر الله لاهيا ، وعدل عن كتابه ساهيا ، واستفسخه ذلك البيع والعقد ،
وتنجزه الوعيد والوعد ، ولاطف طاغية الروم ، وهاداه وماراه ، واعطاه وصانعه بمال
المسلمين ، الذي ان سلم دينه ، وصح يقينه ، ان ينقذه في مرا بطيهم ، ويذب بسهم
عن حريمهم ، لا ان يعكسه عن جهته ، ويلفته عن وجهته بالنقل الى عدوهم ، وادخال
الوهن بذلك عليهم . وقاد اليه من الخيل العتاق ما هو عون للكفار على
الايمان ، ونجدة للطاغية على السلطان ، وكان فيما اتخفه به الخمر التي حظر
الله عليه ان يشربها ويسقيها وتعبد به بان يجتنبها ويجتوبها ، وصلبان ذهب صاغها
له ، وتغرب بها اليه تقربا قد باعده الله فيه عن الاصابة والاصالة ، وادناه من
الجهالة والضلالة ، حتى كأنه عامل من عماله ، او بطريق من بطارقتة ، فأما فشله
عن مكافحته ، ولهجه ، بملاطفته ، ففقد الذي امره الله به في قوله : * يا ايها

الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا
ان الله مع المتقين ﴿ (١) ٠ واما ما نقله من خيل من ديار المسلمين الى ديار
اعدائهم فتقير قوله عز وجل : * واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴿ (٢) ٠ واما اهداه الخمر والميلبان فخلاف
عليه تبارك وتعالى اذ يقول : * انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس . من
عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴿ (٣) ٠ كل ذلك عناداً لرب العالمين ،
وطمسا لاعلام الدين ، وضناً بما يحامى عليه من ذلك الحطام ، المجموع من الحرام ، المشبر
من الآثام ، وقد فعل الآن بي وبالعساكر التي معي ومن يضم من اولياء امير المؤمنين ، اطال
الله بقاءه ، الذين هم اخوتهم وصحبه ان كان مؤمناً ، وانصاره وحزبه ان كان موقناً ، من
توعير المسالك ، وتغريق العروب ، وتضييق الاقوات ، واستهلاك الازواد ، ليوصل اليها الضر ،
ويلحق بنا الجهد ، فعل العدو والمبين ، المخالف في الدين ، فهل يجتمع في احد من
الساوي ، ايد الله امير المؤمنين ، ما اجتمع في هذا الناد العائد ، والشاذ
الشارد ؟ وهل يطمع من مثله في حيق يقضيه ، او فرض يؤديه ، او عهد يرعاه ،
او ذمام يحفظه ، وهو لله عاص ، وللامة مخالف ، ولوالده قاتل ، ولرحمه قاطع ؟ كلا

(١) سورة التوبة (٩) : ١٢٣

(٢) سورة الانفال (٨) : ٦٠

(٣) سورة المائدة (٥) : ٩٠

والله هو الحقيق بان تثنى اليه الالانة ، وتشعر نحوه الالانة ، وتنصب لسه
الإصااد ، وترحذ لسه السيوف الحداد ، ليقطع الله بها دابره ، ويوجب غاربه ، ويصرعه
مصرح الاثيم المليم ، المستحق للعذاب الاليم ، ويفي ، الى الحق افاءة الداخل فيه
بعد خروجه ، العائد اليه بعد مروقته ، التائب المنيب ، النازع المستقيل ، فيكون حكمه
شبيها بحكم الراجع عن الردة ، المحمول على ظاهر الشريعة ، والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا لم كنا لنهتدي لولا ما أرسلنا من قبله من الرسل ، والحمد لله
المفضية الى رضاه ، البعيدة عن سخطه ، والحمد لله الذي اعز امير المؤمنين بالنصر ،
واعطاه لواء القهر ، وجعل اولياءه العالمين الظاهرين ، واعداً السافلين الهايطين ، وهنأه
الله هذا الفتح ، ولا اخلاء من اشكال له تقفوه ، وتتبعه ، وامثال تتلوه ، وتشفعه ، واصلا
فيها الى ما وصل فيه اليه من حيازته مهنتاً لم يسفك فيه دم ، ولم ينتهك محرم ، ولم
ينل جهد ، ولم يمس نصب ، انهيت الى امير المؤمنين ، اطال الله بقائه ، ذلك ، ليضيف صنع
الله فيه ، الى السالف من عوارفه عند ، واياديه ، وليجدد من شكره جيل وعلاء ما يكون
داعياً الى الادامة والمزيد ، مفضياً للعون والتأييد ، ان شاء الله . وكتب يوم الجمعة
لتسع ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلث وستين وثلثمائة .

” وكتب عن المطيع لله رحمه الله

الى ركن الدولة ابي علي بخير اسر الدمستق

سنة اثنتين وستين وثلاثمائة (١)

” اما بعد ، فالحمد لله ذي المنة والطول والقدره والحول ، والغلبه والوصول ،

المنفرد بكبريائه ، والمنعم على اوليائه ، المنتقم من اعدائه ، رافع الحق ومعليه ، وقامع

البطل ومرد يسه ، ومعز الدين ومد يله ، ومذل الكفر ومذيله ، المنزل رحمته على من جاهد

في طاعته ، المحل سطوته بمن جاهر بمعصيته ، المتكفل بتأييد حربه حتى يظفره ، وخذلان

حربه حتى يدحره ، الذي لا يفوته الهارب ، ولا ينجو منه الموارب ، ولا يعيبه المعضل ، ولا يعجزه

المشكل ، ولا تهبطه الاشغال ، ولا تؤود ، الاثقال ، الواحد الذي لا شريك له ، الفرد الذي

لا قرين معه ، النبي المفتقر اليه ، القوي المعتمد عليه ، بالسخ امره بلا مؤازره ، ومضي حكمه

بلا مظاهر * ذلكم الله ربكم فادعوه مخلصين له الدين * (٢) . والحمد لله الذي اختار لنا الاسلام

دينا وآشره ، واظهره على الدين كله ونصره ، وشرعه شرعا لا ينسخ ، وعقده عقدا لا يفسخ ، وجعله

حقا لا يدحض ، وامره امرارا لا ينقض ، وقضى له بعز المراقين وذل المناقين ، وظهور المعاضدين

وثهور المعاندين ، واصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم من اكرم المناسبه واجتباها من اشرف

(١) رسائل الصابي ، ص ٦٤ - ٧٥ ، وانظر تفاصيل الحادثة في مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٩
و ٣١٢ - ٣١٣ وابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ ص ٥٩ - ٦٠ ، وفي التوحيد ، الامتاع (ج ٣ ص ١٥٠ -

١٥٩) ذكر لما سبق اسر الدمستق من الفتنة في بغداد ولقاء العلماء لاختيار
والدمستق قائد بيزنطي مسؤول عن الاغارة على الدولة الحمدانية ، يسمي في بعض المصادر : ابن
الشمشيق . واسمه جون زمستيكيس . (عن حديث للدكتور احسان عباس) .

(٢) سورة غافر (٤٠) : ٦٤ و٦٥ .

المحاند والمناصب، واستخلصه من أسرة هاشم، وفضلته على جميع بني آدم، وايدته بالملافة
المقربين وبعثه رسولا الى العالمين، فأدى امانة ربه مخلصا، وصدع برسالته مبلغا مخلصا .
واستنقذ هذه الامة من الغواية، وعرفها طرق الهداية، وسلك بها سواء المحجة،
ودعاها الى الحق باوضح حجة، وعدل بها عن عبادة الاوثان الى طاعة الرحمن،
وعن دين الشيطان الى ارشد الاديان، فأصبح الناس على التعاطف والائتلاف عاكفين،
وعن التهاج والاختلاف عازفين، اخوانا في ذات الله متوازيين، واقرانا في السمي لرضاء
متضافرين، يرمون اعداءهم عن يد وساعد، ويرصدون لهم ارمادا رجل واحد، نعمة من الله
اسبغها عليهم، وموهبة ازلها اليهم، ان يقول جل جلاله وعظمت كبرياؤه : * واذكروا
نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا
حفرة من النار فأنقذكم منها * (١) . والحمد لله الذي برأ امير المؤمنين من شجر النبوة الطيب،
وذراه من عنصرها الخالص المهدب، وحباه بفضيلة الامامة، ورداه ردا، الكرامة، وسواء منازل
اسلافه الطيبين، وحاز لهم موارثهم اجمعين، واهله لعظيم ما استرعاه، واعانته على
الاستقلال بما استكفاه، وافترض طاعته على عباده، وخلقه، وانهمضه فيهم بتأديتوا جبهه وحقه،
واختصه بأمد في الخلافة اطاله، ومدى فات به نظراءه، واشكاله، وحبب اليه جواد العدل المنجية،
وجنبه عوادل الجور المرديه، فلأد هما بسياسته ساكنة، والرعية برعايته آمنه، والفتوح في ايامه
متصلة متقاطرة، والغنائم على المسلمين ببركته دارة متواترة، وقد كنفه الله منذ منحه فضيلة هذه الآلاء،
وحمله اوق هذه الاعباء منك، كلاك الله، ومن ذوبك وولدك وولد اخيك بركن لدولته
لا يتزعزع ولا يتضعضع، وعقد لا يفت فيه، ولا توطأ نواحيه، وعز لا يهاجم ولا يرام، ومؤيد لا يعجز

ولا ينكل ، وعمدة لا يضعف ولا يفشل ، فرايات امير المؤمنين ابن توجتهتم بها منصوره ،
وجيوشه انى صرفتموها ظافرة موفورة ، وعوائد الله عليه بكم وعلى ايد بكم جارية ، وفوائد
اليه ببركتكم ويمنكم متوافية ، وانست حفظ الله النعمة فيك تسنخ تلك الارومة وعظيمها ،
وعيد تلك الجرثومة وزعيمها ، قد آنت خطيها وشيخك ، وقوم اغصانها تخريجك ،
وتشعبت شعبها من اصولك ، واحتذت فروعها على تشيلك ، وناب عز الدولة ابو منصور
مولى امير المؤمنين امتح الله به عنك حرم الله فيك النعمة وعن شيخه معز الدولة ابي
الحسين ، تولاه الله باوسع الرحمة ، اتم نيابة واقاها ، وخدم امير المؤمنين في مهمه
اوفى خدمة واشفاها ، لا يذخره نصحا ، ولا يألوه جهدا في ضبط الشنور وسد ها ، ورم
الامور وشدها ، وترتيب الاحراس بمراكزها ، وتسريب البعوث في مقاصد ها ، ومجاهدة الكفار
ومقارعتها ، ومناضلة الاعداء ، ومدافعتها ، واصلاح البلاد وعمارتها ، ورعاية الرعية وسياستها ،
يسافر رأيه وهو دان لم يرح ، ويسير تدبيره وهو شاق . لم يتزح ، يتناول المعالي بثاقب حزمه ،
ويقتصر الهضاب ببعيد همه ، ويصيب الاغراض بصائب سهمه ، ويطبق المقاصل بصواب
عزمه ، والله يمتح امير المؤمنين بك ، وبه ، ويدافع له عنك وعنك ، فقد ارقدتما طرفه ببيتكما ،
وارغدتما عيشه بحفظكما ، ووصلتما ايام دعته بدأبكما ، واطلتما زمان راحتته بنصبيكما ، ولا
يخليه فيكما وفي اهليكما ، من نعمة يمد ها الاولى من نعمه عليه ، ومنحة يعتد ها العظمى من منحه
لديه ، بلطفة وعطفه ، وجوده ومجده .

وقد عرفت، احسن الله الولاية فيك، ما كان من عظيم الروم لما تطاول بواسطه مقام
عز الدولة ابي منصور مولى امير المؤمنين، رعاه الله، وثقت به ببعده المسافة على
ابي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة عامل امير المؤمنين في الاستصراخ والاستنجد، وطول
الشقة في الاستنصار والاستمداد، وانتهازه هذه الفرصة، واهتباله هذه الغرة، ومسيره في
العدد الجم من الكفار، وتناهيه في الاحتشاد والاستكثار، وتوغله في دار الاسلام الى
نصيبين، وابقاعه ونكايته بمن بها من المسلمين والمعاهد، ووردت في اثر ذلك
كتب ابي تغلب الى امير المؤمنين والى عز الدولة مولا، وحفظه الله وتولاه، بشكوى ما نزل
به وحل بساحته، والتماس مدد يزيد في عدته ومنتبه، فأهم امير المؤمنين ما ورد منه
طويلا، واقلقه شديدا، وعثبه على استخدام عز الدولة، كلاء الله، والجيوش التي يرسمه،
نصره الله، فثنى عنانه اليها مسرعا مبادرا، ولبى دعوته مجيبا مثابرا، وعاد الى مكانه
من الخدمة، ومقره من الحضرة، وامثل امر امير المؤمنين في انجاد ابي تغلب، بجمع
كثير من الرجال الذين يصلحون للقاء الروم، وبالابطال المختارة من طوائف الاعراب والاكراد، فتواف
هذه الجموع اليه، وتكاثر لديه، واتفق والمجردون من الحضرة، على استنفاد الوسع والنصرة، وتوكلوا
جميعا على رب العالمين، واستنجدوا بشعار امير المؤمنين، واثروا في الطغاة الكفرة، والبنائة
الفجرة، اثرا بعد اثر، وظفروا بهم ظفرا بعد ظفر، الى ان ختم الله بورود الكتب مقتضا
فيها حال غزاة بعض اصحابنا بنواحي وشوش وطرون وانهم وردوا منها بلادا قد اغتر
اهلها بوعورة مسالكها، وخشونة مناهجها، وظنوا ان الامد في بلوغها بعيد، والوصول
اليها شاق شديد، فادال الله منهم وجعل الدائرة عليهم، فملكوا قسرا وقهسرا، وبولغ

فيهم قتلا واسرا ، وامتلات ايدي المسلمين من السبي والرجال ، والدواب والبغال ،
والاموال والاثقال ، والغنائم والاقبال ، وانصرفوا غانمين سالمين ، والحمد لله حمد
الشاكرين ، وان عسكرا لاعداء الله خرج مع عدة من عظامهم المعروفين بالزراورة السى
حصن للمسلمين بيد ليس وسميرام قد كان شحن يمن يحميه ، ورتب فيه من الرجال من
يكفيه ، فلما نازلوه ، واستحكم طمعهم فيما حاولوه ، نهى لهم جميع اولئك الرجال ،
واستعانوا بالله ذى الجلال ، فرزقهم النصر عليهم ، وقتلوا عددا يفوت الاحصاء منهم ، ولله
الطول ومنه العون ، وتواترت بعد ذلك على ابي تغلب والمنفذين اليه اخبار عسكر ببطن
هنزيط ونواحيه ، ومعبر الفرات وما يليه ، وذكر كثره عدد ، وعدد ، وعظم حشده ومدده ،
فأنفذ اخاه هبة الله بن ناصر الدولة في معظم الرجال الذين امد بهم عز الدولة ،
رعاه الله ، ان كانوا اقوى تلك الطوائف المجتمعه لديه ، واولاها بعادة النصر والظفر
عليه ، وفيمن انضوى اليهم من قبائل الافراب وصناديدها ، وفناك الاكراد وصعاليكها ،
وساروا يصدر من شرحه ، وآمال منسحة ، ووردوا ظاهرا آمد يوم الثلاثاء لثلاث ليال بقيم
من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، فعرفوا صحة خبر الدمستق لعنه
اللهم وحولته على افنواه الدروب في خمسين الف رجل منهم عشرون الفا من المدججة
وذوي المراتب المقدمة ، وتلوم اصحابنا بها يريحون ، والكفرة على مسافة يوم منهم
مقيمون ، مرة تقدم بهم الاجال ، ومرة تحجم بهم الاجال ، ثم تدانى الفريقان ، والتقت

حلقتا البطان في يوم الجمعة الذي ختم الله به شهر الصيام، وحتم فيه بالظهور للإسلام، فثبتت الطغاة اغترارا بوقور عددهم، ومحاماة عن صاحبهم وعظيم كفرهم، واخذ الأولياء منهم بالمخنق، وصد قوههم القتال في المعترك الضيق، فلم استعرت الملحمة، وعلت الغنمة، ودارت رحى الحرب، واستحرق الطعن والضرب، وامتجرت سمر الرياح، وتما فتحت بيض الصفاح، وتداعى الأولياء بشعار أمير المؤمنين المنصور، وتنادى الكفار بالويل والثبور، فنكسوا على أقدامهم مجدين في الهزيمة، واعتدوا الحشاشات لو سلمت لهم من أعظم الغنمة، واستلحمتهم السيوف، واحتكمت فيهم الخوف، واخذ المسلمون منهم الثار، وعجل الله بارواحهم إلى النار، وأسر بعد قتل السوف منهم في المعركة الدمعق رئيس عساكرهم وقائد هاشم، ومد بسر حروبهم ومرتبها، وما أخذ المسلمون قبله دستقا، وذلك من غرائب النعم التي بانست وتوالت في أيام أمير المؤمنين طلقا ونسقا، وحصل معه المعروف بابن البلنطس وهو طريقه في الرقاسة، ورسيلفي السياسة، وجماعة من البطارقة والزراوة والاراخنة والطراخنة، قد اذلهم الله بوثقاق الاسر، واذاقهم وبال الكفر، واقام على اوليائه الصالحين من الخيل والسواد والاسلحة والاسلاب، ما ازدادت به قوتهم، وامتدت معه شوكتهم، وانتميط اهل الثغور في جميع غلاشهم مستبشرين، وانتشروا في مسالكهم ومعاشهم آمنين مطمئنين، ونفذ كتاب أمير المؤمنين إلى أبي تغلب بن ناصر الدولة، وكتاب عز الدولة أبي منصور، تولاه الله، إليه والى من كان انجده بهم، بالاحساد على ما علموه سالفا، والارشاد الى ما يعملونه آتيا، وان يتناها في الوثوق من عدو الله المستق، ومن قرينه ابن البلنطس، والوجوه الأخوذيين معهما المأسورين بأسرهما، وانفاد رؤس من قتل من الاكابر دون من

يفوت الاحصاء من الأصغر ، ففعلوا ذلك ، وورد مدينة السلام من هذه

الرؤوس العدد الكثير الذي امتلأت به العيون قسرة والعدد دور شفاء .

فالحمد لله الذي أنجز وعده ، وأعز جنده ، وجعل رايات أمير المؤمنين

منصورة وعداته مقهورة ، وهو الممول اتمام ما أسدى من عارفة ومنة ، وأسبغ ما

أولى من موهبة ونعمة ، وأعلمك أمير المؤمنين ذلك لتأخذ - حفظك الله - بحظك

الوافر منه ، وتضرب بسهمك الفائز فيه ، إذ كان نتيجة تديبر عز الدولة ، امتع

الله ببقائه ، الذي فضله منسوب اليك ، وجمال اثره عائد عليك ، لتتقدم بأشاعتيه .

وإذا عتسه والتحدث به ، وأفاضته ، والكتاب بشرحه إلى الأعمال التي تليق والاطراف المتصلة

بنواحيك ، فبشترك الخاص والعام في الجذل به ، ويستوى القاصي والداني فسي الابتهاج

له ، إن شاء الله .

" وكسب عن معز الدولة قاضي الحسين احمد بن بويه

عند ظفيرة بروزبهان بن وند آخر شينذ العاصمي عليه بالاهواز (١)
" اما بعد ، فان احق النعم بان يلقي ضيفها العصا ، وتستقر به النوى ،
ويستوطن عاكفا ، ويطمئن محالفا ، نعمة قرنت بالشكر ، وجنبت الكفر ، وتلقيت بالارتيباط
والاستدامة ، وتنوولت بالتأنيس والاستمالة ، وصادفت كقوا مطبقا لحملها ، وواليا حقيقا بمثلها ،
وناهضا مستقلا بأعبائها ، وناشرا مشيا بالاشها ، فثبت الله عند اطنابها ، ويمكن لديه اسبابها ،
واضفى عليه ملابسها ، وساق اليه نفائسها ، وعقد له بها لسواء الظفر اين يم ، ومسد عليه رواق النصر
حيث خيم ، والله سبحانه يقول : * ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور * (٢) .
وان اخلقها بان يابى زورها المقام ، وينبوع الدوام ، وينعب غرابه بالزيال ، وتحدي ركائبه
بالانتقال ، نعمة وقعت عند مسي لجوارها ، جاهل بمقدارها ، عبي بحراستها ، ملي باضاعتها ،
فاتخذها اكبر اعوانه على كيد سوايسها ، واحسن جنته على حرب مسديها ، غافلا عن فاداة الله
الجارية ، بتزعمها عن ملك موحش سبيله ، واتبع مغل دليله ، وتعويضه منها بشعار العار
والشناره ، وجلباب المذلة والصغار ، فلا يلبث ان يصبح مترديا برداء بنيه ، مقتنعيا
قناع خزيه ، مأخوذا من مأمنه وحرزه ، مستنزلا عن نخوته وعزه ، ما لا عرفه
بعد السوء مخفوا عما به بعد العلوه مهتوكا حجابيه وذراهه ، مستباحا حريمه وحماه ، مستورا ما
كان استحلاه ، مستويا ما كان استعراه ، كالبيا ليديه وفسه ، مفضيا الى عواقب حسرتيه وندمه .

(١) مسائل الصابي ، ص ٤٣ - ٦٣ وانظر الحادثة في مسكويه تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ١٦٢ - ١٦٦

وابن الاثير الكامل ، ج ٨ ، ص ٥١٤ - ٥١٦ .

(٢) سورة الشورى (٤٢) : ٢٣ .

عاشرا لا يستقيـل ، سقيـما لا يـيـل ، كـسـيـرا لا يـنـجـيـر ، مـضـيـما لا يـنـتـصـر ، قـد حـقـت عـلـيـه
كـلـمـة اللـه ان يـقـول : * ذـلـك بـمـا قـدـمـت ايد يـكـم وان اللـه لـيـس بـظـلـام للـمـبـيـد * (١) ، واذ يـقـول
عـز و جـل : * و و جـد وا ما عـمـلـوا حـاضـرا و رـيـك لا يـظـلـم اـحـدا * (٢) ، فالـحـمـد للـه الـذـى نـصـب لـنا مـعـالـم
الـهـدـايـة ، و جـنـهـنا مـجـاهـل الغـوايـة ، و جـعـلـنا مـن العـارـفـيـن بـنـعـمـه ، الشـا كـرـيـن لـنـنـه ،
الـمـسـتـحـقـيـن لـمـزـيـد ، و المعـضـود يـن بـتـأ يـيـد ، و عـصـمـنا مـن مـراكـب اهل البـنـي المـزـلـة
لـا قـدـامـهـم ، و الجـالـبـة لـحـامـهـم ، و المـذـلـة لـآبـائـهـم ، و العـارـعة لـجـنـوبـهـم ، و الصـائـرة بـهـم الـى العـذاب
الـالـيـم ، و الحـال الـذـمـيـم ، و سـكـنـى الجـحـيـم ، و شـرب الـحـمـيـم ، و اللـحـمـد للـه الـذـى اعـلـقـنا مـن طـاعـسة
امـير الـمؤـمـنـيـن ، اطـال اللـه بـقـاءـه ، و بالـعـروـة الـرـوثـقـى ، و العـصـمة الـكـبرى ، و الـسـبـب الـمـتـيـن ،
و الـهـيـل الـامـيـن ، و الـكـهـف الـمـنـيـع ، و الـمـحـل الـرـنـيـع ، و قـرـن مـشـايـعـتـنا بـمـشـايـعـتـه ، و مـبايـعـتـنا بـمـبايـعـتـه ، حـتى
صـار و لـيـنا ، و لـيـه ، و عـد و نا عـد و ه ، و حـرـيـنا حـرـه ، و حـزـيـنا حـزـه ، و الـقـرـيـب مـنـا قـرـيـبـا مـنـه ، و الـبـعـيـد
عـنـا بـعـيـدا عـنـه ، فـما يـلـسـوق بـجـانـبـنا لـا تـذ ، و لا يـعـود بـعـقـوتـنا عـائـذ ، و الا كـانـت عـلـيـه يـد مـن
اللـه كـانـفـة و اقـيـة ، و عـيـن كـالـثـة راعـيـة ، و كـانـت الـسـلامـة لـه مـضـونـة ، و العـاقـبـة عـلـيـه
مـأمـونـة ، و لا يـنـجـم بـمـنـابـذـتـنا نـا جـم ، و لا يـعـزـم عـلى مـبايـتـتـنا عـازـم ، و الا قـطـع اللـه دـابـرـه ،
و جـب غـارـه ، و كـور شـمـسـه ، و اـز هـق نـفـسـه ، و طـمـس نـورـه ، و اظـلم دـيـجـورـه ، و كـانـت دـعـائـمـه
مـخـفـوضـة ، و مـرـا ثـرـه مـنـقـوضـة ، و الـهـلـكـة عـلـيـه مـكـتـوبـة ، و الـلـعـنـة بـه مـعـصـوبـة ، و تـكـرمـة مـن اللـه
بـها عـلـيـنا ، و احـسـن فـيـها الـيـنا ، و حـمـلـنا اوقـى شـكـرـها ، و طـوقـنا طـوقـى فـخـرـها ، و آثـرـنا بـفـضـلـها

(١) سورة آل عمران (٣) : ١٨٢ و سورة الانفال (٨) : ٥١ .
(٢) الآية ٤٩ من سورة الكهف (١٨) تقول : * ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ريبا احدا * .

على كل حاسد لعين ، وعدو مبين ، وان الله يحكته الباهرة وقوته القاهرة ،
ومشيئته النافذة وعزيمته الماضية ، خلق الخلائق من طينة واحدة ابتدعها
على صور شتى اخترعها ، غير حسان على مثال ، ولا راجع الى استدلال ، ولا محتاج
الى معين ، ولا معتمد بقرين ، ولا أخذ بتعريف معرف ، ولا مؤتم بتوقيف موقف ، واختص
منها الانسان بالعقل الذي هداه بعد الضلالة ، وفقه بعد الجهالة ، واهله
به لحمل تكاليفه ، والتصرف مع تعاريفه ، والالتزام لاوامره ، والازدجار لزواجره ، والاستحقاق
لثوابه او عقابه ، ورحمته او عذابه ، وهو مطلع من كل نفس ذراها ونسمة برأها ، على
طاعة مطيعها ، واطاعة مضيمها ، ونسك ناسكها ، وفتك فاتكها ، غير متمتع مع علمه بخواتم
العيون ، ومخفايا الصدور من اعداء النعمة الى العاكر والكافر ، واقرارها عند البر والفاجر ،
ابتداء بالمنة ، واتماما للموهبة ، وايجابا للحجة ، وتأكيذا للتوثقة ، وليجزى كالا منهم عن
بينة بما كسب ، وبصيرة بما احتق ، واذا فعل ذلك علام الغيوب ، ومسيطر القلوب ، الذي لا
تحتجب عليه الضمائر ، ولا تنطوى دونه السرائر ، فلا تثريب علينا في ايداع الحسنه عند من
نظن به شكرها ، ونقدر فيه حفظها ، وليس لنا ما لله من علم البواطن الدفينة ، والدخائل
الكمنية ، التي لم يوازه في ادراكها مواز ، ولم يساوه في الاحاطة بها مساو ، فان اصبنا
بالصنعة طريق المصنع ، واود عناها عند خير مستودع ، فقد اصمى سهمنا ، وانجح سعينا ،
وصدقت مخيلتنا ، وسلمت ذخيرتنا ، وان خاب حدسنا وكذبنا حسنا ، واخطأت فراستنا ،
وضلت دلالتنا ، فالله يظفرنا بمن شد عنا ونفى ، ويمكننا من ناصية من اعتدى وطغى ، ويجعل
كلمتنا عليه العليا ، ويدنا فوقه الطولي ، ويموضنا من تقديرنا فيه المعكوس ، وتأملنا

المنكوس، وأن يحل به نعمة من نعمة، وقارعة من قارعه، يضحى بها عبيرة
لنظرائه، وعظة لقرنائيه، فيصلحهم الله لنا بفساده، ويجمعهم بشتاته وانفراده،
ويصبرهم بعماه، وينجيهم براده * إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * (١)
وكان الغامط لانعامنا، الجاحد لاحساننا، المتردى من ذروة الاعتناء، الهاوى في هوة
معصيتنا، الخالع ريقة ذمتنا، النازع جنة معايعتنا، روزبهان بن وند اخرشيد، تمنع
عندنا في قديم امره بالولاية، وتتفق بالكفاية، واظهر لنا غرورا من سميه في الخدمة
وكدحه وسرابا لامعا من وفائه ونصحه، وهو يدب الضراء ويسر حسوا في ارتقاء، ويوكتي
على الغر، عيايسه، ويحنو على النكت، ضلوعه وحجابيه، ولا يسدى لنا بادية وفاسق، الا
عن خافية نفاق، ولا يطلع طالمة وداد، الا عن خبيثة عناد، ولا يبرز في شيمة من شيم
الترب منا، والتوصل الى قلوبنا، الا كانت غطاء، على حيلة يعملها، او غيلة يرمد لمسا،
وغشاه، على فرصة يتتهزها، وغرة يهتبلها، ونحن نحمل امره على ظاهره، ونظن ظاهيه
مثل حاضره، وباطنه مثل عالنه، بل كلما زدناه احسانا وامتنانا، زدنا اليه سكونا
وركونا، وكلما ارتقيناه به الى منزلة ورتبة، ارتقيناه فيه الى مثلها من انسه وثقة،
حتى استبطناه من الحضيض الاوهد، الى السناء الامجد، وجذبنا بضبعه من المسقط

المنحط، الى الرفع المشتط، وانتهينا في الانافة بقدره، والاشادة بذكوره، والتفخيم
لامره، والتقديم لقدمه، الى الغاية التي لا تسمح بها نفس باذل، ولا تسمو اليها
همة آمل، فلما عز بعد الذلة، وكثر بعد القلة، وبعد صيته بعد الخمول، وطلع
سعد بعد الافول، وجمت عند الاموال، ووطئت عقبه الرجال، وتضرمت بحسبه جوانح
الاكفاء، وتقطعت بمنافسته انفس النظراء، نزت به بطنته، وادركته شقوته،
ونسرغ له شيطانه، وامتدت في الغي اشطانه، فنصب اشراكه وجائله، واعمل مكايده
ومخاتله، وجعل المدخل الى ارضه، والمسلك الى غرضه، ان تصدى لمقارعة عمران (١) وضمن
ذلك اوكد ضمانه، وزعم انه لجاورته اياه في اعماله، ومقارنته له في اوطانه، قد اطلع
على ما لم يطلع عليه غيره من عوراته، واهتدى الى ما لم يهتد اليه سواه من غراته،
ومره بأباطيله، وتمادى في اذليله، وقرب في مواعيد زخرف من اقاويله، فلجبننا الى
ما طلبه، وآثرناه بما خطب، ونطنابه الامر الذي شرع فيه، ورغب اليه في توليه،
وضمننا اليه العدد الوافر من قوادنا، والجم الغفير من اوليائنا، واطلقنا يده
في انفاق اموالنا، وتناول ذخائرنا، قبولا لما اظهر من الحرص، وتأميلا
لاستعمال ذلك اللص، وزحنا لا نعلم ان الطالب شر من المطلوب، والقاصد اضر
من المقصود، وانهما في سوء النية ميان، وفي خبث الطوية اخوان، فما زال يناوله
منازلة المطاول، ويزاوله مزاوله الماطل، لتتراخي به الايام، ويتسق له النظام،
ويصل من مراده الى الانعام والاهرام، وهو يختدع من قبله من الرجال، ويعد هم بكل باطل

(١) هو عمران بن شاهين صاحب البطيحة، انظر اخباره في مسكويه، تجارب الامم، ج ٢، ص ١١٩

وابن الاثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٨١.

ومحال ويحملهم من طاعته والمعصيان لنا وبما ياتيه والازرار عنا على كل
خطئة عنما هودا هبة دهبها هالى ان امتثال سفها هم اغترارا واجترارا ه
واستولى بهم على من مواهم اقتسارا واضطرارا ه وكان ابسو محمد الحسن
ابن فنا خسرو من حصل تحت امره واعتقلته اشراك مكره ه وكتب الى اخيه اسفار بن
ونداخرشيد المقيم كان في اعمال ضانته بالا هواز باخراج كوركبير والفتح اللشكري (١) من
القلعة بجند يسابور التي كانتا معتقلين فيها وهما من كان الشيطان استغل حزمه ه واستنزل
قدمه ه وعرض دمه ه واطال ندمه ه فمعصينا فيها بواعث الانتقام والسطو ه واطعنا عواطف
الاغترار والمغفو ه ونفسنا بهما عن افاضة النفوس ه واقتصرنا في عقوبتهما على اطالة
الحيوس ه وقررناهما من هذه القلعة بحيث امنا وسكنا واطماننا ووثقنا ه ففعل اسفار
ما امره به ه وامتثل ما رسمه له ه ثم انكأ روزبها ن عن البطائح بالمساكر ناكسا عن محاصرة
ذلك الفاجر ه وقد م الينا كتباً ينقض بعضها بعضها ه ويخالف آخر منها اولها ه بناها
على ذم فعل اخيه ه والبرائة منه فيه ه وتصرف تصرف المذكور لنا بحرمانته ه المستحفظ لموالاته ه
وادعى من تنكرنا له ه وتخيرنا عن العناية به ه واصفائنا الى افساد المفيدين عليه ه
وايحاسر الموحشين منه ه دعاوى اتخذها سلما الى المركب الصعب الذي ارتكبه ه وعذرا في
المنهج الوعر الذي اتهمجه ه فأجبناه جوابا اتبعناه بأشمال له لم نأل في جميعها
جهدا شديدا ولفظا سديدا ه في تسكين نفرتهم ه والاهابة به الى مصلحته ه والتوثقة له

(١) كوركبير هو من اكابر القواد ه خرج على معز الدولة فقاتله واخذ اسيرا وجلس في قلعة رامهرمز ه
(مسكويه ه تحارب الاصبه ج ٢ ص ١١٢ وابن الاثير للكمال ه ج ٨ ص ٤٦٩) ه اما الفتح اللشكري فقد
قلده معز الدولة اعمال تكريت فمال الى ناصر الدولة بالموصل وتقلد تكريت من قبله فقبض عليه ه
سنة ٣٣٥ واسر في قلعة رامهرمز ايضا ه (مسكويه ه تحارب الامم ه ج ٢ ص ٤٨١ و١١١ وانظر ايضا المصدر
نفسه ص ١٢١) ه

بكل ما اخذ الله على انبيائه الصديقين ، وملائكته المقربين ، من عهد محمد وعقد محصن ، ويعين
غموس ، لا مخلص للمخل بها ، ولا فسحة للمأول فيها ، الا نواخذة بجريرة ، ولا تعاقبـــــــــــــــــه
على كبيرة اقترفها ، ولا صغيرة ، ولا تنقصه من رتبة بلغها ، ولا تبعده عن قرينة وصل اليها ، ولا
تلحق به ضياع ، ولا نطلق عليه هضما ، ولا نضر ضدا له ، ولا نمكن خصما منه ، ولا نفسد العارضة
عنده ، التي اتفقتنا في اسدائها الاموال ، وخالفنا في اتامها العذال ، ولا نشمت به اعداء طالما اشاروا
فعمروا ، وتنصحوا فأقصوا ، واننا نغضي له عن كل مال انفق واستهلكه ، ونذخر اجحف به واتتهكـــــــــــــــــه ،
ونستأنف به المزيد في الاحسان والنعمة ، والمنزلة الرفيعة ، ثم تكون حاله في نفوسنا اذا حضرنا
بعد النبوة ، ووطى ، بساطنا بعد الهفوة ، حال من لا يحترضنا ابدا فيه عارض الشك ، ولا نصفي السي
طعن طامن عليه بصدق ولا افك ، وحذرناه ، عواقب الكفر النازعة للنعم ، وخوفنا ، معارم البغي
الجاهلة للنقم ، وتلوننا عليه آيات القرآن البصرة ، وضرينا ، بقوارعه المنذرة ، ودعونا الى التنزه
عن ميسم العاصين ، وعمار المخالفين ، وسوء قالة القاظين ، واحاديث المتحدثين فأبى له ضعف العقل
والنحيظة ، ولؤم الطبع ، والفريضة ، الا اصرارا على طيشه وسفهه ، واستمرارا في طيغته وهيبه ،
حتى كأن الوعظ اغراء ، والارشاد اغواء ، فلما حصل بواسطه هتك حجاب نفاقه ، واظهر مكسونه شقاقه ،
وجاهر بالخلاف ، وظاهر وكاشف بالانحراف ، ورجل الى سوق الاهواز عاملا على الاستيلاء عليها ، ودفع
ابي محمد المهدي ، ادام الله عزه ، عنها وتوافى اليها معه اسفار اخوه ومن معه ، فكتبنا الى ابي
محمد الحسن بن محمد بمقارنته ان استصوبها ووثق من معه بالاستقلال بها ، والانحياز
الى البصرة ان خاف منها ، نكولا عن اللقاء ، او عدولا عن الوفاء ، فأخذ في الحزم في تقديم ما كان قبله من

الاموال والاتفال والمير والازواد ووجوه اهل البلاد الى البصرة، ونصب ابا العباس
ليلى بن موسى زعيما لمن كان بالاهواز من الشحنة والرجال، ووقف معه وقوف الابلاء
والاعذار، فلما احسا منهم بالاسفاف الى الدنيا، والايضاع في الفتنة، وكانوا كالغنم
السارحة التي لا راعي لها، والاهل المائمة التي لا سائق معها، انجذبا الى البصرة،
ومن تابعهما من اهل البصرة والنصرة، وافرجا له عن الاهواز بعد ان كان ابو محمد اصفرها
من كل خير، واقفرها من كل مير، ودخلها الخائن، دخول الكافر الغادر، وتناجحت اليه
كلاب الفارة الشعواء، وتعانقوا اليه ذئاب الصيلم العماء، طمعا منهم في الوصول الى
ما عنده، واقامة سوق يستنفدون بها حاصله ووجده، وهو يزداد تماديا في غيبه،
وتناهيا في غيبه، وقبولوا من شيطانه المارد، وعصيانا لنصيحة الراشد، وانحاز اليه
بالاهواز محمد بن احمد الخوميني عاملنا كان عليها بعد مكاتبة منه لهذا الخائن خان معه
فيها، وعن مواطاة بينهما تنجز العقوبة بها فقبله واقبل عليه واستوزره وفوض اليه، وكان
الله قد قضى عليهما بهذا الاجتماع في المعصية، ان يجتمعا في انصرام المدة، وعسكر
ومن معه بظاهر سوق الاهواز على سمت الطريق التي عليها تسير اليه، وتجاه الجهة
التي منها نرد عليه، فلما تحققت عندنا هذه الالهيارة، واسفرت اوضح الاسفار، حاكمنا
هذا اللعين الى الله العادل حكمه، السابق في الاشياء علمه، العارف باحساننا اليه،
وافضالنا عليه، ورفعنا خصيسته، وتشریفنا دنيته، وانه قابلنا مقابلة العبيد الابطاق،
وجازانا مجازاة الفجار الفساق، حين ضغمت عليه ملامتنا، وكرمته مجالسنا، وكلمت لديه
فواضلنا، وتظاهرت عليه نوافلنا، وقوت يده ايدينا، وتحاشدت اليه موالينا، وتوجهنا
نحوه فبمن كان بحضرتنا من العماكر واصناف الغلمان الاكابر والاصاغر، محتشرون

عليه بكفاية الله التي هي اعز نصيره ، مستظهيرين عليه بمعوتنا التي هي انجد
ظهير ، ووردنا اوائل اعمال الاهواز فوجدنا خواص كل كورة من كورها وعراقسها ،
ووجوه كل ناحية من نواحيها ورعاياها ، على ما ينبغي ان يكونوا عليه من الشغف بموردنا ،
والتجرد في نصرتنا ، والدعاء لنا ، والباينة لعدونا . فلما ايقن باقبالنا اليه
واروجس من اطلالنا عليه ، صار الى عسكر مكرم مرجعا عن المواجهة ، ومعدا عن
المناجزة ، مظهرا لاصحابه ان طريقنا كان عليها ، وانه سابقنا اليها ، واتمنا الى سوق
الاهواز ، ووضعنا العطاء في الاولياء ، فتشرف اليها من كان استخبره منهم بأخذه وتلقه
من كان استجره بخدعه ، وخفت ذات يده في الاطلاق ، وانقطعت عن عسكره مادة الاتفاق ،
وعلم ان الامر له مرهق ، والبلاء به محقق ، فثنى اليها عنقا قد اغنقت اليها الحنوف ،
وابرقت نحوها السيوف وقد كان ابو محمد الحسن بن محمد ، وابو العباس ليلى بن موسى ،
عاد الي الاهواز ممثلين بالتعجل اليها ، وللحاق بنا ، امرا صدر اليهما منا ، ووكبدا
ورد عليهما من كتبنا ، ووثقنا رسلنا الي اوليائنا الحاصلين مع هذا الخائن الذين كل منهم
احد الرجلين : اما مسف الى تناول حطامه ، معازم على خذلانه واسلامه ، او منلوب على
رأيه ، محام عن جوائسه ، طالب لنفسه فرصة الانسلا ، وخلصه الانتقال ، فاستجابوا الي
الواجب ، واذعنوا بالحق اللازم ، واقاموا خروبا من العذر عندنا ، ولانوا بالعفو والنفرا من
واستأمن اليها ابو محمد الحسن بن فنا خسرو مستقيلا من عثرته ، مستغفرا عن جريرته ، فتلقينا
بالاحسان ، وغمرنا بالامتنان ، وثلم الله به جانب العدو ، وايقن بحلول المكروه والسوء ، وافضى الرأي ان
رددنا ابنا محمد الحسن بن محمد الى الهاسيان ، لنبعد عن مياغرة الحرب ، ونصونته

عن مشاهدة الطعن والضرب بعد ان اتت المقارضة بيننا وبينه على ما استدعينا من اجله ،
وان عدلنا الى قنطرة ارسق حتى ملكنا وعسكرنا من ورائها جلوسا بالمرصاد له ، وضربا بالاسداد
عليه واخذا بمخنقه ، وتضييقا لطرقه ، وكر هو الى سوق الاهواز راجعا ، واقبل منها اليها
مسارعا ، والفا لسوف الجاهل برس ، والذاهل عن رشده ، المركوس في غيه ، المسوق الى
خفصه ، قد اعجبت به نفس محبطة العمل ، وفترته امنية خائبة الامل ، واوردته تحة الايسم ،
ورقة الدين موارد هلكة لا صدر عنها ، واقتمت به قح خطة لا انفراج لها ، والله في ذلك كله
ناصرنا وخازله ، ومظفرنا وقاتله ، ومعلمنا ومسقطه ، ومد يلسا ومورطه ، ان كان سبحانه العالم
بان الجنود المطيعة به جنودنا ، والبنود الخاققة على رأسه بنودنا ، وان لنا الثوب الذي
سجبه ، والطرف الذي ركب ، والدرع التي ادرعها ، واللكمة التي استلأمها ، والعضب الذي
انتضاه ، والسهم الذي امضاه ، وعبرنا القنطرة اليه في خواص غلماننا الاتراك ، ونخب من الديلم
والجيل الفتاك ، وذوى صدور منه ومن اصحابنا الخونة حامية ، وقلوب عليهم ملتظية ، وايسد
في جهادهم متفقة ، واقدام الى لقاءهم مستبقة ، فلم تزل الخيل تطرقهم ، والكر يرهم ، والجراح
تخنهم ، والقتل يحقهم ، والحرب تذيبهم حرا حديدها ، وجلاد صناديدها ، وترميهم
بكاتبا وابطالها ، وتعرهم عرك الرحي بثقالها ، سحابة يسوم الاثني عشر انسلخ شهر رمضان الذي ختم
الله به شهر الصيام ، وعظم بركته على الاسلام ، فلما ترامى الناس هلال شوال ، وكادت تغشاها
غواشي الظلام ، انزل الله نصره على اوليائه ، وشفع لهم وعد ، بوفائه ، فانهمزم الخائفين هزيمة قوس الله
بها عرويه ، وفش جيوشه ، وضلل وساوسه ، وابطل هواجسه ، واستلحمت رجاله السيوف ، وحرقتهم
نار الحتوف ، واقتسمتهم الكاره معا ايدي سبا ، بين قتيل مرمل ، واسير مكبل ، وهارب

مفلول ، ومستأمن ذليل ، وكان كوركيمر والفتح اللشكري ممن جرى عليهم حكم الأمان ،
واعتلق جبل الذمام ، فدخلا في الجملة دخول التائب النيب ، والراشد المصيب ،
وتعمدنا سالف وطارف جرائمهما ، وصفحنا عن قديم وحدث جرائمهما ، وانزلناهما منازل نظرائهما
الشامل لهم فضلنا ، الممتد عليهم ظلمنا ، واتبع سرعان خيلنا عدو الله الهارب منا ، فلاحقوه
وادركوه ، واحاطوا به ، وملكوه ، ويدر اليه من الغلمان من ضربه ضربات اثرت فيه آثارا لم
تجحف ، وبلغت منه مبالغ لم توغل ، وتباكوا عليه تباك المتنافسين في الأثر ، المتشاحين
على الظفر ، الى ان اكب عليه ابو الفوارس شيرزيل بن كندراسن (١) ، فاستخلصه واستحيياه ،
واستنقذه واستبقاه ، واتانا به اسيرا عقيرا ، خاضعا ضارعا ، بنير عهد يحجز عنسه ،
ولا عقد يمنع منه ، ولا امان يعلق بحجته ، ولا ضمان يطالب بوثيقته ، ووجد احمد بن محمد
الخرميني صريعا مجتذلا ، طريحا معفرا ، قد اثنته ضربة في رأسه ، لم يلبث بعدها الا قليلا
حتى قضى نحبه ، ولقي باسود صحيفته ربه ، واجلس هذا الفتح العظيم خطوره ،
الجسيم قدره ، وعن سكون الدهماء ، وشمول النعماء ، وعزال اولياء ، وكبت الاعداء ،
وشغاف الصدر ، وادراك الوتر ، واخذ الشار المنيم ، والظفر بشيطان الفتنة الرجيم ، وتلك
عاقبة من ظلم وكفر ، وخان وغدر ، ونفى واستكبر ، وعشا وتجبى ، والله تعالى يقبول
فيه وفي امثاله : * وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من
كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * (٢) .

(١) شيرزيل هذا هو الذي ارسله معز الدولة على مقدمته للحرب . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) سورة النحل (١٦) : ١١٢ .

فالحمد لله رب العالمين الذي لا يضيع اجر المحسنين ، ولا يصلح عمل المفسدين ، ولا يهدى كيد الخائنين ، هدى الحجج البوالغ ، والنعم السوابغ ، والنقم الدوامغ ، جبار الارض والسماوات ، وعالم الجليات والخفيات ، الذي لا ينجقو منه الهارب ، ولا يعجزه الطالب ، ولا يضيئه ضائم ، ولا يروم مغالبته رائم ، واياه نسال ان يصلي على محمد عبده ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، صلاة زاكية ، نامية ، دائمة ، راتية ، منجزة عدته ، رافعة درجته ، قاضية حقه ، مؤدية فرضه ، وان يديم لمولانا امير المؤمنين احسن ما خوله ، واولاه ، ومنحه ، واعطاه من نصرة رايته ، واعلاء كلمته ، واظهار من ظاهره ، وتأييد من ظافره ، وان يجعلنا ممن اذا انعم عليه شكره ، واذا ابتلي صبره ، واذا زيد لم ينمط ، واذا نقص لم يقنط ، والا يخلينا من الكفاية ، وجميل الولاية ، فيما غاب وحضره ، واستسر وجهه ، ووطن وعلنه ، واحتجز وبرزه ، انه ولي ذلك والقادر عليه ، والمرجو له ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٤ - " ولم يزل يعمل الحيلة في المفارقة لهم والخلص منهم الى ان يسر

الله ذلك واعانهم عليهم بما اوقعه بين اولئك المذلولين من اختلاف

الاهواء واختلال الآراء وانتكاث العزيمة والتياث الصريمة فتمزقوا

في البلاد كما تمزق الريح رجل جراد ، ولان الاكثر منهم بمواليهم ، والجاتهم الفاقة اليهم ،

على غير عهد ولا امان ، ولا عقد ولا ضمان ، وكساب امير المؤمنين ، اذا واعدوا

الدولة ، وزعماء الفتنة ، بين قتيل مرسل ، واسير مكبل ، وعارب مفلول ، ومستأمن

مقبول ، قد نسزعوا سرا بهل الاستكبار ، وادرعوا جلايب الصنار ، وايقنوا * ان

الله لا يهدي كيد الخائنين ، ولا يصلح عمل المفسدين * (١) .

٥ - " وان يفتح لهم باب ، ويرفع عنهم حجاب ، ويمكنهم من الوصول اليه ، ويمسرف مظلالمهم

عليه ، وييسط لهم وجهه ، ويلين لهم كفه ، ويبيذل بشره ، ويخفض جناحه ، وان يتفقد الكبير

والصغير من امورهم ، ويتكلف الدقيق والجليل من مصالحهم * (٢) .

٦ - " فمن رجع القهقري ، ونسزع وارعي ، فالتوبة تنفعه ، والانابة تنعشه ، والعفو يسعته ،

والحلم يخمره ، ومن دام على لجاجة ، واسر على اعوجاجه ، فجيوش امير المؤمنين تطرقه ،

ومساكره ترهقه ، والمعاصم تلفظه ، والمعائل تعلمه ، والشقي من كان معه ، والمعبيد

من يسرى منه * (٣) .

(١) رسائل الصابي ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ والآية جمع الاجزاء من الآيتين ٥٢ من سورة يوسف و ٨١ من

سورة يونس .

(٢) رسائل الصابي ، ص ١١٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩١ .

٧ - " وكس (١) من قنبر (٢) اطلقنا عليه بازيما (٣) فمرج الى السماء مروجاً ،
ولجج في اشروه تلججاً ، فكأن ذلك يفتصم منه بالخالق ، وكان هذا استطاعه
من خالق (٤) ، حتى غابا عن النظر (٥) ، واحتميا عن الابصار (٦) ، (وصارا كالغيب المرجم ،
والظن المتوهم) (٧) ، ثم خطفه ووقع به وهما كهيئة الطائر (٨) الواحد ، فأعجبنا
امرهما واطربنا منظرهما (٩) ، ووردنا المنازل سالمين وولجناها غانمين والغزاة (١٠) مصوبة
للغروب مؤذنة بالمغيب ، والجوف في اطمار مبهجة من اصائله ، مورسة (١١) من غلائله " .

(١) اليتيمة ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ وابن حمدون ، التذكرة (٧٦٩) ، الورقة ٩٤ ب - ١٩٥ وابن العمير

لقاح الخواطر ، الورقة ٨٧ ب .

(٢) في التذكرة الحمدونية ، الورقة ٩٤ ب : " وكان قريمانه قنبراً وفي لقاح الخواطر : " فأبصرنا

فيه قنبراً " .

(٣) في المصدرين السابقين : " يويوا " واليويو : " اصغر من الخاطف ، وهو كالصقر في جميع حالاته ،

ويفارقة في ثلاثة اشياء : احدهما ان اليويو صغير ، والصقر كبير . والثاني ان لون رجلي الصقر

ازرق واليويو اصفر . والثالث ان الصقر اذا تقرن لم يتخير عن حاله كثير تنير ، واليويو اذا

تقرن صار لون ظهره ازرق ، وصدرة كلون صدر الشاهين الكرز " + عن عبد الرحمن البلدي ، الكافي

في البيزرة (تحقيق احسان عباس وعبد الحفيظ منصور ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،

الطبعة الاولى ١٤٠٣ / ١٩٨٣) ص ٦٣ . وانظر ايضا القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٢ ، ص ٦١ .

(٤) في التذكرة الحمدونية ، الورقة ٩٤ ب و لقاح الخواطر : " الرازق " .

(٥) في لقاح الخواطر : " الابصار " .

(٦) في المصدر نفسه : " الافكار " .

(٧) ما بين قوسين غير موجود في المصدر السابق .

(٨) في المصدر نفسه : " الطير " .

(٩) ما بين قوسين غير موجود في اليتيمة ونقل عن التذكرة الحمدونية ، الورقة ٩٤ ب - ١٩٥ و لقاح

الخواطر ، الورقة ٨٧ ب .

(١٠) في لقاح الخواطر : " والشمس " .

(١١) في المصدر نفسه : " شقوف مورسة " .

٨ - " وصلت رقعتك ففضضتها عن خط مشرق ، ولفظ مونق ، وبإشارة مصيبة ، ومعان غريبة ،
واتساع في البلاغة يعجز عنها عبد الحميد في كتابته ، وسحبان في خطابته ، وتصرف
بين جد امضى من القدر ، وهزل ارق من نسيم السحر ، وتقلب في وجوه الخطاب ، الجامع
للصواب ، الا ان الفعل قصر عن القول لانك ذكرت حملا جعلته بحفتك جملا ، وكان
المعبد الذي تسمع به لا ان تراه ، فلما ان حضر رأيت كنهها متقاد الميلاء ، من
تساج قوم عاد ، قد افنته الدهور ، وتعاقبت عليه العصور ، وظننته احد الزوجين اللذين
جعلهما نوح في سفينته ، وحفظهما لذريته ، صغر عن الكبر ، وكبر عن القدم ، فبان
دمايته ، وتصرت تامته ، وعاد ناعلا ضيلا ، باليا هزلا ، بادي الاسقام ،
عاري العظام ، جامعا للمعائب ، مشتلا على المثالب ، يعجب العاقل من حلول الحياة به ،
ومن تأتي الحركة فيه ، لانه عظم مجلد ملبد ، لا تجد فوق عظامه سلبا ، ولا تلقى يدك
منه الا خشبا ، قد طال للكلا فقه ، وبعد بالمرعى عهد ، لم ير القتل الا نائما ،
ولا عرف الشعر الا حالما ، وقد كنت ملت الى استبقائه لما تعرفه عن محبتي للتوفير ،
ورغبتني في التثبير ، وجمعي للولد ، واد خاى لغد ، فلم اجد فيه مستقبيا لبقاء ، ولا مدفعا
لعناء ، لانه ليس بانثى فتلد ، ولا بقتى فينسل ، ولا بصحيح فيرعى ، ولا بسليما
فيبقى ، قلت : اذبحه ليكون وظيفة للميال ، واقيمه رطبا مقام قديد الزال ، فانهديني
وقد اخبرمت النار وحدثت العفار :

" اعيد لها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم "

ثم قال : وما الفائدة في ذبحي ولست بذى لحم فأصلح للأكل لان الدهر قد اكل لحمي ، ولا ذى

جلد يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت ادمي ولاذى صوف يصلح للنزل لان الحوادث قد حصت وسرى فان اردتني للوقود فكيف يمز انفي من نارى وليرقي حرارة حجرى بريح قنارى ؟ فلم يبق الا ان تطلبني بذحل او بيني وبينك دم * (١)

٩ - " اسأل الله تعالى مبتهلا لديه ، ماذا يدي اليه ، ان يحيل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من اخواتها بالصالحات الباقيات ، وبالزائدات الغامرات ، ليهكون كل دهر يستقبله واهد يستأنفه موفيا على المتقدم له ، قاصرا عن المتأخر عنه ، ويوفيه من العمر اطوله وابعد ، ومن العيش اعذبه وارغده ، عزيزا منصورا محيا موفورا باسطا يده ، فلا يقبضها الا على نواحي اعداء ، وحساد ، ساميا طرفه فلا يخضه الا على لذة غمض ورقاد ، مستريحة ركايبه فلا يعملها الا لاستضافه عز وملك ، فائزة قد احه فلا يجيلها الا لحيازة مال وملك ، حتى ينال اقصى ما تتوجه اليه امنيته جامحا ، وتسمو له همته طامحا " (٢) .

١٠ - " بل كلما زدنا ، احسانا وامتنانا ، زدنا اليه سكونا وركونا ، وكلما ارتقينا به الى منزلة ورتبة ، ارتقينا فيه الى مثلها من انسة وثقة ، حتى استبطنا ، من الخضير الاهد ، الى السناء الامجد ، وجذبنا بضبعه من المسقط المنحط ، الى المرفع المشتط ، وانتهينا في الانافة بقدره ، والاشاد بذكوره ، والتفخيم لأمره ، والتقديم لقدمه ، الى الغاية التي لا تسح بها نفس بانل ، ولا تسمو اليها همة أمل ، فلما عز بعد الذلة ، وكثر بعد القلة ، وبعد

(١) وفيات الاعيان ، ج ١ ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) اليتيمة ، ج ٢ ص ٢٤٦ .

صيته بعد الخمول ، وطلع سعده بعد الافول ، وجمت عنده الاموال ، ووطئت
عقبه الرجال ، وتخرمت بحسده جوانح الاكفاء ، وتقطعت بمنافسته انفس النظراء ، نزلت
به بطنته ، وادركته شقوته ، ونزغ له شيطانه ، وامتدت في الغي اعطانه ،
فنصب اشراكه وجباله ، واعمل مكايده ومخاتله ، * (١) *

١١ - " امره بتقوى الله التي هي العمدة المتينة ، والجنة الحصينة ، والطود الارفع ،
والمعان الامنع ، والجانب الاعز ، والملجأ الاحرز ، وان يستشعرها سرا وجهرا ، ويستعملها
قبولا وفعلا ، ويتخذها ردا ، دافعا لنوائب القدر ، وكهفا حاميا من حوادث الشير ،
فانها اوجب الوسائل ، واقرب الذرائع ، واعودها على العبد بمالحه ، وادعائها
الى سهل متاجحه ، * (٢) *

١٢ - الحمد لله ، المنعم على اوليائه ، المنتقم من اعدائه ، رافع الحق ومعليه ، وقامع
البطل ومرديه ، ومعز الدين ومد يله ، ومذل الكفر ومد يله ، المنزل رحمته على من جاهد في
طاعته ، المحل سطوته بمن جاهر بمعصيته ، المتكفل تأييده حتى يظفروه ، وحذلان
حزبه حتى يدحروه ، * (٣) *

١٣ - " والحمد لله الذي اختار لنا الاسلام ديننا وآثره ، واظهره على الدين كله ونصره ،
وشرعه شرعا لا ينسخ ، وعقده عقدا لا يفسخ ، وجعله حقا لا يدحض ، وامره امرارا لا ينقض ، وقضى
له بجز المرافقين وذل المنافقين ، وظهر المعاضدين وثور المعاندين * (٤) *

(١) رسائل الصابي ، ص ٥٥

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ - ١٤٥

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٤ - ٦٥

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٦

١٤ - " فأدى امانة ربه مخلصا ، وصدع برسالاته مبلغا مخلصا ، واستنقذ هذه الامة من الغواية ، وعرفها طرق الهداية ، وسلك بها سواء المحجة ، ودعاها الى الحق بأوضح حجة ، وعدل بها عن عبادة الاوثان الى طاعة الرحمن ، وعن دين الشيطان الى ارشاد الاديان ، فاصبح الناس على التعاطف والاشفاق عاكفين ، وعن التهاج والاختلاف عازفين ، ٠٠٠ (١) .

١٥ - " ولما نزلت بهم النوازل ، وهببتهم الهوابل ، واظلمهم البوار ، واستمر بهم العشار ، وغشيتهم جيوش امير المؤمنين المنوطة بحامسي البيضة ، وراعي الحوزة ، عضد الدولة رعاه الله ، ففرقهم فرقا ، واظارهم شققا ، وقسمهم شعاعا ، وايدى سبا ، وانجز فيهم مواعيد الله ، واذاقهم سوء عاقبة ظنونهم الكاذبة ، وقتل منهم من اذن الله في تعجيله ، وهزم من املى الله له الى غاية تأجيله ٠٠٠ (٢) .

١٦ - " ونعود معك الى ذكر الحرب التي انت مجتهد في ان تشب بيننا نارها وتطير شرارها ، فيا ليت شعرنا بأى قدم تواقفنا وراياتنا خاققة على رأسك ، وما ليكننا عن يمينك وشمالك ، وخيلنا موسومة باصاقتنا تحتك ، وثيابنا محوكة في طرزنا على جسدك ، وسلاحنا مشحون لاعدائنا في يدك ٠٠٠ (٣) .

١٧ - " فلم تزل الخيل تطرقهم والكر يرهقهم ، والجراح تثخنهم ، والقتل يحققهم ، والحرب تذيبهم حر حديدها ، وجبلاد صناديدها ، وترميمهم بكاتمها وابطالها ، وتعركهم عرك الرحى بثقالها ، ٠٠ فانهم الخائن هزيمة قوف الله بها عروشه ، وفخر جيوشه ، وضلل وساوسه ، وابطل هواجسه ، واستلحمت رجاله السيوف ، وحرقتهم نار الحتوف ، واقتسمتهم المكاره شعاعا ايدى سبا بين

(١) رسائل الصابي ، ص ٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ - ٢٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤ ، اليتبية ، ج ٢ ، ص ٢٥١ والعباسي ، معاهد التنصيص ، ج ٢ ،

قتيل مرميل ، واسير مكبل ، وهارب مفلول ، وستأمن ذليل " (١) .

١٨ - " مكان حلوك بفناء " امير المؤمنين مكان الديمة الوطفاء ، غب السنة الشهباء ، والنور المنتشر بعد الظلام المعتكر وانحسرت الفتن بلألاء جبينك ، ودرت النعم من اخلاف يمينك ، وجرت الامور على سنن الصواب ، واعتدلت بعد التواء واضطرب ، فأحاطت ريقة الطاعة باعناق كانت خالعة لها ، وحسنت الوفا كانت بعيدة العهد بها ، ونقلت الاحكام منها على منهاجها ، وتقومت بعد اعوجاجها في انفراجها ، واطمأنت المضاجع على مهاد العدل والحماية ، ونامت العميون في كنف الذب والكلاية " (٢) .

١٩ - " حتى استطناء من الحضيض الاوهد ، الى السناء الامجد ، وجذبنا بضبعه من المسقط المنحطه الى المرفع المشتطه " (٣) .

٢٠ - " نزلت به بطنته ، وادركته شقوله ، ونزغ له شيطانسه ، وامتدت في الغي اشطانه ، فنصب امرائه وجائله ، واعمل مكايده ومخاتله " (٤) .

٢١ - " للنعم شرط من الشكر لا تريم ما وجدته ، ولا تقيم ما فقدته ، وكثيرا ما تسكر الواردين حياضها ، ويحشي عيون المقتسين ايامها ، فيذهلون عن الامتراء لدرتها ، ويعمسون عن الاستمتاع بنفرتها ، ويكونون كمن اطار طايرها لما وقع ، ونفر وحشها لما انس ، ولا يلبثون ان يتعروا من جلبابها ، وينسلخوا من اهابها ويتعرضوا منها بالحصرة والغليل ، والاسف الطويل " (٥) .

(١) رسائل الصابي ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) لقاح الخواطر ، الورقة ٩٦ ب .

(٣) رسائل الصابي ، ص ٥٥ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ ، واليتيمة ، ج ٤٢ ، ص ٢٥١ ، وابن حمدون ، التذكرة (٧٧٠) ، الورقة ١٦٠ .

٢٢ - " فانها (النفس) اشارة بالسوء ، صبة التي التي صادقة عن الخيره مادفة
عن الرشده لا ترجع عن مضارها الا بالكفاسه ولا تنقاد الى منافعها الا بالخزائم ، فمن
كبحها وثناها نجاها ومن اطلقها واهجرها ارداعا " (١) .

(١) رسائل العائبي ، ص ١٧١ - ١٧٢ .